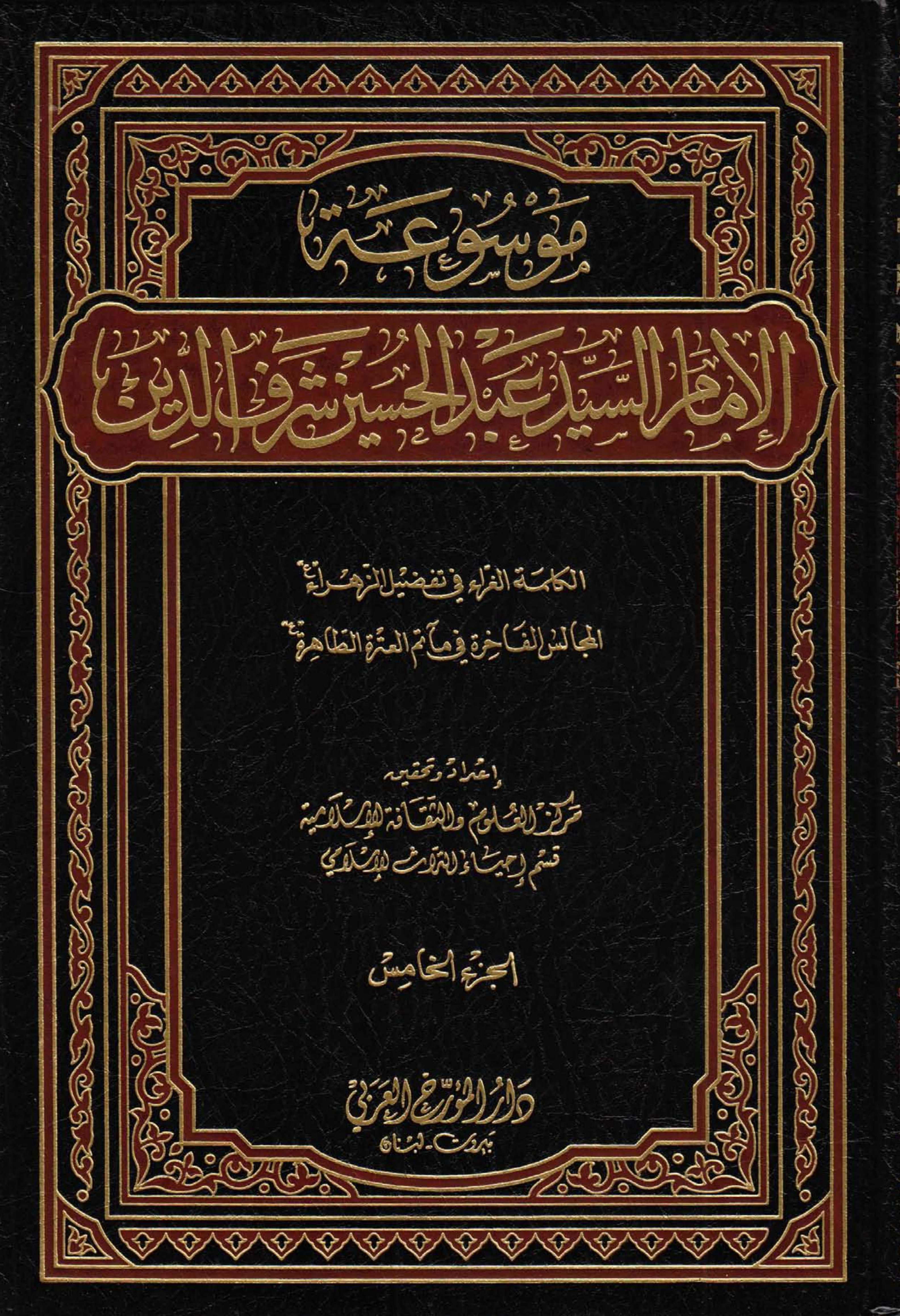

موسوعة
الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين
الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء ع
المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة ع
إعداد وتحقيق
مركز العلوم والثقافة الإسلامية
قسم إحياء التراث الإسلامي
الجزء الخامس
دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

موسوعة

الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين

الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء (ع)

المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة (ع)

إعداد وتحقيق

مركز العلوم والثقافة الإسلامية
قسم إحياء التراث الإسلامي

الجزء الخامس

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
الطبعة الثانية
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان - ص.ب: ٢٤/١٢٤ - تلفاكس: ٥٤١٤٣١ هاتف: ٥٤٤٨٠٥
Email: al_mouarekh@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

دليل
موسوعة الإمام شرف الدين

المدخل

حياة الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي

الجزء الأوّل

١ . المراجعات

الجزء الثاني

٢ . النصّ والاجتهاد

الجزء الثالث

٣ . الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة

٤ . أبوهريرة

الجزء الرابع

٥ . كلمة حول الرؤية

٦ . فلسفة الميثاق والولاية

٧ . أجوبة مسائل موسى جار الله

٨ . إلى المجمع العلمي العربي بدمشق

٩ . مسائل فقهيّة

الجزء الخامس

١٠ . الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام

١١ . المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة

الجزء السادس

١٢ . تأليف الأُمّة

١٣ . مودّة أهل البيت عليهم السلام فريضة

الجزء السابع

الجزء الثامن

الجزء التاسع

الجزء العاشر

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يصطفي من عباده ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة، والصلاة والسلام على نبيّه وخاتم رسله، سيّد الأنبياء محمّد المختار وآله البررة الخيرة.

يعتبر الإمام السيّد عبدالحسين شرف‌الدين الموسوي من الرجال النوادر، وقد امتاز بمواهب شتّى جعلته نجماً لامعاً ومناراً شامخاً في العالم الإسلامي والعربي، وبذكائه ونبوغه المتميّز أصبح فذّاً بين الأفذاذ، وعَلَماً من أعلام الصحوة الإسلاميّة، حيث دان لعظمة هذا الشخص الكبير القاصي والداني، والمخالف والمؤالف.

لقد شاءت الإرادة الإلهيّة أن تكون هذه الشخصية نجم هداية يطلّ في سماء العالم الإسلامي والعربي أكثر من نصف قرن، ليُهتدى به من ظلمات الجهل والحيرة إلى رحاب العلم والمعرفة، وليُنتهل من علومه ما ينقشع به رين القلوب، وما يزيح غشاوة الشكوك، وما ينير بنور اليقين والهداية.

وإذا أردنا أن نعطي لهذه الشخصية البارزة منزلتها التأريخية، جعلناها في عِداد سلسلة أئمّة وروّاد إصلاح الفكر الديني النيّرين الذين برزوا وتألّقوا عبر العصور والأزمنة بأفكارهم الغنيّة المعطاءة للمسلمين إلى زماننا الحاضر.

فقد كان ـ رضوان اللّه تعالى عليه ـ في سيرته الذاتية وعمله الرسالي الذي اضطلع به طوال حياته المباركة قدوة مثلى للإسلاميّين، فهو لم يكن إلّا انعكاساً لظلال أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام في جهادهم وجهودهم، ومدافعاً صلباً لإمامتهم ومنهجهم، حيث أخذ على

نفسه ما أخذ آباؤه الكرام عليهم السلام على أنفسهم من النهوض بأعباء الدعوة لهذا الدين الحنيف، والقيام بما يفرضه الواجب الديني من التبليغ بمبادئ الإسلام المحمّدي، ومنهج أهل البيت عليهم السلام السويّ.

كان الإمام شرف‌الدين في جميع الميادين ـ السياسية والاجتماعية والعلمية ـ فارسها المجلّى وبطلها المغوار. وحسبك شاهداً على بطولته آثاره الخالدة التي تركها غرّة في جبين الدهر، لا تفتأ تشعّ بالخير والجمال والنور، تحمل مشعل الهداية ساطعاً وهّاجاً في غمرة من الظلمات الحالكة، تضيء السبيل لمن ضلّ السبيل، وتكشف غياهب الشكوك والشبهات عن آفاق الحقّ والحقيقة، وتهدي التائهين إلى موطن الأمن والسلامة.

وقد جرى على يراعه من الدلائل والبيّنات والبراهين النيّرات ما يجعله آية من آيات اللّه الباهرة، وينبوعاً من ينابيعه الزاخرة، التي لا ينضب معينها الفيّاض ما بقي في دنيا الإسلام اسم للإسلام، وما بقي على وجه هذه البسيطة ظلّ للحقّ والإيمان.

وممّا يؤسف له أشدّ الأسف أنّ قسماً كبيراً من كتبه ومؤلّفاته ضاع ونهب وأحرق في هجوم الاستعمار الفرنسي على بيته ومكتبته.

غير أنّ المتبقّى من كتبه ـ كان ولا يزال ـ فيه كلّ الخير والبركة والعطاء المستمرّ للأجيال التي عاصرته وتلته حتّى يومنا هذا.

ولو أردنا أن نقف عند أهمّ هذه الآثار الموجودة ـ التي طبع أكثرها في حياته أو بعد وفاته ـ لقلنا إنّ ما أنتجه يراع هذا المفكّر العبقري هو مشروع فكريّ كامل، وإنجاز رساليّ جدير بالاهتمام.

مشروع تحقيق موسوعة الإمام شرف الدين

وحيث إنّ هذه الآثار كانت متفرّقة بعيدة عن أيدي القرّاء والباحثين من جهة، وقد طبع كثير منها مراراً طبعات غير محقّقة، مليئة بالأخطاء المطبعية من جهة أُخرى، مضافاً إلى التغييرات غير المناسبة التي قام بها بعض الناشرين على النصوص الأصلية، لهذا قرّر قسم إحياء التراث الإسلامي التابع لمركز العلوم والثقافة الإسلاميّة نشر مؤلّفات وتراث السيّد

عبدالحسين شرف الدين الموسوي الذي واكب حياة جيلنا الإسلامي المعاصر ، وذلك ضمن مشروعه الكبير المتضمّن نشر تراث العلماء الذين عاشوا في قرننا الحالي والقرون القريبة التي سبقته والذين أسّسوا حركة الإصلاح في الفكر الديني المعاصر .

ولا يخفى على علمائنا الأجلّة وقرّائنا الكرام أهميّة وفائدة نشر هذه الموسوعات الشاملة المحقّقة والمنقّحة واللائقة بمنزلة هؤلاء الروّاد ، حيث سيتمّ نشر المؤلّفات الكاملة لكلّ شخصيّةٍ علميّة في مجموعةٍ متكاملة، تسهم في الاطّلاع على آرائه العلمية ، وعلى ما جدّ في زمنه من المسائل التي لم يبتلِ بها السلف الصالح ، وعلى مدى تطوّر العلوم الاسلاميّة في ذلك الحين ، وفوائد أُخرى كثيرة لا تخفى على الباحثين في حقل التراث الإسلامي .

عملنا

منذ أن تقرّر البدء بمشروع تحقيق تراث الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين وكتبه كلّها في موسوعة شاملة، قام قسم إحياء التراث الإسلامي بالخطوات التالية:

١. جمع كتب السيّد شرف الدين المطبوعة، ولا سيّما الطبعة الأُولى لكلّ كتاب والطبعات التي تتميّز فيها طبعة عن طبعة، مثل: الطبعة الأُولى للمراجعات والطبعة الثانية لها، حيث تختلف الطبعة الثانية عن الطبعة الأُولى في بعض الألفاظ والعبارات، وكلّها من ثمرات قلم السيّد شرف الدين وفي حياته.

ويدخل ضمن مهمّة جمع كتبه ﷺ التواصل مع أُسرة السيّد شرف الدين في لبنان حيث حصلنا منهم على بعض صور المخطوطات وبعض الإجازات التي لم تنشر من قبل، فضلاً عن المقالات المنشورة في مجلّة العرفان وغيرها.

ومع هذا فقد بقي من آثار السيّد شرف الدين ما لم تصل أيدينا إليه، وسنظلّ نتابع آثاره وتراثه وننشر ونصحّح ما استجدّ لنضيفه في الطبعات القادمة إن شاء اللّه تعالى .

٢. تخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال والأشعار وما يحتاج إلى توثيقه.

٣. ضبط النصّ مع ملاحظة بعض الاختلافات فيما بين طبعات الكتاب الواحد، ووضع

أصحّها في المتن، وشرح الألفاظ الصعبة، وتوزيع النصّ، وتنظيم الهوامش.

٤. مقابلة المطبوع على الحاسوب مع النسخة المقوّمة النصّ.

٥. المراجعة الفنّيّة، حيث يلاحظ المطبوع على الحاسوب فنّيّاً من حيث حجم المكتوب في الصفحة، ووضع رؤوس الأسطر، والعناوين داخل المتن، والعناوين في أعلى الصفحات، وما شاكل ذلك.

٦. المراجعة النهائيّة، حيث يلاحظ الكتاب ملاحظة كاملة من كافّة النواحي: الإملائيّة والنحويّة واللغويّة، وما شاكل ذلك.

٧. الفهرسة حيث تفهرس الآيات والأحاديث والأقوال والأشعار والأمثال والأعلام والأماكن وما إلى ذلك، والفهارس كما هو معروف مفاتيح الكتب.

٨. علّق السيّد شرف الدين على كلّ كتاب من كتبه بتعليقة يفسّر بها الغامض ويفصّل المجمل ويزيد في الاستشهاد بالحديث وغيره. وعلّق محقّقونا ما حصل من عمليّة التحقيق والتخريج وما قاموا به من توضيح وبيان.

وقد جعلنا متن الكتاب أوّلاً ووضعنا تحته خطّاً قصيراً، وتحت ذلك الخطّ تعليقة المؤلّف ﷺ، ثمّ جعلنا خطّاً أطول تحته هوامش محقّقينا. وميّزنا أعداد علامة هوامش شرف الدين بأن جعلناها بين قوسين، بينما أوردنا أعداد علامة هوامش المحقّق خالية من الأقواس.

هذا وقد رتّبنا الآثار الخالدة للإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين على حسب الأهميّة موضوعاً ودراسة ومنهجاً في مجلّدات، بحيث يشتمل بعضها على كتابين أو أكثر، ومجلّد يختصّ بالمقالات، ومجلّد يختصّ بالخطب والرسائل والإجازات والتقريظات.

وفرزنا كتاب بغية الراغبين عمّا ألحقه به ولده العلّامة السيّد عبدالله شرف الدين، فجعلنا الأصل مجلّداً، والملحقات مجلّداً مستقلاً، وجعلنا مجلّداً خاصّاً بالفهارس.

شكر وثناء

يتقدّم مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة إلى جميع الإخوة المحقّقين في قسم إحياء التراث الإسلامي المشاركين في تحقيق وإخراج موسوعة الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين

بالشكر الوافر والثناء الجميل، مثمّناً جهودهم الكبيرة الجادّة، وداعياً الله عزّ وجلّ لهم بالتوفيق، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

وقد رتّبنا أسماء الذوات العاملين في هذه الموسوعة حسب حروف المعجم، وذكرنا أمام اسم كلّ منهم العمل الذي قام به:

مجموعة المحقّقين:

أسعد الطيّب، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، المراجعة النهائيّة.

إسماعيل بيك المندلاوي، عضو لجنة المقابلة.

جواد الفاضل، عضو مساعد في تخريج بغية الراغبين.

السيّد حسين بني هاشمي، تحقيق كلمة حول الرؤية، عضو لجنة المقابلة.

السيّد خليل العابديني، سكرتير اللجنة المشرفة على التحقيق، تحقيق إلى المجمع العلمي العربي بدمشق، وفلسفة الميثاق والولاية.

رضا المختاري، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، وله شرف اقتراح تحقيق موسوعة شرف الدين.

طه النجفي، عضو لجنة المقابلة.

عباس المحمّدي، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، وتحقيق قسم من النصّ والاجتهاد، وتقويم وتكميل تخريجات بغية الراغبين وملحقاته.

السيّد عبدالرسول الحامدي، عضو لجنة المقابلة.

عبدالرسول المهاجر، عضو مساعد في مقابلة النصّ وتخريج بغية الراغبين.

علي أوسط الناطقي، مسؤول قسم إحياء التراث الإسلامي، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، تحقيق قسم من النصّ والاجتهاد، والمراجعة النهائيّة، والمراجعة الفنيّة.

السيّد علي الحسيني لرگاني، عضو مساعد للمحقّقين.

غلامحسين قيصريه‌ها، تحقيق الفصول المهمة، وأجوبة مسائل موسى جار الله.

غلام رضا النقي، تحقيق المجالس الفاخرة، والمساعد في تخريج المجاهيل.

محمّد إسلامي پناه، تحقيق ثبت الأثبات.

محمّد الباقري، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق.

محمّدحسين المولوي، تحقيق مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام.

محمّد الربّاني رحمه الله، تحقيق مسائل فقهيّة.

محمّد مهدي عادل‌نيا، المساعد في تخريج بغية الراغبين.

منصور الإبراهيمي، تحقيق المراجعات، وأبوهريرة، والكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، وقسم من المجالس الفاخرة، وستّة من المقالات.

السيّد مهدي الطباطبائي، المسؤول السابق لقسم إحياء التراث الإسلامي، وعضو اللجنة المشرفة على التحقيق.

السيّد منذر الحكيم، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، تأليف حياة الإمام شرف الدين، ومقدّمات التحقيق لأجزاء الموسوعة. وله شرف التواصل مع أُسرة شرف الدين.

نعمة الله الجليلي، تحقيق خمسة من المقالات، والمراجعة النهائيّة.

ولي الله القرباني، عضو لجنة المقابلة.

محسن النوروزي، المراجعة الفنيّة قبل النشر.

مجموعة الإخراج الفنّي:

رمضان علي القرباني ومحمّد الخازن.

مسك الختام

ويسرّنا هنا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الخالص إلى كافّة مسؤولي مكتب الإعلام الإسلامي خصوصاً مدير المكتب فضيلة السيّد حسن الربّاني، ومسؤولي مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة خصوصاً فضيلة الشيخ محمّدتقي السبحاني وفضيلة الشيخ محمدحسن النجفي، حيث جعلوا هذا العمل المبارك نصب أعينهم، ومنحوه جهدهم ووقتهم وقدّموا ما في وسعهم من عون منذ كان بذرة صغيرة أيّام اقتراحه ليكون أحد أعمال قسم إحياء التراث الإسلامي إلى أن أصبح بحمد اللّه تعالى شجرة باسقة وارفة الظلال تسرّ الناظرين.

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة

قسم إحياء التراث الإسلامي

مقدّمة التحقيق

ويشتمل على بابين:

الباب الأوّل: في رحاب الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام

الباب الثاني: في رحاب المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة عليهم السلام

الباب الأوّل
في رحاب
الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام

من هي الزهراء؟

الزهراء فاطمة ابنة سيّد المرسلين، وزوجة سيّد الوصيّين، والوعاء الطاهر للسلالة النبويّة الطاهرة، والمنبت الطيّب لعترة خاتم النبيّين محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله أجمعين.

ولدت من أكرم أبوين عرفهما التاريخ البشري الذي غيّر وجهه ودفع به إلى أشواط بعيدة من التكامل والتسامي، أبوها خاتم المرسلين الهداة، وزوجها سيّد الذادة الحماة، وولداها السبطان العظيمان سيّدا شباب أهل الجنّة.

النشأة الفريدة

نشأت في دار يغمرها حنان أبيها، الذي حمل عبء النبوّة، وتحمّل في سبيله ما تنوء عن حمله الجبال.

وكابدت محن تبليغ الرسالة الإلهيّة منذ نعومة أظفارها، وعاشت أيّام الحصار في شِعب أبي طالب عليه السلام وهي في عمر الزهور.

وتحمّلت المصاب بفقد اُمّها وعمّ أبيها في عام الحزن، وبقيت سلوة لأبيها وهو يتحمّل

أعباء الرسالة، ويواجه أعتى تيّار ضدّها في أُمّ القرى التي كانت تحتضن بيت التوحيد الأوّل، والمسجد الحرام الذي جعله الله قياماً للناس.

الهجرة إلى الله ورسوله

وهاجرت وجاهدت في سبيل الله أعظم ما يمكن أن تقوم به امرأة مثلها، من جهاد قبل اقترانها بأسد الله وأسد رسوله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وبعد اقترانها، وقبل رحيل أبيها وبعد رحيله، وقدّمت أروع مثل للزوجة النموذج وللأُمّ القدوة، وفي أحرج لحظات التاريخ الإسلامي الحاسمة، حيث كانت هذه الرسالة تختطّ طريق النهوض بالإنسانيّة الخاملة، وفي ظرف جاهلي يرفض إنسانيّة المرأة وينأى بها في مهوى سحيق.

زهرة الرسالة الخالدة

والزهراء هي زهرة هذه الرسالة الخالدة، ووليدة النهضة الإلهيّة الفريدة، استطاعت أن تضرب بسلوكها ومواقفها في كلّ الأصعدة مثلاً أعلى لقيم الخير والكمال والجمال.

وقد أثبتت الزهراء فاطمة للعالم الإنساني أجمع أنّها الإنسان الكامل الذي استطاع أن يحمل طابع الأُنوثة، فيكون آية إلهيّة كبرى، ودليلاً ناصعاً على قدرة الله البالغه وإبداعه العظيم، حين أعطى للزهراء أوفر حظّ من العظمة، وأوفى نصيب من الإنسانيّة المزدانة بالجلال والجمال والبهاء.

رمز التضحية والبطولة

لقد كانت الزهراء رمز البطولة والجهاد والصبر والتضحية والإيثار، حتّى استشهدت في سبيل رسالة والدها العظيم، فكانت مصداقاً بارزاً للعطاء الإلهي، ونموذجاً حقيقيّاً للبذل والعطاء الكبير، الذي أمر الله نبيّه به حين قال له: ﴿إنّا أعطَيناكَ الكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ﴾[1].

---

١. سورة الكوثر (١٠٨): ١ ـ ٣.

كوثر الرسالة المعطاء

فهي كوثر الرسالة بحقّ ؛ لأنّها وبعلها كانت القربان الأكبر ، الذي قدّمه رسول الله للإنسانيّة لخدمة الإنسانيّة ، والارتقاء بها إلى حيث القمم الشامخة من الكمال والجمال والبهاء الربوبي ، الذي يحيط بالإنسان ويسمو به إلى سدرة المنتهى .

وهكذا فاقت الزهراء في كلّ معاني الخير سادات الأوّلين والآخرين ، وكانت بحقّ سيّدة نساء العالمين . وهي مع كلّ ذلك حوراء إنسيّة تتقدّم بكمالاتها على سائر أفراد هذه الأُمّة .

لماذا تفضيل الزهراء؟

كما قرّر ذلك الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي في كتابه : الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام ، الذي كتبه جواباً لمن سأله عن دليل معتبر عند خصوم الإماميّة في تفضيل الزهراء على سائر هذه الأُمّة .

وقد أسّس جوابه على محكمات الكتاب البيّنات ، مثل آية المباهلة ، وآية التطهير ، وآية المودّة في القربى ، وآيات الأبرار ، وهي تشكّل أدلّة قاطعة تظلّ أعناق الورى لها خاضعة ، حين يعرف من ألمّ بتاريخ المسلمين أنّ آية المباهلة نزلت في أهل البيت ، بما فيهم فاطمة البتول بشكلٍ خاصّ لا في سواهم ، وهي تنوّه بشأنهم الكبير ، وتؤثرهم على مَن سواهم من أهل السوابق والفضل ، بنحوٍ لم يسبق إلى شأنهم سابق ، ولا يلحقهم فيه لاحق . وهكذا آية التطهير والمودّة في القربى وآيات الأبرار ، التي هي غيض من فيض ، ونموذج من آيات كثيرة نزلت بشأنهم ، أو أشارت إلى فضلهم ، واعتبرتهم هم السابقون الأوّلون والمقرّبون ، وأنّ سبقهم إلى الفضائل لا ينحصر في السبق الزمني ، بل تعدّاه إلى التفاضل في امتلاك القيم التي لخّصها الذكر الحكيم في التقوى، حين فضّل بها أصحاب التقوى قائلاً : ﴿**إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1].

---

١. الحجرات (٤٩) : ١٣.

وقد تصدّى الإمام شرف الدين للإجابة على أسئلة واستفسارات شتّى، خلال بيانه الوافي وحججه الناطقة بالحقّ والصدق، في مجال تفضيل أهل الفضل من أهل البيت عليهم‌السلام على من سواهم من المسلمين والعالمين.

فصول الكتاب ومنهجه

قسّم المؤلّف طاب ثراه كتابه إلى أربعة فصول، يتكفّل كلّ فصل البحث عن آية واحدة من حيث دلالتها على تفضيل أهل البيت عليهم‌السلام، بما فيهم الزهراء فاطمة على مَن سواهم من الأُمّة.

وقد تعرّض في الفصل الثاني لآية التطهير، واستدلّ بها على عصمة الخمسة الطيّبة: الرسول، وابن عمّه وزوج ابنته، والسبطين، والزهراء عليهم‌السلام.

كما استدلّ بها على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام.

وردّ في الفصل الثالث على من صرف آية المودّة عن آل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

وفي الفصل الرابع عمد إلى بيان الأسرار الواردة في آيات الأبرار.

وختم بحثه باستنتاج أمر مهمّ من الآيات، إليك نصّه:

رأيت هداك الله إذا أمعنت النظر فيما ألقاه عزّ وجلّ إليهم في ختام البشائر العظيمة والمواهب الجسيمة تتمثّل لك عناية الله بهم قالباً حسّيّاً، وترى كرامتهم عليهم وسموّ منزلتهم لديه شخصيّاً مرئيّاً، وذلك أنّه ختم كلامه في شؤونهم بقوله مخاطباً لهم عليهم‌السلام ﴿إنّ هذا﴾ الإكرام العظيم الذي فصّلناه في محكم الذكر تفصيلاً وفضّلناكم على العالمين تفضيلاً ﴿كان لكم جزاءً﴾ على أعمالكم المقدّسة، التي استوجبت هذا الإكرام الجسيم، لم تنالوه بشفاعة أو بمجرّد فضل، وإنّما أخذتموه بالاستحقاق والعدل ﴿وكان سعيكم﴾ مع ذلك كلّه ﴿مشكوراً﴾ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[1].

---

١. أُنظر في خاتمة الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها‌السلام.

ثمّ استنتج من تقابل الكافرين والأبرار : أنّ الكافرين الظالمين هم أعداء الأبرار ، وأنّ الله قد أنذرهم بما أعدّ لهم من السلاسل والأغلال والعذاب الأليم وسعير النار .

وجعل هذا الاستنتاج غير خافٍ على الخوّاضين لعباب الذكر الحكيم ، الغوّاصين على كلّ سرّ من أسراره ، المتدبّرين لمواقع كلمه .

فضل الزهراء في مصادر الجمهور

ثمّ أنهى رسالته بالنصوص النبويّة الاثني عشر حول فضل الزهراء فاطمة من مصادر أهل السنّة ، وقد جاء في بعضها تصريح النبيّ ﷺ لابنته بفضلها على سائر نساء العالمين حين قال لها : «ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين » أو «سيّدة نساء المؤمنين» أو «سيّدة هذه الأُمّة» حسب ما جاء في البخاري وغيره من المصادر المعتمدة لدى القوم .

على أنّ بعض العلماء من المحقّقين وجمهور المسلمين قد ذهبوا إلى تفضيلها ، ولا سيّما بعض المعاصرين كالنبهاني حيث قال :

> وصرّح بأفضليّتها على سائر النساء حتّى على السيّدة مريم كثير من العلماء المحقّقين ، ومنهم التقيّ السبكي ، والجلال السيوطي ، والبدر الزركشي ، والتقي المقريزي ،كما نقل عن المناوي رأيه هذا عن جمع من الخلف والسلف [١] .
>
> وقد سئل عن مثل ذلك ابن أبي داود فقال : إنّ رسول الله ﷺ قال : «فاطمة بضعة منّي » ، ولا أعدل ببضعة رسول الله أحداً .

ثمّ أشار المؤلّف إلى أنّه قد استقصى في كتابه سبيل المؤمنين كلّ ما يدلّ على تفضيلهم عليهم السلام . غير أنّ هذا الكتاب هو واحد من نفائسه المفقودة أو المسلوبة أو المحروقة في هجمة الفرنسيّين على داره ونهبهم لمكتبته حين كان مطارداً من قبل هذه القوّات المستعمرة .

---

١ . الشرف المؤبّد : ٥٩ .

طبعات الكتاب

وفرغ المؤلّف من تأليف هذه الرسالة الخاصّة بالزهراء عليها السلام في صور مستهلّ رجب سنة ١٣٤٦ هـ. وطبعه لأوّل مرّة في صيدا سنة ١٣٤٧ هـ، كما طبع في النجف سنة ١٣٨٦ هـ، وتكرّر طبعه في بغداد وقم وطهران وبيروت طبعات عديدة تكشف عن الاهتمام به، كما تُرجم أكثر من ترجمة بالفارسيّة والأورديّة.

شكر و تقدير

وقد تمّ تحقيق هذا الكتاب المبارك الخاصّ بتفضيل الزهراء وأهل بيت الرسالة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ضمن موسوعة الإمام شرف الدين، في قسم إحياء التراث الإسلامي، تصدّى لمهمّة تحقيقه الشيخ منصور الإبراهيمي راجين له ولسائر الإخوة الذين ساهموا في إخراجه بالشكل المطلوب كمال التوفيق وقبول الجهد من العليّ القدير.

الباب الثاني
في رحاب
المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة عليهم السلام

الإمام شرف الدين والإصلاح الديني

ذكر بعض من ترجم للإمام شرف الدين عدّة مجالات للإصلاح كانت مورد اهتمام الإمام شرف الدين، وخصّ بالذكر منها الإصلاح الديني، وأراد به الإصلاح الذي بادر إليه في مجالي إصلاح مجالس العزاء والمنبر الحسيني الذي اهتمّ به أتباع أهل البيت عليهم السلام منذ قرون بعيدة.

ومصطلح الإصلاح الديني يشير إلى تعرّض الدين لنوع من التحريف والفساد فأصبح بحاجة إلى إصلاح.

والإصلاح الحقيقي قد بادر إليه الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين رفض تقديم البيعة لطاغية زمانه، وآثر الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، فقال مصرّحاً بأنّه إنّما رفض البيعة ونهض بالأُمّة لطلب الإصلاح في أُمّة جدّه. فالأُمّة قد انحرفت عن الدين الحقّ. والدين خالد وبريء من العيب والانحراف عن رسالة الدين ومنهجه وأهدافه وقِيَمه وأحكامه.

فالأُمّة في مسيرتها كانت قد انحرفت فاحتاجت إلى الإصلاح، فالإصلاح الديني بمعنى

إرجاع الأُمّة إلى جادّة الصواب في مجال تديّنها، أو التزامها بالدين، أو توعيتها على الدين الحقّ هو أمر صحيح.

وحين أرجع الحسين عليه السلام أُمّة جدّه إلى رؤية رساليّة صائبة من خلال مسيرته وسلوكه الرسالي، ونهض بها فقاومت الاستغلال الأُموي، واستمرّت في مناهضة الاستغلال العبّاسي، كان قد شقّ طريقاً ثوريّاً داخل جسم الأُمّة، وأحدث تيّاراً نهضويّاً يحمل مشعل المبادرة ضدّ الانحراف، وقد استمرّ شيعة أهل البيت في حملهم لهذا المشعل النهضوي طيلة القرون السالفة، من خلال إحيائهم لذكرى الحسين عليه السلام ونهضته واستشهاده وإيثاره للعزّ على الذلّ.

وكانت تجاربهم الثوريّة تحفظهم من الانهيار والذوبان في المسيرة العامّة للمجتمع الإسلامي، التي اعتادت على معايشة الحكّام الظالمين، نتيجة انتشار تعليمات وعّاظ السلاطين.

ولكنّ هذا لا يمنع من اختراق هذا الخطّ النهضوي بمقولات، تنتهي بمرور الزمن إلى نوع من التحريف وشعارات ثوريّة تختفي وراءها ثقافة أجنبيّة، تمتدّ إلى هذا القطّاع الثوري بالتدريج، حتّى تمسخ الشعائر وتنحرف بها عن مسيرتها الثوريّة الصحيحة.

وهكذا لمس العلماء والمصلحون نوعاً من التحريف يطال مجالس العزاء التي كانت وقوداً حقيقيّاً للثورات الإسلاميّة ضدّ الطغيان والطغاة. وكان لا بدّ لهم من محاربة البدع والقضاء عليها بشكلٍ سليم.

وممّن أسهم في هذا الميدان علّامتنا السيّد عبد الحسين شرف الدين، ومعاصره العلّامة السيّد محسن الأمين العاملي، حيث كتب الثاني المجالس السنيّة في خمسة أجزاء، وكتب الأوّل منهما المجالس الفاخرة، وقدّم لها بمقدّمة مهمّة تحت عنوان: المقدّمة الزاهرة.

وممّا يؤسف له أنّ كتاب المجالس الفاخرة قد فُقد ضمن النفائس الأُخرى، ولم يبقَ منه إلّا المقدّمة الزاهرة، وشيء ممّا بقي في ذاكرة بعض الخطباء الذين تربّوا على منهج الإمام شرف الدين في هذا الميدان.

المنهج الإصلاحي للإمام شرف الدين

لقد مارس الإمام شرف الدين منهجه التصحيحي ضمن خطوات ومراحل وعلى مستويات شتّى.

المستوى الأوّل: إعداد مادّة تاريخيّة وعلميّة سليمة ونقيّة من الشوائب لخطباء المنبر الحسيني، وقد تكفّل كتاب المجالس الفاخرة بهذا الجانب.

المستوى الثاني: تطبيق المنهج الذي ارتآه للتصحيح من خلال مجالسه ومحاضراته التي كان يلتزم بها بنفسه. إذ كان يرتقي المنبر ويلتزم بما كان قد كتبه وأعدّه لهذه المهمّة.

المستوى الثالث: تربية مجموعة من الخطباء على الالتزام بنهجه في الخطابة والمنبر الحسيني.

وقد نجح الإمام شرف الدين في هذا الجانب حيث استطاع أن يغطّي الساحة الإسلاميّة في المناطق التابعة لأهل البيت عليهم السلام بعطائه الفكري والنهضوي التوحيدي.

وقد طبعت مقدّمة هذا الكتاب في صيدا سنة ١٣٣٢ هـ، ثمّ طبعت بعد حياة المؤلّف رحمه الله في كربلاء والنجف وقم وطهران وبيروت. وأمّا المجالس الفاخرة فكان من مجموعة نفائسه المفقودة في الكارثة التي حلّت في مدينة صور سنة ١٣٣٨. وقد وجد بعد ذلك شذرات من هذا الكتاب، رتّبها المرحوم السيّد علي شرف الدين وطبعت في النجف سنة ١٣٨٦. واستمرّت طبعاته في لبنان وايران وعراق. وهو كتاب جدير بالاهتمام رغم التطوّرات التي حصلت في ميدان الخطابة والمنبر الحسيني.

غير أنّ هذا الكتاب وكتاب المجالس السنيّة لهما دور تأسيسي وريادي في هذا الميدان، لأنّهما قد وفّرا المادّة العلميّة والمحتوى الذي يحتاجه الخطيب دائماً.

ولا أنسى الإشارة إلى جهود خيّرة بذلها جملة من الخطباء خلال هذه العقود الثمانية بعد كتابي المجالس الفاخرة و المجالس السنيّة.

وقد توّجتها أخيراً رسالة الدكتوراه القيّمة للأُستاذ الخطيب الشيخ محمّد باقر المقدسي تحت عنوان: دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلاميّة.

بين «المقدّمة الزاهرة» و «المجالس الفاخرة»

تضمّنت المقدّمة الزاهرة بحثاً تفصيليّاً حول مشروعيّة إقامة المآتم الحسينيّة وإحياء ذكرى أهل البيت عليهم السلام، بدءاً بالأصل العملي الأوّلي على الإباحة، واستدلالاً بالسيرة العمليّة النبويّة وسيرة الصحابة المعاصرين للنبيّ صلى الله عليه وآله، وانتهاءً بالأحاديث الدالّة على الجواز مع بحث موضوعي مقارن. وهو بهذا قد ردّ على مزاعم كلّ الذين حاولوا إبطال المآتم الحسينيّة من خلال إثارة عدم مشروعيّتها.

وهناك اتّجاه حاول تزييف ما عليه الإماميّة من الاهتمام بإثارة العواطف الإنسانيّة واستغلالها في مجال التوعية الدينيّة المستمرّة، وذلك من خلال المنبر الحسيني الحافل بالقيم والمبادئ الرائعة، بزعم أنّ هذه المجالس غير مجدية ولا فائدة فيها، لا سيّما إذا كان هؤلاء المهرّجون ينتقدون الثورة الحسينيّة نفسها ويعتبرونها ثورة فاشلة.

وفي مجال الردّ على هذه المزاعم الواهية أو المثبّطة للعزائم والنفوس الموالية لأهل بيت الرسالة عليهم السلام، قام العلّامة شرف الدين بجهد نوعي بيّن فيه فلسفة المآتم الحسينيّة وأهمّيّة إقامة مجالس العزاء الحسيني، جمع فيه بين العقل والنقل والتاريخ، كما بيّن فيه ضرورة تهذيب وتصحيح كيفيّة إقامة مجالس العزاء، وما ينبغي ذكره في هذه المجالس، ثمّ اهتمّ بشكلٍ مكثّف ببيان فلسفة نهضة الإمام الحسين عليه السلام وعزمه على الاستشهاد في سبيل الله تعالى، مع تدليله على علم الحسين بمصيره واستشهاده، وأنّ هذه النهضة الفريدة بهذه المواصفات كانت ثورة ناجحة غاية النجاح؛ لأنّها قد حقّقت أهدافها بشكلٍ تامّ، ولا زالت ثورة حيّة تدفع الشعوب إلى النهوض ضدّ الظلم والظالمين.

ولنا أن ندعم بيانه بما انتهى إليه الشعب الفلسطيني اليوم في انتفاضته الأخيرة بعد انتكاسات عديدة تبلورت في حركة جبّارة تحاول القضاء على كلّ المخطّطات الصهيونيّة

الغاشمة من خلال شعور هذا الشعب بضرورة التأسّي بثورة الحسين عليه السلام وحركته الاستشهاديّة في مطلع النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري ضدّ الطغيان والعتوّ الأموي.

وبحثه هذا بحث علمي عصري يمتاز بالحيويّة والفاعليّة والإحكام.

و المجالس الفاخرة قد تضمّنت جملة من هذه البحوث، ولكن بشكل مجالس تحتوي مادّتها على هذه التوعية التي تتميّز بالاستناد إلى العقل والنقل، كما تتميّز بالأُسلوب العصري والعلمي البنّاء، فهي مفيدة للخاصّة والعامّة معاً. ولكلّ منهما أن يستوعب منها ما تسعه قريحته وقابليّاته.

ولكنّ المجالس الفاخرة التي كانت تتضمّن مادّة تستوعب سيرة أهل البيت عليهم السلام لم يبقَ منها إلّا ما يرتبط بعاشوراء والسيرة النبويّة وشيء يسير من سيرة الأئمّة: عليّ والحسن والحسين.

فهي نموذج رائع وفريد في بابه، ولطلّاب هذا الميدان وروّاده التأسّي بمنهجه وطريقته، وعسى أن يقيّض الله له من يقوم بإكماله وإتمامه مع تجديد وإبداع يحتاجه العصر ويتماشى مع حاجات ومتطلّبات المرحلة، كما نلاحظ شيئاً من هذا الإبداع والتطوير في محاولة الدكتور الشيخ المقدسي دام تأييده في كتابه دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلاميّة.

وبعد إتمام تحقيق هذه المجالس وصلت إلينا نسخة محقّقة ومزيدة لما احتوته من مجالس أُخرى كانت قد اشتملت عليها مخطوطة الشيخ ديب بيضون الجبيلي العاملي رحمه الله، قد تمّ تحقيقها على يد الأُستاذ محمّد جواد فخر الدين وتشرّفت مؤسّسة العارف للمطبوعات بطباعتها ونشرها سنة ١٤٢٥ هق.

ومن هنا اضطرّت لإعادة النظر في تحقيق هذا الكتاب، مستفيدة من تجربة الأُستاذ فخر الدين، وحاولت إكمال مشروعها بإضافة ما تميّزت به هذه النسخة الجديدة من مجالس فاخرة.

وأمّا قصّة إضافة هذه المجالس الأُخرى ـ التي تبلغ عددها خمسة عشرة ـ فقد كتبها الأُستاذ فخر الدين كما يلي:

أوّلاً ـ نقل عن الشيخ آغا بزرك الطهراني صورة دقيقة عن كتاب المجالس الفاخرة المطبوع بصيدا سنة ١٣٣٢ بعد أن نهبت مكتبة السيّد سنة ١٣٢٩ هـ.

ثمّ ذكر طبعاته الأُخرى في كربلاء سنة ١٣٧٨ هـ، والنجف سنة ١٣٨٦ هـ بتقديم الدكتور السيّد محمّد بحر العلوم.

ثمّ عرّج على ما عثر عليه صاحب دار العارف الأخ أحمد زكي من نسخة مخطوطة لأحد تلامذة السيّد شرف الدين وهو المرحوم الشيخ ذيب بيضون المتوفّى سنة ١٩٤٩ م حيث وجد في مخطوطته مجالس زائدة على المطبوع في النجف والذي كانت فيه مجالس زائدة على المطبوع في كربلاء وصيداء.

وباعتبار فقدان أصل الكتاب فإنّ كلّ ما يعثر عليه ممّا يحمل أنفاس السيّد ويشبه مجالسه التي نظّمها ورتّبها للقراءة على منهجه الجديد يمكن نسبته إليه على احتمال أو على أكبر من ذلك، لا سيّما إذا كانت هناك إشارة واضحة، كما في مجالس الشيخ ذيب التي كانت تصدّر بقوله:

ومن المجالس الفاخرة للإمام سماحة سيّدنا ومولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي دام ظلّه، قال نفعنا الله به[1].

وقد تضمّنت هذه النسخة بفصولها الثلاثة ٥٠ مجلساً سوى المقدّمة الزاهرة وحياة الإمام شرف الدين بقلم الشيخ مرتضى آل ياسين ومقدّمة عن حياة الشيخ ذيب بقلم السيّد محمّد الغروي دام عزّه، وأشار في مقدّمته إلى أنّ الشيخ ذيب كان قد استعار كتاب المجالس الفاخرة من الإمام شرف الدين قبل هجوم المحتلّين الفرنسيّين وإحراق داره ومكتبته، فدوّن الكثير من فصوله ليستفيد منها في مجالسه.

وجزا الله الإمام وتلميذه وكلّ من جدّ واجتهد في هذا المضمار خيراً.

هذا، وقد وجدنا أثناء تحقيقنا لهذه النسخة أنّها احتوت على أخطاء مطبعيّة كثيرة،

١. انظر مقدّمة المجالس الفاخرة، طبعة دار العارف، ص ٨.

واشتملت على بعض الإيرادات المهمّة، نشير إلى بعضها:

أ ـ عدم اشتمالها على قسم مهمّ من المقدّمة الزاهرة، التي كتبها العلّامة شرف الدين، وقد أوردناها في الصفحات ٨٠ ـ ١٠٤.

ب ـ قيام مصحّح النسخة بإضافة عناوين إلى المجالس دون الإشارة إلى ذلك، وكانت بعض هذه العناوين غير مناسبة لموضوع المجلس.

ج ـ عدم الإشارة إلى الكثير من مصادر الكتاب والتي ظلّت مجهولة.

د ـ وقوع اشتباه فاحش في عدد المجالس حيث تمّ ترقيم مجلسين بالعدد الثالث والعشرون، وبذلك استمرّ الاشتباه حتّى المجلس الأخير الذي أُشير إليه على أنّه التاسع والأربعون في حين كان الواجب اعتباره المجلس الخمسون.

وفي الختام نتقدّم بخالص الشكر وجميل الثناء إلى جميع الإخوة الأعزّاء في قسم إحياء التراث الإسلامي، خصوصاً السادة غلام رضا النقي، ومنصور الإبراهيمي، حيث تصدّيا معاً لتحقيق هذا الكتاب، سائلين الله عزّ وجلّ إتمام النعمة علينا بتعجيل فرج مولانا الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة
قسم إحياء التراث الإسلامي

(١٠)

الكلمة الغرّاء

في تفضيل الزهراء عليها السلام

تحقيق

منصور الإبراهيمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد، فهذه هي الكلمة الغرّاء في تفضيل فاطمة الزهراء عليها السلام ألقيتها[1] جواباً لمن سألني **فقال**:

هل للإماميّة دليل يعتبره خصومهم في تفضيل فاطمة الزهراء على سائر هذه الأُمّة؟ وما ذلك الدليل والحجّة؟ أرجو التفصيل.

فقلت:

بسم الله الرحمن الرحيم

ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتّقين، وتلك السنّة لا شبهة فيها لأحدٍ من المسلمين، وناهيك بهما قولاً فصلاً لا يجحده جاحد، وحكماً عدلاً لا يكابره معاند.

فهنا مطلبان:

---

(١) بسم الله، وعلّقت عليها تعليقة تكشف عن دقائق أغراضها ولطيف إشاراتها، وجعلتها تحت الخطّ في أسفل صفحاتها، فلا تفوتنّ الباحثين مطالعتها.

عبدالحسين شرف الدين الموسوي

المطلب الأوّل

في دلالة الكتاب

وحسبك من محكماته البيّنات آية المباهلة[1]، وآية التطهير[2]، وآية المودّة في القربى[3]، وآيات الأبرار[4]، أدلّة قاطعة تظلّ أعناق الورى لها خاضعة.

فهنا فصول أربعة:

الفصل الأوّل: في آية المباهلة

وهي قوله ـ عزّ من قائل ـ في سورة آل عمران: **﴿فَمَنْ حاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِن الْعِلْمِ فَقُلْ تعَالَوْا نَدْعُ اَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبينَ﴾**[5].

---

١. آل عمران (٣): ٦١.

٢. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٣. الشورى (٤٢): ٢٤.

٤. الإنسان (٧٦): ٥.

٥. آل عمران (٣): ٦١.

أجمع أهل القبلة ـ حتّى الخوارج منهم ـ على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعته الزهراء، ومن الأبناء سوى سبطَيه وريحانَتيه من الدنيا، ومن الأنفس إلّا أخاه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها، لم يشاركهم فيها أحد من العالمين ـ كما هو بديهيّ لكلّ من ألَمّ بتأريخ المسلمين ـ وبهم خاصّة نزلت(١) لا بسواهم.

فباهل النبيّ صلى الله عليه وآله بهم خصومَه من أهل نجران فبهلهم، وأُمّهات المؤمنين ـ رضي الله عنهنّ ـ كنّ حينئذٍ في حجراته صلى الله عليه وآله، فلم يدع واحدةً منهنّ وهنّ بمرأى منه

---

(١) فيما علمه المسلمون وأخرجه المحدّثون[١] عن أعلام الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ. وقد رواه الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول بسنده عن جابر بن عبدالله : ـ وكان الشعبي يفسّر الآية فيقول: ـ أبناءنا: الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة، وأنفسنا: عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ. كذا في صفحة ٧٥ من أسباب النزول للواحدي حيث ذكر فيه آية المباهلة[٢].

وأخرج الدارقطني[٣] ـ كما في الآية التاسعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الباب ١١، من صواعقه[٤] ـ:

أنّ عليّاً يوم الشورى احتجّ على أهلها، فقال لهم: «أُنشدكم بالله، هل فيكم أحد جعله الله نفس النبيّ، وأبناءه أبناءه، ونساءه نساءه غيري؟ قالوا: اللهمّ لا...». الحديث.

---

١. كابن المغازلي في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب: ٢٦٤، ح ٣٦٢، والحسكاني في شواهد التنزيل ١: ١٢٠ ـ ١٢٨، ح ١٦٨ ـ ١٧٦، والسيوطي في الدرّ المنثور ٢: ٢٢٨ ـ ٢٣٢، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣)، و تاريخ الخلفاء: ١٦٩.

٢. أسباب النزول: ٩٠ ـ ٩١.

٣. حكاه عنه القندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٤٤٧، الباب ٥٩، ح ٢٢٩.

٤. الصواعق المحرقة: ١٥٦، الباب ١، الفصل ١.

ومسمع. ولم يدع صفيّة، وهي شقيقة أبيه وبقيّة أهليه، ولا أُمّ هانئ ذات الشأن والمكانة، وهي كريمة عمّه، الفارج لهمّه، ذي الأيادي التي هي من المسلمين طوق الهوادي، ولا دعا غيرها من عقائل الشرف والمجد، وخفرات عَمرو العلى[١] وشيبة الحمد[٢]، ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة، وغيرهم من المهاجرين والأنصار.

كما أنّه لم يدع مع سيّدي شباب أهل الجنّة أحداً من أبناء الهاشميّين، على أنّهم كانوا ﴿إذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾[٣] ولا دعا أحداً من أبناء الصحابة على كثرتهم ووفور فضلهم.

وكذلك لم يدع من الأنفس مع عليّ عمَّه وصِنوَ أبيه العبّاس بن عبدالمطّلب، وهو شيخ الهاشميّين، وأجود القرشيّين، وأعظم الناس(١) عند رسول الله ﷺ، بل لم يدع أحداً من كافّة عشيرته الأقربين، ولا واحداً من السابقين الأوّلين ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ، وكانوا بمرأى من المباهلة ومسمع، ومنتدى من أهلها ومجمع، فلم ينتدب واحداً منهم مع من انتدبهم إليها، بل لم ينتدب أحداً من سائر أهل الأرض بالطول والعرض.

إنّما خرج ﷺ ـ كما نصّ عليه الرازي في تفسيره الكبير[٤] ـ وعليه مرطٌ من شعر أسود وقد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ خلفها، يقول: «إذا أنا دعوت فأمّنوا».

(١) فيما أخرجه البغوي في ترجمة أبي سفيان بن الحارث عن أبيه، كما في ترجمة العبّاس من الإصابة[٥].

١. هو هاشم بن عبد مناف. راجع تاريخ اليعقوبي ١: ٢٩٢.

٢. هو عبدالمطّلب بن هاشم. راجع البداية والنهاية ٢: ٣١٠.

٣. الإنسان (٧٦): ١٩.

٤. التفسير الكبير ٤ (الجزء الثامن): ٩٠، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣).

٥. مصابيح السنّة ٤: ١٩١، ح ٤٨١٩ ـ ٤٨٢٢؛ الإصابة ٣: ٥١١ ـ ٥١٢، الرقم ٤٥٢٥.

فقال أُسقف نجران:

يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.(١)

---

(١) وهذا الحديث ذكره المفسّرون[١]، والمحدّثون[٢]، وأهل السير والأخبار[٣]، وكلّ من أرّخ حوادث السنة العاشرة للهجرة، وهي سنة المباهلة.

قال الرازي بعد إيراده في تفسيره الكبير: واعلم أنّ هذه الرواية كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث.

قلت: بل هي كالضروريات لديهم، فلا يجهلها منهم أحد. وقد تصدّى سيّدنا الشريف المقدّس ابن طاووس لتفصيل المباهلة ومقدّماتها، وما كان قبلها في نجران من المؤامرات والمناظرات في جلساتهم المتعدّدة المنعقدة لذلك، حين دعاهم سيّد الأنبياء والمرسلين إلى الله تعالى، وأرسل إليهم في ذلك رسله.

فليراجع كتاب الإقبال[٤] من أراد الوقوف على تفصيل تلك الأحوال؛ ليرى أعلام النبوّة، وآيات الإسلام، وبشائر النبيّين بسيّدهم محمّد ﷺ، وبعترته الطيّبين الطاهرين، وبذرّيّته المباركة من بضعته سيّدة نساء العالمين.

وكنت أردت أن أُخرج هذه القضيّة من كتاب الإقبال وأنشرها كرسالة على حدة؛ تعميماً لفوائدها، وتسهيلاً لطالبها، ولعلّ بعض أهل الهمم العالية ممّن حبسوا نفوسهم على نشر الحقّ يسبقني إلى ذلك، فأكون قد فزت بتنبيهه إلى هذه المهمّة إن شاء الله تعالى.

---

١. كالطبري في تفسيره ٣: ٢٩٧ ـ ٢٩٨، ح ٧١٧٦، والزمخشري في الكشّاف ١: ٣٦٨ ـ ٣٦٩، والطبرسي في مجمع البيان ٢: ٤٥٢، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣)، والسيوطي في الدرّ المنثور ٢: ٢٢٨ ـ ٢٣٢.

٢. راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٣٧٦ ـ ٣٧٧، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣)؛ الدرّ المنثور ٢: ٢٣٠ ـ ٢٣١.

٣. كابن الأثير في الكامل في التاريخ ١: ١٥٨، حوادث سنة ١٠، والإربلي في كشف الغمّة ١: ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

٤. الإقبال بالأعمال الحسنة ٢: ٣١٠ ـ ٣٥٩، الباب ٦، الفصل ١.

بخٍّ بخٍّ إنّ من وقف على هذه الوهلة العظيمة والروعة الشديدة التي رهقت أعلام نجرانٍ وممثّلي دينها ودنياها(١) بمجرّد أن برز أصحاب الكساء لمباهلتهم، يعلم أنّ لمحمّد وآل محمّد ـ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ـ جلالةً ربّانيّة تغشى الأبصار، ومهابةً روحانيّة يُخفَض لها جناح الذلّ والصغار.

ألا ترى أُولئك الأبطال ـ وهم ستّون فارساً من أُسود الشرى وليوث الوغى ـ كيف ارتعدت فرائصهم قلقاً، وانخلعت قلوبهم فرقاً، ونادى عظيمهم بما سمعت هَلوعاً جزوعاً.

---

(١) إذ وفدوا على رسول الله ﷺ وعليهم ثياب الحبرات جباباً وأردية، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله: ما رأينا وفداً مثلهم، وكان فيهم أربعة عشر رجلاً هم زعماء القوم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول الأمر في نجران، وهم: «**السيّد**» واسمه الأيهم، وهو إمامهم وصاحب رحلهم.

و«**العاقب**» وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلّا عن رأيه، واسمه عبد المسيح.

و«**أبو حارثة بن علقمة**» وهو أُسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم وكنائسهم، وكان قد شرف فيهم، ودرس كتبهم حتّى حسن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم قد شرّفوه وموّلوه، وبنوا له الكنائس؛ لعلمه واجتهاده.

نقل ذلك كلّه الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول[١]، وغير واحد من المفسّرين[٢] وأهل الأخبار[٣].

---

١. أسباب النزول: ٩٠.

٢. كالطبري في تفسيره ٣: ٢٩٧ ـ ٢٩٨، ح ٧١٧٦، والزمخشري في الكشّاف ١: ٣٦٨ ـ ٣٦٩، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١: ٣٧٧ ـ ٣٧٨، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣).

٣. كابن هشام في السيرة النبويّة ٢: ٢١٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١: ٣٥٧ ـ ٣٥٨؛ وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، حوادث سنة ١٠.

وهذا ليس إلّا للجلالة الربّانيّة والعظمة الروحانيّة التي أدركها خصمهم من أوّل نظرة إلى وجوههم المباركة، فكأنّ الجلالة والعظمة والمهابة والأُبّهة وقرب المنزلة من الله والكرامة عليه، مكتوبةٌ بنوره تعالى في أسارير جبهاتهم الميمونة، ومعنونةٌ في صفحات وَجَناتهم الكريمة، وإنّي لأعجب ـ والله ـ من المسلم لا يقدر هذا المقام قدره!

وأنت تعلم أنّ مباهلتَه صلى الله عليه وآله بهم، والتماسه منهم التأمينَ على دعائه بمجرّده فضلٌ عظيم، وانتخابه إيّاهم لهذه المهمّة العظيمة، واختصاصهم بهذا الشأن الكبير، وإيثارهم فيه على من سواهم من أهل السوابق فضلٌ على فضلٍ لم يسبقهم إليه سابق، ولن يلحقهم فيه لاحِق. ونزول القرآن العزيز آمراً بالمباهلة بهم بالخصوص فضلٌ ثالث يزيد فضل المباهلة ظهوراً، ويضيف إلى شرف اختصاصهم بها شرفاً، وإلى نوره نوراً.

[نكتة]

وهناك نكتة يعرف كنهَها علماءُ البلاغة، ويقدر قدرَها الراسخون في العلم، العارفون بأسرار القرآن، وهي أنّ الآية الكريمة ظاهرة في عموم الأبناء والنساء والأنفس، كما يشهد به علماء البيان، ولا يجهله أحد ممّن عرف أنّ الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق، وإنّما أُطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص؛ تبياناً لكونهم ممثّلي الإسلام، وإعلاناً لكونهم أكمل الأنام، وأذاناً بكونهم صفوة العالم، وبرهاناً على أنّهم خيرة الخيرة من بني آدم، وتنبيهاً إلى أنّ فيهم من الروحانيّة الإسلاميّة والإخلاص لله في العبوديّة ما ليس في جميع البريّة، وأنّ دعوتهم إلى المباهلة بحكم دعوة الجميع، وحضورهم خاصّة فيها، مُنَزَّل منزلة حضور الأُمّة عامّة، وتأمينهم على دعائه مغنٍ عن تأمين من عداهم، وبهذا جاز التجوّز بإطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص.

ومن غاص على أسرار الكتاب الحكيم وتدبّره، ووقف على أغراضه، يعلم أنّ إطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص إنّما هو على حدّ قول القائل:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالَم في واحد[١]

ولذا قال الزمخشري في تفسير الآية من كشّافه: «وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام»[٢]. انتهى.

[نكتة أُخرى]

بقيت نكتة يجب التنبّه لها، وحاصلها: أنّ اختصاص الزهراء من النساء، والمرتضى من الأنفس ـ مع عدم الاكتفاء بأحد السبطين من الأبناء ـ دليلٌ على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام؛ لأنّ عليّاً وفاطمة لمّا لم يكن لهما نظير في الأنفس والنساء كان وجودهما مغنياً عن وجود مَنْ سواهما، بخلاف كلٍّ من السبطين؛ فإنّ وجود أحدهما لا يغني عن وجود الآخر؛ لتكافئهما، ولذا دعاهما صلى الله عليه وآله جميعاً، ولو دعا أحدهما دون صِنوه كان ترجيحاً بلامرجّح، وهذا ينافي الحكمة والعدل.

نعم، لو كان ثمّة من الأبناء من يساويهما لَدعاه معهما، كما أنّه لو كان لعليّ نظيرٌ من الأنفس، أو لفاطمة من النساء لَما حاباهما؛ عملاً بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة.

[اختصاص عليّ عليه السلام بكونه نفس النبيّ صلى الله عليه وآله]

بقي ممّا دلّت عليه الآية من خصائص عليّ عليه السلام فضل تضمحلّ دونه الخصائص، وتفنى في جنبه الفضائل والمناقب، ألا وهو كونه نفس النبيّ، وجارياً بنصّ الآية

١. حكاه ابن كثير في البداية والنهاية ١٠: ٢٤٨، حوادث سنة ١٩٥.

٢. الكشّاف ١: ٣٧٠، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣).

مجراه، الفضل الذي تعنو له الجباه بخوعاً، وتطامن[١] لديه المفارقُ خشوعاً، ويملأ الصدور هيبةً وإجلالاً، وتصاغر دونه الهمم يأساً من بلوغ مداه ﴿ذلك فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واللهُ ذُو الفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٢].

وأنت ـ هداك الله ـ إذا عرفت أنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ قد أنزل نفس النبيّ، وأجراها في محكم الذكر مجراها، لا ترتاب حينئذٍ في أنّه أفضل الأُمّة وأولاها برسول الله ﷺ حيّاً وميّتاً.

وقد صرّح أولياء أهل البيت واعترف أعداؤهم بدلالة الآية على هذا التفضيل الخالد في القرآن ذكره، والطيب في بيّنات الفرقان نشره، حتّى أنّ الرازي ـ مع غرامه بنقض المحكمات، وهيامه في التشكيك والشبهات ـ لم يناقش في دلالتها على هذا المقدار من تفضّله عليه السلام، وإنّما ناقش المحمود بن الحسن حيث صرّح بدلالتها على تفضيله على مَن كان قبل محمّد من الأنبياء عليه وعليهم السلام.

وإليك عبارة الرازي بعين لفظه، قال(١):

كان في الريّ رجل يقال له: محمود بن الحسن الحمّصي، وكان معلّم الاثني عشريّة، وكان يزعم أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد ﷺ. واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[٣] إذ ليس المراد بقوله: «وَأَنْفُسَنا» نفس محمّد ﷺ؛ لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد به غيرها،

---

(١) في تفسير آية المباهلة، فراجع صفحة ٤٨٨ من الجزء الثاني من تفسيره الكبير[٤] مفاتيح الغيب. والرازي هذا هو الخطيب محمّد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي.

---

١. تَطَأْمَنَ طَأْمَنه: إذا سكن أو انخفض. المعجم الوسيط: ٥٦٦، «ط. م. ء».

٢. الحديد (٥٧): ٢١.

٣. آل عمران (٣): ٦١.

٤. التفسير الكبير ٤ (الجزء الثامن): ٩٠ ـ ٩١، ذيل الآية بتفاوت يسير في بعض الألفاظ.

وأجمعوا على أنّ ذلك الغير كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام فدلّت الآية على أنّ نفس عليّ هي نفس محمّد[(١)]، ولايمكن أن يكون المراد أنّ هذه النفس هي عين تلك، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي المساواة في جميع الوجوه، تركنا العمل بهذا العموم في حقّ النبوّة، وفي حقّ الفضل؛ لقيام الدلائل على أنّ محمّداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان نبيّاً وما كان عليّ كذلك، ولانعقاد الإجماع على أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان أفضل من عليّ عليه السلام، فبقي فيما وراءه معمولاً به.

ثمّ الإجماع دلّ على أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام، فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء.

فهذا وجه الاستدلال بظواهر هذه [الآية]، وأمعن النظر تجده قد أوضح دلالة الآية على ذلك غاية الإيضاح، ونادى ـ من حيث لايقصد ـ حيّ على الفلاح.

لم يعارض الشيعة فيما نقله عن قديمهم وحديثهم، ولا ناقشهم فيه بكلمة واحدة، فكأنّه أذعن لقولهم، واعترف بدلالة الآية على رأيهم.

وإنّما ناقش المحمود بن الحسن ـ كما لا يخفى ـ على أنّ الإجماع الذي صال به الرازي على المحمود لا يعرفه المحمود ومن يرى رأيه، فافهم.

---

(١) كما قيل في مديحه عليه السلام:

وهو في آية التباهُلِ نفسُ الـ مصطفى ليس غـيره إيّـاها[١]

ولعلّك إذا ضممت قوله: ﴿وأَنْفُسَنا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مٰاكٰانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلاٰ يَرغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾[٢] وأمعنت النظر في الآيتين، ينجلي لك من الأسرار ما كان خفيّاً.

---

١. القصائد الخالدات: ١٣٤، هائيّة الأزري.

٢. التوبة (٩): ١٢٠.

الفصل الثاني: في آية التطهير

وهي قوله ـ جلّ وعلا ـ في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١].

لا ريب في أنّ أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم في هذه الآية، إنّما هم الخمسة أصحاب الكساء، وكفاك هذا برهاناً على أنّهم أفضل مَن أقلّته الأرض يومئذٍ ومَن أظلّته السماء. ألا وهم: رسول الله صلى الله عليه وآله، وصنوه الجاري بنصّ الذكر مجرى نفسه، وبضْعته التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، وريحانتاه من الدنيا سبطاه الشهيدان سيّدا شباب أهل الجنّة، فهؤلاء هم أصحاب هذه الآية البيّنة(١) بحكم الأدلّة القاطعة والحجج الساطعة، لم يشاركهم فيها أحدٌ من بني آدم،

(١) صرّح بذلك أبوسعيد الخدري وجماعة من التابعين، منهم مجاهد وقتادة وغيرهم فيما ذكره الإمام البغوي، وابن الخازن[٢]، وكثير من المفسّرين[٣]، كما في المقصد الأوّل من الشرف المؤبّد لآل محمّد[٤]، ومؤلّفه يوسف بن إسماعيل المعاصر النبهاني.
ومن أراد تفصيل القول بنزول هذه الآية في الخمسة بالخصوص فعليه برشفة الصادي للإمام أبي بكر بن شهاب الدين العلوي رحمه الله[٥].

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. معالم التنزيل ٣: ٥٢٩؛ تفسير الخازن ١: ٢٥٨، ذيل الآية.

٣. سيأتي أقوالهم بُعيد هذا.

٤. الشرف المؤبّد لآل محمّد: ٦ ـ ١٨، المقصد ١.

٥. رشفة الصادي: ٢٣ ـ ٢٤.

ولا زاحمهم تحت كسائها واحد من هذا العالم.

وقد أورد الإمام جلال الدين السيوطي(١) في تفسير هذه الآية من كتابه الدرّ المنثور عشرين رواية من طرق مختلفة في أنّ المراد من «أهل البيت» هنا إنّما هم «الخمسة» لا غير[١].

وذكر ابن جرير في تفسيره(٢) خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة في قصر الآية عليهم بالخصوص[٢].

وحسبك في ذلك قول رسول الله(٣): «أُنزلت هذه الآية في خمسة: فيّ، وفي عليّ، والحسن، والحسين، وفاطمة»(٤).

---

(١) كما في المقصد الأوّل من الشرف المؤبّد[٣].

(٢) كما في الشرف المؤبّد[٤] أيضاً.

(٣) فيما أخرجه ابن جرير والطبراني بأسانيدهم إليه ﷺ. وقد ذكره ابن حجر في تفسير الآية من صواعقه، والنبهاني في صفحة ٧ من الشرف المؤبّد[٥].

(٤) وأخرج الإمام أحمد بن حنبل[٦] ـ كما في تفسير الآية من الصواعق[٧] ـ عن أبي سعيد الخدري: أنّها نزلت في خمسة: النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين. ←

---

١. الدرّ المنثور ٦: ٦٠٣ ـ ٦٠٥، ذيل الآية.

٢. تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦ ـ ٢٩٨، ح ٢٨٤٨٥ ـ ٢٨٥٠٢.

٣ و ٤. الشرف المؤبّد لآل محمّد: ٩ ـ ١٨، المقصد ١.

٥. راجع: تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٧؛ المعجم الأوسط ٢: ٤٩١، ح ١٨٤٧؛ ٤: ٢٧١ ـ ٢٧٢، ح ٣٤٨٠؛ المعجم الصغير ١: ١٣٥؛ الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١، الفصل ١؛ الشرف المؤبّد: ٨، المقصد ١.

٦. حكاه عنه القندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٤٢٩، الباب ٥٩، ح ١٧٦، وأبوبكر الحضرمي في رشفة الصادي: ٣٣.

٧. الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١١، الفصل ١.

وقد أجمعت كلمة أهل القبلة من أهل المذاهب الإسلامية كلّها على أنّه لمّا نزل الوحي بها عليه ضمّ سبطيه وأباهما واُمّهما إليه، ثمّ غشّاهم ونفسه بذلك الكساء؛ تمييزاً لهم عن سائر الأبناء والأنفس والنساء.

فلمّا انفردوا تحته عن كافّة اُسرته واحتجبوا به عن بقيّة اُمّته، بلّغهم الآية وهم على تلك الحال حرصاً على أن لايطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل، فقال ـ مخاطباً لهم وهم معه في معزل عن كافّة الناس ـ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] فأزاح بحجبهم في كسائه حينئذٍ حُجُب الريب وهتك سُدَف[2] الشبهات، فبرح الخفاء[3] بحكمته البالغة، وسطعت أشعّة الظهور ببلاغه المبين، والحمد لله ربّ العالمين.

ومع ذلك لم يقتصر على هذا المقدار من توضيح اختصاص الآية بهم عليهم السلام، حتّى أخرج يده من تحت الكساء، فألوى بها إلى السماء، فقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي

← وأخرجه عن أبي سعيد أيضاً الإمام الواحدي عند بلوغه للآية من كتابه أسباب النزول، والإمام الثعلبي في تفسيره الكبير[4]، وكثيرون من المحدّثين[5] والمفسّرين[6].

---

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. السُدَفُ: الظلمة. المعجم الوسيط: ٤٢٣، «س. د. ف».

٣. بَرِح الخَفاء: وضح الأمر. المعجم الوسيط: ٤٧، «ب. ر. ح».

٤. أسباب النزول: ٢٩٥؛ الكشف والبيان ٨: ٤٢، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

٥. كالحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥٨، وابن المغازلي في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢٥٤، ح ٣٤٥، ومحبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى: ٢٤، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦١، ح ١٤٩٧٦، وأبوبكر الحضرمي في رشفة الصادي: ٣٤.

٦. كابن جرير في جامع البيان ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٨، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٩: ٣١٣٢، والطبرسي في مجمع البيان ٨: ٣٥٧، والسيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٤، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» يكرّر ذلك وأمّ سلمة تسمع وترى؛ إذ كان نزول الآية وقضيّة الكساء في بيتها، فقالت: وأنا معكم يا رسول الله؟ ورفعت الكساء لتدخل، فجذبه(١) من يدها وقال: «إنّك على خيرٍ».

وفي ذلك كلّه صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة[١].

---

(١) أخرج الإمام أحمد بن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده عن أُمّ سلمة، قالت: إنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «ائتيني بزوجكِ وابنيكِ» فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدَكِياً ثمّ وضع يده عليهم، ثمّ قال: «اللهمّ إنّ هؤلاء آل محمّد، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمّد وعلى آل محمّد، إنّك حميدٌ مجيدٌ». قالت: فرفعتُ الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: «إنّك على خيرٍ»[٢]. انتهى.

وهذا الحديث رواه بالإسناد إلى أُمّ سلمة أيضاً أبوإسحاق الثعلبي في تفسيره[٣]، وغير واحد من المفسّرين[٤] والمحدّثين[٥].

وأخرج الإمام أحمد من حديث أُمّ سلمة في صفحة ٢٩٢ من الجزء السادس من مسنده أنّ رسول الله ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة[٦] فيها حريرة[٧]، فقال لها: «ادعي ←

---

١. للمزيد راجع: نور الثقلين ٤: ٢٧٠ ـ ٢٧٧، ح ٨٤ ـ ١١٠؛ غاية المرام ٢: ٣٢١ ـ ٣٦٧، الباب ٢٩ من المقصد الأوّل.

٢. مسند أحمد ١٠: ٢٢٨، ح ٢٦٨٠٨. رواه أيضاً في فضائل الصحابة ٢: ٥٨٧ ـ ٥٨٨، ح ٩٩٤.

٣. الكشف والبيان ٨: ٤٢، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

٤. كالطبري في تفسيره ١٠: ٢٩٧، ح ٢٨٤٩٦، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٩: ٣١٣٢ ـ ٣١٣٣، والطبرسي في مجمع البيان ٨: ٣٥٧، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣: ٤٩٢ ـ ٤٩٣، والسيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٤، ذيل الآية.

٥. كأبي يعلى في مسنده ١٢: ٣٤٤، ح ٦٩١٢، والطبراني في المعجم الكبير ٣: ٥٣، ح ٢٦٦٤؛ ٢٣: ٣٣٦، ح ٧٨٠، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٢، ح ١٤٩٧٠، والشبلنجي في نور الأبصار: ٢٢٥.

٦. البرمة: القِدر من الحجر. مجمع البحرين ٦: ١٦، «ب. ر. م».

٧. الحريرة: دقيقٌ يطبخ بلبنٍ أو دَسم. المعجم الوسيط: ١٦٦، «ح. ر. ر».

فيا أهل البصائر برسول الله، العارفين بمبلغه من الحكمة والعصمة، المقدّرين قدرَ أفعاله وأقواله، هل تجدون وجهاً لحصرهم تحت الكساء عند تبليغهم الآية عن الله تعالى إلّا المبالغة البليغة في توضيح ماقلناه من اختصاصها [بهم] وامتيازهم بها عن العالمين؟

← زوجكِ وابنيكِ». قالت أمّ سلمة: فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون معه وهو على منامة له، على دكّان[1] تحته كساء خيبري، قالت: وأنا أُصلّي في الحجرة، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. قالت: فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثمّ قال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهِبْ عنهم الرجس وطهِّرْهم تطهيراً». قالت: فأدخلتُ رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «إنّكِ إلى خيرٍ، إنّكِ إلى خير»[2]. انتهى.

وهذا الحديث أخرجه الإمام الواحدي في تفسير الآية من كتابه أسباب النزول، فراجع منه صفحة ٢٦٧[3].

وأخرجه ابن جرير في تفسير الآية من تفسيره الكبير[4]، وابن المنذر[5]، وابن أبي حاتم[6]، وابن مَرْدَوَيْه[7]، والطبراني[8]، وغيرهم[9]. ←

---

١. الدُكّان: الدكّة المبنيّة للجلوس عليها. لسان العرب ١٣: ١٥٧، «د. ك. ن».

٢. مسند أحمد ١٠: ١٧٧، ح ٢٦٥٧٠.

٣. أسباب النزول: ٢٩٥.

٤. جامع البيان ١٠: ٢٩٧، ح ٢٨٤٩٦.

٥. نقله عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٣، ذيل الآية.

٦. راجع: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩: ٣١٣٢ ـ ٣١٣٣، ذيل الآية.

٧. نقله عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٣، ذيل الآية. راجع أيضاً مناقب عليّ بن أبي طالبعليه السلام: ٣٠٢، ح ٤٨١.

٨. المعجم الكبير ٣: ٥٣ ـ ٥٤، ح ٢٦٦٦؛ المعجم الأوسط ٤: ٤٧٩، ح ٣٨١١.

٩. كأبي عيسى في الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣، ح ٣٧٨٧ وص ٦٩٩، ح ٣٨٧١، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٩: ٣١٣٢ ـ ٣١٣٣، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣: ٤٩٢، ذيل الآية.

وهل تفهمون من قوله: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[١] إلّا الحصر بهم والقصر عليهم؟

← وأخرج الترمذي والحاكم وصحّحاه، وابن جرير[٢] وابن المنذر[٣]، والبيهقي في سننه[٤] من طرق عديدة عن أُمّ سلمة، قالت: في بيتي نزلت هذه الآية وفي البيت عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فجلّلهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثمّ قال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً». انتهى.

وأخرج مسلم في باب «فضائل عليّ» من صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أباتراب؟ فقال: أما ماذكرتُ ثلاثاً قالهنّ رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: «يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان؟» فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوّة بعدي؟».

وسمعته يقول يوم خيبر: «لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله» فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي عليّاً» فأُتي به أرمد، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه.

ولمّا نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلي»[٥]. انتهى. ←

---

١. تقدّم في ص ١٦ـ١٧.

٢. الجامع الصحيح ٥: ٦٩٩، ح ٣٨٧١؛ تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦ـ٢٩٨، ح ٢٨٤٨٨؛ المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٧، ح ٤٧٦١.

٣. حكاه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٥، ذيل الآية ٣٣من سورة الأحزاب (٣٣)، وأبوبكر الحضرمي في رشفة الصادي: ٣٠.

٤. السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢١٤، ح ٢٨٦١.

٥. صحيح مسلم ٤: ١٨٧١، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٢، والآية في سورة آل عمران (٣): ٦١.

وهل ترون وجهاً لجذب الكساء من يد أُمّ سلمة، ومنعها من الدخول معهم على جلالة قدرها وعظم شأنها إلّا الذي ذكرناه؟

فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[1].

فيكون بحجبه إيّاهم في كسائه عابثاً؟ أو يكون بقوله: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي» هاذياً؟ أو يكون بجذبه الكساء من يد أُمّ سلمة مجازفاً؟ حاشا لله

← وأخرج مسلم أيضاً في باب «فضائل أهل البيت» من صحيحه، وهو في صفحة ٣٣١ من جزئه الثاني عن عائشة قالت: خرج رسول الله غداة وعليه مِرْط مُرَحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2]. انتهى.

وهذا الحديث أخرجه أحمد من حديث عائشة في مسنده[3]. وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصاحب الجمع بين الصحيحين[4]، وصاحب الجمع بين الصحاح الستّة، ومن أراد المزيد فعليه برشفة الصادي[5] للإمام أبي بكر بن شهاب الدين العلوي، على أنّ في هذا المقدار كفاية لأُولي الأبصار.

---

١. التكوير (٨١): ١٩ ـ ٢٢.

٢. صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٦١.

٣. لم نعثر عليه في مسنده ولكن حكاه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٥، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

٤. تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٨؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩: ٣١٣١، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٢٦، ح ٤٧٦١؛ الجمع بين الصحيحين للإشبيلي ٣: ٥٦١ ـ ٥٦٢، ح ٤٢٧٥.

٥. رشفة الصادي: ٣٠.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ﴾[١].

وقد تكرّرت منه ﷺ قضيّة الكساء حتّى احتمل بعض العلماء تكرار نزول الآية أيضاً، والصواب عندنا نزولها مرّة واحدة، لكن حكمة الصادق الأمين في نصحه ببلاغه المبين، اقتضت تكرير تلك القضيّة مرّة في بيت أُمّ سلمة عند نزول الآية(١) وتبليغها لأهل المخاطبين فيها؛ وأُخرى في بيت فاطمة(٢)، وفي كلّ مرّة يتلو عليهم الآية مخاطباً لهم بها وهم في معزل عن الناس تحت ذلك الكساء؛ درءاً للشبهة في نحو أهل الزيغ.

وقد بلغ ـ بأبي هو وأُمّي ـ في توضيح اختصاص الآية بهم كلّ مبلغ، وسلك في إعلان ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب، ولا يبقى بعدها أثر لهذيان

(١) كما تدلّ عليه الأحاديث التي سمعتها عن أُمّ سلمة.

(٢) ويدلّ عليه ما أخرجه الإمام أحمد في صفحة ١٠٧ من الجزء الرابع من مسنده عن واثلة ابن الأسقع، أنّه قال ـ من جملة حديث ـ: أتيت فاطمة أسألها عن عليّ، قالت: «ذهب إلى رسول الله ﷺ» فجلست انتظره حتّى جاء رسول الله ﷺ ومعه عليّ وحسن وحسين آخذاً كلّ واحد منهما بيده، فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما على فخذه، ثمّ لفّ عليهم ثوبه ـ أو قال كساءه ـ ثمّ تلا: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[٢]. انتهى.

وقد أخرج هذا الحديث عن واثلة كلّ من ابن جرير في تفسيره الكبير[٣]، وابن المنذر[٤]، ←

١. النجم (٥٣): ٤ ـ ٥.

٢. مسند أحمد ٦: ٤٥، ح ١٦٩٨٤.

٣. جامع البيان ١٠: ٢٩٧، ح ٢٨٤٩٤.

٤. حكاه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٥، وأبوبكر الحضرمي في رشفة الصادي: ٣٠.

النواصب، حتّى كان بعد نزول الآية كلّما خرج إلى الفجر يمرّ ببيت فاطمة فيقول: «الصلاة يا أهل البيت، إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» وقد استمرّ على هذا ستّة أشهر في رواية أنس(١)، وعن ابن عبّاس: سبعة أشهر[1].

← وابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في سننه، والحاكم وصحّحه[2]، وغيرهم من حملة الآثار وحفظة الأخبار[3].

قال النبهاني في صفحة ٧ من كتاب الشرف المؤبّد ما هذا لفظه:

وقد ثبت من طرق عديدة صحيحة أنّ رسول الله ﷺ جاء ومعه عليّ وفاطمة وحسن وحسين، قد أخذ كلّ واحد منهما بيدٍ حتّى دخل، فأدنى عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد على فخذه، ثمّ لفّ عليهما كساء ثمّ تلا هذه الآية ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

ـ قال النبهاني: ـ قالت أُمّ سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، فقال: «إنّك من أزواج النبيّ على خيرٍ»[4].

(١) أخرج الإمام أحمد في صفحة ٢٥٩ من الجزء الثالث من مسنده عن أنس بن مالك: أنّ النبيّ ﷺ كان يمرّ ببيت فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى الفجر، فيقول: «الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»[5]. انتهى. ←

---

١. حكاه عنه الشبلنجي في نور الأبصار: ٢٢٦، والنبهاني في الشرف المؤبّد: ٨، المقصد ١.

٢. راجع: المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٧٣، ح ٣٢٠٩٤؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩: ٣١٣٢، ذيل الآية؛ المعجم الكبير ٣: ٥٥، ح ٢٦٧٠؛ السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢١٧، ح ٢٨٧٠؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٢٦ ـ ١٢٧، ح ٤٧٦٠.

٣. كأبي يعلى في مسنده ١٣: ٤٧٠ ـ ٤٧١، ح ٧٤٨٦، وابن المغازلي في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالبؑ: ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ح ٣٥٠، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٣، ح ١٤٩٧٢.

٤. الشرف المؤبّد: ٧، المقصد ١.

٥. مسند أحمد ٤: ٥١٦، ح ١٣٧٣٠.

وفي روايةذكرها النبهاني(١) وغيره[1]: ثمانية أشهر. فصرّح الحقّ عن محضه، وبدأ الصبح لذي عينين.

[ردّ القول بأنّ الآية مختصّة بنساء النبيّ ﷺ]

لكن حثالة من أعداء أهل البيت، وصنائع بني أُميّة، ودعاة الخوارج، ذهبوا في صرف الآية عن أهلها كلّ مذهب، فقال بعضهم: إنّها خاصّة بنساء النبيّ ﷺ، وتشبّثوا في ذلك بسياق الآية، وبالغ عكرمة ومقاتل بن سليمان في الانتصار لهذا الرأي والاستدلال بالسياق عليه، وكان عكرمة ينادي به في الأسواق(٢) تحاملاً

← وأخرجه الحاكم وصحّحه، والترمذي وحسّنه، وابن أبي شيبة، وابن جرير[2]، وابن المنذر، وابن مردويه[3]، والطبراني[4] وغيرهم[5] عن أنس أيضاً، فراجع كتاب رشفة الصادي للإمام أبي بكر بن شهاب الدين العلوي[6].

(١) في صفحة ٨ من الشرف المؤبّد[7].

(٢) فيما نقله عنه جماعة كثيرون، منهم الواحدي في كتابه أسباب النزول، وابن حجر في صواعقه[8].

---

١. كالشبلنجي في نور الأبصار: ٢٢٦.

٢. المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٩١، ح ٣٢٢٦٢؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٩٩، ح ٣٨٧١؛ تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٩؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٤٤ ـ ١٤٥، ح ٤٨٠٢.

٣. حكى عنهما السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٥، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣). راجع أيضاً مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٣٠٤، ح ٤٨٨.

٤. المعجم الكبير ٣: ٥٦، ح ٢٦٧١.

٥. كابن الأثير في أُسد الغابة ٧: ٢٤١، الرقم ٧١٧٦.

٦. رشفة الصادي: ٣٢.

٧. الشرف المؤبّد: ٨، المقصد ١.

٨. أسباب النزول: ٢٩٦؛ الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١، الفصل ١.

على أصحاب الكساء، ولا عجب؛ فإنّ عكرمة من الدعاة إلى عداوة عليّ، والسعاة في تضليل الناس عنه بكلّ طريق.

فعن يحيى بن بكير قال: قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب، قال: فالخوارج الذين هم في المغرب عنه أخذوا(١).

وعن خالد بن [أبي] عمران قال: كنّا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم، فقال: وددت أنّ بيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً؛ لبنائه على كفر من عدا الخوارج من أهل القبلة[1].

وعن يعقوب الحضرمي عن جدّه قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلّا كافر. ـ قال: ـ وكان يرى رأي الإباضيّة[2]، وهم من غلاة الخوارج.

---

(١) نقل القاضي الجعابي ـ حيث أتى على ذكر عكرمة في كتاب الموالي ـ: أنّ عكرمة دخل في رأي الحروريّة من الخوارج فخرج يدعو إليهم بالمغرب.

وعن أبي عليّ الأهوازي ـ كما في ترجمة عكرمة من معجم ياقوت ـ:

إنّ عكرمة كان يرى رأي الخوارج، ويميل إلى استماع الغناء ـ قال: ـ وقيل: إنّه كان يكذب على مولاه[3].

---

١. نقله الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥: ٢٢، الرقم ٩، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٢. راجع: المعرفة والتاريخ ٢: ٧؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٧، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢١ ـ ٢٢، الرقم ٩.

٣. معجم الأُدباء ١٢: ١٨٤، الرقم ٤٦.

وعن ابن المديني: كان عكرمة يرى رأيَ نجدة الحروري[١]، وكان نجدة من أشدّ الخوارج عداوةً لأمير المؤمنين.

وعن مصعب الزبيري: كان عكرمة يرى رأيَ الخوارج[٢]. وعن عطاء: كان عكرمة إباضيّاً[٣]. وعن أحمد بن حنبل: أنّ عكرمة كان يرى رأي الصُفْرية[٤]. وهم من غلاة الخوارج أيضاً.

وحدّث أيّوب عن عكرمة أنّه قال: إنّما أنزل الله متشابه القرآن؛ ليضلّ به[٥]. فانظر إلى آرائه ما أخبثها!

وعن ابن أبي شعيب قال: سألت محمّد بن سيرين عن عكرمة، فقال: ما يستوي[٦] أن يكون من أهل الجنّة لكنّه كذّاب[٧].

وعن وهيب قال: شهدت يحيى بن سعيد الأنصاري وأيّوب فذكرا عكرمة، فقال يحيى: هو كذّاب[٨].

---

١. المعرفة والتاريخ ٢: ٤؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٨، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢١، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٢. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٩، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٢، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٣. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٨، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢١، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٤. الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ٢٦٦، الرقم ١٤١١؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٨، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٠، الرقم ٩.

٥. الضعفاء الكبير ٣: ٣٧٤، الرقم ١٤١٣؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٢ـ٣٣، الرقم ٩.

٦. في المصدر: «يسوؤني».

٧. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٥، الرقم ٩.

٨. الضعفاء الكبير ٣: ٣٧٣، الرقم ١٤١٣؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٥، الرقم ٩.

وعن ابن المسيّب أنّه كذب عكرمة[١].

وعن عبدالله بن الحارث قال:

دخلت على عليّ بن عبدالله بن العبّاس فإذا عكرمة في وثاق، فقلت: ألا تتّقي الله؟ فقال: إنّ هذا الخبيث يكذب على أبي.(١)[٢]

وعن ابن المسيّب أنّه قال لمولى له اسمه «بُرد»: لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس[٣].

---

(١) هذا لفظ الذهبي في ميزان الاعتدال[٤] نقلاً عن عبدالله بن الحارث.

والذي نقله ياقوت الرومي في ترجمة عكرمة من معجمه عن عبدالله بن الحارث:

قال: دخلت على عليّ بن عبدالله بن عبّاس وعكرمة موثوق في باب الكَنيف، فقلت: أتفعلون هذا بمولاكم؟ فقال: إنّ هذا يكذب على أبي[٥].

ونقل ياقوت في آخر ترجمة عكرمة من معجمه أيضاً عن يزيد بن [أبي] زناد:

قال: دخلت على عليّ بن عبدالله بن مسعود وعكرمة مقيّد على باب الحشّ، قلت: ما لهذا كذا؟، قال: إنّه يكذب على أبي[٦]. انتهى.

فهو بمقتضى هاتين الروايتين تارةً يكذب على ابن عبّاس فينكر عليه ابنه ويعزّره، وتارةً يكذب على ابن مسعود فينكر عليه ولده ويعزّره.

---

١. ميزان الاعتدال ٣: ٩٤، الرقم ٥٧١٦.

٢. الضعفاء الكبير ٣: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، الرقم ١٤١٣؛ وفيات الأعيان ٣: ٢٦٥ ـ ٢٦٦، الرقم ٤٢١.

٣. المعرفة والتاريخ ٢: ٣؛ معجم الأدباء ١٢: ١٨٥، الرقم ٤٦؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٠، الرقم ٤٠٠٩.

٤. ميزان الاعتدال ٣: ٩٤، الرقم ٥٧١٦.

٥. معجم الأدباء ١٢: ١٨٤، الرقم ٤٦.

٦. المصدر: ١٩٠، الرقم ٤٦، فيه: «إنّه يكذب» ولم يذكر كلمة «على أبي». ونقله الذهبي أيضاً في سير أعلام النبلاء ٥: ٢٣، الرقم ٩.

وعن ابن عمر أنّه قال ذلك أيضاً لمولاه نافع[١].

وعن طاوس: لو أنّ عند عكرمة مولى ابن عبّاس تقوى من الله وكفّ من حديثه لشُدّت إليه المطايا[٢].

وعن ابن [أبي] ذؤيب: رأيت عكرمة وكان غير ثقة[٣].

وعن يحيى بن سعيد قال: حدّثوني والله عن أيّوب أنّه ذكر له أنّ عكرمة لا يحسن الصلاة، فقال أيّوب: أوَ كان يصلّي؟![٤]

وعن محمّد بن سعيد: كان عكرمة كثير العلم... وليس يحتجّ بحديثه ويتكلّم الناس فيه[٥].

وعن مطرف بن عبدالله: سمعت أنّ مالكاً يكره أن يذكر عكرمة، ولا يرى أن يروي عنه[٦].

وعن أحمد بن حنبل: ما علمت أنّ مالكاً حدّث بشيء لعكرمة إلّا في مسألة واحدة[٧].

وعن سليمان بن معبد السنجي قال: مات عكرمة وكثيّر عَزّة في يوم واحد،

---

١. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٩، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٣، الرقم ٥؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٢. الطبقات الكبرى ٥: ٢٨٩ ـ ٢٩٠؛ الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ٢٦٦، الرقم ١٤١١؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٧، الرقم ٤٠٠٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٩، الرقم ٤٧٥.

٣. معجم الأُدباء ١٢: ١٨٩، الرقم ٤٦؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢، الرقم ٤٠٠٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٤. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٤، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٤ ـ ٢٥، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٥. ميزان الاعتدال ٣: ٩٤، الرقم ٥٧١٦؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٣، الرقم ٩.

٦. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٣، الرقم ٤٠٠٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٧. تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

فشهد الناس جنازة كثيّر وتركوا جنازة عكرمة[١](١).

وعن الفضل الشيباني عن رجل قال: رأيت عكرمة قائماً في لعب النرد[٢].

وعن يزيد بن هارون:

قدم عكرمة البصرة فأتاه أيّوب ويونس وسليمان فسمع عكرمة صوت غناء فقال: اسكتوا. ثمّ قال: قاتَلهُ الله لقد أجاد، فأمّا يونس وسليمان فما عادا إليه...[٣].

إلى آخر ما هو مأثور عن هذا الرجل ممّا يدلّ على سقوطه، فراجع ترجمته في ميزان الاعتدال[٤] للذهبي، فإنّ فيها جميع مانقلناه الآن عنه.

على أنّ كلّ من ترجمه ـ كالعسقلاني في مقدّمة فتح الباري، وابن خلّكان في وفياته، وياقوت الرومي في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الموسوم بمعجم الأدباء[٥]، وغيرهم[٦] ـ طعنوا فيه بنحو ما سمعت. ولمّا ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل[٧] رجالَ الخوارج، كان عكرمة أوّل رجلٍ عدّه منهم.

---

(١) وعن الرياشي، عن الأصمعي، عن نافع المدني نحوه.

وعن ابن سلام ـ كما في معجم ياقوت ـ: إنّ أكثر الناس كانوا في جنازة كثيّر[٨].

---

١. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٩٠، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٣، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٢. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٤، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٧، الرقم ٩.

٣. معجم الأُدباء ١٢: ١٨٥، الرقم ٤٦؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٤، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٧، الرقم ٩.

٤. ميزان الاعتدال ٣: ٩٣ـ٩٧، الرقم ٥٧١٦.

٥. معجم الأُدباء ١٢: ١٨١ ـ ١٩٠، الرقم ٤٦؛ وفيات الأعيان ٣: ٢٦٥ ـ ٢٦٦، الرقم ٤٢١؛ فتح الباري (المقدّمة): ٥٩٦ـ٦٠١.

٦. كالمزّي في تهذيب الكمال ١٣: ١٦٣ ـ ١٨١، الرقم ٤٥٩٣.

٧. الملل والنحل ١: ١٣٧.

٨. معجم الأُدباء ١٢: ١٨٥، الرقم ٤٦.

وأمّا **مقاتل** فقد كان عدوّاً لأمير المؤمنين أيضاً، وكان دأبه صرف الفضائل عنه حتّى افتضح بذلك.

قال إبراهيم الحربي ـ كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلّكان[١] ـ:

قعد مقاتل بن سليمان فقال ـ إطفاءً لنور أمير المؤمنين ـ: سلوني عمّا دون العرش، فقال له رجل: أخبرني من حلق رأس آدم حين حجّ؟ فبهت.

وقال الجوزجاني ـ كما في ترجمة مقاتل من ميزان الذهبي ـ:

كان مقاتل كذّاباً جسوراً، سمعت أباليمان يقول: قدم هاهنا فأسند ظهره إلى القبلة، وقال: سلوني عمّا دون العرش.

ـ قال: ـ وحُدِّث أنّه قال بمثلها بمكّة، فقام إليه رجل فقال: أخبرني عن النملة أين أمعاؤها؟ فسكت[٢].

ونقل ابن خلّكان هذه الحكاية في ترجمة مقاتل من وفياته[٣] من طريق سفيان بن عيينة.

وكان مقاتل مع ذلك كلّه من رجال المرجئة وغلاة المشبّهة بنصّ جماعة، منهم ابن حزم في صفحة ٢٠٥ من الجزء الرابع من كتابه الفصل[٤]. وعدّه الشهرستاني في كتاب الملل والنحل[٥] من رجال المرجئة.

وقال الإمام أبوحنيفة ـ كما في ترجمة مقاتل من ميزان الاعتدال[٦] ـ:

أفرط جهم في نفي التشبيه حتّى قال: إنّه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتّى جعله مثل خَلقه.

---

١. وفيات الأعيان ٥: ٢٥٦، الرقم ٧٣٣.

٢. أحوال الرجال: ٢٠٢، الرقم ٣٧٣؛ ميزان الاعتدال ٤: ١٧٣، الرقم ٨٧٤١.

٣. وفيات الأعيان ٥: ٢٥٦، الرقم ٧٣٣.

٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥: ٧٤.

٥. الملل والنحل ١: ١٤٦.

٦. ميزان الاعتدال ٤: ١٧٣، الرقم ٨٧٤١.

قال أبوحاتم بن حيّان البستي ـ كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلّكان[1] ـ:

كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان مشبّهاً يشبّه الربّ بالمخلوقين ـ قال: ـ وكان يكذب مع ذلك في الحديث.

إلى آخر ما قاله أئمّة الجرح والتعديل فيه[2].

ولهم فيه وفي عكرمة كلام أوضح من ذلك في الجرح، وأصرح منه في التضليل والقدح، لكنّ المقام لايسع الاستقصاء. وهذا القدر كافٍ لما أردناه من سقوط الرجُلين، وفساد آرائهما، وبطلان أقوالهما، ولاسيّما في هذا المقام، فإنّه لا ينتظر منهما فيه إلّا ما يقتضيه الوغر[3] والحقد، ويستوجبه الخروج والنصب، ولا عجب منهما وإنّما العتب والعجب ممّن اعتمد عليهما وهو يعرف كنههما.

أمّا ما تشبّثا به من وقوع الآية في سياق الخطاب مع النساء فتضليل محض، وتمويه مجرّد، وإن أطنب في تلفيقه وتزويقه صاحب نوادر الأُصول[4] وغيره[5] من أعداء آل الرسول، فإنّهم لم يألوا جهداً في تصويره وتزويره، ولم يدّخروا وسعاً في تقريره وتحريره، لكن مثلهم في ذلك ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[6].

---

١. وفيات الأعيان ٥: ٢٥٧، الرقم ٧٣٣.

٢. للمزيد راجع: الجرح والتعديل ٤ (ق ١): ٣٥٤، الرقم ١٦٣٠؛ الكامل في ضعفاء الرجال ٦: ٣٤٥، الرقم ١٩١٤.

٣. الوَغْرُ: العداوة. المعجم الوسيط: ١٠٤٥، «و.غ.ر».

٤. نوادر الأُصول ٣: ٦٨ ـ ٦٩.

٥. راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣: ٤٩١ ـ ٤٩٤؛ فتح القدير ٤: ٢٨٠، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

٦. العنكبوت (٢٩): ٤١.

ولنا في ردّه **وجوهٌ**:

الأوّل: أنّه اجتهاد في مقابل النصوص الصريحة، والأحاديث المتواترة الصحيحة، وقد سمعت بعضها[١].

الثاني: أنّها لو كانت خاصّة في النساء ـ كما يزعم هؤلاء ـ لكان الخطاب في الآية بما يصلح للإناث، ولَقالَ ـ عزّ من قائل ـ «عنكنّ» و«يُطَهِّرَكُنَّ» كما في غيرها من آياتهنّ، فتذكير ضمير الخطاب فيها دون غيرها من آيات النساء كافٍ في ردّ تضليلهم.

الثالث: أنّ الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض ـ وهو تخلّل الجملة الأجنبيّة بين الكلام المتناسق ـ كقوله تعالى في حكاية خطاب العزيز لزوجته إذ يقول لها: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيدكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾[٢] فقوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا﴾ مستطرد بين خطابيه معها، كما ترى.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهٰا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهٰا أَذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنٰاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[٣] فقوله: ﴿وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ مستطرد من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس.

ونحوه قوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿فَلاٰ أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[٤] تقديره: «فَلا أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ، إِنَّهُ لَقرآنٌ كَرِيمٌ» وما بينهما استطراد على استطراد، وهذا كثير في الكتاب والسنّة، وكلام العرب العاربة، وغيرهم من البلغاء.

---

١. راجع بداية الفصل الثاني.

٢. يوسف (١٢): ٢٨ ـ ٢٩.

٣. النمل (٢٧): ٣٤ ـ ٣٥.

٤. الواقعة (٥٦): ٧٥ ـ ٧٧.

وآية التطهير من هذا القبيل، جاءت مستطردة بين آيات النساء، فتبيّن بسبب استطرادها أنّ خطاب الله لهنّ بتلك الأوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن إلّا لعناية الله تعالى بأهل البيت ـ أعني الخمسة ـ لئلّا ينالهم ـ ولو من جهتهنّ ـ لومٌ، أو ينسب إليهم ـ ولو بواسطتهنّ ـ هنات، أو يكون عليهم للمنافقين ـ ولو بسببهنّ ـ سبيلٌ. ولو لا هذا الاستطراد ما حصلت هذه النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم، وكمل إعجازه الباهر، كما لا يخفى.

الرابع: أنّ القرآن لم يترتّب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول بإجماع المسلمين كافّة، وعلى هذا فالسياق لا يكافئ الأدلّة الصحيحة عند تعارضهما؛ لعدم الوثوق حينئذٍ بنزول الآية في ذلك السياق، ولذا كان الواجب في مقامنا هذا ترك فحوى السياق لو سلّم ظهوره بما زعموا، والاستسلام لحكم ما سمعت بعضه من الأدلّة القاطعة والحجج الساطعة، ولا غرو فإنّ حمل الآية على ما يخالف سياقها غير منافٍ للبلاغة، ولا مخلّ بالإعجاز، وقد أجمعوا على أنّه لا جناح بالمصير إليه إذا قامت قواطع الأدلّة عليه.

[ردّ القول بأنّ المراد من «أهل البيت» من حرّمت عليهم الصدقة]

وذهب بعضهم إلى أنّ المراد من «أهل البيت» في الآية مَن حُرّمت عليهم الصدقة، وهم بنو هاشم كافّة[١]، مستدلّين على ذلك بما أخرجه مسلم في باب «فضائل عليّ» من صحيحه عن زيد بن أرقم، وقد قيل له: مِن أهل بيته نساؤه؟ قال:

---

١. حكاه الثعلبي في تفسيره، والظاهر أنّه مال إليه. للمزيد راجع: الكشف والبيان ٨: ٤٢، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)؛ الشرف المؤبّد: ٢٤، المقصد ١.

لا، وايم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته الذين حُرِموا الصدقة بعده[١].

وأنت تعلم أنّ استدلالهم هذا باطل من وجهين:

أحدهما: أنّك لو راجعت هذا الحديث من صحيح مسلم[٢] تعلم أنّ زيداً إنّما سئل عن مراد النبيّ ﷺ بأهل بيته الذين ذكرهم في قوله: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي».(١)

فأجاب عن خصوص هذا السؤال بما سمعت، ولم يتعرّض لبيان المراد بأهل البيت المذكورين في الآية، إذ لم يُسأل عنهم، فكيف ننقل عنه في تفسير الآية ما قاله في تفسير الحديث، وهل هذا إلّا كالمغالطة؟ ولو سئل زيد عن الآية لأجاب بالصواب، كما فعل أبوسعيد الخدري ومجاهد وقتادة وغيرهم[٣]، وما كان ليخفى عليه حديث الكساء، ولا ليخالف في تفسيرها سيّد الأنبياء ﷺ.

وبالجملة: فإنّ ما نقله مسلم عن زيدٍ خارج عن موضوع مسألتنا هذه، فالاستدلال به هنا ممّا لا وجه له.

---

(١) المراد من «أهل بيته» هنا مجموعهم من حيث المجموع باعتبار دخول أئمّتهم فيهم، والقرينة على ذلك اقترانهم بالكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليس المراد من «عترته» و«أهل بيته» جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكلّ فردٍ فردٍ منهم، وهذا المعنى هو الذي أراده زيد بن أرقم.

---

١. صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٧.

٢. المصدر.

٣. راجع تعليقة المصنّف في ابتداء الفصل الثاني.

ثانيهما: لو فرضنا أنّ زيداً فسّر الآية بما سمعت، فإنّما هو مفسّر لها برأي قد رآه لا تثبت به حجّة ولا يقوم به برهان؛ حيث لم ينقل ذلك التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما يراه كلّ من راجع الحديث في صحيح مسلم، فكيف نعارض به الأدلّة القاطعة، والبراهين الساطعة، ونقدّمه على النصوص الصريحة، والأحاديث المتواترة الصحيحة؟ لكنّا منينا بقوم لا ينصفون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وقد أغرب الرازي إذ قال في تفسيره:

واختلف في «أهل البيت» والأولى فيهم ما قاله البقاعي: أنّهم كلّ من يكون من إلزام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب...[1].

إلى آخر كلامه الذي نسج فيه على منوال البقاعي، وخالف به سنّة البشير النذير الداعي:

لكم ذُخركم إنّ النبيّ ورَهطَه وجيلَهم ذُخري إذا التُمِسَ الذُخرُ
جعلت هوايَ الفاطميّين زُلفةً إلى خالقي ما دامت أو دام لي عمرُ[2]

[ردّ القول بأنّ الآية شاملة للزوجات ولأصحاب الكساء]

وذهب قوم إلى أنّ الآية شاملة للزوجات ولأصحاب الكساء، جمعاً بين الأدلّة وظاهر السياق[3].

---

١. التفسير الكبير ١٣ (الجزء الخامس والعشرون): ٢١٠، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣) بتفاوت في الألفاظ.

٢. راجع تكملة أمل الآمل: ١٣٢، الرقم ٨٢.

٣. كالبيضاوي في تفسيره ٣: ٣٨٢، وابن الكثير في تفسير القرآن العظيم ٣: ٤٩٤، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١، الفصل ١.

ويردّه أوّلاً: ما سمعته من كلامنا في السياق فراجعه[١].

وثانياً: منع أُمّ سلمة من الدخول تحت الكساء، فإنّه أقوى دليل على خروج النساء.

وثالثاً: لو كان غير عليّ وفاطمة وابنيهما مراداً لقال ﷺ حين جلّلهم بالكساء: اللهمّ هؤلاء من أهل بيتي، لكنّه قصر أهل بيته عليهم وحصرهم فيهم، فقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

وفي رواية ذكرها ابن حجر في صواعقه: «أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدوّ لمن عاداهم»[٢].

وأخرج أحمد بن حنبل من حديث أُمّ سلمة في صفحة ٢٩٦ من الجزء السادس من مسنده[٣] قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوماً إذ قالت الخادم: إنّ عليّاً وفاطمة بالسُدَّة، قالت: فقال لي: «[قومي] فتنحّي لي عن أهل بيتي» قالت: فقمت فتنحّيت في البيت قريباً، فدخل عليّ وفاطمة، ومعهما الحسن والحسين، وهما صبيّان صغيران، فأخذ الصبيّين فوضعهما في حجره، فقبّلهما، واعتنق عليّاً بإحدى يديه، وفاطمة باليد الأُخرى، فقبّل عليّاً وقبّل فاطمة، فأغدق عليهم خميصة سوداء، فقال: «اللهمّ إليك ـ لا إلى النار ـ أنا وأهل بيتي»(١). الحديث.

---

(١) وأخرجه في آخر صفحة ٣٠٤ من الجزء ٦ عن أُمّ سلمة أيضاً[٤].

---

١. تقدّم في ص ٣١ ـ ٣٢.

٢. الصواعق المحرقة: ١٤٤، الباب ١، الفصل ١. حكاه الحاكم أيضاً في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٠، ح ٤٧٦٧ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٣. مسند أحمد ١٠: ١٨٤، ح ٢٦٦٠٢.

٤. المصدر: ١٩٧، ح ٢٦٦٦٢.

وهو كما ترى ظاهر في حصر أهل بيته فيهم عليهم السلام، فهل حاباهم صلى الله عليه وآله بكسائه؟ أو آثرهم من تلقاء نفسه بما سمعت من دعائه وثنائه؟ أو ضلّ وغوى إذ قال: «أُنزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي عليّ والحسن والحسين وفاطمة»؟[1] أو نطق عن الهوى إذ كان يقف كلّ يوم على باب عليّ وفاطمة عند خروجه إلى الفجر فيقول: «الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»؟[2] أو هجر والعياذ بالله حين قال لأُمّ سلمة: «قومي فتنحّي لي عن أهل بيتي»؟[3]

كلّا والله ﴿ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى * وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إنْ هُوَ اِلّا وَحْيٌ يُوحىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ﴾[4].

ولله درّ الإمام أبي بكر بن شهاب الدين حيث قال في هذا المقام من كتابه رشفة الصادي:

دعوا كلَّ قولٍ غيرَ قولِ محمّدٍ فعندَ بُزوغِ الشمسِ يَنطَمِسُ النَجمُ[5]

تنبيهان:

أحدهما: أنّ الآية دلّت على عصمة الخمسة؛ لأنّ الرجس فيها عبارة عن الذنوب، كما في الكشّاف[6] وغيره[7]. وقد تصدّرت بأداة الحصر وهي «إنّما».

---

١. تقدّم تخريجه في ص ١٥.

٢. تقدم تخريجه في ص ٢٢ ـ ٢٣.

٣. تقدّم قُبيل هذا.

٤. النجم (٥٣): ٢ ـ ٥.

٥. رشفة الصادي: ٢٤.

٦. الكشّاف ٣: ٥٣٨، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)

٧. كأبي حيّان في البحر المحيط ٧: ٢٢٤، والآلوسي في روح المعاني ٢٢: ١٢، ذيل الآية.

فأفادت أنّ إرادة الله تعالى في أمرهم مقصورة على إذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها، وهذا كنه العصمة وحقيقتها(١).

---

(١) أورد النبهاني في أوّل كتابه الشرف المؤبّد هذه الآية، فنقل عن جماعة من الأعلام ما يدلّ على أنّهم قد فهموا منها عصمة أهلهاعليهم السلام، وإليك ما نقله بعين لفظه، قال:

قال الإمام أبوجعفر محمّد بن جرير الطبري في تفسيره: يقول الله تعالى: إنّما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل محمّد، ويطهّركم من الدنس الذي يكون في [أهل] معاصي الله تطهيراً.

ـ قال: ـ وروى عن أبي زيد: أنّ «الرجس» هاهنا الشيطان.

ـ قال: ـ وذكر ـ أي الطبري ـ بسنده إلى سعيد عن قتادة أنّه قال: قوله: ﴿إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهبَ عَنكُمُ الرِجسَ أهلَ البَيْت وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً﴾ فهُم أهل بيتٍ طهّرهم الله من السوء، وخصّهم برحمة منه.

ـ قال: ـ وقال ابن عطيّة: والرجس اسم يقع على الإثم والعذاب، وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت.

ـ قال: ـ وقال الإمام النووي: قيل: هو الشكّ، وقيل: العذاب، وقيل: الإثم. قال الأزهري: «الرجس» اسم لكلّ مستقذر من عمل وغيره[١]. انتهى.

وفسّر الشيخ محي الدين بن العربي لفظ «الرجس» في الباب ٢٩ من فتوحاته بكلّ ما يشين، وإليك عبارته، قال:

وقد ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله قد طهّره الله وأهل بيته تطهيراً، وأذهب عنهم الرجس، وهو كلّ ما يشينهم، فإنّ الرجس هو القذر عند العرب، هكذا حكى الفرّاء[٢]. إلى آخر كلامه.

---

١. الشرف المؤبّد: ٦، المقصد ١. راجع أيضاً تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٥ ـ ٢٨٤٨٦.

٢. الفتوحات المكيّة ٣: ٢٢٩.

ثانيهما: أنّها دلّت بالالتزام على إمامة أمير المؤمنين؛ لأنّه ادّعى الخلافة لنفسه، وادّعاها له الحَسنان وفاطمة، ولا يكونون كاذبين؛ لأنّ الكذب من الرجس الذي أذهبه الله عنهم وطهّرهم منه تطهيراً.

الفصل الثالث: في آية المودّة

وهي قوله تبارك وتعالى في آل حم الشورى: ﴿قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ(١) وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً﴾[1].

أجمع أهل البيت، وتصافق أولياؤهم في كلّ خلف على أنّ «القربى» هنا إنّما هم: عليّ وفاطمة وابناهما، وأنّ «الحسنة» في الآية إنّما هي مودّتهم، وأنّ الله تعالى غفور شكور لأهل ولايتهم.

---

(١) «القربى» مصدر كالزُلفى والبُشرى، وهي بمعنى القرابة[2]، والاستثناء هنا متّصل، والمعنى: لا أسألكم على أداء الرسالة شيئاً من الأجر إلّا أن تودّوا قرابتي، فهو على حدّ قول القائل:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفَهم   بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب[3]

ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً، أي لا أسألكم عليه أجراً قطّ ولكن أسألكم أن تودّوا قرابتي، وكيف كان فمودّتهم فريضة.

---

١. الشورى (٤٢): ٢٣ ـ ٢٤.

٢. لسان العرب ١: ٦٦٥ ـ ٦٦٦، «ق. ر. ب».

٣. حكاه الفخر الرازي في التفسير الكبير ١٤ (الجزء السابع والعشرون): ١٦٦، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

وهذا عندنا من الضروريّات المفروغ عنها، وفيه صحاح متواترة عن أئمّة العترة الطاهرة[1]، وإليك ما هو مأثور عن غيرهم:

أخرج أحمد والطبراني والحاكم وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس ـ كما نصّ عليه ابن حجر في تفسير الآية ١٤ من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب ١١ من صواعقه ـ قال:

لمّا نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: «عليّ وفاطمة وابناهما»[2]. انتهى.

وهذا الحديث أخرجه عن ابن عبّاس أيضاً ابن المنذر، وابن مردويه(١)، والمقريزي(٢)، والبغوي، والثعلبي في تفاسيرهم[3]، والجلال السيوطي(٣) في دُرّه المنثور، والحافظ أبونعيم في حليته، والحمويني الشافعي في فرائده[4]،

(١) فيما نقله عنهما النبهاني في أربعينه[5].

(٢) فيما نقله النبهاني عنه في الشرف المؤبّد[6].

(٣) فيما نقله عنه في الشرف المؤبّد[7].

١. للمزيد راجع نور الثقلين ٤: ٥٧٠ ـ ٥٧٥، ح ٥٩ ـ ٧٦.

٢. راجع: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٦٩، ح ١١٤١؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٠: ٣٢٧٦، ح ١٨٤٧٣؛ المعجم الكبير ٣: ٤٧، ح ٢٦٤١؛ شواهد التنزيل ٢: ١٣٣ ـ ١٣٤، ح ٨٢٧؛ الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١١، الفصل ١.

٣. انظر: معالم التنزيل ٤: ١٢٥؛ الكشف والبيان ٨: ٣١٠، ذيل الآية.

٤. انظر: حلية الأولياء ٣: ٢٠١، الرقم ٢٣٦؛ فرائد السمطين ٢: ١٣، ح ٣٥٩.

٥. مجموع الأربعين أربعين: ٢١٤. راجع أيضاً: الدرّ المنثور ٧: ٣٤٨، ذيل الآية؛ مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٣١٦، ح ٥٢١.

٦. الشرف المؤبّد: ٨٠، المقصد ٣.

٧. المصدر؛ الدرّ المنثور ٧: ٣٤٨، ذيل الآية.

وغيرهم من المفسّرين[١] والمحدّثين[٢].

وأرسله الزمخشري في كشّافه، واستدلّ على اعتباره بروايات رواها في الكشّاف عن رسول الله ﷺ.

فمنها: ما روى عن عليّ قال: «شكوت إلى رسول الله حسدَ الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين؟».

ومنها: قوله ﷺ: «حرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي».

ومنها: قول رسول الله ﷺ: «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً(١)، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد

(١) المراد من «آل محمّد» في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع باعتبار أئمّتهم الذين هم خلفاء رسول الله ﷺ، وأوصياؤه، ووارثو حكمه وأولياؤه، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن، ونصّ على أنّهما لا يفترقان فلا يضلّ من تمسّك بهما ولا يهتدي من أعرض عن أحدهما.

وليس المراد هنا من «الآل» جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكلّ فردٍ فردٍ؛ لأنّ هذه المرتبة السامية لأولياء الله خاصّة.

نعم، تجب محبّة جميع أهل بيته وكافّة ذرّيّته؛ لانتسابهم إليه ﷺ، وفي ذلك تحصل الزلفى لله تعالى، والشفاعة من رسوله ﷺ.

١. كابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٠: ٣٢٧٦، ح ١٨٤٧٣، والبيضاوي في تفسيره ٤: ٩١، والطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٨، وأبي حيّان في البحر المحيط ٧: ٤٩٤، والآلوسي في روح المعاني ٢٥: ٣١، ذيل الآية.

٢. كابن المغازلي في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢٥٨ ـ ٢٥٩، ح ٣٥٢، والحسكاني في شواهد التنزيل ١: ١٣٠ ـ ١٣٥، ح ٨٢٢ ـ ٨٢٨، والإربلي في كشف الغمّة ١: ١٤١، ومحبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى: ٢٥، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٦، ح ١٤٩٨٢، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٤٥٣ ـ ٤٥٤، الباب ٥٩، ح ٢٥٧، والشبلنجي في نور الأبصار: ٢٢٧.

مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّرَه ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يُزَفُّ إلى الجنّة كما تُزَفُّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة،ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله»[١]. الحديث.

وأخرجه الإمام الثعلبيفي تفسيره الكبير عن جريربن عبدالله البجلي[٢]، وأورده غير واحد من المحدّثين[٣]، والمفسّرين[٤]، ومؤلّفي المناقب[٥].

وأنت تعلم أنّ هذه المنزلة السامية إنّما ثبتت لهم من الله تعالى؛ لأنّهم خلفاؤه في أرضه، وأولياؤه في بسطه وقبضه، وحججه البالغة، ومناهل شرائعه السائغة، وأُمناؤه بعد النبيّ على وحيه، وسفراؤه في أمره ونهيه، فالمحبّ لهم بسبب ذلك محبّ لله، والمبغض لهم مبغض لله، ومن هنا قال فيهم الفرزدق:

من معشر حبُّهم دينٌ، وبغضُهُمُ   كفرٌ، وقربُهُمُ مَنجىً ومعتصَمُ

---

١. الكشّاف ٤: ٢٢٠ ـ ٢٢١، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

٢. الكشف والبيان ٨: ٣١٤، ذيل الآية ٢٤ من سورة الشورى (٤٢).

٣. كالطبراني في المعجم الأوسط ٣: ١٢٢، ح ٢٢٥١، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٧٢، ح ١٥٠٠٧، والسيوطي في إحياء الميّت: ٦٣، ح ١٨.

٤. كالفخر الرازي في التفسير الكبير ١٤ (الجزء السابع والعشرون): ١٦٦ ـ ١٦٧، والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٦: ١٦ ـ ١٧، ذيل الآية.

٥. كالسمهودي في جواهر العقدين: ٣٣٣، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ٢٣٢ ـ ٢٣٣، باب وصيّة النبيّ ﷺ، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٣٦٥ و٤٥٩، الباب ٥٧، ح ٤١ و٢٧٤، والنبهاني في الشرف المؤبّد: ٨٣، المقصد ٣.

إنْ عُـدّ أهـل التـقى كـانوا أئـمّتَهُمْ أو قيل: مَنْ خيرُ الأرض؟ قيل: هُمُ[1]

وأخرج الحاكم[2] ـ كما في تفسير هذه الآية من مجمع البيان[3] ـ بالإسناد إلى أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله: «إنّ الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى. ولو أنّ عبداً عبدالله [بين الصفا والمروة][4] ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ ألف عام حتّى يصير كالشنّ البالي وهو لا يحبّنا، كبّه الله على منخريه في النار» ثمّ تلا ﴿قُلْ لاٰ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْراً اِلّاَ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ﴾. انتهى.

وأخرج أبوالشيخ[5] وغيره[6] ـ كما في الصواعق وغيرها[7] ـ عن عليّ عليه السلام: «فينا في «آل حم» آية، لايحفظ مودّتنا إلّا كلّ مؤمن» ثمّ قرأ: ﴿قُلْ لاٰ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْراً اِلّاَ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهٰا حُسْناً اِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

وإلى هذا أشار الكميت بقوله:

وجَدْنا لكم في آل حَم آيةً تأوّلها منّا تقيٌّ ومُعْرِبُ[8]

---

١. ديوان الفرزدق: ٤٥٦.

٢. شواهد التنزيل ٢: ١٤١ ـ ١٤٢، ح ٨٣٧ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٣. مجمع البيان ٩: ٢٨ ـ ٢٩، ذيل الآية ٢٤ من سورة الشورى (٤٢) بتفاوت يسير.

٤. أضفناه من المصدر.

٥. حكاه عنه الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ١٤٢، ح ٨٣٨، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٣٥٨، الباب ٥٨، ح ٢٣.

٦. كأبي نعيم في ذكر أخبار أصبهان ٢: ١٦٥، ترجمة قتيبة بن مهران، والطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٩.

٧. الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١، الفصل ١. راجع أيضاً ينابيع المودّة ٢: ٤٥٤، الباب ٥٩، ح ٢٥٩.

٨. حكاه عنه الطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٨، والآلوسي في روح المعاني ٢٥: ٣١، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢). راجع أيضاً الروضة المختارة: ٢٧.

وأخرج البزّار[١] والطبراني[٢] وغيرهما[٣] ـ كما في الصواعق وغيرها[٤] ـ عن الإمام أبي محمّد الحسن السبط المجتبى بطرق مختلفة أنّه خطب خطبة قال فيها: «وأنا من أهل البيت الذين افترض الله ـ عزّ وجلّ ـ مودّتهم وموالاتهم، فقال: فيما أنزل على محمّد ﴿قُلْ لا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْراً اِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبٰى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ حُسْناً﴾ ـ قال: ـ واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت». انتهى.

وأخرج الطبراني[٥] ـ كما في الصواعق وغيرها[٦] ـ عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه لمّا أُقيم ـ بأبي هو وأمّي ـ أسيراً على درج دمشق قال له بعض جفاة أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم، فقال له: «أما قرأت: ﴿قُلْ لا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجراً إلّا الْمَوَدَّةَ فى الْقُرْبٰى﴾ (١)» قال: وأنتم هم؟ قال: «نعم». انتهى.

وأخرج أحمد بن حنبل[٧] ـ كما في الصواعق[٨] أيضاً ـ عن ابن عبّاس في قوله

---

(١) رواه النبهاني في المقصد الثالث من كتابه الشرف المؤبّد عن السدي، عن أبي الديلم[٩].

---

١. حكاه عنه القندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٣٥٨، الباب ٥٨، ح ٢٤.

٢. راجع المعجم الأوسط ٣: ٨٨، ح ٢١٧٦.

٣. كالحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٦٥، ح ٤٨٥٥، وابن المغازلي في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٣٠٤ـ٣٠٥، ح ٤٣٢، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٧٣، ح ١٥٠١٠.

٤. الصواعق المحرقة: ١٧٣، الباب ١، الفصل ١. راجع أيضاً ينابيع المودّة ٢: ٤٥٤، الباب ٥٩، ح ٢٥٩.

٥. لم نعثر عليه في كتبه.

٦. الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١، الفصل ١؛ ينابيع المودّة ٢: ٤٥٤ـ٤٥٥، الباب ٥٩، ح ٢٦٠.

٧. حكاه عنه البحراني في غاية المرام ٣: ٢٣٠، الباب ٥ من المقصد الثاني، ح ١.

٨. الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١، الفصل ١.

٩. الشرف المؤبّد: ٨٢، المقصد ٣. رواه عنهما أيضاً الطبري في جامع البيان ١١: ١٤٤، ح ٣٠٦٧٧، وابن أعثم في الفتوح ٥: ٢٤٢، والخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ٢: ٦٨ـ٦٩.

تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾ قال: هي المودّة لآل محمّد.

وأخرجه ابن أبي حاتم[١] ـ كما في الشرف المؤبّد(١) ـ عن ابن عبّاس أيضاً.

وعن أبي حمزة الثمالي في تفسيره عن ابن عبّاس: أنّه حين استحكم الإسلام بعد الهجرة قالت الأنصار: نأتي رسول الله فنقول له: قد تعروك أُمور فهذه أموالنا تحكم فيها كيف شئت، فأتوه بذلك فنزلت الآية فقرأها عليهم، وقال: «تودّون قرابتي من بعدي» فخرجوا مسلّمين لقوله. وقال المنافقون: إنّ هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد به أن يذلّلنا لقرابته من بعده، فنزلت: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً﴾[٢]. الحديث.

وقد أخرج الثعلبي والبغوي ـ كما في الصواعق ـ عن ابن عبّاس أيضاً مثله[٣].

قاتل الله الحسد يورد أهله الدرك الأسفل من النار. انظر كيف خرج هؤلاء من الدين، وكذّبوا ـ حسداً لأولياء الله ـ نبيّهم وهو الصادق الأمين، فأنزل الله تعالى في نفاقهم قرآناً يتلوه المسلمون آناء الليل وأطراف النهار، ومع ذلك فإنّ بذرة أهل النفاق والحسد قد أجذرت بتعاهد أُولي السلطة لها من بني أُميّة

---

(١) راجع منه صفحة ٩٥[٤].

---

١. حكاه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٧: ٣٤٨، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

٢. حكاه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٧: ٣٤٨، والطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٨، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢). راجع أيضاً تفسير القرآن العظيم لأبي حمزة الثمالي: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، ذيل الآية.

٣. الكشف والبيان ٨: ٣١٤؛ معالم التنزيل ٤: ١٢٥، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢)؛ الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١، الفصل ١.

٤. الشرف المؤبّد: ٩٥، المقصد ٣.

وغيرهم بما يستوجب نُمُوَّها، وجمهور المسلمين غافلون، فالتبس الأمر ووقعت الشبهة.

وإنّما دخل البلاء باعتماد الجمهور على كلّ من كان في الصدر الأوّل، وبنائهم على عدالة كلّ فرد ممّن كانت له صحبة، مع مايتلونه في الكتاب والسنّة من شؤون المنافقين(١)، وتربّصهم الدوائر بسيّد النبيّين والمرسلين ﷺ، واشتدّ البلاء بالمنع من الخوض في تلك الأحوال، وسدّهم باب البحث عن حقائق أُولئك الرجال، فضيّعوا على أنفسهم كثيراً من الحقائق، وربما نسجوا من حيث لا يقصدون على منوال كلّ منافق، ولذلك اختلفوا في هذه الآية مع ما سمعت بعضه من النصوص الجليّة في نزولها بمودّة العترة الزكيّة.

---

(١) وحسبهم من الكتاب سورتا التوبة والأحزاب، فإنّ فيهما الذكرى لأُولي الألباب: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[1].

وناهيك من السنّة باب «الحوض» من كتاب الرقاق من صحيح البخاري، وباب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[2]. وهو في كتاب بدء الخلق من الصحيح المذكور أيضاً[3]، وما أخرجه أحمد بن حنبل في آخر الجزء الخامس من مسنده عن أبي الطفيل[4]، فراجع.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[5].

---

١. التوبة (٩): ١٠١.

٢. صحيح البخاري ٥: ٢٤٠٤ ـ ٢٤٠٩، ح ٦٢٠٥ ـ ٦٢٢٠، والآية في سورة النساء (٤): ١٢٥.

٣. المصدر ٣: ١٢٢٢ ـ ١٢٢٦.

٤. راجع مسند أحمد ٩: ٢٠٧ ـ ٢١٢.

٥. آل عمران (٣): ١٤٤.

[أقوال المخالفين في معنى الآية]

والذي عرفناه من أقوال المخالفين أربعة مذاهب:

الأوّل: أنّ الله تعالى أمر نبيّه أن يقول لمشركي قريش: ﴿لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ﴾ يعني إلّا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم[١].

وهذا مردودٌ بوجوه:

أحدها: أنّ الآية مدنيّة، كما سمعته قريباً عن تفسيري البغوي والثعلبي[٢]، وستسمعه عن غيرهم أيضاً[٣]، فأين مشركو قريش عنها؟

ثانيها: أنّ سبب نزولها بحكم ما سمعته[٤] وما ستسمعه[٥] من الأخبار، إنّما هو عرض الأنصار أموالهم على رسول الله أو مفاخرتهم لبني هاشم، فيكون الخطاب معهم لا مع مشركي قريش.

ثالثها: أنّه لا يصحّ أن يكون الخطاب مع المشركين، إذ يقبح من الحكيم أن يطلب الأجر على أداء الرسالة ممّن كفر بها، وبلغ الغاية في جحودها وتكذيبها، وإنّما يحسن ذلك ممّن آمن بها، وعدّها نعمة عليه.

رابعها: أنّ هذا القول مخالف لما سمعته من النصّ على أنّها نزلت في مودّة عليّ وفاطمة وابنيهما[٦].

---

١. حكاه الفخر الرازي في التفسير الكبير ١٤ (الجزء السابع والعشرون): ١٦٥، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

٢. تقدّم في ص ٤٤، الهامش ٣.

٣ و ٥. سيأتي في ص ٥١.

٤. تقدّم في ص ٤٤.

٦. تقدّم في ص ٣٩ ـ ٤٠.

خامسها: أنّه إنّما هو قول عكرمة، وتبعه فيه جماعة من صنائع بني أُميّة وأعداء أهل البيت، كما كنّا أوضحناه في كتابنا سبيل المؤمنين[١]، وهؤلاء لاتقبل أقوالهم ولا سيّما في مثل المقام، وقد عرفت أنّ عكرمة من دعاة الخوارج وكذبة المحدّثين، كما بيّنّاه في الفصل السابق[٢].

وأخطأ من نسب هذا القول إلى ابن عبّاس؛ اعتماداً على خبر رواه البخاري في باب قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ من كتاب تفسير القرآن من صحيحه، عن محمّد بن بشار، عن محمّد بن جعفر[٣]، وهما ضعيفان بإجماع الإماميّة، ووافقهم يحيى بن معين ـ كما في ميزان الاعتدال[٤] ـ على تضعيف محمّد بن بشار، بل كذّبه الفلّاس، فراجع.

وكيف يقول ابن عبّاس في تفسير «القربى» غير الذي قلناه، مع ما سمعته من الأحاديث الثابتة عنه في تفسير «القربى» بعليّ وفاطمة وابنيهما، وتفسير «الحسنة» بمودّتهم؟[٥]

الثاني: من مذاهب المخالفين في تفسير الآية أنّ معناها: قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا أن تودّوا القربى من الله ـ عزّ وجلّ ـ بالأعمال الصالحة[٦].

الثالث: أنّ معناها: إلّا أن تودّوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم[٧].

وأنت تعلم أنّ أصحاب هذه الأقاويل ما أرادوا بها غير التمويه والتضليل،

---

١. من كتبه المفقودة. للمزيد راجع: الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ٦، والمطلب الثاني من هذه الرسالة، الرقم ٤ من نفائسه المفقودة.

٢. راجع ص ٢٣ ـ ٢٨.

٣. صحيح البخاري ٤: ١٨١٩، ح ٤٥٤١. ورواه عن ابن عبّاس في ٣: ١٢٨٩، ح ٣٣٠٦.

٤. ميزان الاعتدال ٣: ٤٩٠، الرقم ٧٢٦٩.

٥. راجع ص ٣٨ و ٤٤.

٦. نسبه الفخر الرازي إلى الحسن في التفسير الكبير ١٤ (الجزء السابع والعشرون): ١٦٦، ذيل الآية.

٧. حكاه الآلوسي عن عبدالله بن القاسم في روح المعاني ٢٥: ٣٢، ذيل الآية.

وحسبهم في ردّها أنّها في مقابل النصّ والدليل، وحسبنا الله ونـعم الوكـيل، نـعم المولى ونعم النصير.

الرابع: أنّ الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[١] و[٢].

وهذا من أغرب الأقاويل وأعجب الأباطيل؛ لأنّ وجوب مـودّة القـربى بكـلّ المعاني مستمرّ إلى يوم القيام بحكم الضرورة من دين الإسلام، فما معنى هذا النسخ يا مسلمون؟

على أنّه لا تنافي بين الآيتين لتكونا من قبيل الناسخ والمنسوخ؛ فإنّ معنى آية الشورى: لا أسألكم على أداء رسالتي شيئاً من الأجر إلّا مودّة قـرابـتي، ومـعنى آية سبأ: إنّي ما سألتكم على أداء رسالتي شيئاً من عرض الدنـيا، والذي طـلبته منكم في سورة الشورى أجراً عليه من مودّة قرابـتي فـإنّما هـو لكـم لا لي؛ لأنّ قرابتي حجج الله البالغة لديكم، ونعمه السابغة عليكم، وهم أمان أهل الأرض، وباب حطّة، وسفينة نجاة هذه الأمّة، وهم كالقرآن الحكيم، فمودّتهم لازمة لكم، ومنافعها إنّما هي عائدة عليكم. فارجع البصر هداك الله وأمعن النظر في الآيتين، وهما قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٣] وقـوله سـبحانه: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَـهُوَ لَكُـمْ﴾[٤] تـجد الثـانية مـؤكّدة لمـفاد الأولى، ومشـوّقة إليـه، كما لا يخفى.

---

١. سبأ (٣٤): ٤٧.

٢. نسبا الثعلبي والبغوي هذا القول إلى الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل، راجع: الكشف والبـيان ٨: ٣١٣، ذيل الآية؛ معالم التنزيل ٤: ١٢٥؛ الصواعق المحرقة: ١٧١، الباب ١١، الفصل ١.

٣. الشورى (٤٢): ٢٣.

٤. سبأ (٣٤): ٤٧.

وبقي للقوم اعتراضان:

أحدهما: أنّهم قالوا: لو أراد الله من الآية مودّة القربى لقال: «إلّا مودّة القربى» أو «إلّا المودّة للقربى».

والجواب: أنّ هذا تغافل عمّا لا يغفل عنه ذو حظّ من فهم، وتجاهل بما لا يجهله الخبير بمواقع الكلام؛ لأنّ الإضافة واللام هنا لا يفيدان ما أفادته «في» من المبالغة بمودّة القربى(١) بجعلهم موضع الودّ والموالاة، كما يعلمه جهابذة الكلام العربي ويشهد به أئمّة البلاغة.

قال الزمخشري في كشّافه[1] بعد تفسير القربى بمن ذكرناهم عليهم السلام:

فإن قلت: فهلّا قيل إلّا مودّة القربى، أو إلّا المودّة للقربى، وما معنى قوله: إلّا المودّة في القربى؟ قلت: جُعِلوا مكاناً للمودّة، مقرّاً لها، كقولك: لي في آل فلان مودّة، ولي فيهم هوى وحبّ شديد، تريد: أُحبّهم وهم مكان حبّي ومحلُّه، وليست «في» بصلة المودّة كاللام إذا قلت: إلّا المودّة للقربى، إنّما هي متعلّقة بمحذوف تعلّق الظرف به في قولك: المال في الكيس، وتقديره إلّا المودّة ثابتة في القربى ومتمكّنة فيه.

هذا كلام الزمخشري بعين لفظه، ولله درّه ما أوفر نصيبه من الإحاطة بالأسرار التي لا تتناهى البلاغة ولا يتمّ الإعجاز إلّا بها!

---

(١) قال النبهاني ـ حيث أورد الآية في الشرف المؤبّد ـ:

القربى مصدر بمعنى القرابة، وهو على تقدير مضاف، أي ذو القربى يعني الأقرباء. ـ قال: ـ وعبّر بـ«في» ولم يعبّر بـ«اللام» لأنّ الظرفيّة أبلغ وآكد للمودّة[2]. انتهى.

---

١. الكشّاف ٤: ٢١٩، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

٢. الشرف المؤبّد: ٨٠، المقصد ٣.

ثانيهما: أنّهم قالوا: هذه الآية في سورة الشورى، وهي مكّيّة، والحسنان وُلدا في المدينة، فلا يمكن إرادتهما منها.

والجواب: أنّ هذه الآية وما بعدها إلى آخر ثلاث آياتٍ مدنيّةٌ قطعاً بحكم الأخبار المتظافرة من طريق العترة الطاهرة[١]، وقد روى ذلك صاحب مجمع البيان عن ابن عبّاس وقتادة[٢]، ويدلّ عليه ما سمعته قريباً عن أبي حمزة الثمالي وتفسيري الثعلبي والبغوي[٣].

وحسبك ما ذكره الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول[٤] حيث قال:

قال ابن عبّاس: لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق، وليس في يده لذلك سعة، فقال الأنصار: إنّ هذا الرجل قد هداكم الله به، وهو ابن اُختكم وتنوبه نوائب وحقوق، وليس في يده لذلك سعة، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضرّكم، فأتوه به ليعينه على ماينوبه، ففعلوا، ثمّ أتوه به فقالوا: يا رسول الله إنّك ابن اُختنا، وقد هدانا الله تعالى على يديك وتنوبك نوائب وحقوق ليس لك سعة، فرأينا أن نجمع لك من أموالنا فنأتيك به فتستعين على ما ينوبك وهو هذا، فنزلت ﴿قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. انتهىٰ.

وهذا الحديث موجود أيضاً في الكشّاف[٥] وغيره من التفاسير المعتبرة والكتب المؤلّفة في أسباب نزول.

وفي الكشّاف وغيره[٦] رواية اُخرى في سبب نزولها، جاء فيها: أنّ الأنصار

---

١. للمزيد راجع: تفسير الصافي ٤: ٣٧٢ ـ ٣٧٥؛ نور الثقلين ٤: ٥٧٠ ـ ٥٧٦، ح ٥٩ ـ ٨٢.

٢. مجمع البيان ٩: ٢٠، ابتداء سورة الشورى (٤٢).

٣. تقدّم في ص ٣٩.

٤. أسباب النزول: ٣١٢.

٥. راجع: شواهد التنزيل ٢: ١٣٨ ـ ١٣٩، ح ٨٣٥ ـ ٨٣٦؛ الكشّاف ٤: ٢١٩؛ الدرّ المنثور ٧: ٣٤٨.

٦. الكشّاف ٤: ٢٢٠. راجع أيضاً: تفسير الطبري ١١: ١٤٤، ح ٣٠٦٧٨؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤: ١٢١؛ الدرّ المنثور ٧: ٣٤٧، ذيل الآية.

فاخروا بعض بني هاشم، فعاتبهم النبيّ ﷺ بذلك، فجثوا على الركب وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، فنزلت الآية فقرأها عليهم.

أليست هذه الأخبار كلّها صريحة بنزول الآية في المدينة، وأنّ المخاطبين فيها إنّما هم الأنصار؟ ولا ينافي ذلك كونها في سورة مكّيّة؛ لأنّ ترتيب الكتاب العزيز في الجمع ليس على حسب ترتيبه في النزول إجماعاً وقولاً واحداً(١). ومن ثمّة كان أغلب السور المكّيّة لا يخلو من آيات مدنيّة، وكذلك أكثر السور المدنيّة لا يخلو من آيات مكّيّة، بحكم أئمّة السلف والخلف من الفريقين(٢). ووصف

---

(١) ألا ترى أنّ الأغلب من أواخره مكّي، والأكثر من أوائله مدني، فلو كان مرتّباً على حسب نزوله لوجب تقديم بعض ما أُخّر، وتأخير بعض ما قدّم. ولكانت سورة العلق في أوائله، وسورة براءة في آخره؛ بناءً على ما رواه البخاري عن سليمان بن حرب، عن شعبة[١]. ورواه مسلم عن بندار، عن غندرٍ، عن شعبة أيضاً[٢]. ولكانت آخر آية من آياته قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[٣] أو آخر آية من سورة النساء[٤]، أو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[٥] الآية، كما لا يخفى على من راجع الكتب المؤلّفة في هذا الموضوع.

(٢) فراجع إن شئت التفصيل أوائل السور من مجمع البيان في تفسير القرآن، أو من تفسيري الطبري والرازي الكبيرين، أو من الكشّاف، أو أوّل كلّ من المائدة ←

---

١. راجع صحيح البخاري ٤: ١٦٨١ ـ ١٦٨٢، ح ٤٣٢٩. راجع أيضاً ١٥٨٦، ح ٤١٠٦، و ١٧٠٩، ح ٤٣٧٧.

٢. انظر صحيح مسلم ٤: ٢٣٢٢، كتاب التفسير، ح ٣١.

٣. راجع صحيح البخاري: ١٦٥٢، ح ٤٢٧٠، والآية في سورة البقرة (٢): ٢٨١.

٤. راجع المصدر: ١٦٨١ ـ ١٦٨٢، ح ٤٣٢٩.

٥. راجع المصدر ٤: ١٥٨٦، ح ٤١٠٦، و١٦٨١ ـ ١٦٨٢، ح ٤٣٢٩، و١٧٠٩، ح ٤٣٧٧ والآية في سورة التوبة (٩): ١٢٨.

السورة بكونها مكّيّة أو مدنيّة تابع لأغلب آياتها، كما صرّح به أئمّة هذا الفنّ من أهل المذاهب كلّها.

على أنّه لا مانع من تناول الآية الكريمة للحسنين عليهما السلام حتّى لو فرضنا نزولها بمكّة قبل ولادتهما؛ لأنّ المودّة فيها غير مقصورة على من كان من القربى موجوداً حين نزولها، بل هي ثابتة فيهم، وهم على الإطلاق مكانها، كما سمعت.

وبناءً على هذا تكون الآية نظير قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[١] أترى أحداً من المسلمين قصر هذه الوصيّة على من كان موجوداً من الأولاد حين نزولها؟ كلّا بل لم يتوهّم ذلك ابن أُنثى، فليت شعري ما الفرق بين الآيتين؟

وأمّا ماسمعته من قول النبيّ صلى الله عليه وآله في تفسير القربى: «هم عليّ وفاطمة وابناهما»[٢]

← والأعراف والرعد والإسراء والكهف ومريم والحجّ والشعراء والقصص والروم ولقمان وسبأ والزمر والزخرف والدخان والرحمن والمجادلة، من كتاب تفسير القرآن من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري[٣]، وسائر المؤلّفات في هذا الموضوع.

وبعد التتبّع قل لي: كيف ألغى المعترضون صحاح الأخبار المفسّرة للقربى بما قلناه، وصرفوا الآية عن أهلها بمجرّد كونها في سورة يقال عنها مكّيّة؟! ومن أوحى إليهم أنّها ليست كأغلب المكّيّات وصفت بهذا الوصف باعتبار الغلبة؟ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾[٤].

---

١. النساء (٤): ١١.

٢. تقدّم في ص ٣٩.

٣. إرشاد الساري ٧: ١٠٠ ـ ٣٧٤.

٤. النجم (٥٣): ٢٣.

فيجوز أن يكون متأخّراً عن نزولها، أو أنّه خبر من الله عزّوجلّ بالغيب، فيكون من أعلام النبوّة.

ولا غرو فقد أخبر عن خلفائه وأنّهم اثنا عشر[١]، وأخبر عن يوم الجمل وكلاب الحوأب[٢]، وعن الفئة الباغية وقتلها عمّاراً[٣]، وعن الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرميّة[٤]، وعن الناكثين والقاسطين والمارقين[٥]، وعن الضغائن لعليّ في نفوس قوم وأنّهم لا يبدونها له إلّا بعد فقده[٦]، وعن أشقى الآخرين وضربه سيّد

---

١. راجع: مسند أحمد ٧: ٤٠٣ـ٤١٨، ح ٢٠٨٣١، ٢٠٨٤٠، ٢٠٨٥٧، ٢٠٨٦٩، ٢٠٨٨٢، ٢٠٩٠٢، ٢٠٩٢١؛ صحيح البخاري ٦: ٢٦٤٠، ح ٦٧٩٦؛ دلائل النبوّة لأبي نعيم: ٤٢١ـ٤٢٢، ذكر ما أخبر به رسول الله ﷺ من الغيوب ...؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٥١٩ـ٥٢٣، باب ما جاء في إخباره باثنى عشرة أميراً و...؛ البداية والنهاية ٦: ٢١٥ـ٢٢١، حوادث سنة ١١؛ الخصائص الكبرى ٢: ١٩٣ـ١٩٤، باب إخباره بالخلفاء بعده ثمّ ... .

٢. مسند أحمد ٩: ٣١٠، ح ٢٤٣٠٨، و ٣٩٠ـ ٣٩١، ح ٢٤٧٠٨؛ أعلام النبوّة للماوردي: ١٨١؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٤١٠ـ٤١١، باب ما جاء في إخباره بأنّ واحدة من اُمّهات المؤمنين تنبح عليها كلاب الحوأب ... .

٣. الطبقات الكبرى ٣: ٢٥١ـ٢٥٣؛ مسند أحمد ٤: ١٨٠ـ ١٨١، باب إخباره ﷺ بقتل عمّار بن ياسر؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٧٣ـ ٤٧٥، ح ٥٧١٠، ٥٧١٣ـ ٥٧١٤؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٤٢٠ـ ٤٢١، باب ما جاء في إخباره عن الفئة الباغية؛ البداية والنهاية ٦: ٢٣٩ـ ٢٤٠، حوادث سنة ١١؛ الخصائص الكبرى ٢: ٢٣٩، باب إخباره ﷺ بقتل عمّار بن ياسر؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٧: ٤٨٥ـ ٤٨٧، ح ١٢٠٤٨ـ ١٢٠٥٥.

٤. راجع: صحيح مسلم ٢: ٧٤٠ـ ٧٤٥، كتاب الزكاة، ح ١٤٢ـ١٤٨؛ سنن أبي داود ٤: ٢٤٣ـ ٢٤٥، ح ٤٧٦٤ـ ٤٧٦٨؛ البداية والنهاية ٦: ٢٤٢، حوادث سنة ١١؛ كنز العمّال ١١: ٢٩٤ـ ٢٩٥، ح ٣١٥٥٥، و٢٨٦ـ ٢٨٧، ح ٣١٥٤٠.

٥. المعجم الكبير ١٠: ٩١، ح ١٠٠٥٤؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١١٥، ح ٤٧٢٥ـ ٤٧٣٠؛ مسند أبي يعلى ١: ٣٩٧، ح ٥١٩؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٧: ٤٨١، ح ١٢٠٤٢ـ ١٢٠٤٥؛ كنز العمّال ١١: ٢٩٢، ح ٣١٥٥٢ـ ٣١٥٥٣.

٦. المعجم الكبير ١١: ٦١، ح ١١٠٨٤؛ الكامل في ضعفاء الرجال ٧: ١٧٣، الرقم ٢٠٨٠؛ مسند أبي يعلى ١: ٤٢٧، ح ٥٦٥؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ١٥٥ـ ١٥٦، ح ١٤٦٩٠ـ ١٤٦٩١؛ كنز العمّال ١٣: ١٧٦، ح ٣٦٥٢٣.

الوصيّين بالسيف على هامته، وأنّ شيبته الكريمة تخضب من دم رأسه[١]، وعن حال بضعته الزهراء من بعده وأنّها أوّل بيته لحوقاً به[٢]، وعن محنة الحسن والذعاف[٣] الذي تجرّعه[٤]، وعن مصائب سيّد الشهداء في طفّ كربلاء، وعمّا لقيه أهل بيته من الإثرة والبلاء والقتل والتشريد والتطريد في البلاد[٥]، وعن ولاة الجور الذين يملكون من بعده أمر هذه الأُمّة، وعن بوائق بني أُميّة وبني مروان، وأنّ مدّتهم تكون ألف شهر[٦]، وعن بني العبّاس وملكهم[٧]، وعن فتنة نجد وطلوع قرن الشيطان منها[٨]، إلى

---

١. المستدرك على الصحيحين ٤: ١١٦ ـ ١١٧، ح ٤٧٣٤، و ١٢٠، ح ٤٧٤٠؛ دلائل النبوّة لأبي نعيم: ٤٢٣ ـ ٤٢٤، ذكر ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله من الغيوب؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٤٣٨ ـ ٤٤١، باب ما روي في إخباره بتأمير عليّ؛ الخصائص الكبرى ٢: ١٩٦، باب إخباره بالخلفاء بعده ثمّ... .

٢. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٧٦٤، ح ١٣٤٥؛ صحيح البخاري ٣: ١٣٢٧، ح ٣٤٢٧؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٠٤، كتاب فضائل الصحابة، ح ٩٧؛ أعلام النبوّة للماوردي: ١٨١؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٣٦٤، باب ما جاء في إخبار بنته بوفاته؛ البداية والنهاية ٦: ٢٢٤، حوادث سنة ١١.

٣. الذُّعاف: السمّ يقتل من ساعته. المعجم الوسيط: ٣١٢، «ذ. ع. ف».

٤. لم نعثر عليه.

٥. راجع: مسند أحمد ٤: ٤٨٢، ح ١٣٥٣٩، و ١٠: ١٨٠، ح ٢٦٥٨٦؛ المعجم الكبير ٣: ١٠٥ ـ ١١٠، ح ٢٨٠٧ ـ ٢٨٠٨، ٢٨١١ ـ ٢٨٢١؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٧١، ح ٤٨٧١؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٤٦٨ ـ ٤٧٢، باب ما روي في إخباره بقتل ابن ابنته ...؛ مسند أبي يعلى ١: ٢٩٨، ح ٣٦٣، و٦: ١٢٩ ـ ١٣٠، ح ٣٤٠٢؛ الخصائص الكبرى ٢: ٢١٢ ـ ٢١٤، باب إخباره صلى الله عليه وآله بقتل الحسين.

٦. الجامع الصحيح ٥: ٤٤٤ ـ ٤٤٥، ح ٣٣٥؛ تفسير الطبري ١٢: ٦٥٣، ح ٣٧٧١؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٥٠٩ ـ ٥١٢، باب ما جاء في رؤياه في ملك بني أُميّة، و٧: ٥٠٩ ـ ٥١٢، باب ما جاء في رؤياه في ملك بني أُميّة؛ تاريخ مدينة دمشق ٥٧: ٣٣٩ ـ ٣٤٢، الرقم ٧٣٢٩؛ البداية والنهاية ٦: ٢٧٢ ـ ٢٧٣، حوادث سنة ١١.

٧. دلائل النبوّة للماوردي: ١٨٣؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٥١٣ ـ ٥١٨، باب ما جاء في الإخبار عن ملك بني العبّاس؛ البداية والنهاية ٦: ٢٧٢ ـ ٢٧٧، حوادث سنة ١١.

٨. مسند أحمد ٢: ٤٦٠، ح ٥٩٩٤؛ صحيح البخاري ١: ٣٥١، ح ٩٩٠؛ الجامع الصحيح ٥: ٧٣٣، ح ٣٩٥٣؛ تاريخ مدينة دمشق ١: ١٣٣ ـ ١٣٤، باب دعاء النبيّ للشام بالبركة و... .

مالا يحصى من إخباره عن الله تعالى بالمغيبات[1]، وقد رأتها الأُمّة بعد ذلك مثل فلق الصبح.

فعِلم الله الأزلي الذي وسع كلّ شيء قبل أن يكون شيء لا يضيق عن تولّد الحسنين من عليّ وفاطمة قبل أن يخلقهما تبارك وتعالى، وليس على الله بعزيز أن يبشّر بهما نبيّه ﷺ، ويفترض مودّتهما على الأُمّة قبل ولادتهما؛ لكرامتها عليه، وقرب منزلتهما منه سبحانه وتعالى، كما بشّر الله آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر النبيّين والمرسلين بمحمّد ـ صلّى الله عليه وآله وعليهم أجمعين ـ وعرّفهم جلالة قدره وعظم شأنه فآمنوا به وبخعوا لفضله.

ونحن مهما شككنا فلا نشكّ في أنّ «العترة» و«الكتاب» ثقلا رسول الله اللذان لا يضلّ مَن تمسّك بهما، وأنّ كلّاً منهما يفرغ عن الآخر؛ لأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض، وقد تواترت الأخبار عنهم في تفسير «القربى» بما ذكرناه.[2]

وناهيك بذلك حجّة على ما قلنا أنّ تفسير «القربى» هنا بعليّ وفاطمة وابنيهما هو الذي ذهبت إليه جماهير أهل السنّة، وقطعت به أكابرهم(١).

---

(١) كما صرّح به غير واحد من الأعلام، كالسيّد الإمام أبي بكر بن شهاب الدين في كتابه رشفة الصادي[3].

---

١. للمزيد راجع البداية والنهاية ٦: ٢٠٢ـ ٢٨٨، حوادث سنة ١١.

٢. للمزيد راجع ص ٣٩ـ ٤٤.

٣. رشفة الصادي: ٥٢. للمزيد راجع أيضاً ص ٣١ـ ٣٣ منها.

وحسبك قول إمام الخلف منهم والسلف محمّد بن إدريس الشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حُبُّكم فَرْضٌ من الله في القرآن أنزَلَهُ[١]
كفاكم من عظيمِ القدرِ أنّكم من لم يُصَلّ عليكم لا صلاةَ لهُ

وقول الشيخ ابن العربي:

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوثُ أجراً على الهدى بتبليغِه إلّا المودّة في القربى

وقال المعاصر النبهاني:

آل طه يا آل خير نبيّ جدّكم خيرةُ وأنتم خِيارُ
أذهب الله عنكم الرجس أهل الـ بيت قدماً فأنتم الأطهارُ
لم يَسَلْ جدّكم على الدين أجراً غير ودٍّ القربى ونِعْم الإجار

وحيث ثبت هذا عن أئمّة السنّة وجماهير الأُمّة، فلا مبالاة إذن بمخالفة من خالف، ولا بمجازفة من جازف، ممّن أشار النبهاني إليهم في كتابه الشرف المؤبّد، حيث ذكر بعضهم في خطبة الكتاب فقال:

ومن هذا القبيل ما وقع في عصرنا في القسطنطنية سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجريّة من قوم جُهّال، غرقوا من أحوال البغضاء لآل محمّد في أوحال، فأخذوا يتأوّلون بجهلهم ما ورد من الآيات والأخبار في فضل أهل بيت النبوّة،

---

(١) البيتان الأوّلان نسبهما إلى الإمام الشافعي ابن حجر في صواعقه، والنبهاني في شرفه[1]، وهما مشهوران عنه منتشران سائران، وقد نسب البيتين الأخيرين إلى ابن العربي صاحب الصواعق وغيره[2].

---

١. الصواعق المحرقة: ١٧٥، الباب ١، الفصل ١؛ الشرف المؤبّد: ٩٩، المقصد ٣.
٢. الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١، الفصل ١. راجع أيضاً: رشفة الصادي: ٩٦؛ ديوان الإمام الشافعي: ١١٧.

ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومنبع الحكمة، ويخرجونها عن ظواهرها بأفهامهم السقيمة، وآرائهم الذميمة، ومع ذلك فقد زعموا أنّهم لأهل البيت من أهل المحبّة والوداد، ولم يعلموا أنّهم هائمون من الخذلان في كلّ وادٍ[١].

إلى آخر ما قال فيهم وفيمن نسجوا على منوالهم ممّن تقدّمهم، فراجع.

وقال في المقصد الثالث من الكتاب المذكور:

فقد رأينا من إذا سمع بذكر مزيّة امتاز بها أهل البيت، أو منقبة أُسندت إليهم ووصفوا بها من الله ورسوله ﷺ، أو السلف الصالح، أو علماء الأُمّة أو أوليائها، يقطّب وجهه، ويتغيّر خلقه، ويودّ بلسان حاله أنّ تلك المزيّة لم تكن لهم، وقد يتكلّف الأقاويل الواهية، والأخبار الموضوعة، والآثار المصنوعة؛ ليطفئ بها نورالله ﴿وَاللهُ متمّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُون﴾[٢].

هذا كلامه بعين لفظه، والحقّ ينطق منصفاً وعنيداً.

نسأل الله الهداية والتوفيق لنا ولجميع المسلمين بمنّه وكرمه إنّه أرحم الراحمين.

الفصل الرابع: في آيات الأبرار

وهي قوله ـ عزّ اسمه ـ في سورة الدهر: ﴿إِنَّ الاَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[٣] إلى آخر السورة.

أجمع أولياء أهل البيت ـ تبعاً لكافّة أئمّتهم عليهم السلام ـ على نزولها في عليّ وفاطمة

---

١. الشرف المؤبّد: ٣.

٢. المصدر: ٨٢ـ٨٣، المقصد ٣، والآية في سورة الصفّ (٦١): ٨.

٣. الإنسان (٧٦): ٥ـ٧.

والحسن والحسين، وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة[١]، وهذا عندهم من الضروريّات التي لا يجهلها منهم أحد.

وقد أخرجه عن ابن عبّاس جماعة من أعلام غيرهم، كالإمام الواحدي في كتابه البسيط[٢]، والإمام أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير[٣]، والإمام أبي المؤيّد موفّق بن أحمد في كتاب الفضائل[٤]، وغير واحد من الحفظة وأهل الضبط[٥].

وإليك ما ذكره الزمخشري في تفسير السورة من الكشّاف[٦] بعين لفظه قال:

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ناس معه، فقالوا: يا أباالحسن لو نذرت على ولديك، فنذر عليّ وفاطمة وفضّة جارية لهما إن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض عليٌّ من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد، مسكينٌ من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلّا الماء، وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف

---

١. راجع: الاختصاص للمفيد: ١٥٠ ـ ١٥١؛ نور الثقلين ٥: ٤٧١ ـ ٤٧٤، ح ٢١ و٢٢؛ غاية المرام ٤: ١٠٠ ـ ١٠٥، الباب ٧٢ من المقصد الثاني، ح ٢ ـ ٤.

٢. هذا الكتاب لم يصل إلينا، ولم نراه مطبوعاً.

٣. الكشف والبيان ١٠: ٩٩ ـ ١٠١، ذيل الآية ٥ من سورة الإنسان (٧٦).

٤. المناقب للخوارزمي: ٢٦٨ ـ ٢٧١، ح ١٥١.

٥. كالواحدي في أسباب النزول: ٣٧٨، والحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٢٩٩ ـ ٣١٠، والفخر الرازي في التفسير الكبير ١٥ (الجزء الثلاثون): ٢٤٤، والسيوطي في الدرّ المنثور ٨: ٣٧١، والآلوسي في روح المعاني ٢٩: ١٥٧، ذيل الآية ٢٣ من سورة الإنسان (٧٦).

٦. الكشّاف ٤: ٦٧٠، ذيل الآية ٢٣ من سورة الإنسان (٧٦). للمزيد راجع أيضاً مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ٣٤١ ـ ٣٤٤.

عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك. فلمّا أصبحوا أخذ عليّ بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلمّا أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال: «ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم!» وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها، فساءه ذلك، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: خذها يا محمّد، هنّأك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة. انتهى. ونحن لا حاجة بنا إلى تضييع الوقت في إخراج أسانيد هذا الحديث، وطرقه إلى ابن عبّاس ومجاهد وأبي صالح وعطاء وغيرهم[١]، ولا إلى ذكر من أخرجه من حفّاظ الحديث وأئمّة التفسير بعد تواتره عن أئمّة الأبرار، وكونه ممّا لاريب فيه، وإنّما نشير إلى بعض ما تضمّنته تلك الآيات البيّنات من أسرار البلاغة ليتنبّه أُولو الألباب ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[٢].

إنّ علماء البيان وسائر أهل اللسان لا يرتابون في أنّ الجمع المحلّى بلام التعريف حقيقة في العموم، وهذا ممّا لايختلف فيه اثنان من أهل العربيّة، وأنت تعلم أنّ لفظ «الأبرار» في الآية جمع «برّ» أو «بارّ» محلّى باللام كماترى، فظهوره في الشمول والاستغراق ممّا لا ريب فيه.

وإنّما أطلق على عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام؛ تبياناً لكونهم أكمل الأبرار، وأذاناً بأنّهم الأخيار، وبرهاناً على أنّهم صفوة الصفوة، وحجّة على أنّهم خيرة الخيرة. فما عسى أن يقول القائلون في عظيم برّهم، أو يصف الواصفون سموّ قدرهم؟ وأيّ مدحة توازن مدحة الفرقان؟ وأيّ ثناء يكايل ثناء الذكر الحكيم؟ وأيّ عبارة فاضلة شريفة مقدّسة تكافئ قول الله تعالى فيهم؟

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، ﴿يَشْرَبُونَ﴾ الشراب الطيّب الطاهر يوم العطش الأكبر، ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ هي الزجاجة إذا كان فيها الشراب، ويسمّى الشراب

---

١. للمزيد راجع شواهد التنزيل ٢: ٣٠٣ ـ ٣١٠، ح ١٠٤٧ ـ ١٠٦١.

٢. الحاقّة (٦٩): ١٢.

نفسه كأساً أيضاً، وقد وصفها بقوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ الذي تمزج به ماء من عين في الجنّة تسمّى ﴿كَافُوراً﴾ لأنّ ماءها في بياض الكافور ورائحته وبرودته، والدليل على أنّ كافوراً اسم عين في الجنّة قوله تعالى: ﴿عَيْناً﴾[1] بالنصب على أنّها عطف بيان أو بدل من «كافوراً»(١) ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾ عليّ وفاطمة والحسنان، وأمثالهم من الكاملين في العبوديّة لله سبحانه ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾[2] إلى آخر ما اشتملت عليه آيات الفرقان من صفاتهم الكاملة.

وإنّما وصل فعل الشراب في الآية الأُولى بـ«من» الابتدائيّة، ووصله في الآية الثانية بـ«باء» الإلصاق؛ لأنّ الكأس مبتدأ شربهم، والعين يمزجون بها شرابهم، فيكون المعنى: يشربون الشراب بماء تلك العين، كما تقول: شربت الماء بالعسل.

وهذه العين ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ أي يجرونها حيث شاؤوا من كلّ مكان أرادوا ﴿تفجيراً﴾ سهلاً يسيراً، لا تلحقهم فيه كافّة، ولا يجدون فيه من مشقّة.

---

(١) وقيل: تمزج لهم بالكافور وتختم بالمسك[3]، وقيل: بل فيها بياض الكافور ورائحته وبرده وكأنّها مزجت به[4]، وعلى هذين القولين تكون «عيناً» منصوبة على الاختصاص، أو على البدل من محلّ «كأس» بتقدير حذف مضاف، ويكون المراد من «الكأس» على هذا نفس الشراب لا الزجاجة، والتقدير حينئذ «إنّ الأبرار يشربون من شراب كان مزاجها كافوراً، شراب عين يشرب بها عباد الله».

---

١. الإنسان (٧٦): ٥.

٢. الفرقان (٢٥): ٦٣ ـ ٦٤.

٣. نسبه الزمخشري إلى قتادة في الكشّاف ٤: ٦٦٨، ذيل الآية ٦ من سورة الإنسان (٧٦).

٤. حكاه الزمخشري في الكشّاف ٤: ٦٦٩، ذيل الآية.

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى السبب في استحقاقهم لهذه الكرامة فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ جواباً لسؤال مضمر، تقديره: ما الذي فعلوه فاستحقّوا به هذا الجزاء؟

وأنت تعلم أن ليس المراد من وصفهم بالوفاء بالنذر إلّا المبالغة في وصفهم بالتوفّر على أداء الواجبات؛ لأنّ من وفى بما أوجبه هو على نفسه كان بما أوجبه الله عليه أوفى، وتلك شهادة لهم من الله تعالى، ومن أصدق من الله قيلاً.

لم يقتصر سبحانه في تزكيتهم بهذه الشهادة على المبالغة في وصفهم بالتوفّر على أداء الواجبات حتّى بالغ في بُعدهم عن المحرّمات والشبهات بما وصفهم فيه من خشية الله والخوف من يوم القيامة، حيث قال ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[1] يريد بذلك أنّ هذا الخوف العظيم يستوجب كونهم نصب أمره ونهيه، وتلك منزلة المعصومين.

ومن تدبّر القرآن الحكيم وغاص على أسراره البالغة، وجد في هذه الآيات البيّنات من عناية الله تعالى في هؤلاء الأبرار أمراً عظيماً، لا يوصف بكيف، ولا يقدّر بكم.

ألا ترى كيف رتّب هذه الشبهات في تزكيتهم، فكانت كلّ شهادة أكبر من سابقتها؛ إذ شهد أوّلاً بأنّهم يوفون بالنذر، ثمّ شهد ثانياً بأنّهم يخافون يوماً كان شرّه مستطيراً، فكانت أعظم من الأُولى؛ لدلالتها بصريح العبارة على رسوخ الإيمان بالله واليوم الآخر.

ثمّ شهد لهم ثالثاً بما هو أعظم من ذلك، فقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[2]. الضمير في «حبّه» للطعام على الأظهر، والمعنى أنّهم يطعمون

---

١. الإنسان (٧٦): ٧.

٢. الإنسان (٧٦): ٨.

الطعام مع حبّه؛ لشدّة جوعهم بسبب صومهم ثلاثة أيّام لا يذوقون في لياليها غير الماء، وهذا على حدّ قوله تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٣].

وإنّما كانت هذه الشهادة أعظم؛ لكشفها عن كمال نفوسهم، وبلوغهم أقصى الغايات في حبّ الخير والإيثار على أنفسهم؛ إشفاقاً على المسكين، ورأفة باليتيم، وعِطْفة على الأسير. وأنت تعلم أنّهم لو لم يؤثروهم لما كان عليهم في ذلك من جناح، لكنّهم مثّلوا الحَنان والمرحمة بأجلى مظاهرهما حين لم يكونوا مكلّفين بذلك ولا مسؤولين عنه، وتلك من أفضل صفات المقرّبين.

بقي أعظم الشهادات وأجلّها، وأقوى الأدلّة على تزكيتهم وأدلّها، ألا وهو الذي أشار إليه سبحانه وتعالى حيث قال بلسان حالهم عن مكنون سرائرهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾بفعلٍ تفعلونه ﴿وَ لَا شُكُوراً﴾ بقولٍ تقولونه: ﴿إِنَّا نَخَافُ(١) مِنْ رَبِّنَا يَوْماً﴾ موصوفاً على سبيل المجاز بكونه ﴿عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ شديد العبوس، تشبيهاً له في شدّته وضرره وتخويفه بالأسد العبوس، أو بالحاكم المتنمّر

(١) فعن مجاهد ـ كما في الكشّاف[٤] وغيره[٥] ـ أنّهم لم يقولوا حين أطعموا الطعام شيئاً، وإنّما علمه الله منهم فأثنى به عليهم، وهذا من عظيم عنايته بهم.

١. البقرة (٢): ١٧٧.

٢. آل عمران (٣): ٩٢.

٣. الحشر (٥٩): ٩.

٤. الكشّاف ٤: ٦٦٨ ـ ٦٦٩، ذيل الآية ٨ من سورة الإنسان (٧٦).

٥. كالطبري في جامع البيان ١٢: ٣٦١، ح ٣٥٧٨٧.

العبوس، ويجوز وصفه بصفة أهله؛ لعبوسهم يومئذٍ من شدّة أهواله، كقولهم: «نهارك صائم».

وأنت إذا تدبّرت بشائره لهم بالأمن من أهوال ذلك اليوم، تعرف مزيد عنايته بهم عليه السلام؛ حيث لم يكتف منها ببشارة واحدة، بل جعل البشائر مترادفة متوالية، وكلّ واحدة منها أعظم من سابقتها.

قال أوّلاً: ﴿فَوَقَٰهُمُ اللهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ﴾ تأميناً لهم من شرّه وضرّه، ثمّ أربى على ذلك فقال: ﴿وَلَقَّٰهُمْ نَضْرَةً﴾ في وجوههم ﴿وَ سُرُوراً﴾ في قلوبهم بدل عبوس أعدائهم وحزنهم، ثمّ ترقّى في البشارة فقال: ﴿وَجَزَٰاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ على الإيثار مع شدّة الجوع؛ ابتغاء لمرضاة الله ﴿جَنَّةً وَحَرِيْراً﴾.

ثمّ لم يكتف في البشارة بالجنّة على سبيل الإجمال حتّى فصل فيها أكثر الأحوال، فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ فهم في منتهى الراحة والرفاهة والغبطة والحبور، مستبشرين فكهين ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً﴾ حرّها يحمى ﴿وَلَا زَمْهَرِيراً﴾ برده يؤذي، فالشمس والزمهرير هنا كناية عن الحرّ والبرد[1].

وقد جمعوا بين البعد عنها ودنوّ الظلام عليهم، كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾[١] بنصب «دانية» عطفاً على محلّ الجملة

(١) وقيل: إنّ «الزمهرير» هنا إنّما هو القمر؛ بقرينة مقابلته الشمس، وأنشدوا ممّا يدلّ على كونه من أسماء القمر:

وليلة ظلامها قد اعتكر		قطعتُها والزمهرير مازَهَر[٢]

وعلى هذا فالمعنى: أنّ الجنّة ضياء لا حاجة فيها إلى الشمس والقمر.

١. الإنسان (٧٦): ١١ ـ ١٤.

٢. حكاه الزمخشري في الكشّاف ٤: ٦٧٠، ذيل الآية ١٣ من سورة الإنسان (٧٦).

التي قبلها[١]؛ لأنها في محلّ النصب على الحاليّة من الممدوحين، والتقدير: متّكئين على الأرائك غير رائين شمساً ولا زمهريراً، ودانية عليهم ظلالها.

ثمّ لم يكتف سبحانه بهذا القدر من بيان كرامتهم حتّى قال: ﴿وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ والمعنى تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم؛ إذ الجملة هنا حاليّة من الضمير في «دانية»[٢].

والمراد من تذليل قطوفها جعلها ذللاً لا تمتنع على قاطفها متى أراد وكيف شاء، ويجوز أن تكون مأخوذة من الذلّ بمعنى الخضوع؛ لسهولة قطفها كيف شاء قطّافها.

---

(١) ويجوز عطفها على ﴿جنّة﴾ فيكون المعنى: وجزاهم جنّة وحريراً وجنّة أُخرى دانية عليهم ظلالها؛ إذ أنّهم وصفوا بالخوف من ربّهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا﴾ [١] وقد وعد الله الخائفين من ربّهم بجنّتين، فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [٢].

ويجوز أن نجعل «متّكئين» و«لا يرون» و«دانية» كلّها صفات الجنّة. وقرئ «ودانيةٌ» بالرفع على أن تكون خبراً مقدّماً، والمبتدأ المؤخّر ظلالها، والجملة في محلّ الحال، والتقدير: لا يرون شمساً ولا زمهريراً والحال أنّ ظلالها دانية عليهم.

(٢) ويجوز عطفها على ﴿دانية﴾، أي ودانية عليهم ظلالها ومذلّلة لهم قطوفها.

وإذا جعلت «متّكئين»، و«لا يرون»، و«دانية» صفات للجنّة. فلتكن هذه الجملة صفة لها أيضاً.

هذا كلّه مع نصب «دانية»، أمّا مع رفعها على الإخبار بها عن «ظلالها» فتكون هي و«ظلالها» جملة ابتدائية، والجملة من «وذلّلت» معطوفة عليها.

---

١. الإنسان (٧٦): ١٠.

٢. الرحمن (٥٥): ٤٦.

ولو اكتفى ـ جلّ وعلا ـ بهذا القدر من بيان فوزهم في دار كرامته لكفاهم شرفاً وفضلاً، لكنّه سبحانه آثر الإطناب فيما تحدّى به من معجزات الكتاب؛ ليمثّل بذلك عنايته التامّة فيهم تمثيلاً، وليفضّلهم على من سواهم تفضيلاً فقال: ﴿وَيُطٰافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوٰابٍ﴾ خلقها الله تعالى بباهر قدرته وإتقان صنعه، فقال: كوني من جنس الفضّة في صفاء القوارير وشفيفها، ولذا ﴿كٰانَتْ قَوٰارِيرا[(١)] قَوارِيراً مِنْ فِضَّةٍ﴾ فتبارك الله أحسن الخالقين، كيف جمع فيها بين صفتي المعدنين المتباينين.

ثمّ لم يكتف سبحانه ببيان جنس تلك القوارير، وباهر وصفها حتّى وصفها أيضاً بقوله: ﴿قَدَّرُوهٰا﴾ في أنفسهم ﴿تَقْدِيراً﴾ خاصّاً على كيفيّات مخصوصة تشتهيها نفوسهم وتلذّ بها أعينهم، فجاءت كما قدّروا على حسب ما يتمنّون.

ثمّ شرح ـ تبارك وتعالى ـ ما يقع استعماله منهم في تلك الأكواب فقال: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهٰا كَأْساً﴾ أي خمرة موصوفة بقوله: ﴿كٰانَ مِزٰاجُهٰا﴾[١] الذي تمزج به ماء من عين في الجنّة تسمّى ﴿زَنْجَبِيلاً﴾.

ويدلّك على أنّ «زنجبيلاً» اسمٌ لعينٍ في الجنّة، قوله تعالى: ﴿عَيْناً فِيهٰا﴾ بالنصب، على أنّها عطف بيان، أو بدل من «زنجبيلاً».

ويجوز نصبها على الاختصاص، أو على كونها بدلاً من «كأساً» بتقدير حذف مضاف، ويكون المعنى: ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً، كأس عين ﴿تُسَمّٰى سَلْسَبِيلاً﴾ لكونها في منتهى السلاسة، يقال: شراب سلسل وسلسال إذا كان سلساً سائغاً سهل الانحدار، ويقال: سلسبيل إذا كان في غاية السلاسة.

---

(١) الألف هنا للإطلاق، وهي فاصلة بين قوارير الأُولى والثانية، وهما لا ينصرفان؛ لكونهما في صيغة منتهى الجموع.

---

١. الإنسان (٧٦): ١٤ ـ ١٧.

لم يكتف ـ عزّ وجلّ ـ بقوله: «و يطاف عليهم» حتّى ذكر الطائفين عليهم، القائمين بخدمتهم بأحسن الذكر وأجمله، ووصفهم بألطف الوصف وأفضله، فقال: ﴿وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لجمال منظرهم، وكمال هيئتهم، وصفاء ألوانهم، وبهاء أشكالهم، وما يروق العالمين من حسنهم ولطفهم وانبثاثهم في أنديتهم ﴿لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾ وقيل: شبّهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه؛ لحسنه وكثرة مائه.

لم يكتف ـ جلّ وعلا ـ بهذه التفاصيل كلّها حتّى أفاد سبحانه أنّ الإجمال فيما أعدّه الله لهم ممّا لابدّ منه ولا مندوحة عنه؛ لامتناع تفصيله بسبب قصور العبائر، وعجز أفهام الناس وقصر إدراكهم، ولذا قال ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ فلم يجعل مفعولاً لـ«رأيت» لا ظاهراً ولا مقدّراً؛ لتكون الرؤية عامّة لجميع ما ثمّة، والمعنى أنّك إذا أوقعت رؤيتك هناك على أيّ شيء من الأشياء تجدك قد ﴿رَأَيْتَ نَعِيماً﴾ عظيماً تضيق عنه الأوهام ﴿وَمُلْكاً كَبِيراً﴾[1] تنقطع دونه الأمانيّ، ولا يمكن وصفه إلّا بهذا المقدار.

وهذه الآية أبلغ في كرامتهم من كلّ ما تقدّم، وقد تدبّرها من تدبّرها فعلم أنّ فيها من فضلهم ما لا يحيط به إلّا الله تعالى، ومع ذلك لم ينته ذكره سبحانه لهم ووعده إيّاهم بما هم أهله، بل قال: ﴿عالِيَهُمْ(١) ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾

---

(١) بنصب عاليهم، لكونه حالاً من ضمير «عليهم» في قوله: ﴿وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ﴾. وقد يقال: إنّها حال من «ولدان». وقرئ «عاليهم» بالسكون على أنّه مبتدأ، وخبره: ﴿ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾.

---

١. الإنسان (٧٦): ١٨ ـ ٢٠.

فهم مزدانون بحليّ الكرامة، رافلون في حلل دار المقامة.

﴿وَ﴾ قد ﴿سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ جلّ وعلا هذا الساقي، وتبارك ما أعظم عنايته فيهم، وأجلّ اهتمامه ببيان كرامتهم، إذ نسب الساقي على سبيل المجاز إلى جلالته تعالى. فما يقول الواصف بعدها وإن أطنب؟ وما عسى أن يصف القائل فيهم وإن أسهب؟ وما ظنّك بمن يسقيهم ربّهم بكأسه الأوفى ﴿شَرَاباً طَهُوراً﴾ يرشّح بعد ذلك من أبدانهم عرقاً أطيب من ريح المسك؟

لا كخمر الدنيا رجساً نجساً خبيثاً منتناً، سالباً للعقل، متلفاً للجسم، مسقطاً للمروءة، معصوراً بالأيدي الوضرة، مدوساً بالأرجل القذرة، موضوعاً في دنان قد لا تسلم من الجراثيم السامّة، وأباريق قد لا يعنى بتنظيفها، مدارة بكؤوس تداولتها الأيدي الأثيمة، وولغت فيها الأفواه البخرة.

وأنت ـ هداك الله ـ إذا أمعنت النظر فيما ألقاه ـ عزّ وجلّ ـ إليهم في ختام البشائر العظيمة والمواهب الجسيمة، تتمثّل لك عناية الله بهم قالباً حسّيّاً، وترى كرامتهم عليه وسموّ منزلتهم لديه شخصاً مرئيّاً، وذلك أنّه ختم كلامه في شؤونهم بقوله مخاطباً لهم: ﴿إِنَّ هٰذَا﴾ الإكرام العظيم الذي فصّلناه في محكم الذكر تفصيلاً، وفضّلناكم على العالمين تفضيلاً ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ على أعمالكم المقدّسة التي استوجبت هذا الإكرام الجسيم، لم تنالوه بشفاعة أو بمجرّد فضل، وإنّما أخذتموه بالاستحقاق والعدل ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ﴾ مع ذلك كلّه ﴿مَشْكُوراً﴾[1]. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

بقيت نكتة شريفة، وحكمة من حكم الفرقان منيفة، حاصلها: أنّ هذه السورة

---

١. الإنسان (٧٦): ٢٢.

المباركة كما بشّرت هؤلاء الأبرار[١] فقد أنذرت أعداءهم الظالمين الكفّار بما أعدّ الله لهم من السلاسل والأغلال، والعذاب الأليم وسعير النار. فأمعن النظر إليها تجد التصريح بذلك في كلّ من طرفيها، كما لا يخفى على الخوّاضين لعباب الذكر الحكيم، الغوّاصين على كلّ سرّ من أسراره عظيم، المتدبّرين لمواقع كلمه، والمستقصين في البحث والتنقيب عن حكمه، الذين إذا قرأوا القرآن أو استمعوا له أصغوا إليه بمجامع قلوبهم، وخشعت لهيبته جميع جوارحهم، فبخعوا لمعانيه ومراميه، وخضعوا لأوامره ونواهيه، جعلنا الله في جملة مَن منَّ عليهم بذلك، إنّه أرحم الراحمين.

---

(١) يجب أن يعلم أنّ آيات الثناء والبشائر في سورة الدهر كلّها لعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وآيات الوعيد والذمّ والتهديد فيها لأعدائهم؛ بقرينة أنّ السبب في نزول تلك السورة بتمامها إنّما هم عليهم السلام، لكنّ الألفاظ في كلّ من المقامين عامّة شاملة لكلّ من اتّصف بتلك الأوصاف.

وعلى هذا فالبشائر والمدائح في تلك السورة تتناول عليّاً وفاطمة والحسن والحسين أوّلاً وبالذات، ثمّ تتناول من اتّصف بصفاتهم ثانياً وبواسطة دخولهم في تلك العمومات.

وكذلك القول في آيات الذمّ والوعيد، فإنّها تتناول أوّلاً وبالذات أعداء أُولئك الأبرار الذين كانوا سبباً في نزول السورة بأجمعها، ثمّ تتناول غيرهم؛ لدخوله في العموم، حيث إنّ المورد لا يخصّص الوارد. فاحفظ هذا فإنّه ينفعك في كثير من الآيات إن شاءالله تعالى.

المطلب الثاني

في دلالة السنّة المقدّسة

وفيها من الأحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ما تضيق عنه هذه الرسالة، ولا تحتمله هذه العجالة، وإنّما نذكر منها اثني عشر حديثاً؛ تبرّكاً بهذا العدد الميمون:

١ ـ قول رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنّة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران».

أخرجه جماعة من المحدّثين كثيرون، كالإمام أحمد من حديث رواه عن ابن عبّاس في صفحة ٢٩٣ من الجزء الأوّل من مسنده[١]، وأبي داود ـ كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب[٢] ـ وقاسم بن محمّد ـ كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب[٣] ـ وجماعة من حملة الآثار وحفظة الأخبار[٤] لا يسع المقام استيفاءهم.

١. مسند أحمد ١: ٦٢٧ ـ ٦٢٨، ح ٢٦٦٨، ٢٩٠٣، ٢٩٦٠.

٢. الاستيعاب ٤: ١٨٢١، الرقم ٣٣١١.

٣. المصدر: ١٨٩٥، الرقم ٤٠٥٧.

٤. كالطبراني في المعجم الكبير ١١: ٢٦٦، ح ١١٩٢٨، وابن حبّان في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٧٣، ح ٦٩٧١، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٨٥، ح ٤٩٠٤، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٣٥٧، ح ١٥٢٦٨.

٢ـ قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد».

أخرجه أبوداود ـ كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب[1] ـ بالإسناد إلى أنس. ورواه عبد الوارث بن سفيان ـ كما في ترجمتي الزهراء وخديجة من الاستيعاب[2] ـ بالإسناد إلى أبي هريرة.

ونقله غير واحد من ثقات المحدّثين بطرقهم إلى أنس وأبي هريرة[3].

٣ ـ قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية امرأة فرعون».

أخرجه الترمذي[4] ـ كما في الأربعين للنبهاني (١) ـ عن أنس. ورواه عنه أيضاً السرّاج، كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب[5]. وأخرجه أبوداود، كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب[6]. ونقله الشعبي ـ كما في ترجمة الزهراء من الإصابة[7] ـ

(١) راجع صفحة ٢٢٠ من كتاب الأربعين أربعين من أحاديث سيّد المرسلين[8].

١. الاستيعاب ٤: ١٨٢٢، الرقم ٣٣١١.

٢. المصدر: ١٨٢١، الرقم ٤٠٥٧ و٣٣١١.

٣. كابن حبّان في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٥٢، ح ٦٩١٢، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٤٣، ح ٤٧٩٩، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٣٣١، الباب ٥٦، ح ٩٦٧.

٤. الجامع الصحيح ٥: ٧٠٣، ح ٣٨٧٨.

٥. الاستيعاب ٤: ١٨٩٦، الرقم ٤٠٥٧.

٦. المصدر: ١٨٢٢، الرقم ٣٣١١.

٧. الإصابة ٨: ٢٦٤، الرقم ١١٥٧٨.

٨. مجموع الأربعين أربعين: ٢٢٠. للمزيد راجع أيضاً: المصنّف لعبدالرزّاق ١١: ٤٣٠، ح ٢٠٩١٩؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٧٥٨، ح ١٣٣٢، و ٧٦٠، ح ١٣٣٨؛ المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٢، ح ١٠٠٣؛ و٢٣: ٧، ح ٣؛ مسند أبي يعلى ٥: ٣٨٠، ح ٣٠٣٩؛ كنز العمّال ١٢: ١٤٣، ح ٣٤٤٠٣.

عن جابر. ولا يسعنا استقصاء من أخرج هذا الحديث بطرقهم المختلفة إلى أنس وجابر.

وأنت تعلم أنّ هذه الأحاديث الثلاثة ونحوها نصوص جليّة في تفضيل الأربع على سائر نساء البريّة، ولا تعرّض فيها لبيان الأفضل من تلك الأربع، لكن صحاحنا المتواترة عن أئمّة العترة الطاهرة نصوص في تفضيل الزهراء صريحة لا تقبل التأويل[١]، كما يشهد به كلّ من أنعم الله عليه بالاستسلام لحكمها. وحسبك في تفضيل الزهراء أنّها بضعة من سيّد الأنبياء[٢]، ولا نعدل به ولا ببضعته أحداً من العالمين.

وقد وافقنا في تفضيلها جمهور من المسلمين، وصرّح به كثير من المحقّقين، نقل ذلك عنهم غير واحد من العلماء الباحثين المتتبّعين، كالمعاصر النبهاني، حيث قال في أحوال الزهراء من كتابه الشرف المؤبّد[٣] ما هذا لفظه:

وصرّح بأفضليّتها على سائر النساء ـ حتّى على السيّدة مريم ـ كثير من العلماء المحقّقين، منهم التقيّ السبكي، والجلال السيوطي، والبدر الزركشي، والتقيّ المقريزي.

ـ قال: ـ وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك: الذي نختاره وندين به أنّ فاطمة بنت محمّد أفضل.

ـ قال: ـ وسئل عن مثل ذلك ابن أبي داود فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فاطمة بضعة منّي، ولا أعدل ببضعة رسول الله أحداً. ونقل المناوي هذا عن جمع من الخلف والسلف، فراجع.

٤ ـ ما استخرجه أبو داود ـ كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب[٤] ـ بسنده إلى ابن عبّاس قال: قال رسول الله: «سيّدة نساء أهل الجنّة بعد مريم بنت عمران

---

١. للمزيد راجع: الأمالي للطوسي: ٨٤ ـ ٨٥، المجلس ٣، ح ٣٦؛ بحار الأنوار ٤٣: ٣٦، تاريخ سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، الباب ٣، ح ٣٩.

٢. كما في الجامع الصحيح ٥: ٦٩٨ ـ ٦٩٩، ح ٣٨٦٩.

٣. الشرف المؤبّد: ١٢٦، الخاتمة.

٤. الاستيعاب ٤: ١٨٢٣، الرقم ٣٣١١.

فاطمة بنت محمّد، وخديجة، وآسية». انتهى.

وهذا كالأحاديث السابقة في الدلالة على تفضيل الأربع على من سواهنّ من نساء العالمين، إلّا أنّه ربما يستشعر منه تفضيل العذراء على الزهراء، لكنّ الأدلّة الأُخر ـ التي هي أكثر عدداً، وأصحّ سنداً، وأصرح دلالةً من هذا الحديث ونحوه ـ توجب الإعراض عمّا يستشعر منه، على أنّه لا يروى من طريق أصحابنا، كما لا يخفى.

٥ ـ ماأخرجه البخاري(١)، ومسلم(٢)، والترمذي[1] في صحاحهم، وصاحب الجمع بين الصحيحين[2]، وصاحب الجمع بين الصحاح الستّة، والإمام أحمد من حديث الزهراء من مسنده(٣)، وابن عبد البرّ في ترجمتها من استيعابه[3]، ومحمّد بن سعد في ترجمتها من الجزء الثامن من طبقاته[4]، وفي باب «ما قاله النبيّ في مرضه» من المجلّد الثاني من الطبقات[5] أيضاً.

---

(١) راجع آخر صفحة ٦٤ من الجزء الرابع من صحيحه المطبوع بالمطبعة المليحيّة سنة ١٣٣٢[6].

(٢) راجع باب فضائل فاطمة من الجزء الثاني من صحيحه، تجد طرقه في هذا الحديث إلى عائشة متعدّدة[7].

(٣) راجع صفحة ٣٨٢ من الجزء السادس من المسند[8].

---

١. الجامع الصحيح ٥: ٧٠٠، ح ٣٨٧٢.

٢. الجمع بين الصحيحين للإشبيلي ٣: ٥٨٧، ح ٤٣٢٥.

٣. الاستيعاب ٤: ١٨٩٤، الرقم ٤٠٥٧.

٤. الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

٥. المصدر ٨: ٢٦ ـ ٢٧.

٦. صحيح البخاري ٥: ٢٣١٧، ح ٥٩٢٨، رواه أيضاً في ٣: ١٣٢٧، ح ٣٤٢٦.

٧. صحيح مسلم ٤: ١٩٠٤، كتاب فضائل الصحابة، ح ٩٧ ـ ٩٩.

٨. مسند أحمد ١٠: ١٥٧ ـ ١٥٨، ح ٢٦٤٧٥.

واللفظ الذي تسمعه للبخاري ـ آخر ورقة من كتاب الاستئذان من الجزء الرابع من صحيحه[١] ـ قال: حدّثنا موسى عن أبي عوانة، عن فراس، عن عامر، عن مسروق، حدّثتني عائشة أُمّ المؤمنين قالت: إنّا كنّا أزواج النبيّ عنده جميعاً لم تغادر منّا واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي لا والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله ﷺ، فلمّا رآها رحّب وقال: «مرحباً بابنتي» ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ سارّها فبكت بكاء شديداً، فلمّا رأى حزنها سارّها الثانية إذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصّك رسول الله بالسرّ من بيننا ثمّ أنت تبكين؟ فلمّا قام رسول الله سألتها عمّ سارّك؟ قالت: «ما كنت لأُفشي على رسول الله سرّه» فلمّا توفّي قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحقّ لمّا أخبرتني، قالت: «أمّا الآن فنعم» فأخبرتني قالت: «أمّا حين سارّني في الأمر الأوّل فإنّه أخبرني جبرائيل كان يعارضه كلّ سنة مرّة، وأنّه قد عارضني به العام مرّتين، ولا أرى الأجل إلّا قد اقترب، فاتّقي الله واصبري فإنّي نعم السلف أنا لك ـ قالت: ـ فبكيت بكائي الذي رأيت، فلمّا رأى جزعي سارّني الثانية، قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين، أو سيّدة نساء هذه الأُمّة؟». انتهى.

ولفظه فيما ذكره ابن حجر في ترجمتها من الإصابة[٢]، وغير واحد من المحدّثين[٣]: «ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين؟»، وكيف كان فالحديث صحيح والنصّ في تفضيلها صريح.

وأخرج ابن سعد في باب «ما قاله النبيّ لها في مرضه» من المجلّد الثاني من

---

١. صحيح البخاري ٥: ٢٣١٧، ح ٥٩٢٨. رواه أيضاً في ٣: ١٣٢٦، ح ٣٤٢٧.

٢. الإصابة ٨: ٢٦٦، الرقم ١١٥٨٧.

٣. كابن ماجة في سننه ١: ٥١٨، ح ١٦٢١. والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٤١، ح ٤٧٩٤؛ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ١٣٤، الرقم ٤٩٣٣.

طبقاته[١] بالإسناد إلى أُمّ سلمة قالت: لمّا حُضِر رسول الله صلى الله عليه وآله دعا فاطمة، فناجاها فبكت، ثمّ ناجاها فضحكت، فلم أسألها حتّى توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله فسألتها عن بكائها وضحكها؟ فقالت: «أخبرني أنّه يموت، ثمّ أخبرني أنّي سيّدة نساء أهل الجنّة». الحديث.

وأخرجه أيضاً أبو يَعْلى ـ كما في ترجمة الزهراء من الإصابة[٢] ـ بالإسناد إلى أُمّ سلمة. ورواه عنها غير واحد من أهل الحديث[٣].

٦ـ ما أخرجه جماعة من الحفظة وأهل الضبط ممّن حملوا العلم بأسانيده وطرقه، كابن عبد البرّ في ترجمتها عليها السلام من الاستيعاب[٤]: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عادها وهي مريضة، فقال: «كيف تجدينك يا بنيّة؟» قالت: «إنّي لوجعة وإنّه ليزيدني أنّي ما لي طعام آكله» قال: «يا بنيّة أما ترضين أنّك سيّدة نساء العالمين؟» قالت: «يا أبة فأين مريم بنت عمران؟» قال: «تلك سيّدة نساء عالمها وأنت سيّدة نساء عالمك، وما والله لقد زوّجتُك سيّداً في الدنيا والآخرة». انتهى.

٧ـ ما أخرجه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن حبّان[٥] ـ كما في الفصل الثالث من الباب ١١ من الصواعق المحرقة[٦] لابن حجر ـ عن حذيفة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال له: «أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك؟ هو مَلَك لم يهبط إلى الأرض قطّ قبل هذه الليلة، استأذن ربّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يسلّم عليّ ويبشّرني أنّ الحسن

---

١. الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٨.

٢. الإصابة ٨: ٢٦٦، الرقم ١١٥٨٧. ولم نجده في مسند أبي يعلى.

٣. كالترمذي في الجامع الصحيح ٥: ٧٠٠، ح ٣٨٧٣، وابن حبّان في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٥٢، ح ٦٩١٣.

٤. الاستيعاب ٤: ١٨٩٤، الرقم ٤٠٥٧. رواه أيضاً ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ١٣٤، الرقم ٤٩٣٣.

٥. مسند أحمد ٩: ٩١، ح ٢٣٣٨٩؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٦٠ ـ ٦٦١، ح ٣٧٨١؛ خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: ١٧٧، ح ١٣٠؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٥٥، ح ٦٩٢١، لم يذكر فيه كلامه صلى الله عليه وآله: «وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة».

٦. الصواعق المحرقة: ١٩١، الباب ١١، الفصل ٣.

والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة». انتهى.

وأخرج ابن حبّان وغيره ـ كما في أحوال الزهراء من الشرف المؤبّد وغيره[١] ـ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ مَلَكاً من السماء لم يكن زارني فاستأذن ربّي في زيارتي فبشّرني أنّ فاطمة سيّدة نساء أُمّتي». انتهى.

٨ـ ما أخرجه حفظة الأخبار وحملة الآثار، كعبد الرحمن بن أبي نُعَيْم ـ كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب والإصابة وغيرهما[٢] ـ عن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة». الحديث.

٩ـ ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[٣] ـ كما في ترجمة الزهراء من الإصابة وغيرها[٤] ـ عن المِسْوَر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «فاطمة بضعةٌ منّي، يؤذيني ما آذاها، ويَرِيبُني ما رَابَها».

ونقل النبهاني ـ في أحوال الزهراء من الشرف المؤبّد[٥] ـ عن البخاري بسنده إلى رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة منّي، يغضبني ما يغضبها». قال: وفي رواية: «فمن أغضبها أغضبني».

قال: وفي الجامع الصغير: «فاطمة بضعة منّي يقبضُني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها».

---

١. الشرف المؤبّد: ٥٩، المقصد ٢. راجع أيضاً: المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٣، ح ١٠٠٦؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٩٢ـ ٢٩٣، ح ١٥٠٨٥؛ كنز العمّال ١٢: ١١٧، ح ٣٤٢٧٤. رواه الحاكم عن حذيفة في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٣، ح ٤٧٧٥.

٢. الاستيعاب ٤: ١٨٩٥، الرقم ٤٠٥٧؛ الإصابة ٨: ٢٦٥، الرقم ١١٥٨٧. رواه الحاكم أيضاً في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٨، ح ٤٧٨٦.

٣. صحيح البخاري ٣: ١٣٦١، ح ٣٥١٠؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٠٢، كتاب فضائل الصحابة، ح ٩٣ و٩٤.

٤. الإصابة ٨: ٢٦٥، الرقم ١١٥٨٧.

٥. الشرف المؤبّد: ٥٩، المقصد ٢. راجع أيضاً: صحيح البخاري ٥: ٢٠٠٤، ح ٤٥٣٢ بتفاوت في بعض الألفاظ؛ الجامع الصغير: ٣٦٠، ح ٥٨٣٤.

وقالت ـ بأبي هي وأُمّي ـ لأبي بكر وعمر ـ كما صرّح به الإمام ابن قتيبة في أوائل كتاب الإمامة والسياسة[١] ـ: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رضى فاطمة من رضاي، وسخطُ فاطمة من سخطي، فمن أحبّ ابنتي فاطمة فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟» قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا من الأحاديث المتواترة عن أئمّة العترة الطاهرة[٢]، وكفى به حجّة لتفضيلها على من سواها من نساء العالمين. وهل يعدل مسلم ببضعة النبيّ صلى الله عليه وآله وبقيّته في أُمّته أحداً من الناس؟

وقد تدبّر هذا الحديث من تدبّره من أُولي الألباب، فرآه يرمي إلى عصمتها؛ لدلالته على امتناع وقوع كلّ من أذيّتها وريبتها وغضبها وسخطها ورضاها وانقباضها وانبساطها في غير محلّه، كما هو الشأن في أذيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وريبته ورضاه وسخطه وانقباضه وانبساطه. وهذا كنه العصمة وحقيقتها، كما لا يخفى.

١٠ ـ ما أخرجه ابن أبي عاصم ـ كما في ترجمتها من الإصابة[٣] ـ بسنده إلى عليّ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: إنّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك».

وأخرجه الطبراني وغيره[٤] بإسناد حسن ـ كما في أحوالها من الشرف المؤبّد وغيره[٥] ـ وهو في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كالحديث السابق.

١١ ـ ما أخرجه جماعة من أثبات المحدّثين وأعلامهم، كالإمام أحمد بن حنبل

---

١. الإمامة والسياسة: ١٤.

٢. للمزيد راجع: الدرّ النظيم: ٤٥٨، ٤٦٢ و٤٨٤؛ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ٢: ٩٢ ـ ٩٣؛ بحار الأنوار ٤٣: ٣٩، و٥٣ ـ ٥٤، تاريخ سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، الباب ٣، ح ٤١ و٤٨.

٣. الإصابة ٨: ٢٦٦، الرقم ١١٥٨٧.

٤. المعجم الكبير ١: ١٠٨، ح ١٨٢. راجع أيضاً المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٧، الرقم ٤٧٨٣.

٥. الشرف المؤبّد: ٥٩، المقصد ٢. راجع أيضاً بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٣٢٨، ح ١٥٢٠٤.

ـ من حديث أبي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده[١] ـ قال: نظر النبيّ ﷺ إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم».

وأخرج الترمذي[٢] من حديث زيد بن أرقم ـ كما في ترجمة الزهراء من الإصابة[٣] ـ أنّ رسول الله قال: «عليّ وفاطمة والحسن والحسين، أنا حربٌ لمن حاربهم، وسلمٌ لمن سالمهم». انتهى.

وهذا الحديث في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كسابقه، وفيه دلالة على كفر محاربيهم، كما ترى.

١٢ ـ ما أخرجه المحدّثون[٤] بالإسناد إلى عليّ ـ واللفظ لأحمد في صفحة ١٠١ من الجزء الأوّل من مسنده[٥] عن عبد الرحمن الأزرق عن عليّ ـ قال: «دخل عليَّ رسول الله وأنا نائم على المنامة، فاستسقى الحسن أو الحسين ـ قال: ـ فقام النبيّ ﷺ إلى شاة لنا بَكيءٍ(١) فحلبها فدَرَّت، فجاءَه الحسنُ فنحّاه النبيّ ﷺ،

---

(١) أي قلّ لبنها، وقيل انقطع. وهذا الحديث أشار إليه صاحب لسان العرب في مادّة «بكأ»[٦].

---

١. مسند أحمد ٣: ٤٤٦، ح ٩٧٠٤. راجع أيضاً: المعجم الكبير ٣: ٤٠، ح ٢٦٢١؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٠، ح ٤٧٦٧؛ الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٦١، ح ٦٩٣٩.

٢. الجامع الصحيح ٥: ٦٩٩، ح ٣٨٧٠، بتفاوت يسير في بعض الألفاظ. رواه الطبراني أيضاً في المعجم الكبير ٣: ٤٠، ح ٢٦١٩ ـ ٢٦٢١.

٣. الإصابة ٨: ٢٦٦، الرقم ١١٥٨٧.

٤. راجع: المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٥ ـ ٤٠٦، ح ١٠١٦؛ تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٦٣، الرقم ١٥٦٦؛ تهذيب الكمال ٦: ٤٠٣ ـ ٤٠٤، الرقم ١٣٢٣؛ سير أعلام النبلاء ٣: ٢٥٨، الرقم ٤٧؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٧١، ح ١٥٠٠٤.

٥. مسند أحمد ١: ٢١٧، ح ٧٩٢. رواه أيضاً ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٦٣، الرقم ١٥٦٦.

٦. لسان العرب ١: ٣٤، «ب. ك. أ».

فقالت فاطمة: يا رسول الله كأنّ أخاه أحبّهما إليك؟ قال: لا، ولكنّه استسقى قبله، ثمّ قال: إنّي وإيّاك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة». انتهى.

بخّ بخّ هذا هو الفضل الذي بخع له الأوّلون والآخرون، فلا يلحقهم بعده لاحق، ولا يطمع في إدراكهم طامع، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

هذا آخر ما وسعته العجالة واحتملته هذه الرسالة، وقد استقصينا في سبيل المؤمنين[1] كلّ ما يدلّ على تفضيلهم عليهم السلام.

---

(١) نُكِبنا في سبيل المؤمنين سنة ١٩٢٠ غربيّة، وهي سنة ١٣٣٨ هجريّة، يوم رُزِئنا بجلّ ما ألّفنا قبل تلك النازلة التي عمّت أبناء عاملة واختصّت بهذا الضعيف، حيث أوغل الغاشمون في طغيانهم، ولجّوا في عدوانهم، ومضوا في التنكيل والتقتيل والتشريد على غلوائهم، وأطلقوا في البنادق والمشانق والنهب والضرب والتحريق والتمزيق أعنّة أهوائهم، ركبوا في ذلك رؤوسهم متهافتين في أعمالهم لا يلوون على أحد، وكنت في طليعة من تبدّد وتشرّد. وليتهم كفّوا عن تلك الكتب القيّمة واكتفوا بما سواها.

عند الله أحتسب تلك المؤلّفات التي أفنيت فيها عمري، ورهقني بفقدها ما نقض مرّة صبري، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

أنشد الله امرأً وقع في يده شيء منها إلّا أثلج به كبدي الحرّى، فإنّ لكلّ كبد حرّى أجراً.

وإليك ضالّتي المنشودة ونفائسي المفقودة:

١ ـ شرح التبصرة على سبيل الاستدلال، خرج منه كتاب الطهارة، وكتاب القضاء والشهادات، وكتاب المواريث في ثلاثة مجلّدات.

٢ ـ تعليقة على استصحاب رسائل الشيخ، في مجلّد واحد.

٣ ـ رسالة في منجّزات المريض، استدلاليّة.

٤ ـ سبيل المؤمنين، ثلاثة مجلّدات في إمامة أئمّتنا الاثني عشر وأحوالهم ومناقبهم وهديهم عليهم السلام، لا نظير له في موضوعه. ←

وحسبك في تفضيلها بالخصوص ما أخرجه الطبراني في ترجمة إبراهيم بن هاشم من معجمه الأوسط عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً قطّ أفضل من فاطمة غير أبيها[١].

← ٥ ـ النصوص الجليّة في إمامة العترة الزكيّة، يشتمل على ثمانين نصّاً: أربعين ممّا أجمع على صحّته المسلمون، وأربعين ممّا انفردت به الإماميّة، وفيه وفي سبيل المؤمنين ما شئت من أدلّة عقليّة وحكمة فلسفيّة.

٦ ـ تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة، مجلّد واحد يشتمل على مائة آية نزلت فيهم بحكم الصحاح المجمع على تصحيحها، وقد تكلّمنا فيه وفي سبيل المؤمنين بما يوجبه التحقيق في العلوم، مجانبين فيها الإطناب المملّ والإيجاز المخلّ.

٧ ـ تحفة المحدّثين فيمن أخرج عنه الستّة من المضعّفين، وهذا هو المعجم الأوّل الذي لم يكتب قبله في هذا الموضوع.

٨ ـ تحفة الأصحاب في حكم أهل الكتاب.

٩ ـ الذريعة في نقض البديعة، أعني بديعة النبهاني.

١٠ ـ المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، أربعة مجلّدات، المجلّد الأوّل: في السيرة النبويّة، الدالّة بمجرّدها على نبوّته ﷺ. الثاني: في سيرة أمير المؤمنين والزهراء والحسن المجتبى، ذكرنا منها ما يدلّ بحكم الفلسفة العقليّة على عصمتهم. الثالث: خاصّ بسيّدالشهداء على وتيرة الأوّل والثاني. الرابع: في سيرة التسعة اقتصرنا منها على ما يدلّ بمجرّده على إمامتهم وعصمتهم، وفي هذه المجالس من الفلسفة ما يحكم العقل والنقل بصحّته. وقد طبعت مقدّمتها فكانت رسالة لها السبق في موضوعها.

١١ ـ المناظرات الأزهريّة والمباحثات المصريّة، كتاب يشتمل على مهمّات المسائل الخلافيّة متكفّلاً بإثبات الحقّ من طريق مخالفيه.

١٢ ـ مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام، خرج منه مجلّد واحد، نشر عنه العرفان في مجلّداته الأوّل والثاني والثالث، تراجم كثير من الأعاظم. ←

---

١. المعجم الأوسط ٣: ٣٤٩، ح ٢٧٤٢.

وسند هذا القول إلى عائشة صحيح على شرط البخاري ومسلم، صرّح بذلك ابن حجر في ترجمة الزهراء من إصابته[١]، والنبهاني في آخر صفحة ٥٨ من الشرف المؤبّد[٢].

وأخرج ابن عبد البرّ في ترجمة الزهراء من استيعابه بالإسناد إلى ابن عمير قال: دخلت على عائشة فسألتها: أيّ الناس كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: فاطمة. قلت: فمِن الرجال؟ قالت: زوجها[٣].

وأخرج في ترجمتها من الاستيعاب أيضاً عن بريدة قال: كان أحبّ الناس إلى رسول الله من النساء فاطمة، ومن الرجال عليّ[٤].

← ١٣ ـ بغية الفائز في نقل الجنائز، نشرت العرفان جلّها.

١٤ ـ بغية السائل عن لثم الأيدي والأنامل، رسالة فيها أربعون حديثاً من طريقنا وأربعون من طريق غيرنا أدلّة على الموضوع، وتكلّمنا فيها بهذه المناسبة في مطلق التقبيل، فكانت رسالة علميّة أدبيّة فكاهيّة.

١٥ ـ زكاة الأخلاق، رسالة شريفة نشرت مجلّة العرفان الغرّاء لُمَعاً منها.

١٦ ـ الفوائد والفرائد، يعرف موضوعها من اسمها.

١٧ ـ تعليقة على صحيح البخاري.

١٨ ـ تعليقة على صحيح مسلم.

١٩ ـ الأساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة، كتاب لم يسبق له ـ في أدلّته العقليّة والنقليّة ـ نظير، ودع عنك نهباً صيح في حجراته.

---

١. الإصابة ٨: ٢٦٤، الرقم ١١٥٨٧.

٢. الشرف المؤبّد: ٥٨ ـ ٥٩، المقصد ٢.

٣. الاستيعاب ٤: ١٨٩٧، الرقم ٤٠٥٧.

٤. المصدر: ١٨٩٧، الرقم ٤٠٥٧، فيه: «عن بريدة، عن أبيه».

وقالت عائشة: ما رأيت أحداً أصدق لهجةً من فاطمة إلّا أن يكون الذي وَلَدَها. أخرجه ابن عبد البرّ في ترجمة الزهراء من استيعابه[١].

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

وكان الفراغ من تأليفها في مدينة صور، مستهلّ رجب سنة ألف وثلاثمائة وستّ وأربعين هجريّة، بقلم مؤلّفها الأقلّ عبد الحسين بن الشريف يوسف بن الجواد بن إسماعيل بن محمّد بن محمّد[(١)] بن إبراهيم، ويلقّب شرف الدين بن زين العابدين بن عليّ نور الدين بن نور الدين عليّ بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسين بن محمّد بن عبدالله بن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن محمّد بن محمّد بن عبدالله بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن محمّد بن طاهر بن الحسين بن موسى بن إبراهيم المرتضى ابن الإمام أبي الحسن موسى[(٢)] الكاظم ابن الإمام أبي عبدالله الصادق ابن الإمام أبي جعفر الباقر ابن الإمام زين العابدين عليّ ابن الإمام أبي عبدالله الحسين سيّد الشهداء، وسبط سيّد الأنبياء، وخاتم المرسلين صلّى الله عليه وآله وعليهم أجمعين.

---

(١) إلى محمّد هذا ينتهي نسب والدة المؤلّف أيضاً، فإنّها كريمة الهادي بن محمّد عليّ بن صالح بن محمّد المذكور.

(٢) يقال للمؤلّف: «موسوي» نسبة إلى هذا الإمام، كما يقال ذلك لكلّ حسيني تفرّع عن شجرة موسى الكاظم عليه السلام.

تمّت التعليقة بقلم مؤلّفها الأقلّ عبد الحسين شرف الدين الموسوي سنة ١٣٤٦، والحمد لله.

---

١. الاستيعاب ٤: ١٨٩٦ ـ ١٨٩٧، الرقم ٤٠٥٧.

(١١)

المجالس الفاخرة

في مآتم العترة الطاهرة

تحقيق

غلامرضا النقي

منصور الإبراهيمي

المقدّمة الزاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جميل بلائه، وجليل عزائه، والصلاة والسلام على أُسوة أنبيائه، وعلى الأئمّة المظلومين من أوصيائه ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد، فهذا كتاب المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة وضعته تقرّباً إليهم في الدنيا، وتوسّلاً بهم في الآخرة، سائلاً من الله سبحانه أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، إنّه [هو] الرؤوف الرحيم.

مقدّمة

الأصل العملي يقتضي إباحة البكاء على مطلق الموتى ورثائهم بالقريض، وتلاوة مناقبهم و مصائبهم، والجلوس حزناً عليهم، والإنفاق عنهم في وجوه البرّ.

ولا دليل على خلاف هذا الأصل؛ بل السيرة القطعيّة و الأدلّة اللفظيّة حاكمتان بمقتضاه، بل يستفاد من بعضها استحباب هذه الأُمور إذا كان الميّت من أهل المزايا الفاضلة والآثار النافعة، وفقاً لقواعد المدنيّة، وعملاً بأُصول العمران؛ لأنّ تمييز المصلحين يكون سبباً في تنشيط أمثالهم، وأداء حقوقهم يكون داعياً إلى كثرة الناسجين على منوالهم، و تلاوة أخبارهم ترشد العاملين إلى اقتفاء آثارهم.

وهنا مطالب:

المطلب الأوّل: في البكاء

ولنا على ما اخترناه فيه ـ مضافاً إلى السيرة القطعيّة ـ فعل النبيّ ﷺ وقوله وتقريره.

أمّا الأوّل: فإنّه متواتر عنه في موارد عديدة:

منها: يوم أُحد؛ إذ علم الناس كافّةً بكاءه يومئذٍ على عمّه أسدالله وأسد رسوله، حتّى قال ابن عبدالبرّ في ترجمة حمزة من استيعابه: لمّا رأى النبيّ ﷺ حمزة قتيلاً بكى، فلمّا رأى ما مثّل به شهق[1].

وذكر الواقدي ـ كما في أوائل الجزء الخامس عشر من [شرح] نهج البلاغة(١) للعلّامة المعتزلي ـ: أنّ النبيّ ﷺ كان يومئذٍ إذا بكت صفيّة يبكي، وإذا نشجت ينشج(٢). قال: وجعلت فاطمة تبكي، فلمّا بكت بكى رسول الله ﷺ[2].

ومنها: يوم نعى زيداً وذا الجناحين وابن رواحة، فيما أخرجه البخاري في الصفحة الثالثة من أبواب الجنائز من صحيحه[3].

---

(١) في أواخر صفحة ٣٨٧ من المجلّد الثالث طبع مصر.

(٢) قد اشتمل هذا الحديث على فعل النبيّ ﷺ وتقريره، فهو حجّة من جهتين، على أنّ بكاء سيّدة النساء عليها السلام كافٍ، كما لا يخفى.

---

١. الاستيعاب ١: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، الرقم ٥٤١. حكاه الحاكم أيضاً في المستدرك على الصحيحين ٤: ٢٠٢، ح ٤٩٤٥.

٢. المغازي للواقدي ١: ٢٩١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ١٧.

٣. صحيح البخاري ١: ٤٣٧، ح ١٢٣٧. حكاه أيضاً النسائي في السنن الكبرى ١: ٦١٥، ح ٢٠٠٥، والطبراني في المعجم الكبير ١٩: ١٦٨، ح ٣٧٨.

وذكر ابن عبد البرّ في ترجمة زيد من استيعابه: أنّ النبيّ ﷺ بكى على جعفر وزيد، وقال: «أخواي ومؤنساي ومحدّثاي»[١].

ومنها: يوم مات ولده إبراهيم، إذ بكى عليه، فقال له عبد الرحمن بن عوف ـ كما في صفحة ١٤٨ من الجزء الأوّل من صحيح البخاري[٢] ـ: وأنت يا رسول الله ؟! قال: «يابن عوف إنّها رحمة»[(١)] ثمّ أتبَعها ـ يعني عبرته ـ بأُخرى، فقال: «إنّ العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول[(٢)] إلّا ما يُرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون». انتهى.

ومنها: يوم ماتت إحدى بناته ﷺ[٣]، إذ جلس على قبرها ـ كما في صفحة ١٤٦ من الجزء الأوّل من صحيح البخاري[٤] ـ وعيناه تدمعان.

ومنها: يوم مات صبيّ لإحدى بناته، إذ فاضت عيناه يومئذٍ ـ كما في الصحيحين[(٣)]

(١) لا يخفى ما في تسميتها «رحمة» من الدلالة على حسن البكاء في مثل [هذا] المقام.

(٢) أراد بهذا أنّ الملامة والإثم في المقام إنّما يكونان بالقول الذي يسخط الربّ ـ عزّ وعلا ـ كالاعتراض عليه والسخط لقضائه، لا بمجرّد دمع العين وحزن القلب.

(٣) راجع صفحة ١٤٦ من الجزء الأوّل من صحيح البخاري، وباب البكاء على الميّت من صحيح مسلم[٥].

١. الاستيعاب ١: ٢٤٣، الرقم ٣٧٧؛ ٢: ٥٤٦، الرقم ٨٤٣. راجع أيضاً: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٧٣؛ الجامع لأحكام القرآن ١٤: ١١٩، ذيل الآية ٥ من سورة الأحزاب (٣٣).

٢. صحيح البخاري ١: ٤٣٨ ـ ٤٣٩، ح ١٢٤١. رواه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان ٧: ٢٤١، ح ١٠١٦٢.

٣. قيل: إنّها أُمّ كلثوم، وقيل: إنّها رقيّة. للمزيد راجع: الاستيعاب ٤: ١٨٤١ ـ ١٨٤٢، الرقم ٣٣٣٤؛ الإصابة ٨: ٤٦٠، الرقم ١٢٢٢٦.

٤. صحيح البخاري ١: ٤٣٢، ح ١٢٢٥. رواه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ٤: ٢٥٤، ح ١٢٢٧٧، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٥: ٦٢، ح ٦٩٣٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٤: ٨٨، ح ٧٠٤٦ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٥. صحيح البخاري ١: ٤٣١ ـ ٤٣٢، ح ١٢٢٤؛ ٥: ٢١٤١، ح ٥٣٣١؛ ٦: ٢٤٥. ح ٦٢٧٩، ٢٦٨٦ ـ ٢٦٨٧، و ٢٧١١، ح ٧٠١٠؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٥ ـ ٦٣٦، كتاب الجنائز، ح ١١.

وغيرهما[١] ـ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء»[(١)].

ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابن عمر، قال: اشتكى سعد بن عبادة، فعاده رسول الله ﷺ مع جماعة من أصحابه، فوجده في غشية، فبكى ـ قال: ـ فلمّا رأى القوم بكاءه بكوا[(٢)]. الحديث.

والأخبار في ذلك لا تحصى ولا تستقصى.

وأمّا قوله و تقريره، فمستفيضان و مواردهما كثيرة.

فمنها: ما ذكره ابن عبدالبرّ في ترجمة جعفر من استيعابه[٢]، قال: لمّا جاء النبيَّ ﷺ نعيُ جعفر[(٣)]، أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزّاها. ـ قال: ـ ودخلت فاطمة وهي

---

(١) دلالة قوله: «وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء» على استحباب البكاء في غاية الوضوح، كما لا يخفى.

(٢) فراجعه في باب البكاء عند المريض من صحيح البخاري، وفي باب البكاء على الميّت من صحيح مسلم[٣]، ولا يخفى اشتماله على كلٍّ من فعل النبيّ ﷺ وتقريره، فهو حجّة من جهتين.

(٣) هذا الحديث مشتمل على تقريره ﷺ على البكاء، وأمره به، على أنّ مجرّد صدوره من سيّدة النساء ﷺ حجّة، كما لا يخفى.

---

١. كما في المصنّف لعبدالرزّاق ٣: ٥٥٢، ح ٦٦٧٠ بتفاوت في بعض الألفاظ، وسنن أبي داود ٣: ١٩٣، ح ٣١٢٥، والإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٦٣، ح٣١٤٨.

٢. الاستيعاب ١: ٢٤٣، الرقم ٣٢٧. للمزيد راجع أيضاً: المصنّف لعبدالرزّاق ٣: ٥٥٢، ح ٦٦٧٠ بتفاوت في بعض الألفاظ؛ الطبقات الكبرى ٨: ٢٨٢؛ أُسد الغابة ١: ٤٢٣، الرقم ٧٥٩.

٣. صحيح البخاري ١: ٤٣٩، ح ١٢٤٢؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٢، كتاب الجنائز، ح ١٢. راجع أيضاً: السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١١٥، ح ٧١٥٢؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٦٣ ـ ٦٤، ح ٣١٤٩.

تبكي و تقول: و اعمّاه، فقال رسول الله ﷺ: «على مثل جعفر فلتبك البواكي»(١). انتهى.

ومنها: ما ذكر ابن جرير، وابن الأثير وصاحب العقد الفريد، وجميع أهل السير[١]، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث ابن عمر في صفحة ٤٠ من الجزء الثاني من مسنده، قال: رجع رسول الله ﷺ من أُحد فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهنّ، فقال رسول الله ﷺ: «ولكن حمزة لا بواكي له». قال: ثمّ نام فانتبه وهنّ يبكين. قال: فهنّ اليوم إذا بكين يندبن بحمزة[٢].

وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب[٣] ـ نقلاً عن الواقدي ـ قال: لم تبك امرأة من الأنصار على ميّت بعد قول رسول الله ﷺ: «لكن حمزة لا بواكي له» إلى اليوم إلّا بدأت بالبكاء على حمزة. انتهى.

وحسبك تلك السيرة في رجحان البكاء على من هو كحمزة وإن بَعُد العهد بموته.

ولا تنس ما في قوله ﷺ: «لكن حمزة لا بواكي له» من البعث على البكاء والملامة لهنّ على تركه، وحسبك به وبقوله: «على مثل جعفر فلتبك البواكي» دليلاً على الاستحباب[٤].

---

(١) هذا أمر منه ﷺ بالبكاء ندباً على أمثال جعفر من رجال الأُمّة، وحسبك به حجّة على الاستحباب.

---

١. تاريخ الطبري ٢: ٥٣٢، حوادث سنة ٣؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٦٣، حوادث سنة ٣؛ العقد الفريد ٣: ١٩١. راجع أيضاً: المغازي للواقدي ١: ٣١٥؛ مسند أبي يعلى ٦: ٢٧١ ـ ٢٧٢، ح ٣٥٧٦؛ السيرة النبويّة لابن كثير ٣: ٩٥؛ السيرة الحلبيّة ٢: ٥٤٦.

٢. مسند أحمد ٢: ٢٨٧، ح ٤٩٨٤.

٣. الاستيعاب ١: ٣٧٤، الرقم ٥٤١؛ المغازي للواقدي ١: ٣١٥. رواه أيضاً ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ١١ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٤. للمزيد راجع معاني الآثار ٤: ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عبّاس في صفحة ٣٣٥ من الجزء الأوّل من مسنده[1] من جملة حديث ذكر فيه موت رقيّة بنت رسول الله ﷺ، وبكاء النساء عليها، قال: فجعل عمر يضربهنّ بسوطه، فقال النبيّ ﷺ: «دعهنّ يبكين»، ثمّ قال: «مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة» وقعد على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي ـ قال: ـ فجعل النبيّ ﷺ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها. انتهى.

وأخرج أحمد أيضاً من حديث أبي هريرة(١) حديثاً جاء فيه: أنّه مرّ على رسول الله ﷺ جنازة معها بَواكٍ، فنهرهنّ عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «دعهنّ فإنّ النفس مصابة والعين دامعة».

إلى غير ذلك ممّا لا يسعنا استيفاؤه.

وقد بكى يعقوب إذ غيّب الله ولده ﴿وقالَ يا أسَفا عَلَى يُوسُفَ وَابيَضَّتْ عَيناهُ مِنَ الحزُنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[2] حتّى قيل ـ كما في تفسير هذه الآية من الكشّاف[3] ـ:

ما جفّت عيناه من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله منه.

وعن رسول الله ﷺ ـ كما في تفسير هذه الآية من الكشّاف[4] أيضاً ـ أنّه سأل

(١) ص ٣٣٣، ج ٢ من مسنده[5].

١. مسند أحمد ١: ٧١٧، ح ٣١٠٣.

٢. يوسف (١٢): ٨٤.

٣. الكشّاف ٢: ٤٩٧، ذيل الآية.

٤. الكشّاف ٢: ٤٩٧، ذيل الآية. رواه أيضاً الطبري في تفسيره ٧: ٢٨١، والثعالبي في جواهر الحسان ٢: ٢٣١، والسيوطي في الدرّ المنثور ٤: ٥٧٠، ذيل الآية.

٥. مسند أحمد ٣: ٢٣٠، ح ٨٤٠٩. رواه أيضاً ابن أبي شيبة في مصنّفه ٣: ٦٨، ح ١٢١٣٥، وأبي يعلى في مسنده ١١: ٢٩٠، ح ٦٤٠٥.

جبرائيل عليه السلام: ما بلغ وجدُ يعقوب على يوسف؟ قال: وجد سبعين ثكلى، قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد، وما ساء ظنّه بالله قطّ(١). انتهى.

قلت: أيّ عاقل يرغب عن مذهبنا في البكاء بعد ثبوته عن الأنبياء ﴿وَمَنْ يَرغَبُ عَنْ مِلَّة إبْراهِيم إلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَه﴾[1].

وأمّا ما جاء في الصحيحين من: «أنّ الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه»[2]. وفي رواية: «ببعض بكاء أهله عليه»[3]. وفي رواية: «ببكاء الحيّ»[4]. وفي رواية: «يعذّب في قبره بما نِيح عليه»[5]. وفي رواية: «من يبك عليه يعذّب»[6] فإنّه خطأ من الراوي بحكم العقل والنقل.

---

(١) هذا كالصريح في استحباب البكاء؛ إذ ليس المستحبّ إلّا ما يترتّب الثواب على فعله كما هو واضح.

---

١. البقرة (٢): ١٣٠.

٢. صحيح البخاري ١: ٤٣٣، ح ١٢٢٦؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٨ ـ ٦٤١، كتاب الجنائز، ح ١٦، ٢٢، ٢٣. راجع أيضاً: الجامع الصحيح ٣: ٣٢٦، ح ١٠٠٢؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٥٤، ح ٣١٢٥ـ٣١٢٦.

٣. صحيح البخاري ١: ٤٣٣، ح١٢٢٦؛ صحيح مسلم ٢: ٦٤١ ـ ٦٤٢، كتاب الجنائز، ح ٢٣. راجع أيضاً: مسند أحمد ١: ٩٥ ـ ٩٦، ح ٢٨٨؛ السنن الكبرى للنسائي ١: ٦١٠، ح ١٩٨٥؛ السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١٢٢، ح٧١٧٦.

٤. صحيح البخاري ١: ٤٣٣ ـ ٤٣٤، ح ١٢٢٨؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٩، كتاب الجنائز، ح ١٨ و١٩. راجع أيضاً: الجامع الصحيح ٣: ٣٢٨ ـ ٣٢٩، ح ١٠٠٦؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٦٥، ح ١٢١١٣، ١٢١١٥ـ ١٢١١٦؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٥٤، ح ٣١٢٤، و٥٠، ح٣١١٣.

٥. صحيح البخاري ١: ٤٣٤، ح ١٢٣٠؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٩، كتاب الجنائز، ح ١٧. راجع أيضاً: مسند أحمد ١: ١١٢ و١١٥، ح ٣٥٤ و٣٥٦؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٦٣، ح ١٢٠٩٧؛ الترغيب والترهيب ٤: ٣٤٨، الترهيب من النياحة على الميّت، ح ١.

٦. صحيح مسلم ٢: ٦٤٠، كتاب الجنائز، ح ٢٠.

قال الفاضل النووي[١]:

هذه الروايات كلّها من رواية عمر بن الخطّاب وابنه عبدالله ـ قال: ـ وأنكرت عائشة عليهما ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه، واحتجّت بقوله تعالى: ﴿وَلاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى﴾ إلى آخره....

قلت: وأنكر هذه الروايات أيضاً عبدالله بن عبّاس، واحتجّ على خطأ راويها، والتفصيل في الصحيحين وشروحهما[١].

وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض حتّى أخرج الطبري[٢] في حوادث سنة ١٣ من تاريخه بالإسناد إلى سعيد بن المسيّب قال: لَمّا توفّي أبوبكر، أقامت عليه عائشة النوح، فأقبل عمر بن الخطّاب حتّى قام ببابها، فنهاهنّ عن البكاء على أبي بكر، فأبين أن ينتهين، فقال عمر لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إليّ ابنة أبي قحافة، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إنّي أُحرج عليك بيتي، فقال عمر لهشام: ادخل فقد أذنت لك، فدخل هشام وأخرج أُمّ فروة أُخت أبي بكر إلى عمر، فعلاها بالدرّة فضربها ضربات، فتفرّق النوح حين سمعوا ذلك. انتهى.

(١) عند ذكر هذه الروايات في باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه من شرح صحيح مسلم[٢].

(٢) عند ذكر وفاة أبي بكر في الجزء الرابع من تأريخه[٣].

١. راجع: صحيح البخاري ١: ٤٣٢ ـ ٤٣٤، ح ١٢٢٦ ـ ١٢٢٨ و ١٢٣٠؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٥ ـ ٦٤٤، كتاب الجنائز، ح ١٠ ـ ٢٨.

٢. شرح صحيح مسلم للنووي ٦: ٤٨٢، والآية في الأنعام (٦): ١٦٤، والإسراء (١٧): ١٥، والزمر (٣٩): ٧.

٣. تاريخ الطبري ٣: ٤٢٣، حوادث سنة ١٣.

قلت: كأنّه لم يعلم تقرير النبيّ نساء الأنصار على البكاء على موتاهنّ، ولم يبلغه قوله ﷺ: «لكن حمزة لا بواكي له»[1] وقوله: «على مثل جعفر فلتبك البواكي»[2]. وقوله: «وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء»[3].

ولعلّه نسي نهي النبيّ ﷺ إيّاه عن ضرب البواكي يوم ماتت رقيّة بنت رسول الله ﷺ، ونسي نهيه إيّاه عن انتهارهنّ في مقام آخر مرّ عليك آنفاً[4].

ثمّ إذا كان البكاء على الميّت حراماً، فلماذا أباح لنساء بني مخزوم أن يبكين على خالد بن الوليد(١) حتّى ذكر محمّد بن سلام ـ كما في ترجمة خالد من الاستيعاب[5]:

أنّه لم تبق امرأة من بني المغيرة إلّا وضعت لِمَّتها ـ أي حلقت رأسها ـ على قبر خالد. وهذا حرام بلا ارتياب، والله أعلم.

---

(١) وبكى هو على النعمان بن مقرن واضعاً يده على رأسه، كما نصّ عليه ابن عبدالبرّ في ترجمة النعمان من استيعابه[6].

وفي أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد[7] قال:

ولمّا نعي النعمان بن مقرن إلى عمر بن الخطّاب وضع يده على رأسه وصاح: يا أسفا على النعمان. وبكاؤه على أخيه زيد معلوم بالتواتر.

---

١ ـ ٣. راجع ص ٨ ـ ٩.

٤. راجع ص ١٠.

٥. الاستيعاب ٢: ٤٣١، الرقم ٦٠٣. للمزيد راجع: أُسد الغابة ٢: ١٣٨، الرقم ١٢١٩.

٦. الاستيعاب ٤: ١٥٠٦، الرقم ٢٦٢٦.

٧. العقد الفريد ٣: ٢٣٥.

المطلب الثاني: في رثاء الميّت بالقريض

ويظهر من القسطلاني في شرح البخاري(١) أنّ جماعة يفصّلون القول فيه، فيحرّمون ما اشتمل منه على مدح الميّت و ذكر محاسنه الباعث على تحريك الحزن وتهييج اللوعة، ويبيحون ما عدا ذلك.

والحقّ إباحته مطلقاً؛ إذ لا دليل هنا يعدل بنا عن مقتضى الأصل؛ والنواهي التي يزعمونها إنّما يستفاد منها الكراهة في موارد مخصوصة، على أنّها غير صحيحة بلا ارتياب.

وقد رثى آدمعليه السلام ولده هابيل(٢)، واستمرّت على ذلك ذرّيّته إلى يومنا هذا بلا نكير.

وأقرّ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه عليه مع إكثارهم من تهييج الحزن به، وتفنّنهم بمدائح الموتى فيه، وتلك مراثيهم منتشرة في كتب الأخبار، فراجع من الاستيعاب ـ إن أردت بعضها ـ: أحوال سيّد الشهداء حمزة[1]، وعثمان بن مظعون[2]،

(١) راجع باب رثى النبيّ صلى الله عليه وآله سعد بن خولي، ص ٢٩٨ ج ٣ من إرشاد الساري للقسطلاني[3].
(٢) فيما روي، وقد ضعّف[4].

١. الاستيعاب ١: ٣٧٤، الرقم ٥٤١.
٢. المصدر ٣: ١٠٥٥، الرقم ١٧٧٩.
٣. إرشاد الساري ٢: ٤٠٦.
٤. راجع: تاريخ الطبري ١: ١٤٥، حوادث قبل الهجرة؛ التبيان في تفسير القرآن ٣: ٤٩٥؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢: ٤٨، ذيل الآية ٣١ من سورة المائدة (٥).

وسعد بن معاذ[١]، وشمّاس بن عثمان بن الشريد[٢]، والوليد بن الوليد بن المغيرة[٣]، وأبي خراش الهذلي[٤]، وأياس بن البكير الليثي[٥]، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل[٦]، وغيرهم.

ولاحظ من الإصابة: أحوال ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب[٧]، وأبي زيد الطائي[٨]، وأبي سنان بن حريث المخزومي[٩]، والأشهب بن رميلة الدارمي[١٠]، وزينب بنت العوّام[١١]، وعبدالله بن عبدالمدان الحارثي[١٢]، وجماعة آخرين لا تحضرني أسماؤهم.

ودونك كتاب الدرّة في التعازي والمراثي ـ وهو في أوّل الجزء الثاني ـ من العقد الفريد[١٣]، تجد فيه من مراثي الصحابة ومن بعدهم شيئاً كثيراً، وليس شيء ممّا أشرنا إليه إلّا وقد اشتمل على ما يهيّج الحزن ويجدّد اللوعة بمدح الميّت وذكر محاسنه.

ولمّا توفّي رسول الله ﷺ تنافست فضلاء الصحابة في رثائه، فرثته سيّدة نساء

---

١. الاستيعاب ٢: ٦٠٢، الرقم ٩٥٨.

٢. المصدر: ٧١٠، الرقم ١٢٠٣.

٣. المصدر ٤: ١٥٥٨، الرقم ٢٧٢٤.

٤. المصدر: ١٦٣٦، الرقم ٢٩٢٨.

٥. المصدر ١: ١٢٤، الرقم ١١٢٢.

٦. المصدر ٤: ١٨٧٦، الرقم ٤٠٢٤.

٧. الإصابة ١: ٥٩٢، الرقم ١١٦٩.

٨. المصدر ٧: ١٣٦، الرقم ٩٩٧١.

٩. المصدر: ١٦٤، الرقم ١٠٠٦٧.

١٠. المصدر ١: ٣٤٤، الرقم ٤٦٧.

١١. الإصابة ٨: ١٦١، الرقم ١١٢٤٩.

١٢. المصدر ٤: ١٣٧، الرقم ٤٨١٨.

١٣. العقد الفريد ٣: ٢٣٧ ـ ٣١١.

العالمين عليها السلام بأبيات تهيج الأحزان، ذكر القسطلاني (١) في إرشاد الساري بيتين منها، وهما قولها عليها السلام:

«ماذا على من شمّ تربةَ أحمد أن لا يشمَّ مدى الزمانِ غواليا
صُبّت عليَّ مصائبُ لو أنّها صُبَّت على الأيّامِ صِرْنَ لياليا»

ورثته أيضاً بأبيات تثير لواعج الأشجان، ذكر ابن عبدربّه المالكي بيتين منها في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد[١]، وهما:

«إنّا فقدناك فقدَ الأرضِ وابلَها وغاب مُذغِبت عنّا الوحيُ والكتبُ
فليت قبلَك كان الموتُ صادَفَنا لَمّا نُعِيتَ و حالَتْ دونَك الكُثُبُ»

ورثته عمّته صفيّة بقصيدة يائيّة، ذكر ابن عبدالبرّ في أحوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من استيعابه[٢] جملة منها.

ورثاه أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطّلب بقصيدة لاميّة ذكر بعضها صاحبا الاستيعاب والإصابة في ترجمة أبي سفيان المذكور[٣].

ورثاه أبوذؤيب الهذلي ـ كما يعلم من ترجمته في الاستيعاب، والإصابة[٤] ـ بقصيدة حائيّة.

---

(١) ص ٣١٨ ج ٣ في باب رثى النبيّ سعد بن خولي[٥].

---

١. المصدر ٣: ٢٣٨.

٢. الاستيعاب ١: ٤٩، المقدّمة. للمزيد راجع أيضاً: الطبقات الكبرى ٢: ٣٢٧ ـ ٣٣٠؛ الإصابة ٨: ٢١٥، الرقم ١١٤١١.

٣. المصدر ٤: ١٦٧٣، الرقم ٣٠٠٢؛ الإصابة ٧: ١٥١، الرقم ١٠٠٢٨. راجع أيضاً: الروض الأنف ٤: ٢٧٥؛ البداية والنهاية ٥: ٣٠٣، حوادث سنة ١١.

٤. الاستيعاب ٤: ١٦٤٨، الرقم ٢٩٤٢؛ الإصابة ٧: ١١٠، الرقم ٩٨٨١. راجع أيضاً الروض الأنف ٤: ٢٧٥.

٥. إرشاد الساري ٢: ٤٠٧. حكاه الذهبي أيضاً في سير أعلام النبلاء ٢: ١٣٤، الرقم ١٨.

ورثاه أبوالهيثم بن التيهان بقصيدة داليّة، أشار إليها ابن حجر في ترجمة أبي الهيثم من إصابته[1].

ورثته أُمّ رعلة القشيريّة بقصيدة رائيّة، أشار إليها العسقلاني في ترجمة أُمّ رعلة من إصابته[2].

ورثاه عامر بن الطفيل بن الحارث الأزدي بقصيدة جيميّة، أشار إليها ابن حجر في ترجمة عامر من الإصابة[3].

ومن استوعب الاستيعاب، وتصفّح [طبقات ابن سعد] والإصابة وأُسد الغابة، ومارس كتب الأخبار يجد من مراثيهم المشتملة على تهييج الحزن بذكر محاسن الموتى شيئاً يتجاوز حدّ الإحصاء.

وقد أكثرت الخَنْساء ـ وهي صحابيّة ـ من رثاء أخويها: صخر ومعاوية[4] ـ وهما كافران ـ وأبدعت في مدائح صخر وأهاجت عليه لواعج الحزن، فما أنكر عليها منكر.

وأكثر أيضاً متمّم بن نويرة من تهييج الحزن على أخيه مالك في مراثيه السائرة حتّى وقف مرّة في المسجد وهو غاصّ بالصحابة أمام أبي بكر بعد صلاة الصبح واتّكأ على سِيَةِ قوسه فأنشد:

نعم القتيلُ إذا الرياحُ تناوَحَتْ ... خلفَ البيوتِ قتلتَ يا ابنَ الأزورِ

ثمّ أومأ إلى أبي بكر ـ كما في ترجمة وثيمة بن موسى بن الفرات

---

١. الإصابة ٧: ٣٦٥، الرقم ١٠٦٨٩.

٢. المصدر ٨: ٣٩٠، الرقم ١٢٠٢٥.

٣. المصدر ٣: ٤٧٣، الرقم ٤٤١٤.

٤. راجع: الأغاني ١٥: ٧٧ ـ ٩٢، نسب الخنساء وخبرها و...؛ الاستيعاب ٤: ١٨٢٧ ـ ١٨٢٩، الرقم ٣٣١٧؛ الإصابة ٨: ١١٠ ـ ١١٢، الرقم ١١١١٢.

من وفيات ابن خلّكان[١] ـ فقال مخاطباً له:

أدعوتَه بـالله ثـمّ غـدرتَه   لو هو دعاك بذمّةٍ لم يغدرِ

فقال أبوبكر: والله ما دعوتُه، ولا غدرته.

ثمّ قال [متمّم]:

ولنعم حشـوُ الدرعِ كـان وحـاسراً   ولنـعم مأوى الطـارقِ المـتنوّرِ

لا يـمسِكُ الفـحشاءَ تـحت ثـيابِه   حـلوٌ شـمائِلُه عـفيفُ المـئزرِ

وبكى حتّى انحطّ عن سية قوسه.

قالوا: فما زال يبكي حتّى دمعت عينه العوراء، فما أنكر عليه في بكائه ولا في رثائه منكر، بل قال له عمر ـ كما في ترجمة وثيمة من الوفيات[٢] ـ: لوددت أنّك رثيت زيداً أخي بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك، فرثى متمّم بعدها زيد بن الخطّاب فما أجاد، فقال له عمر: لِمَ لم ترث [أخي] زيداً كما رثيت مالكاً؟ فقال: إنّه والله ليحرّكني لمالك مالا يحرّكني لزيد.

واستحسن الصحابة ومن تأخّر عنهم مراثيه في مالك، وكانوا يتمثّلون بها، كما اتّفق ذلك من عائشة إذ وقفت على قبر أخيها عبدالرحمن ـ كما في ترجمته من الاستيعاب[٣] ـ فبكت عليه و تمثّلت:

وكُـنّا كـندماني جَـذيمةَ حـقبةً   من الدهرِ حتّى قيل لن يتصدّعا

فـلمّا تـفرّقنا كأنّـي ومـالكاً   لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليـلةً مـعا

وما زال الرثاء فاشياً بين المسلمين وغيرهم في كلّ عصر ومصر لا يتناكرونه مطلقاً.

---

١ و٢. وفيات الأعيان ٦: ١٥ ـ ١٦، الرقم ٧٦٩. راجع أيضاً العقد الفريد ٣: ٢٦٢.

٣. الاستيعاب ٢: ٨٢٦، الرقم ١٣٩٤. راجع أيضاً: الجامع الصحيح ٣: ٣٧١، ح ١٠٥٥؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٦٠٠، ح ٦٠٦٧؛ البيان والتبيين ٢: ٣٠٢؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٣: ١٨٩، ح ٤٣١٤.

المطلب الثالث
في تلاوة الأحاديث المشتملة على مناقب الميّت ومصائبه

كما كانت عليه سيرة السلف، وفعلته عائشة إذ وقفت على قبر أبيها باكية، فقالت: كنت للدنيا مذلاًّ بإدبارك عنها، وكنت للآخرة معزّاً بإقبالك عليها، وكان أجلّ الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزؤك، وأعظم المصائب بعده فقدك[١].

وفعله محمّد بن الحنفيّة إذ وقف على قبر أخيه المجتبى عليه السلام فخنقته العبرة ـ كما في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد[٢] ـ ثمّ نطق فقال:

يرحمك الله أبا محمّد، فلئن عزّت حياتك فقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمّه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمّه كفنك، وكيف لا تكون كذلك وأنت بقيّة ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غذّتك أكفّ الحقّ، وربّيت في حجر الإسلام، فطبت حيّاً وطبت ميّتاً، وإن كانت أنفسنا غَير طيّبة بفراقك، ولا شاكّة في الخيار لك. انتهى.

ثمّ بكى بكاءً شديداً وبكى الحاضرون حتّى علا نشيجهم.

ووقف أمير المؤمنين عليه السلام على قبر خبّاب بن الأرتّ[٣] في ظهر الكوفة ـ وهو أوّل من دفن هناك، كما نصّ عليه ابن الأثير في آخر تتمّة صفّين[٤] ـ فقال: «رحم الله

---

١. راجع نفس المصادر المذكورة بعيد هذا.

٢. العقد الفريد: ٢٣٩ ـ ٢٤٠. للمزيد راجع أيضاً: مروج الذهب ٣: ٦ ـ ٧؛ تهذيب الكمال ٦: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، الرقم ١٢٤٨.

٣. هو ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب... كان من السابقين الأوّلين. راجع الإصابة ٢: ٢٢١، الرقم ٢٢١٥.

٤. الكامل في التاريخ ٣: ٣٢٤، حوادث سنة ٤٠. راجع أيضاً: المعجم الكبير ٤: ٥٦، الرقم ٣٦١٨؛ حلية الأولياء ١: ١٤٧، الرقم ٢٣؛ المستطرف (الجزء الثاني): ٥١٥.

خبّاباً، لقد أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه أحـوالاً، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً». انتهى.

ولمّا توفّي أمير المؤمنين عليه السلام، قام الخلف من بعده أبومحمّد الحسن الزكيّ عليه السلام خطيباً، فقال ـ كما في حوادث سنة ٤٠ من تاريخ ابن جرير، وابن الأثير، وغيرهما[1] ـ: «لقد قتلتم الليلة رجلاً والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده، إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليبعثه في السريّة، وجبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ما ترك صفراء ولا بيضاء». إلى آخره.

ووقف الإمام زين العابدين على قبر جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «أشهد أنّك جاهدت في الله حقّ جهاده، و عملت بكتابه، واتّبعت سنن نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى دعاك الله إلى جواره، فقبضك إليه باختياره لك كريم ثوابه، وألزم أعداءك الحجّة مع مالك من الحجج البالغة على جميع خلقه»[2].

وعن أنس بن مالك ـ كما في العقد الفريد وغيره[3] ـ قال: لمّا فـرغنا مـن دفـن رسول الله صلى الله عليه وآله بكت فاطمة ونادت: «يا أبتاه، أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه، مِن ربّه ما أدناه، [يا أبتاه، مَن ربّه نـاداه،] يـا أبـتاه، إلى جـبرائـيل نـنعاه، يـا أبـتاه، جـنّة الفردوس مأواه».

ولو أردنا أن نستوفي ما كان من هذا القبيل، لخرجنا عن الغرض المقصود.

وحاصله: أنّ تأبين[4] الموتى من أهل الآثار النافعة بنشر مناقبهم وذكر مصائبهم

---

١. تاريخ الطبري ٥: ١٥٧، حوادث سنة ٤٠؛ الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٠ ـ ٤٠١، حوادث سنة ٤٠. راجع أيـضاً: العقد الفريد ٣: ٢٣٨؛ مسند أبي يعلى ١٢: ١٢٦، ح ٦٧٥٧ و ٦٧٥٨.

٢. كامل الزيارات: ٩٢، الباب ١١، ح ١؛ بحار الأنوار ٩٧: ٢٦٧، كتاب المزار، الباب ١٤، ح ٩.

٣. العقد الفريد ٣: ٢٣٨. راجع أيضاً: صحيح البخاري ٤: ١٦١٩، ح ٤١٩٣؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٢٢، ح ١٦٣٠؛ المستدرك على الصحيحين ٣: ٦٠٦ ـ ٦٠٧، ح ٤٤٥٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٤٣.

٤. «أبّن الميّت: رثاه وأثنى عليه ...». المعجم الوسيط: ٣، «أ. ب. ي».

ممّا حكم بحسنه العقل والنقل، واستمرّت عليه سيرة السلف والخلف، وأوجبته قواعد المدنيّة، واقتضته أُصول الترقّي في المعارف، إذ به تحفظ الآثار النافعة، وبالتنافس فيه تعرج الخطباء إلى أوج البلاغة، والقول بتحريمه يستلزم تحريم قراءة التاريخ وعلم الرجال؛ بل يستوجب المنع من تلاوة الكتاب والسنّة؛ لاشتمالهما على جملة من مناقب الأنبياء ومصائبهم، ومن يرضى لنفسه هذا الحمق أو يختار لها هذا العمى؟ نعوذ بالله من سفه الجاهلين.

المطلب الرابع
في الجلوس حزناً على الموتى من أهل الحفائظ والأيادي المشكورة

وحسبك في رجحان ذلك ما تواتر عن رسول الله ﷺ من الحزن الشديد على عمّه أبي طالب، وزوجته الصدّيقة الكبرى أُمّ المؤمنين عليها السلام، وقد ماتا في عام واحد فسمّي «عام الحزن»[1]، وهذا معلوم بالضرورة من أخبار الماضين.

وأخرج البخاري(١) في باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن ـ من الجزء الأوّل من صحيحه[2] ـ بالإسناد إلى عائشة، قالت: لمّا جاء النبيّ ﷺ قتل ابن حارثة

(١) وأخرجه مسلم أيضاً في باب التشديد في النياحة من صحيحه[3].

١. راجع: السيرة الحلبيّة ٢: ٤٠؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٢٢٤؛ إعلام الورى ١: ٥٣؛ قصص الأنبياء للراوندي: ٣١٧، ح ٣٩٤؛ كشف الغمّة ١: ١٦.

٢. صحيح البخاري ١: ٤٣٧، ح ١٢٣٨. راجع أيضاً: سنن أبي داود ٣: ١٩٢، ح ٣١٢٢؛ السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٩٧، ح ٧٠٨٥.

٣. صحيح مسلم ٢: ٦٤٤، كتاب الجنائز، ح ٣٠.

وجعفر وابن رواحة جلس ـ أي في المسجد، كما في رواية أبي داود ـ يُعرف فيه الحُزن.

وأخرج البخاري في الباب المذكور أيضاً عن أنس قال: قنت رسول الله ﷺ شهراً حين قتل القرّاء فما رأيته حزن حزناً قطّ أشدّ منه[١]. الحديث.

والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى أو تستقصى.

والقول بأنّه إنّما يحسن ترتيب آثار الحزن إذا لم يتقادم العهد بالمصيبة، مدفوع بأنّ من الفجائع مالا تخبو زفرتها ولا تخمد لوعتها، فقرب العهد بها وبعده عنها سواء.

نعم، يتمّ قول هؤلاء اللائمين إذا تلاشى الحزن بمرور الأزمنة ولم يكن دليل ولا مصلحة يوجبان التعبّد بترتيب آثاره، وما أحسن قول القائل في هذا المقام:

خلّي أُميمةُ عن ملامِك ... ما المُعزّي كالثكولِ
ما الراقدُ الوسنانُ مثلُ ... معذّبِ القلبِ العليلِ
سهرانَ من ألمٍ وهذا ... نائمُ الليلِ الطويلِ
ذوقي أُميمةُ ما أذوقُ ... وبعدَه ما شئتِ قولي

على أنّ في ترتيب آثار الحزن بما أصاب رسول الله ﷺ من تلك الفجائع، وحلّ بساحته من هاتيك القوارع حِكَماً توجب التعبّد بترتيب آثار الحزن بسببها على كلّ حال. والأدلّة على ترتيب تلك الآثار في جميع الأعصار متوفّرة، وستسمع اليسير منها إن شاء الله تعالى.

وقد علمت سيرة أهل المدينة الطيّبة واستمرارها على ندب حمزة وبكائه مع بُعد العهد بمصيبته، فلم ينكر عليهم في ذلك أحد حتّى بلغني أنّهم لا يزالون إلى الآن إذا

١. صحيح البخاري ١: ٤٣٧، ح ١٢٣٨.

ناحوا على ميّت بدأوا بالنياحة عليه، وما ذاك إلّا مواساة لرسول الله ﷺ بمصيبته في عمّه، وأداءً لحقّ تلك الكلمة التي قالها في البعث على البكاء عليه، وهي قوله: «لكن حمزة لا بواكي له»[1].

وكان الأولى لهم ولسائر المسلمين مواساته في الحزن على أهل بيته، والاقتداء به في البكاء عليهم. وقد لام بعض أهل البيت من لم يواسهم في ذلك فقال:

يالله لقلب لا ينصدع لتذكار تلك الأُمور، ويا عجباً من غفلة أهل الدهور، وما عذر أهل الإسلام و الإيمان في إضاعة أقسام الأحزان، ألم يعلموا أنّ محمّداً ﷺ موتور وجيع؟ وحبيبه مقهور صريع؟

ـ قال: ـ وقد أصبح لحمه ﷺ مجرّداً على الرمال، ودمه الشريف مسفوكاً بسيوف أهل الضلال، فيا ليت لفاطمة وأبيها، عيناً تنظر إلى بناتها وبنيها، وهم ما بين مسلوب وجريح، ومسحوب وذبيح[2]، إلى آخر كلامه.

ومن وقف على كلام أئمّة أهل البيت في هذا الشأن، لا يتوقّف في ترتيب آثار الحزن عليهم مدى الدوران، لكنّا منينا بقوم لا ينصفون. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

المطلب الخامس
في الإنفاق عن الميّت في وجوه البرّ والإحسان

ويكفي في استحبابه عموم ما دلّ على استحباب مطلق المبرّات والخيرات، على أنّ فعل النبيّ ﷺ وقوله دالّان على الاستحباب في خصوص المقام.

وحسبك من فعله ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما بطرق متعدّدة عن

---

١. تقدّم في المطلب الأوّل.

٢. راجع الملهوف على قتلى الطفوف: ٨٤ و ٨٥، ولم نعثر عليها في أحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

عائشة،(١) قالت: ما غِرْتُ على أحد من نساء النبيّ ﷺ ما غِرْتُ على خديجة، وما رأيتها ولكن كان النبيّ ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثمّ يقطعها أعضاءً ثمّ يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا إلّا خديجة، فيقول: «إنّها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد».

قلت: وهذا يدلّ على استحباب صلة أصدقاء الميّت وأوليائه في الله ـ عزّ وجلّ ـ بالخصوص.

ويكفيك من قوله ﷺ ما أخرجه مسلم ـ في باب وصول ثواب الصدقة عن الميّت إليه، من كتاب الزكاة في الجزء الأوّل من صحيحه[1] ـ بطرق متعدّدة عن عائشة: إنّ رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ أُمّي افْتُلِتَت نفسها ولم توص، أفلها أجر إن تصدّقت عنها؟ قال ﷺ: «نعم».

ومثله: ما أخرجه أحمد من حديث عبدالله بن عبّاس ـ في ص ٣٣٣ من الجزء الأوّل من مسنده ـ من أنّ سعد بن عبادة قال: إنّ ابن بكر أخا بني ساعدة توفّيت أُمّه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله، إنّ أُمّي توفّيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدّقت بشيء عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإنّي أُشهدك أنّ حائط المخرف صدقة عليها[2]. انتهى.

---

(١) فراجع من صحيح البخاري باب تزويج النبيّ خديجة وفضلها، [و] من صحيح مسلم باب فضائل خديجة أُمّ المؤمنين عليها السلام[3].

---

١. صحيح مسلم ٢: ٦٩٦، كتاب الزكاة، ح ٥١. للمزيد راجع أيضاً: صحيح البخاري ١: ٤٦٧، ح ١٣٢٢؛ ٣: ١٠١٥، ح ٢٦٠٩؛ سنن أبي داود ٣: ١١٨، ح ٢٨٨١؛ سنن ابن ماجة ٢: ٩٠٦ ـ ٩٠٧، ح ٢٧١٧.

٢. مسند أحمد ١: ٧١٣، ح ٣٠٨٠. للمزيد راجع أيضاً: صحيح البخاري ٣: ١٠١٣، ح ٢٦٠٥، و١٠١٥، ح ٢٦١١، و١٠١٩، ح ٢٦١٨؛ سنن أبي داود ٣: ١١٨، ح ٢٨٨٢.

٣. صحيح البخاري ٣: ١٣٨٩، ح ٣٦٠٧؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٨٩، كتاب فضائل الصحابة، ح ٧٤ ـ ٧٨.

والأخبار في ذلك متضافرة[1]، ولا سيّما من طريق العترة الطاهرة(١).

---

(١) وربما كان المنكر علينا فيما نفعله من المبرّات عن الحسين عليه السلام لا يقنع بأقوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا بأفعاله، وإنّما تقنعه أقوال سلفه وأفعالهم، وحينئذٍ نحتجّ عليه بما فعله الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأُموي، إذ مات لبيد بن ربيعة العامري الشاعر، فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزوراً فنحرت عنه، كما نصّ عليه ابن عبدالبرّ في ترجمة لبيد من الاستيعاب[2].

---

١. للمزيد راجع المجلس الخامس من رسالة المجالس الفاخرة.

٢. الاستيعاب ٣: ١٣٣٧ ـ ١٣٨٨، الرقم ٢٢٣٣.

فصل [١]

[إقامة المآتم في سنّة النبيّ وأهل البيت عليهم السلام]

كلّ من وقف على ما سلف من هذه المقدّمة، يعلم أنّه لا وجه للإنكار علينا في مآتمنا المختصّة بسيّد الشهداء عليه السلام، ضرورة أنّها لا تشتمل إلّا على تلك المطالب الخمسة، وقد عرفت إباحتها بالنسبة إلى مطلق الموتى من كافّة المؤمنين. وما أدري كيف يستنكرون مآتم انعقدت لمواساة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأُسّست على الحزن لحزنه؟ أيبكي ـ بأبي هو وأُمّي ـ قبل الفاجعة، ونحن لا نبكي بعدها؟ ما هذا شأن المتأسّي بنبيّه، والمقتصّ لأثره، إن هذا إلّا خروج عن قواعد المتأسّين، بل عدول عن سنن النبيّين.

ألم يرو الإمام أحمد بن حنبل من حديث عليّ عليه السلام ـ في ص ٨٥ من الجزء الأوّل من مسنده[١] ـ بالإسناد إلى عبدالله بن نجا، عن أبيه، أنّه سار مع عليّ عليه السلام فلمّا حاذى نينوى ـ وهو منطلق إلى صفّين ـ نادى: «صبراً أباعبدالله، صبراً أباعبدالله بشطّ الفرات» قال: قلت: وما ذاك؟ قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبيّ الله ، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي جبرائيل قبل،

١. مسند أحمد ١: ١٨٤ ـ ١٨٥، ح٦٤٨. رواه أيضاً ابن أبي شيبة في مصنّفه ٧: ٤٧٨، ح ٣٧٣٥٦، وأبويعلى في مسنده ١: ٢٩٨، ح ٣٦١، ومحبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى ١: ١٤٨.

فحدّثني أنّ ولدي الحسين يقتل بشطّ الفرات ـ قال: ـ فقال: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟ قال: قلت: نعم، فمدّ يده، فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عينيّ أن فاضتا». انتهى.

وأخرج ابن سعد ـ كما في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من الصواعق المحرقة لابن حجر(١) ـ عن الشعبي قال: مرّ عليّ عليه السلام بكربلاء عند مسيره إلى صفّين وحاذى نينوى، فوقف وسأل عن اسم الأرض، فقيل: كربلاء، فبكى حتّى بلّ الأرض من دموعه، ثمّ قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك ـ بأبي أنت وأمّي ـ؟ قال: كان عندي جبرائيل آنفاً، وأخبرني أنّ ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات، بموضع يقال له: كربلاء»[1]. الحديث.

وأخرج الملّاء ـ كما في الصواعق أيضاً ـ أنّ عليّاً مرّ بموضع قبر الحسين عليه السلام فقال: «هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمّد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض»(٢). انتهى.

---

(١) كلّ ماننقله في هذا المقام عن الصواعق من هذا الحديث وغيره، موجود في أثناء كلامه في الحديث الثلاثين من الأحاديث التي أوردها في ذلك الفصل، فراجع.

(٢) وهذا الحديث رواه أصحابنا بكيفيّة مشجيّة عن الباقر عليه الصلاة والسلام، ورووه عن هرثمة، وعن ابن عبّاس. وإن أردت الوقوف عليه، فدونك ص ١٠٨ وما بعدها إلى ص ١١٢ من الخصائص الحسينيّة[2].

---

١. الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.

٢. الخصائص الحسينيّة: ١١٥ ـ ١١٦. للمزيد راجع أيضاً: الأمالي للصدوق: ١١٧ ـ ١١٨، المجلس ٢٨، ح ٦، و٤٧٨ ـ ٤٨٠، المجلس ٨٧، ح ٥؛ مقتل الحسين للخوارزمي: ٢٤٦، الفصل ٨، ح ٢٠؛ كشف الغمّة ٢: ٢٦٦؛ ينابيع المودّة ٣: ١٣، الباب ٦٠، ح ١٥.

ومن حديث أُمّ سلمة ـ كما نصّ عليه ابن عبد ربّه المالكي(١) حيث ذكر مقتل الحسين في الجزء الثاني من العقد الفريد[1] ـ قالت: كان عندي النبيّ ﷺ ومعي الحسين، فدنا من النبيّ ﷺ فأخذته فبكى فتركته، فدنا منه، فأخذته فبكى فتركته، فقال له جبرئيل: «أتحبّه يا محمّد؟» قال: «نعم». [قال:] «أما إنّ أُمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها» فبكى النبيّ ﷺ.(٢)

وروى الماوردي الشافعي ـ في باب إنذار النبيّ ﷺ بما سيحدث بعده(٣) من كتابه أعلام النبوّة[2] ـ عن عروة، عن عائشة قالت:

دخل الحسين بن عليّ على رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه، فقال جبرائيل: «إنّ أُمّتك ستفتتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك» ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: «في هذه يقتل ابنك اسمها الطفّ».

ـ قال: ـ فلمّا ذهب جبرائيل خرج رسول الله إلى أصحابه والتربة بيده، وفيهم أبوبكر وعمر وعليّ وحذيفة وعثمان وأبوذرّ، وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أخبرني جبرائيل: أنّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطفّ، وجاءني بهذه التربة، فأخبرني أنّ فيها مضجعه». انتهى.

---

(١) في سطر ١٥ من ص ٢٤٣ من جزئه الثاني المطبوع سنة ١٣٠٥، وفي هامشه زهر الآداب.

(٢) وأخرج البغوي في معجمه، وأبو حاتم في صحيحه من حديث أنس، كما في الصواعق نحوه[3].

(٣) وهو الباب الثاني عشر في ص ٢٣ من ذلك الكتاب.

---

١. العقد الفريد ٤: ٣٨٣.

٢. أعلام النبوّة للماوردي: ١٨٢. رواه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير ٣: ١٠٧، ح ٢٨١٤، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٣٠١ ـ ٣٠٢، ح ١٥١١٤.

٣. الصواعق المحرقة: ١٩٢، الباب ١١، الفصل ٣.

وأخرج الترمذي[١] ـ كما في الصواعق وغيرها[٢] ـ أنّ أُمّ سلمة رأت النبيّ صلى الله عليه وآله فيما يراه النائم باكياً، وبرأسه ولحيته التراب، فسألته، فقال: «قتل الحسين آنفاً».

قال في الصواعق[٣]: وكذلك رآه ابن عبّاس نصف النهار أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم يلتقطه، فسأله، فقال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتتبّعه منذ اليوم(١). قال: فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم. انتهى.

وأمّا صحاحنا فإنّها متواترة في بكائه صلى الله عليه وآله على الحسين عليه السلام في مقامات عديدة: يوم ولادته وقبلها[٤]، ويوم السابع من مولده[٥]، وبعده في بيت فاطمة[٦]، وفي حجرته[٧]،

---

(١) وأخرجه من حديث ابن عبّاس أحمد بن حنبل في ص ٢٨٣ من الجزء الأوّل من مسنده، وابن عبدالبرّ والعسقلاني في ترجمة الحسين عليه السلام من الاستيعاب، والإصابة[٨]، وخلق كثير[٩].

---

١. الجامع الصحيح ٥: ٣٢٢، ح ٣٨٦٠. للمزيد راجع أيضاً: التاريخ الكبير للبخاري ٣: ٣٢٤، الرقم ١٠٩٨؛ المعجم الكبير ٢٣: ٣٧٣، ح ٨٨٢.

٢. الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣. للمزيد راجع أيضاً ينابيع المودّة ٣: ١٣، الباب ٦٠، ح ١٦.

٣. الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.

٤. الأمالي للصدوق: ١١٧، المجلس ٢٨، ح ٥.

٥. الأمالي للطوسي: ٣٦٧ـ ٣٦٨، المجلس ١٣، ح ٣٢؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٠ ـ ٢٥١، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣١، ح ١.

٦. كامل الزيارات: ١٢٥ـ ١٢٧، الباب ١٦، ح ٨ ـ ١٠، و١٤٢، الباب ٢١، ح ١، و١٤٧، الباب ٢٢، ح ٦.

٧. الملهوف على قتلى الطفوف: ٩١ ـ ٩٢؛ الدرّ النظيم: ٥٣٧؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٥ ـ ٢٤٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٤٥.

٨. مسند أحمد ١: ٦٠٦، ح ٢٥٥٣؛ الاستيعاب ١: ٣٩٥ـ ٣٩٦، الرقم ٥٥٦؛ الإصابة ٢: ٧١، الرقم ١٧٢٩.

٩. كالطبري في المعجم الكبير ٣: ١١٠، ح ٢٨٢٢، وابن الأثير في أُسد الغابة ٢: ٣٠، الرقم ١١٧٣، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٣١٠ـ ٣١١، ح ١٥١٤١.

وعلى منبره[١]، وفي بعض أسفاره[٢]، تارةً يبكيه وحده[٣]، ومرّةً هو والملائكة[٤]، وأحياناً هو وعليّ وفاطمة[٥]، وربما بكاه هو وأصحابه[٦]. وكان يقبّله في نحره ويبكي[٧]، ويقبّله في شفتيه ويبكي[٨]، وإذا رآه فرحاً يبكي، وإذا رآه حزناً يبكي[٩]؛ بل صحّ أنّه قد بكاه آدم و نوح وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى و زكريّا ويحيى والخضر وسليمان عليهم السلام، وتفصيل ذلك كلّه موكول إلى مظانّه من كتب الحديث.(١)

وأمّا أئمّة العترة الطاهرة ـ الذين هم كسفينة نوح، وباب حطّة، وأمان أهل الأرض، وأحد الثقلين اللذين لا يضلّ من تمسّك بهما، ولا يهتدي إلى الله من صدّ عنهما[١٠] ـ فقد استمرّت سيرتهم على الندب والعويل، وأمروا أولياءهم بإقامة مآتم الحزن، جيلاً بعد جيل.

---

(١) فراجع ص ١٠٥ وما بعدها إلى ص ٢٣٢ من الخصائص الحسينيّة، وإن شئت، فراجع جلاء العيون، أو البحار، أو غيرهما[١١].

---

١ و ٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٣ ـ ٩٤؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٨ ـ ٢٤٩، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٤٦.

٣. الأمالي للصدوق: ١٢٠، المجلس ٢٩، ح ٣؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٢٥، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٥.

٤. الأمالي للصدوق: ١١٧، المجلس ٢٧، ح ٥؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ١١٦.

٥. كامل الزيارات: ١٢١ و ١٢٥ ـ ١٢٦، الباب ١٦، ح ١ و ٨ ـ ١٠؛ مثير الأحزان: ٢٢.

٦. أعلام النبوّة للماوردي: ١٨٢؛ مثير الأحزان: ٢١ ـ ٢٢.

٧. كامل الزيارات: ١٤٦، الباب ٢٢، ح ٤.

٨. المصدر: ١١٦ ـ ١١٧، الباب ١٤، ح ١٢.

٩. بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٥ ـ ٢٤٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٤٥.

١٠. للمزيد راجع الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١.

١١. راجع الخصائص الحسينيّة: ١٠٣ ـ ١١٣؛ جلاء العيون ١: ٢٣٠؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٢٣ ـ ٢٩٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٠ ـ ٣٥.

فعن الصادق عليه السلام ـ فيما رواه ابن قولويه في الكامل وابن شهر آشوب في المناقب، وغيرهما ـ: أنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام بكى على أبيه مدّة حياته، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، ولا أُتي بشراب إلّا بكى، حتّى قال له أحد مواليه: جعلت فداك يا بن رسول الله؛ إنّي أخاف أن تكون من الهالكين، قال عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَالا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وروى ابن قولويه، وابن شهر آشوب أيضاً، وغيرهما أنّه لمّا كثر بكاؤه قال له مولاه: أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال: «ويحك، إنّ يعقوب عليه السلام كان له اثنا عشر ولداً فغيّب الله واحداً منهم، فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغمّ، وابنه حيّ في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمومتي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟»[2].

وعن الباقر عليه السلام(١) قال: «كان أبي عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن عليّ عليه السلام دمعة حتّى تسيل على خدّه، بوّأه الله تعالى في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً.

---

(١) فيما أخرجه جماعة، منهم ابن قولويه في كامله[3].

---

١. كامل الزيارات: ٢١٣، الباب ٣٥، ح ١؛ الخصال: ٢٧٢ ـ ٢٧٣، باب الخمسة، ح ١٥. راجع أيضاً: مكارم الأخلاق للطبرسي ١: ٩٤، ح ٢٢٦٤، في البكاء؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٩؛ بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨، تاريخ عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام، الباب ٦، ح ١، والآية في سورة يوسف (١٢): ٨٦.

٢. كامل الزيارات: ٤٤٥، الباب ٨٨، ح ١؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٩ ـ ١٨٠. راجع أيضاً: الخصال للصدوق: ٥١٨ ـ ٥١٩، أبواب العشرين وما فوقه، ح ٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٣٤؛ مسكن الفؤاد ضمن المصنّفات الأربعة: ١٨١؛ بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨، تاريخ عليّ بن الحسين عليه السلام، الباب ٦، ح ١.

٣. كامل الزيارات: ٢٠١، الباب ٣٢، ح ١. راجع أيضاً: تفسير القمّي ٢: ٢٦٥، ذيل الآية ٢٩ من سورة الدخان (٤٤)؛ مثير الأحزان: ١٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٨٦؛ وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١، الباب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه.

وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه فينا؛ لأذىً مسّنا من عدوّنا في الدنيا، بوّأه الله في الجنّة مبوّأ صدق.

وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه، صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار». انتهى.

وقال الرضا[(١)] ـ وهو الثامن من أئمّة الهدى صلوات الله عليهم ـ: «إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبيت فيه ذرارينا ونساؤنا، واُضرمت فيه النار في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثَقَلنا[(٢)]، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا، إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام».

ثمّ قال عليه السلام: «كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لايرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه [حتّى يمضي منه عشرة أيّام] فإذا كان يوم العاشر، كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه». انتهى.

وقال عليه السلام[(٣)]: «من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى، لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن

---

(١) فيما أخرجه الصدوق في أماليه، وغير واحد من أصحابنا[١].

(٢) الثقل ـ وزان سبب ـ: متاع المسافر، وكلّ شيء نفيس مصون[٢].

(٣) فيما أخرجه الصدوق في أماليه[٣].

---

١. الأمالي للصدوق: ١١١، المجلس ٢٧، ح ٢. راجع أيضاً: مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٤؛ روضة الواعظين ١: ٣٨٦، ح ٤٠٧؛ الإقبال بالأعمال الحسنة ٣: ٢٨، الباب ١، الفصل ٢.

٢. لسان العرب ١١: ٨٧، «ث. ق. ل».

٣. الأمالي للصدوق: ٦٨، المجلس ١٧، ح ٤.

جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب». انتهى.

وعن الريّان بن شبيب ـ فيما أخرجه الشيخ الصدوق في العيون[1] ـ قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرّم، فقال لي: «يابن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأُمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيّها صلى الله عليه وآله؛ إذ قتلوا في هذا الشهر ذرّيّته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله.

يابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء، فابك للحسين عليه السلام، فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً مالهم في الأرض من شبيه، ولقد بكت السماوات السبع لقتله.

ـ إلى أن قال: ـ يابن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا». الحديث.

وقال عليه السلام ـ فيما أخرجه الصدوق في أماليه[2] ـ: «من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء، قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه، جعل الله ـ عزّ وجلّ ـ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنان عينه». الحديث.

وبكى ـ صلوات الله عليه ـ إذ أنشده دعبل بن عليّ الخزاعي قصيدته التائيّة السائرة حتّى أُغمي عليه في أثنائها مرّتين، كما نصّ عليه الفاضل العبّاسي في ترجمة دعبل من معاهد التنصيص[3]، وغيره من أهل الأخبار.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٦٨، الباب ٢٦، ح ٥٨. راجع أيضاً: الأمالي للصدوق: ١١٢ ـ ١١٣، المجلس ٢٧، ح ٥؛ الإقبال بالأعمال الحسنة ٣: ٢٩ ـ ٣٠، الباب ١، الفصل ٢.

٢. الأمالي للصدوق: ١١٢، المجلس ٢٧، ح ٤. راجع أيضاً: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٦٧، الباب ٢٦، ح ٥٨؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٤؛ روضة الواعظين ١: ٣٨٧، ح ٤٠٨؛ الإقبال بالأعمال الحسنة ٣: ٨١، الباب ١، الفصل ١٦.

٣. معاهد التنصيص ٢: ١٩٠.

وفي البحار وغيره[١]: أنّه عليه السلام أمر قبل إنشادها بستر، فضرب دون عقائله، فجلسن خلفه يسمعن الرثاء، ويبكين على جدّهنّ سيّد الشهداء، وأنّه قال يومئذٍ: «يا دعبل، من بكى أو أبكى على مصابنا ولو واحداً، كان أجره على الله. يا دعبل، من ذرفت عيناه على مصابنا، حشره الله معنا». انتهى.

وحدّث محمّد بن سهل ـ كما في ترجمة الكميت من معاهد التنصيص ـ قال: دخلت مع الكميت على أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في أيّام التشريق، فقال له: جعلت فداك ألا أنشدك؟ قال: «إنّها أيّام عظام» قال: إنّها فيكم. قال: «هات» وبعث أبوعبدالله إلى بعض أهله، فقرب فأنشده في رثاء الحسين عليه السلام فكثر البكاء حتّى أتى على هذا البيت:

يُصيبُ به الرامون عن قوسِ غَيرهم فيا آخراً أسدى له الغَيَّ أوّلُ

قال: فرفع أبوعبدالله عليه السلام[٢] يديه فقال: «اللهمّ اغفر للكميت ما قدّم وماأخّر، وما أسرّ وما أعلن، وأعطِه حتّى يرضى»[٣].(١)

---

(١) بخٍ بخٍّ، هنيئاً لمن نال من أئمّة الهدى بعض ذلك، وأنت تعلم أنّه عليه السلام لم يبتهل بالدعاء لكميت هذا الابتهال إلّا لما دلّ عليه بيته هذا من معرفته بحقيقة الحال. وقد أكثر الشعراء من نظم هذا المعنى، فنظمه المهيار في قصيدته اللاميّة[٤]، وقبل ذلك نظمه الشريف الرضيّ فقال:

بنى لهم الماضون أساس هذه فعلوا على أساس تلك القواعد[٥]

إلى آخر ما قال. ←

---

١. بحار الأنوار ٤٥: ٢٥٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٤٤، ح ١٥؛ مستدرك الوسائل ١٠: ٣٨٥، الباب ٨٣ من أبواب المزار وما يناسبه، ح ١ و٢.

٢. في الأصل: «رحمه الله تعالى».

٣. الأغاني ١٧: ٢٤، ذكر الكميت ونسبه وخبره.

٤. ديوان مهيار الديلمي ٣ ـ ٤: ٨٧.

٥. ديوان الشريف الرضيّ ١: ٣٦٥.

وفـــي كـامل الزيـارات بـالإسناد إلى عـبدالله بـن غـالب قـال: دخـلت عـلى أبي عبدالله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين عليه السلام فلمّا انتهيت إلى قولي فيها: لبليّة... البيت، صاحت باكية من وراء الستر: يا أبتاه.[1]

وروى الصدوق في الأمالي، و ثواب الأعمال، وابن قولويه[2] بأسانيد معتبرة، عن أبي عمارة قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام: «يا أباعمارة، أنشدني في الحسين» فأنشدته

← وكأنّ سيّدة نساء عصرها زينب عليها السلام أشارت إلى هذا المعنى بقولها مخاطبة ليزيد: وسيعلم من سوّل لك، ومكّنك من رقاب المسلمين[3].

بل أشار إليه معاوية إذ كتب إليه محمّد بن أبي بكر يلومه في تمرّده على أمير المؤمنين عليه السلام ويذكر له فضله وسابقته، فكتب له معاوية في الجواب ما يتضمّن الإشارة إلى المعنى الذي نظمه الكميت، فراجع ذلك الجواب في كتاب صفّين لنصر بـن مـزاحـم، أو شـرح النـهج الحديدي، أو مروج الذهب للمسعودي[4].

وقد اعترف بذلك المعنى يزيد بن معاوية؛ إذ كتب إليه ابن عمر يلومه على قتل الحسين، فأجابه: أمّا بعد، فإنّا أقبلنا على فرش ممهّدة، ونمارق منضّدة. إلى آخر الكتاب. وقد نقله البلاذري وغيره من أهل السير والأخبار[5].

وفي كتابنا سبيل المؤمنين من هذا شيء كثير، فحقيق بالباحثين أن يقفوا عليه.

---

١. كامل الزيارات: ٢٠٩ ـ ٢١٠، الباب ٣٣، ح ٣. راجع أيضاً: بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٧، تاريخ الحسـين بـن عـليّ سيّدالشهداء عليه السلام، الباب ٣٤، ح ٢٤؛ مستدرك الوسائل ١٠: ٣٨٥، الباب ٨٣ من أبواب المزار وما يناسبه.

٢. الأمالي للـصدوق: ١٢١، المـجلس ٢٩، ح ٦؛ ثـواب الأعـمال: ١١٠، ح ٣؛ كـامل الزيـارات: ٢٠٨ ـ ٢٠٩، الباب ٣٣، ح ٢.

٣. الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٧.

٤. راجع: وقعة صفّين: ١١٨ ـ ١٢١؛ شرح نـهج البـلاغة لابـن أبـي الحـديد ٣: ١٨٩ ـ ١٩٠؛ مـروج الذهب ٣: ٢٠ ـ ٢١.

٥. لم نعثر عليه.

فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنشده وهو يبكي حتّى سمعت البكاء من الدار، فقال: «يا أباعمارة، من أنشد في الحسين بن عليّ عليهما السلام فأبكى خمسين، فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرين، فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فبكى، فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فتباكى، فله الجنّة».

وروى الصدوق في ثواب الأعمال[1] بالإسناد إلى [أبي] هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقال لي: «يا أباهارون، أنشدني في الحسين عليه السلام» فأنشدته، فقال لي: «أنشدني كما تنشدون» ـ يعني بالرقّة ـ قال: فأنشدته:

أُمرُرْ على جَدَثِ[2] الحسينِ فقل لأعظُمِهِ الزكيّة

قال: فبكى، ثمّ قال: «زدني» فأنشدته القصيدة الأُخرى، قال: فبكى وسمعت البكاء من خلف الستر، فلمّا فرغت، قال: «يا أباهارون، من أنشد في الحسين فبكى وأبكى عشرة، كتبت لهم الجنّة ـ إلى أن قال: ـ ومن ذُكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة، كان ثوابه على الله عزّوجلّ، ولم يرض له بدون الجنّة».

وروى الكشّي بسند معتبر عن زيد الشحّام قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عليه جعفر بن عفّان فقرّبه وأدناه، ثمّ قال: «يا جعفر» قال: لبّيك، جعلني الله فداك. قال: «بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد» فقال له: نعم، جعلني الله فداك. قال: «قل» فأنشدته، فبكى ومن حوله حتّى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثمّ

---

١. ثواب الأعمال: ١٠٨ ـ ١٠٩، ح ١.

٢. الجدث: القبر. لسان العرب ٢: ١٢٨، «ج. د. ث».

قال: «يا جعفر، والله لقد شهدت الملائكة المقرّبون قولك في الحسين عليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر ـ إلى أن قال: ـ ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى إلّا أوجب الله له الجنّة وغفر له»[١].

وروى ابن قولويه في الكامل[٢] بسند معتبر حديثاً عن الصادق عليه السلام جاء فيه: «وكان جدّي عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا ذكره ـ يعني الحسين عليه السلام ـ بكى حتّى تملأ عيناه لحيتَه وحتّى يبكي لبكائه ـ رحمة له ـ من رآه. وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون، فيبكي لبكائهم كلّ من في الهواء والسماء، وما من باك يبكيه إلّا وقد وصل فاطمة وأسعدها، ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّى حقّنا». الحديث.

وفي قرب الإسناد[٣] عن بكر بن محمّد الأزدي: قال أبوعبدالله الصادق عليه السلام لفضيل بن يسار: «أتجلسون وتحدّثون؟» قال: نعم، جعلت فداك. قال عليه السلام: «إنّ تلك المجالس أُحبّها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا. يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفرالله له ذنوبه».

وفي خصال الصدوق[٤]: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أُولئك منّا وإلينا».

وفي كامل الزيارات[٥] بالإسناد إلى أبي عمارة المنشد قال: ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام في يوم قطّ فرئي متبسّماً في ذلك اليوم إلى الليل. قال: وكان

---

١. اختيار معرفة الرجال: ٢٨٩، الرقم ٥٠٨.

٢. كامل الزيارات: ١٦٨، الباب ٢٦، ح ٨.

٣. قرب الإسناد: ٣٦، ح ١١٧. رواه ابن إدريس الحلّي أيضاً في المستطرفات ضمن السرائر ٣: ٦٢٦.

٤. الخصال للصدوق ٢: ٦٣٥، أبواب أربعمائة، ح ١٠.

٥. كامل الزيارات: ٢١٤ ـ ٢١٥، الباب ٣٦، ح ٢.

أبو عبدالله عليه السلام يقول: «الحسين عبرة كلّ مؤمن».

وفيه بالإسناد إلى الصادق عليه السلام قال: «قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلّا استعبر»[١].

إلى غير ذلك من صحاح الأخبار المتواترة عن الأئمّة الأبرار، وناهيك بها حجّة على رجحان هذه المآتم، واستحبابها شرعاً، فإنّ أقوال أئمّة الهدى من أهل البيت عليهم السلام وأفعالهم وتقريرهم حجّة بالغة؛ لوجوب عصمتهم بحكم العقل والنقل، كما هو مقرّر في مظانّه من كتب المتكلّمين من أصحابنا، والتفصيل في كتابنا سبيل المؤمنين[٢].

على أنّ الاقتداء بهم في هذه المآتم وغيرها لا يتوقّف عند الخصم على عصمتهم؛ بل يكفينا فيه ما اتّفقت عليه الكلمة من إمامتهم في الفتوى، وأنّهم في أنفسهم لا يقصرون عن الفقهاء الأربعة والثوري والأوزاعي وأضرابهم علماً ولا عملاً.

وأنت تعلم أنّ هذه المآتم لو ثبتت عن أبي حنيفة، أو صاحبيه: أبي يوسف والشيباني مثلاً، لاستبق الخصم إليها، وعكف أيّام حياته عليها، فلماذا ينكرها علينا، ويندّد بها بعد ثبوتها عن أئمّة أهل البيت يا منصفون؟!

أتراه يرى في أئمّة الثقلين أمراً يقتضي الإعراض عنهم، أو يجد فيهم شيئاً يستوجب الإنكار على الأخذ بمذهبهم، أو أنّ هناك أدلّة خاصّة تقصر الإمامة في الفتوى على أئمّة خصومنا ولا تبيح الرجوع إلى غيرهم؟

كلّا إنّ واقع الأمر وحقيقة الحال بالعكس. هذا حديث الثقلين ـ المجمع على صحّته واستفاضته ـ قد أنزل العترة منزلة الكتاب، وجعلها قدوة لأُولي الألباب، فراجعه في باب «فضائل عليّ» من صحيح مسلم، أو في الجمع بين الصحيحين،

١. المصدر، ح ٣. رواه الصدوق أيضاً في الأمالي: ١١٨، المجلس ٢٧، ح ٧.

٢. من كتبه المفقودة. للمزيد راجع: الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ٦، وهذا المجلّد، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، المطلب الثاني، الرقم ٤ من نفائسه المفقودة.

أو الجمع بين الصحاح الستّة[1].

أو في حديث أبي سعيد الخدري من مسند أحمد بن حنبل، أو خصائص عليّ للإمام النسائي، أو في تفسيري الثعلبي والبيهقي، أو في حلية الحافظ الإصفهاني، أو كتب الحاكم، والطبراني[2]، وغيرها من كتب الحديث.[3]

وأنا أُورده لك بلفظ الترمذي(١) بحذف الإسناد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ـ أحدهما أعظم من الآخر ـ:

---

(١) قال ابن حجر ـ بعد نقله عن الترمذي ـ في أثناء تفسيره للآية من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه[4] ما هذا لفظه:

ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيّف وعشرين صحابيّاً. ـ قال: ـ ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبهُ، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك في حجّة الوداع بعرفة. وفي أُخرى: أنّه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه. وفي أُخرى: أنّه قال ذلك في غدير خمّ. وفي أُخرى: أنّه قاله لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف. ـ قال: ـ ولا تنافي، إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن اهتماماً بشأن الكتاب العزيز، والعترة الطاهرة. انتهى.

---

١. صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٦؛ الجمع بين الصحيحين للإشبيلي ٣: ٥٥٠ ـ ٥٥١، ح ٢٤٤٧.

٢. مسند أحمد ٤: ٣٠، ح ١١١٠٤؛ خصائص أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب: ١١٢، ح ٧٨؛ المعجم الكبير ٥: ١٦٦، ح ٤٩٦٩؛ المعجم الأوسط ٥: ٣٨٠، ح ٤٧٥٤؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٢٩، ح ٤٧٦٥. وانظر حلية الأولياء ١: ٦٣، الرقم ٤.

٣. راجع: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٥٨٥، ح ٩٩٠، و٦٠٣، ح ١٠٣٢؛ الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤؛ السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٥، ح ٨١٤٨، و١٣٠، ح ٨٤٦٤؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٥٦ ـ ٢٦٠، ح ١٤٩٥٧ ـ ١٤٩٦٥؛ كنز العمّال ١: ١٨٦، ح ٩٤٤.

٤. الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١.

كتاب الله ـ عزّوجلّ ـ حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».[١]

وقد زاد الطبراني: «فلا تَقَدَّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[٢].

قلت: لا يخفى أنّ تعليق عدم الضلال على التمسّك بهما، يقتضي بحكم المفهوم ثبوت الضلال لمن تخلّى عن أحدهما، وناهيك به في وجوب اتّباع العترة والانقطاع في الدين إليها، وإلى القرآن العزيز.

على أنّ اقترانهم بالكتاب وهو معصوم، وجعلهم في وجوب التمسّك بهم مثله دليل قاطع على حجّيّة أقوالهم وأفعالهم، وأنّ الرجوع في الدين إلى خلافهم ليس إلّا كترك القرآن والرجوع إلى كتاب يخالف أحكامه، ولا تنس دلالة قولهﷺ: «ولن يفترقا» على عدم خلوّ الزمان ممّن يفرغ منهم عن القرآن، والقرآن يفرغ عنه.(١)

---

(١) ومثله: قولهﷺ: «في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالّين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله ـ عزّوجلّ ـ فانظروا من توفدون».

أخرجه الملّاء كما في تفسير الآية الرابعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه[٣].

وفي هذا المعنى صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة؛ بل هو من ضروريّات مذهبهم عليهم السلام[٤].

---

١. الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣، ح ٣٧٨٨.

٢. المعجم الكبير ٥: ١٦٦ ـ ١٦٧، ح ٤٩٧١.

٣. الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١.

٤. راجع: كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢١، الباب ٢٢، ح ٦ و٧؛ الكافي ١: ٣٢، باب صفة العلم وفضله و...، ح ٢؛ بحار الأنوار ٣٦: ٣٧٢ ـ ٣٧٣، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، الباب ٤٢، ذيل الحديث ٢٣٤.

ثمّ إنّ قوله: «فلا تَقَدَّموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم» نصّ صريح فيما قلناه كما لا يخفى.

وكم لهذا الحديث من نظير في الدلالة على وجوب الاقتداء بالعترة الطاهرة أو المنع من مخالفتها، نستلفت الباحثين إلى ما أخرجناه من ذلك في مبحث العصمة من سبيل المؤمنين.

وحسبك منه ما أخرجه الحاكم بسند صحّحه على شرط البخاري ومسلم(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ـ من جملة حديث ـ «وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب ـ في بعض أحكام الدين ـ اختلفوا في فتاويهم، فصاروا حزب إبليس»[١]. انتهى.

أليس هذا نصّاً في وجوب اتّباعهم، وحرمة مخالفتهم؟ وهل في لغة العرب أو غيرها عبارة أبلغ منه في إنذار مخالفيهم؟

وأخرج أحمد بن حنبل وغيره(٢) بالإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت ذهبوا، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[٢].

---

(١) كما في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه[٣]، ونقله حاكماً بصحّته أيضاً في باب الأمان ببقائهم من أواخر الصواعق[٤].

(٢) كما نصّ عليه ابن حجر في باب الأمان ببقائهم من صواعقه[٥].

---

١. المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٠ ـ ١٣١، ح ٤٧٦٩.

٢. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٧١، ح ١١٤٥. راجع أيضاً الفردوس بمأثور الخطاب ٤: ٣١١، ح ٦٩١٣.

٣. الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١.

٤ و٥. المصدر: ٢٣٥ ـ ٢٣٦، باب الأمان ببقائهم.

وفي رواية: «فإذا هلك أهل بيتي، جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون»[١].

وفي هذا المعنى صحاح متضافرة من طريق العترة الطاهرة[٢]، ومتى كانوا أماناً لأهل الأرض، فكيف يستبدل بهم، وأنّى يعدل عنهم؟

وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً ـ كذا قال ابن حجر(١) ـ أنّه صلى الله عليه وآله قال: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا».

قال ابن حجر:

وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق». ـ قال: ـ وفي رواية: «هلك»، و«إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل، من دخله غفر له» ـ قال: ـ وفي رواية: «غفر له الذنوب»[٣]. انتهى.

ولا يخفى أنّ المراد من تمثيلهم بـ«سفينة نوح» إنّما هو إلزام الأُمّة باتّباع طريقتهم، والتمسّك بالعروة الوثقى من ولايتهم، وليس المراد من النجاة بذلك إلّا رضوان الله ـ عزّوجلّ ـ والجنّة، كما أنّ المراد بغرق المتخلّفين عنهم أو هلاكهم إنّما هو سخط الله سبحانه والنار.

---

(١) في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه، وفي باب الأمان ببقائهم من أواخر الصواعق أيضاً[٤].

---

١. راجع: اختيار معرفة الرجال: ١٣٧ ـ ١٣٨، ح ٢٢٠؛ الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١؛ وسائل الشيعة ٢٧: ١٣٦ ـ ١٥٣، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي و... .

٢. للمزيد راجع بحار الأنوار ٢٣: ١ ـ ٥٩، كتاب الإمامة، الباب ١.

٣. الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١؛ ٢٣٦، باب الأمان ببقائهم. للمزيد راجع أيضاً فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٧٨٥ ـ ٧٨٦، ح ١٤٠٣.

٤. الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١، و ٢٣٥ ـ ٢٣٦، باب الأمان ببقائهم.

والمراد من تمثيلهم بـ«باب حطّة» إنّما هو بعث الأُمة على التواضع لله ـ عزّوجلّ ـ بالاقتداء بهم، والاستسلام لأوامرهم ونواهيهم، وهذا كلّه ظاهر كما ترى.

قال ابن حجر ـ بعد إيراد هذه الأحاديث في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من الصواعق[1] ما هذا لفظه ـ:

ووجه تشبيههم بالسفينة ـ فيما مرّ ـ أنّ من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة شرفهم ﷺ، وأخذ بهدي علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات. ومن تخلّف عن ذلك، غرق في بحر كفر النعم، وهلك في مفاوز الطغيان ـ إلى أن قال ـ: و بباب حطّة ـ يعني ووجه تشبيههم بباب حطّة ـ أنّ الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحاء، أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأُمّة مودّة أهل البيت سبباً لها. إلى آخر كلامه.

ولو أردنا استيفاء ما جاء من صحاح الستّة في وجوب اتّباع أئمّة أهل البيت، والانقطاع في الدين إليهم عن العالمين، لطال المقام، وخرجنا عن موضوع هذه المقدّمة.

وحاصله: أنّ مآتمنا بما فيها من الجلوس بعنوان الحزن على مصائب أهل البيت، والإنفاق عنهم في وجوه البرّ، وتلاوة رثائهم ومناقبهم، والبكاء رحمة لهم، سيرةٌ قطعيّة قد استمرّت عليها أئمّة الهدى من أهل البيت، وأمروا بها أولياءهم على مرّ الليالي والأيّام فورثناها منهم، وثابرنا عليها عملاً بما هو المأثور عنهم، فكيف ـ والحال هذه ـ تنكرونها علينا، وتقولون فيها ما تقولون؟ والله يعلم أنّها ليست كما تظنّون.

دع بكاء الأنبياء والأوصياء، ودع عنك ما كان من ملائكة السماء، وقل لي: هل

---

١. الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١.

جهلت نوح الجنّ في طبقاتها، ورثاء الطير في وكناتها، وبكاء الوحش في فلواتها، ورسيس حيتان البحر في غمراتها؟ وهل نسيت الشمس وكسوفها، والنجوم وخسوفها، والأرض وزلزالها، وتلك الفجائع وأهوالها؟ أم هل ذهلت عن الأحجار ودمائها، والأشجار وبكائها، والآفاق وغبرتها، والسماء وحمرتها، وقارورة أُمّ سلمة وحصياتها[(١)]، وتلك الساعة وآياتها؟

ألم يَرْوِ الملّاء عن أُمّ سلمة ـ كما في الصواعق[(٢)] وغيرها ـ أنّها قالت: سمعت نوح الجنّ على الحسين عليه السلام.

---

(١) أشرنا بهذا إلى ما رواه الملّاء في سيرته، وابن أحمد في زيادة المسند ـ كما في الصواعق ـ عن أُمّ سلمة، قالت ـ من حديث ـ: ثمّ ناولني كفّاً من تراب أحمر وقال: «إنّ هذا من تربة الأرض التي يقتل بها ولدي، فمتى صار دماً فاعلمي أنّه قد قتل» قالت: فوضعته في قارورة، وكنت أقول: إنّ يوماً يتحوّل فيه دماً ليوم عظيم[١].

وفي رواية أُخرى ـ كما في الصواعق أيضاً ـ أنّ جبرائيل جاء بحصيات فجعلهنّ النبيّ في قارورة، قالت أُمّ سلمة: فلمّا كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيلِ
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الإنجيلِ

قالت: فبكيت، وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً[٢]. انتهى.

(٢) كلّ ما ننقله هنا عن الصواعق موجود في أثناء كلامه في الحديث الثلاثين من الأحاديث التي أوردها في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر[٣].

---

١. المصدر: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.

٢. المصدر.

٣. المصدر: ١٩٢، الباب ١١، الفصل ٣.

وروى ابن سعد ـ كما في الصواعق[١] أيضاً ـ أنّها بكت حينئذٍ حتّى غشي عليها.

وأخرج أبونعيم الحافظ في الدلائل عنها ـ كما نقله السيوطي (١) ـ قالت: سمعت الجنّ تبكي على الحسين وتنوح عليه.

وأخرج ثعلب في أماليه ـ كما في تاريخ الخلفاء[٢] أيضاً ـ عن أبي خبّاب الكلبي قال: أتيت كربلاء، فقلت لرجل من أشراف العرب: أخبرني بما بلغني أنّكم تسمعونه من نوح الجنّ، فقال: ما تلقى أحداً إلّا أخبرك أنّه سمع ذلك، قال: فأخبرني بما سمعت أنت، قال سمعتهم يقولون:

مسح الرسولُ جبينَه　　فله بريقٌ في الخدود

أبواه من عليا قريش　　وجدُّه خيرُ الجدود

وأخرج أبونعيم الحافظ في كتابه دلائل النبوّة عن نضرة الأزديّة قالت: لمّا قتل الحسين بن عليّ أمطرت السماء دماً، فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً[٣].

قال ابن حجر بعد إيراده في الصواعق[٤]: وكذا روي في أحاديث غير هذه. ـ قال: ـ وممّا ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً: أنّ السماء اسودّت اسوداداً عظيماً حتّى رئيت النجوم نهاراً ـ قال: ـ ولم يرفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط.

---

(١) في أحوال يزيد، من كتابه تاريخ الخلفاء[٥].

---

١. الصواعق المحرقة: ١٩٦، الباب ١١، الفصل ٣؛ حكاه عنه القندوزي أيضاً في ينابيع المودّة ٣: ٢٥، الباب ٦٠، ح ٤٧.

٢. تاريخ الخلفاء: ٢٠٨.

٣. حكاه عنه السيوطي في الخصائص الكبرى ٢: ٢١٤. للمزيد راجع أيضاً: الثقات لابن حبّان ٥: ٤٨٧؛ وتهذيب الكمال ٦: ٤٣٣، الرقم ١٣٢٣ بتفاوت يسير.

٤. راجع الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.

٥. تاريخ الخلفاء: ٢٠٨.

وأخرج أبوالشيخ ـ كما في الصواعق[1] أيضاً ـ: أنّ السماء احمرّت لقتله عليه السلام، وانكسفت الشمس حتّى بدت الكواكب نصف النهار، وظنّ الناس أنّ القيامة قد قامت ـ قال: ـ ولم يرفع حجر في الشام إلّا رئي تحته دم عبيط. انتهى.

وأخرج عثمان بن أبي شيبة ـ كما في الصواعق[2] وغيرها ـ: أنّ الشمس مكثت بعد قتله عليه السلام سبعة أيّام ترى على الحيطان كأنّها ملاحف معصفرة من شدّة حمرتها، وضربت الكواكب بعضها بعضاً.

قال في الصواعق[3]: ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين: أنّ الدنيا أظلمت ثلاثة أيّام، ثمّ ظهرت الحمرة في السماء. ـ قال: ـ وقال أبوسعيد: ما رفع حجر من الدنيا إلّا وتحته دم [عبيط، ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في] الثياب [مدّة] حتّى تقطّعت. ـ قال: ـ وأخرج الثعلبي: أنّ السماء بكت، وبكاؤها حمرتها.

وقال غيره: احمرّت آفاق السماء ستّة أشهر بعد قتله، ثمّ لا زالت الحمرة تُرى بعد ذلك، وأنّ ابن سيرين قال: أُخبرنا أنّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين عليه السلام.

ـ قال: ـ وذكر ابن سعد: أنّ هذه الحمرة لم تر في السماء قبل قتله.

إلى آخر ما هو مذكور في كتب السنّة، ممّا يدلّك على انقلاب الكون بمقتله عليه السلام، وأنّه قد بكته السماء وصخور الأرض دماً.

ولو فرضنا الخصم جاهلاً بما في تلك الكتب ممّا سمعت بعضه، فهل يجهل ما قام به ابن نباتة خطيباً على أعواده، وتركه سنّة لخطباء المسلمين في الجمعة الثانية من المحرّم في كلّ سنة؟ وإليك ما اشتملت عليه تلك الخطبة بعين لفظه، قال:

بكت لموته الأرض والسماوات، وأمطرت دماً، وأظلمت الأفلاك من الكسوف، واشتدّ سواد السماء، ودام ذلك ثلاثة أيّام، والكواكب في أفلاكها تتهافت،

---

١ ـ ٣. الصواعق المحرقة: ١٩٤، الباب ١١، الفصل ٣.

وعظمت الأهوال حتّى ظنّ أنّ القيامة قد قامت.

ـ قال: ـ كيف لا وهو ابن السيّدة فاطمة الزهراء، وسبط سيّد الخلائق دنياً وآخرة، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ من حبّه في الحسين يقبّل شفتيه، ويحمله كثيراً على كتفيه، فكيف لو رآه ملقى على جنبيه، شديد العطش والماء بين يديه، وأطفاله يصيحون بالبكاء عليه، لصاح ـ عليه الصلاة والسلام ـ وخرّ مغشيّاً عليه؟

ـ قال: ـ فتأسّفوا ـ رحمكم الله ـ على هذا السبط السعيد الشهيد، وتسلّوا بما أصابه عمّا سلف لكم من موت الأحرار والعبيد، واتّقوا الله حقّ تقواه.

ـ قال: ـ وفي الحديث: «إذا حشر الناس في عرصات القيامة، نادى منادٍ من وراء حجب العرش: يا أهل الموقف غضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد، فتجوز وعليها ثوب مخضوب بدم الحسين، وتتعلّق بساق العرش، وتقول: أنت الجبّار العدل، اقض بيني وبين من قتل ابني، فيقضي الله بينها وبينه، ثمّ تقول: اللهمّ شفّعني فيمن بكى على مصيبتي، فيشفّعها الله تعالى فيهم»[1].

إلى آخر كلامه.

فهل ـ بعد هذا كلّه ـ تقول: إنّ البكاء على مصائب أهل البيت بدعة؟! وهب أنّك لاترجو شفاعة الزهراء، ولا تبكي لبكاء الأنبياء والأوصياء، فابك لبكاء الشمس والقمر، ولا يكن قلبك أقسى من الحجر. ابك لبكاء عمر بن سعد، أو عمر بن الحجّاج، والأخنس بن زيد، ويزيد بن معاوية، أو خولي، والسالب لحُليّ فاطمة بنت الحسين عليه السلام. ابك لبكاء العسكر بأجمعه، فقد شهدت كتب السير ببكائهم، مع خبث أُمّهاتهم وآبائهم.

---

١. ديوان خطب لابن نباتة: ٥، الخطبة الثانية. والحديث رواه المفيد في الأمالي: ١٣٠، المجلس ١٥، ح ٦ بتفاوت في بعض الألفاظ.

أيحسن منك ـ وأنت مسلم ـ أن يصاب رسول الله ﷺ بهذه الفجائع، وتحلّ بساحته تلك القوارع، ثمّ تتّخذها ظهريّاً، وتكون عندك نسياً منسيّاً؟ ما هذا شأن أهل الوفاء، ولا بهذا تكون المواساة لسيّد الأنبياء ﷺ.

ثمّ إنّ ذلك الانقلاب الهائل، وتلك الأحوال المدهشة ـ من الخسوف والكسوف ورجفة الأرض، وظلمة الأُفق، وتهافت النجوم، وحمرة السماء، وبكاء الصخر الأصمّ دماً ـ لم تكن إلّا إظهاراً لغضب الله عزّوجلّ، وتنبيهاً على فظاعة الخطب، وتسجيلاً لتلك النازلة في صفحات الأُفق، لئلّا تنسى على مرّ الليالي والأيّام، وفيها من بعث الناس على استشعار الحزن وادّثار الكآبة مالا يخفى على أُولي الألباب.

فصل [٢]

[أسرار مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام]

علم الباحثون من مدقّقي الفلاسفة أنّ في مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام أسراراً شريفة(١)، تعود على الأُمّة بصلاح آخرتها ودنياها، أُنبّهك إليها بذكر بعضها وأُوكلُ الباقي إلى فطنتك:

---

(١) نبّهك إلى بعضها حكيما الغربيّين، وفيلسوفا المستشرقين: الدكتور «جوزف» الفرنساوي في كتابه الإسلام والمسلمون، والمسيو «ماربين» الألماني في كتابه السياسة الإسلاميّة.

وقد ترجمت جريدة حبل المتين الفارسيّة ـ في [العدد] ٨٢ من أعداد سنة ١٧ ـ فصلين من ذينك الكتابين النفيسين، يحتويان على أسرار شهادة الحسين، وفلسفة مآتمه عليه السلام، فكان لهما دويّ في العالم الإسلامي، وأخذا في الشرق دوراً مهمّاً. وتُرجما بالتركيّة والهنديّة.

وعرّبهما سيّدنا الشريف العلاّمة الباحث السيّد صدر الدين الموسوي نجل الإمام الكبير حجّة الإسلام، وآية الله في الأنام، قدوتنا المولى السيّد إسماعيل الصدر أبقاه الله، فنشرت مجلّة العلم أحد الفصلين، ومجلّةُ العرفان نشرت الآخر.

وإليك ما ذكره الدكتور «جوزف» تحت عنوان: «الشيعة وترقّياتها المحيّرة للعقول»، قال ـ من جملة كلام له طويل ـ:

لم تكن هذه الفرقة ـ يعني الشيعة ـ ظاهرة في القرون الأُولى الإسلاميّة كـأُختها، ←

فمنها[1]: أنّها جامعة إسلاميّة ورابطة إماميّة باسم النبيّ وآله ﷺ، ينبعث عنها الاعتصام بحبل الله ـ عزوجلّ ـ والتمسّك بثقلي رسول الله ﷺ، وفيها من اجتماع القلوب على أداء أجر الرسالة بمودّة القربى، وترادف العزائم على إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام ما ليس في غيرها.

← ويمكن أن تنسب قلّتهم إلى سببين:

أحدهما: أنّ الرئاسة والحكومة ـ التي هي سبب ازدياد تابعي المذهب ـ كانت من بدء الإسلام بيد الفرقة الأُخرى.

والسبب الآخر هو القتل والغارات التي كانت تتوالى عليهم.

ونظراً لحفظ نفوس الشيعة حكم أحد أئمّتهم في أوائل القرن الثاني عليهم بالتقيّة، فزادت في قوّتهم؛ لعدم تمكّن العدوّ القويّ الشكيمة من قتلهم، والإغارة عليهم بعد أن لم يكونوا ظاهرين، وصاروا يعقدون المجالس سرّاً، ويبكون على مصائب الحسين، واستحكمت هذه العاطفة في قلوبهم على وجه لم يمض زمان قليل إلّا وارتقوا، حتّى صار منهم الخلفاء والسلاطين والوزراء، وهؤلاء بين من أخفى مذهبه وتشيّعه، وبين من أظهره، وبعد أمير تيمور حيث رجعت السلطنة في إيران إلى الصفويّة، صارت إيران مركز فرقة الشيعة. وبمقتضى تخمين بعض سُوّاح فرنسا: أنّ الشيعة فعلاً سُدْس المسلمين، أو سُبعهم.

ونظراً إلى هذا الترقّي الذي حازته فرقة الشيعة في زمان قليل من دون جبر وإكراه يمكن أن يقال: إنّهم سيفوقون سائر فرق الإسلام بعد قرن أو قرنين، والسبب في ذلك هو إقامة عزاء الحسين الذي قد جعله كلّ واحد منهم داعياً إلى مذهبه. ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد أو الاثنان من الشيعة إلّا ويقيمان فيه عزاء الحسين، ويبذلان في هذا السبيل الأموال الكثيرة، فقد رأيت في نزل «مارسل» شيعياً عربياً من أهالي البحرين يقيم ←

---

١. أي من جملة أسرار مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام.

وحسبك في رجحانها ما يتسنّى بها للحكيم من إلقاء المواعظ والنصائح، وإيـقاف المجتمعين على الشؤون الإسلاميّة والأُمور الإماميّة ولو إجمالاً، وبذلك يكون أمل العاملي نفس أمل إخوانه في العراق وفارس والبحرين والهند وغيرها من بلاد الإسلام.

← مأتم الحسين وهو منفرد، ويرقى المنبر ويقرأ في كتاب ويبكي، ثمّ يقسم ما أحضره من الطعام على الفقراء.

هذه الطائفة تبذل الأموال في هذا السبيل على وجهين: فبعضهم يبذلها من خالص أمواله في كلّ سنة بقدر استطاعته، وصرفيّات هذا القسم تزيد على ملايين فـرنك. وبـعضهم يعيّن أوقافاً لهذا المشروع لخصوص هذه الطائفة، وهذا القسم أضعاف الأوّل.

ويمكن أن يقال: إنّ جميع فرق الإسلام من حيث المجموع لا يبذلون في سبيل تـأييد مذهبهم بمقدار ما تبذله هذه الفرقة في سبيل ترقّيات مذهبها، وموقوفات هذه الفرقة ضِعفا أوقاف سائر المسلمين، أو ثلاثة أضعافها، كلّ واحد من هذه الفرقة هو في الحقيقة داع إلى مذهبه من حيث يخفى على سائر المسلمين؛ بل إنّ الشيعة أنفسهم لا يدركون هذه الفائدة المترتّبة على عملهم، وليس في نظرهم إلّا الثواب الأُخروي، ولكن حيث إنّ كلّ عمل في هذا العالم لابدّ وأن يكون له أثر طبيعي في العالم الاجتماعي قصده الفاعل أو لم يقصده، لم تُحْرَم هذه الفرقة فوائد هذا العمل الطبيعيّة في هذا العالم.

ومن المعلوم أنّ مذهباً دعاته خمسون، أو ستّون مليوناً لابدّ وأن يرتقي أربابه على وجه التدريج إلى ما يليق بشأنهم، حتّى أنّ الرؤساء الروحانيّين من هذه الفرقة وسـلاطينها ووزراءها لم يخرجوا عن صفة كونهم دعاة، وسعي الفقراء والضعفاء في محافظة إقامة عزاء الحسين من حيث انتفاعهم من هذا الباب أكثر من الأعيان والأكابر؛ لأنّهم يرون في ذلك خير الدنيا والآخرة، لهذا ترى جماعة كثيرين من عقلاء هذه الفرقة قد تـركوا سائر أشغالهم المعاشيّة، وتفرغوا لهذا العمل وهم يكابدون المشاقّ في تحرّي العبارات الرائقة، والجمل الواضحة، عند إلقاء فضائل رؤساء دينهم ومصائب أهل البـيت عـلى المنابر في المجالس العموميّة. ←

ولا تنس مايتهيّأ للمجتمعين فيها من الاطّلاع على شؤونهم، والبحث عن شؤون إخوانهم النائين عنهم، وما يتيسّر لهم حينئذٍ من تبادل الآراء فيما يعود عليهم بالنفع، ويجعلهم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً، أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو أنّت له سائر الأعضاء، وبذلك يكونون مستقيمين في السير على خطّة واحدة يسعون فيها وراء كلّ ما يرمون إليه.

← ولأجل هذه المشقّات التي اختارتها هذه الجماعة فاق خطباء هذه الفرقة على خطباء جميع فرق المسلمين، وحيث إنّ تكرار الأمر الواحد يوجب اشمئزاز القلوب ومـللها، وعدم التأثير، تسعى هذه الجماعة في ذكر تمام المسائل الإسلاميّة الراجعة إلى مذهبهم بهذا العنوان على المنابر، حتّى آل الأمر إلى عوامّ الشـيعة بـفضل هـؤلاء الخـطباء أن أصبحوا أعرف بمسائل مذهبهم من معرفة كلّ فرقة من فرق المسلمين بمذهبها، كما أنّ اكتساب الشيعة واحترافهم بهذه الوسيلة وسائر الوسائل الراجعة إليها أيضاً أكـثر مـن سائر المسلمين، ولو نظرنا اليوم في أقطار العالم، نرى أنّ الأفراد التي هي أولى بالمعرفة والعلم والصنعة والثروة إنّما توجد بين الشيعة، والدعوة التي قام بها الشيعة إلى مذهبهم أو سائر الفرق الإسلاميّة غير محدودة، بل إنّ آحاد وأفراد الطائفة دعاة، وما دخلوا بين أُمّة إلّا وسرى هذا الأثر في قلوبها، وليس العدد الذي نراه اليوم في ا لهند من الشيعة إلّا هو أثر إقامة هذه المآتم. الشيعة لم تؤيّد دينها بقوّة، ولا سيف، حتّى في زمن الصفويّة، بل إنّهم بلغوا هذه الدرجة من الترقّي المحيّر للعقول بقوّة الكلام والدعوة التي أثرها أمضى من السيف.

ولقد بلغ اهتمام هذه الفرقة في أداء مراسم مذهبها مبلغاً عـظيماً حـتّى جـعلت ثـلثي المسلمين من أتباع سيرتها، بل اشترك معها كثير من الهنود والمجوس وسائر المذاهب، ومن المعلوم أنّ بعد مضيّ قرن ووصول هذه الأعمال بالإرث إلى أبناء أُولئك الطوائف يذعنون بها ويصدّقون هذا المذهب. →

ومنها: أنّ هذه المآتم دعوة إلى الدين بأحسن صورة وألطف أُسلوب، بل هي أعلى صرخة للإسلام توقظ الغافل من سباته، وتنبّه الجاهل من سكراته، بما تُشرِبه في قلوب المجتمعين، و تَنفُثه في آذان المستمعين، وتبثّه في العالم، وتصوّره قالباً لجميع بني آدم، من أعلام الرسالة، وآيات الإسلام، وأدلّة الدين، وحجج المسلمين، والسيرة النبويّة، والخصائص العلويّة، ومصائب أهل البيت في سبيل الله، وصبرهم على الأذى في إعلاء كلمة الله.

← وبما أنّ فرقة الشيعة تعتقد بأنّ جميع المطالب والمقاصد موكول نجاحها إلى أكابر مذهبهم، وهم يفزعون إليهم في قضاء الحوائج، ويستمدّون منهم عندالشدائد، سرت هذه الروح أيضاً إلى سائر الفرق التي اشتركت معهم في تلك الأعمال والأفعال، ومن المعلوم أنّ بمجرّد قضاء حاجتهم وبلوغ آمالهم ، تزداد عقيدتهم بهذا المذهب رسوخاً.
من هذه القرائن والأسباب يمكن أن نقول: لا يمضي على هذه الفرقة زمان قليل إلّا وتفوق سائر المسلمين من حيث العدد، وكانت هذه الفرقة قبل قرن أو قرنين تلازم التقيّة ـ فيما عدا إيران ـ نظراً لقلّتهم وعدم قدرتهم على إظهار شعائر مذهبهم، ولكن من يوم استولت الدول الغربيّة على الممالك الشرقيّة، ومنحت جميع المذاهب الحرّيّة قامت هذه الفرقة تقيم شعائر مذهبها علناً في كلّ مكان، واستفادوا من هذه الحرّيّة فائدة تامّة حتّى أنّهم تركوا التقيّة.
لهذه الأسباب المذكورة كانت هذه الفرقة أعرف من غيرها بمقتضيات العصر الحاضر، وأكثر سعياً باكتساب المعاش وتحصيل المعارف؛ لذلك ترى العمّال في هذه الفرقة أكثر ممّا تراه في سائر فرق المسلمين ؛ لاشتغال الغالب منهم المستلزم لمتابعة غير الغالب، مضافاً إلى أنّ مثابرتهم على العمل ممّا توجب احتياج الغير إليهم، كما أنّ اختلاطهم مع سائر الفرق وصلاتهم الوداديّة مع غيرهم تلازم غالباً اشتراك الغير في مجالسهم ومحافلهم، فيسمعون أُصول مذهبهم، ويصغون إلى كلماتهم وعباراتهم، وبتكرار ذلك يأنسون بطريقتهم ومذهبهم، وهذا هو عمل الدعاة. ←

فأُولوا النظر والتحقيق يعلمون أنّ خطباء هذه المآتم كلّهم دعاة إلى الدين من حيث لم يقصدوا ذلك، بل لا مبشّر بالإسلام على التحقيق سواهم، وأنت تعلم أنّ الموظّفين لهذا العمل الشريف لا يقصرون في أنحاء البسيطة عن الأُلوف المؤلّفة، فلو بذل المسلمون شطر أموالهم ليوظّفوا دعاة إلى دينهم بعدد أُولئك الخطباء ما تيسّر ذلك لهم، ولو تيسّر فلا يتيسّر من يستمع الدعوة على ممرّ الدهور استماع الناس لما يُتلى في هذه المآتم بكلّ رغبة وإقبال.

← والأثر الذي يترتّب على هذه السيرة هو الأثر الذي يتطلّبه جميع ساسة الغرب في ترقّي دين المسيح مع تلك المصارف الباهضة.

ومن جملة الأُمور السياسيّة التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصبغة مذهبيّة منذ قرون، وأوجبت جلب قلب البعيد والقريب هو: قاعدة التمثيل باسم «الشبيه» في مآتم الحسين.

وقد قرّر حكماء الهند التمثيل لأغراض ليس هذا موضع ذكرها وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أُوربّا وأخرجته بمقتضى السياسة بصورة التفرّج، وصارت تمثّل الأُمور المهمّة السياسيّة في دور التمثيل الخاصّة والعامّة، وجلبت القلوب بسببه. وأصابت بسهم غرضين: تفريج النفوس، وجلب القلوب في الأُمور السياسيّة، والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصبغة دينيّة، ويمكن القول بأنّ الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود.

وكيف كان فالأثر الذي ينبغي أن يعود من التمثيل إلى قلوب الخواصّ والعوامّ قد عاد، ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم وذكر المصائب الواردة على أكابر دينهم، والمظالم التي وردت على الحسين عليه السلام مع تلك الأخبار الواردة في فضل البكاء على مصائب آل محمّد صلى الله عليه وآله إذا انضمّت إلى تمثيل تلك المصائب تكون شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواصّ هذه الفرقة وعوامّها فوق ما يتصوّر. وهذا هو السبب الذي لم يسمع من ابتداء ترقّي مذهب الشيعة إلى الآن أن ترك بعضهم دين الإسلام، أو دخل في سائر الفرق الإسلاميّة. ←

ومنها: ما قد أثبته العيان، وشهد به الحسّ والوجدان من بثّ روح المعارف بسبب هذه المآتم، ونشر أطراف من العلوم ببركتها؛ إذ هي ـ بشرط كونها على أُصولها ـ أرقى مدرسة للعوامّ، يستضيئون فيها بأنوار الحكم من جوامع الكلم، ويلتقطون منها

← هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة، فتارةً في مجالس خصوصيّة وأمكنة معيّنة، وحيث إنّ الفرق الأُخرى قلّما تشترك معهم في المجالس، اخترعوا تمثيلاً خاصّاً وصاروا يدورون به في الأزقّة والطرقات وبين جميع الفرق، فتتأثّر قلوب جميع الفِرق من القريب والبعيد عين الأثر الذي يحصل من التمثيل، ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجّه الأنظار من الخاصّ والعامّ حتّى قلّد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلاميّة والهنود، واشتركوا معهم في ذلك، وهو في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلاميّة، كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد.

ويغلب على الظنّ أنّ أُصول التمثيل بين الشيعة قد تداول في زمن الصفويّة الذين هم أوّل من نال السلطنة بقوّة المذهب، وأجاز العلماء والرؤساء الروحانيّون هذه الأُصول.

ومن جملة الأُمور التي أوجبت ترقّي هذه الفرقة وشهرتهم ـ في كلّ مكان ـ هو تعرّفهم، بمعنى أنّ هذه الطائفة قد جلبت إليها قلوب سائر الفرق من حيث الجاه والقوّة والشوكة والاعتبار بواسطة المجالس والمآتم والشبيه، واللطم والدوران، وحمل الرايات والألوية في عزاء الحسين.

إنّ من المعلوم أنّ كلّ جمعيّة وجماعة تجلب إليها الأنظار والخواطر بدرجة ما، مثلاً لو كان في بلد عشرة آلاف متفرّقين، وفي محلّ ألف نفس مجتمعة، كانت شوكة الألف المجتمعين وأُبّهتهم في أنظار الخاصّة والعامّة أكثر من العشرة آلاف المتفرّقين، مضافاً إلى أنّه إذا اجتمع ألف نفس انضمّ إليهم من غيرهم مثل عددهم إمّا للتفرّج، أو لأجل صداقة ورفاقة، أو لأغراض أُخرى، وبهذا الانضمام تزيد شوكة الألف وقوّتهم في الأنظار وتتضاعف.

←

دُرر السِيَر، ويقفون بها على أنواع العِبَر، ويتلقّون فيها من الحديث والتفسير والفقه ما يلزمهم حمله ولا يسعهم جهله؛ بل هي المدرسة الوحيدة للعوامّ في جميع بلاد الإسلام.

← ومن الأُمور الطبيعيّة المؤيّدة لفرقة الشيعة في تأثير قلوب سائر الفرق هو إظهار مظلوميّة أكابر دينهم، وهذا التأثير من الأُمور الفطريّة؛ لأنّ كلّ أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم، ويحبّ نصرة الضعيف والمظلوم على القويّ، والطبائع البشريّة أميل إلى الضعيف والمظلوم ـ ولو كان مبطلاً ـ من الظالم وإن كان محقّاً، ولا سيّما إذا مرّت عليه السنون والأعوام.

وهؤلاء مصنّفو أُوربّا الذين ذكروا في كتبهم تفصيل مقاتلة الحسين وأصحابه وقتله، مع أنّهم لا يعتقدون بهم يذعنون بالمظلوميّة لهم، ويعترفون بظلم وتعدّي قاتليهم وعدم رحمتهم، ولا يذكرون أسماءهم إلّا مشمئزّين، وهذه الأُمور الطبيعيّة لا يقف أمامها شيء، وهذا السرّ من المؤيّدات الطبيعيّة لفرقة الشيعة. انتهى.

وقال المسيو ماربين حكيم الألمان وفيلسوف المستشرقين ما هذا نصّ تعريبه:

إنّ عدم معرفة بعض مؤرّخينا بحقيقة الحال أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين إلى الجنون! ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام، فإنّا لم نر في سائر الأقوام مانراه في شيعة الحسين من الحصبات السياسيّة والثورات المذهبيّة بسبب إقامة عزاء الحسين، وكلّ من أمعن النظر في رقيّ شيعة عليّ [عليه السلام] الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين [عليه السلام] شعارهم في مدّة مائة سنة يذعن أنّهم فازوا بأعظم الرقيّ، فإنّه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة عليّ والحسين [عليهما السلام] في الهند إلّا ما يعدّ بالأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة من حيث الجمعيّة إذا قيسوا بغيرهم، وكذلك هم في سائر نقاط الأرض، وإذا قسنا دعاتنا مع تلك المصارف الباهضة والقوّة الهائلة، والشيعة ترى دعاتنا لم يحظوا بعشر ترقيّات هذه الفرقة، وإن كان قسسنا يحزنون القلوب بذكر مصائب المسيح ولكن لا بذلك الشكل والأُسلوب المتداول بين شيعة الحسين، ويغلب على الظنّ أنّ سبب ذلك هو: أنّ مصائب الحسين أشدّ حزناً وأعظم تأثيراً من مصائب المسيح، فعلى مؤرّخينا أن يعرفوا حقيقة رسوم الأغيار ←

وقد تفنّن خطباؤها فيما يصدعون به أوّلاً على أعوادها، ثمّ يتخلّصون منه إلى ذكر المصيبة وتلاوة الفاجعة.

← وعاداتهم ولا ينسبوها إلى الجنون، وإنّي أعتقد بأنّ بقاء القانون الإسلامي، وظهور الديانة الإسلاميّة، وترقّي المسلمين هو مسبّب عن قتل الحسين وحدوث تلك الوقائع المحزنة، وهكذا ما تراه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة وإباء الضيم، ما هو إلّا بواسطة عزاء الحسين، وما دامت في المسلمين هذه الملكة والصفة لا يقبلون ذلّاً ولا يدخلون في أسر أحد.

ينبغي لنا أن ندقّق النظر في ما يذكر من النكات الدقيقة الحيويّة في مجالس إقامة عزاء الحسين، ولقد حضرت دفعات في المجالس التي يذكر فيها عزاء الحسين في إسلامبول مع مترجم، وسمعتهم يقولون: الحسين الذي كان إمامنا ومقتدانا، ومن تجب طاعته ومتابعته علينا لم يتحمّل الضيم، ولم يدخل في طاعة يزيد، وجاد بنفسه وعياله وأولاده وأمواله في سبيل حفظ شرفه وعلوّ حسبه ومقامه، وفاز في قبال ذلك بحسن الذكر والصيت في الدنيا، والشفاعة يوم القيامة، والقرب من الله، وأعداؤه قد خسروا الدنيا والآخرة.

فرأيت بعد ذلك وعلمت أنّهم في الحقيقة يدرّس بعضهم بعضاً علناً بأنّكم إن كنتم شيعة الحسين وأصحاب شرف، إن كنتم تطلبون السيادة والفخر، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد، ولا تتحمّلوا الذلّ، بل اختاروا الموت بعزّة على الحياة بذلّة حتّى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة، وتحظوا بالفلاح .

من المعلوم حال الاُمّة التي تلقى عليها أمثال هذه التعاليم من المهد إلى اللحد، في أيّ درجة تكون في الملكات العظيمة، والسجايا العالية، نعم هكذا اُمّة تحوي كلّ نوع من أنواع السعادة والشرف، ويكون جميع أفرادها جنداً مدافعين عن عزّهم وشرفهم، هذا هو التمدّن الحقيقي اليوم، هذا هو طريق تعليم الحقوق، هذا هو معنى تدريس اُصول السياسة . انتهى.

فمنهم: من يشنّف المسامع ويشرّف الجوامع بالحكم النبويّة، والمواعظ العلويّة، أو يتلو أوّلاً من كلام أئمّة أهل البيت ما يقرّب المستمعين إلى الله، ويأخذ بأعناقهم إلى تقواه.

ومنهم: من يتلو أوّلاً من سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتأريخ أوصيائه عليهم السلام ما يبعث المستمعين على مودّتهم، ويضطرّهم إلى بذل الجهد في طاعتهم.

ومنهم: من ينبّه الأفكار أوّلاً إلى فضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومقام أوصيائه عليهم السلام بما يسرده من الأحاديث الصحيحة، والآيات المحكمة الصريحة.

ومنهم: من يتلو أوّلاً من الأحكام الشرعيّة والعقائد الدينيّة ما تعمّ به البلوى المكلّفين، ولا مندوحة عن معرفته لأحد من العالمين.

هذه سيرتهم المستمرّة أيّام حياتهم، فهل ترى - بجدّك - للعوامّ مدرسة تقوم مقامها في جسيم فوائدها وعظيم مقاصدها؟ لا، وسرّ الحكماء الذين بعثوا شيعتهم عليها، وحكمة الأوصياء الذين أرشدوا أولياءهم إليها.

ومنها: الارتقاء في الخطابة، والعروج إلى منتهى البراعة، كما يشهدبه الوجدان، ولا نحتاج فيه إلى برهان.

ومنها: العزاء عن كلّ مصيبة، والسلوة لكلّ فادحة، إذ تهون الفجائع بذكر فجائعهم، وتنسى القوارع بتلاوة قوارعهم، كما قيل في رثائهم عليهم السلام:

أنست رزيّتُكم رزايانا التي   سلفت و هوّنت الرزايا الآتيهْ

ومنها: إنعاش أهل الفاقة، وإثلاج أكباد حِرارٍ من أهل المسكنة على الدوام بما ينفق في هذه المآتم من الأموال في سبيل الله - عزّوجلّ - وما يبذل فيها لأهل المسغبة وغيرهم.

وأنت تعلم أنّه لا وسيلة لقرّاء تلك المآتم في التعيّش غالباً إلّا هذه الوظيفة، وهم من الرجال والنساء - بقطع النظر عمّن يقومون بنفقته - اُلوف مؤلّفة يعيشون ببركة

أهل البيت ويتنعّمون بيمن مآتمهم عليهم السلام.

ومنها: أنّ المصلحة التي استشهد الحسين ـ بأبي وأمّي ـ في سبيلها، وسفك دمه الزكيّ تلقاءها، تستوجب استمرار هذه المآتم، وتقتضي دوامها إلى يوم القيامة.

وبيان ذلك: أنّ المنافقين حيث دفعوا أهل البيت عن مقامهم، وأزالوهم عن مراتبهم التي رتّبهم الله فيها، ظهروا للناس بمظاهر النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأظهروا التأييد لدينه، والخدمة لشريعته، فوقع الالتباس، واغترّ بهم أكثر الناس. ولمّا ملكوا من الأُمّة أزمّتها، واستسلمت لهم برمّتها، حرّموا ـ والناس في سِنَة عن سوء مقاصدهم ـ من حلال الله ما شاؤوا، وحلّلوا من حرامه ما أرادوا، وعاثوا في الدين، وحكّموا فيه القاسطين، فسَمَلوا أعين أولياء الله، وقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبوهم على جذوع النخل، ونفوهم عن عقر ديارهم حتّى تفرّقوا أيدي سبأ، ولعنوا أميرالمؤمنين عليه السلام وكنّوا به عن أخيه الصادق الأمين صلى الله عليه وآله.

فلو دامت تلك الأحوال ـ وهم أولياء السلطة المطلقة، والرئاسة الروحانيّة ـ لما أبقوا للإسلام عيناً ولا أثراً، لكن ثار الحسين عليه السلام فادياً دين الله ـ عزّ وجلّ ـ بنفسه وأحبّائه، حتّى وردوا حياض المنايا ولسان حاله يقول:

إن كان دينُ محمّد لم يستقمْ إلّا بقتلي يا سيوفُ خذيني[1]

فاستنقذ الدين من أيدي الظالمين، وانكشف الغطاء بوقوع تلك الرزايا عن نفاق القوم، حتّى تجلّت عداوتهم لله ـ عزّوجلّ ـ وظهر انتقامهم من رسول الله صلى الله عليه وآله إذ لم يكتفوا بقتل الرجال من بنيه عطاشى والماء تعبث فيه خنازير البرّ وكلابه، ولم يقنعوا بذبح الأطفال من أشباله أحياء وقد غارت أعينهم من شدّة العطش، ولا اكتفوا باستئصال العترة الطاهرة ونجوم الأرض من شيبة الحمد حتّى وطئوا جثثهم

---

١. هذا البيت لِسان حاله عليه السلام، ولم نجده في كتب المقاتل والتواريخ بعد الفحص عنه.

بسنابك الخيل، وحملوا رؤوسهم على أطراف الأسنّة، وتركوا أشلاءهم الموزّعة عارية بالعراء، مباحة لوحوش الأرض وطير السماء، ثمّ أبرزوا ودائع الرسالة وحرائر الوحي مسلّبات، وطافوا البلاد بهنّ سبايا كأنّهنّ من كوافر البربر، حتّى أدخلوهنّ تارةً على ابن مرجانة، وأُخرى على ابن آكلة الأكباد، وأوقفوهنّ على درج الجامع في دمشق حيث تباع جواري السبي.

فلم تبق بعدها وقفة في عداوتهم لله، ولا ريبة بنفاقهم في دين الإسلام، وعلم حينئذٍ أهل البحث والتنقيب من أُولي الألباب أنّ هذه أُمور دبّرت بليل، وأنّها عن عهد السلف بها إلى خلفه، وما كانت ارتجالاً من يزيد، وما المسبِّبُ لو لم ينجح السبب. ثمّ لم تزل أنوار هذه الحقيقة تتجلّى لكلّ من نظر نظراً فلسفياً في فجائع الطفّ وخطوب أهل البيت، أو بحث بحث مدقّق عن أساس تلك النوازع، وأسباب هاتيك الفظائع.

وقد علم أهل التدقيق من أُولي البصائر أنّه ما كان لهذا الفاجر أن يرتكب من أهل البيت ما ارتكب، لولا ما مهّده سلفه من هدم سورهم وإطفاء نورهم، وحمله الناس على رقابهم، وفعله الشنيع يوم بابهم[١].

وتالله لولا ما بذله الحسين عليه السلام في سبيل إحياء الدين من نفسه الزكيّة، ونفوس أحبّائه بتلك الكيفيّة، لأمسى الإسلام خبراً من الأخبار السالفة(١)، وأضحى

---

(١) كما شهد به العظماء من فلاسفة الغرب، وإليك ما ذكره المسيو ماربين في كتابه «السياسة الإسلامية» بعين لفظ المعرّب. قال ـ من جملة كلام طويل ـ:

لا يشكّ صاحب الوجدان ـ إذا دقّق النظر في أوضاع ذلك العصر وكيفيّة نجاح بني أُميّة في مقاصدهم واستيلائهم على جميع طبقات الناس وتزلزل المسلمين ـ أنّ الحسين ←

---

١. يشير إلى إرادة الخليفة الثاني حرق باب فاطمة عليها السلام.

المسلمون أُمّة من الأمم التالفة؛ إذ لوبقي المنافقون على ما كانوا عليه من الظهور للعامّة بالنيابة عن رسول الله والنصح لدينه صلى الله عليه وآله، وهم أولياء السلطة المطلقة والإرادة المقدّسة، لغرسوا من شجرة النفاق ما أرادوا، وبثّوا من روح الزندقة ماشاؤوا، وفعلوا بالدين ما توجبه عداوتهم له، وارتكبوا من الشريعة كلّ أمر يقتضيه نفاقهم.

← قد أحيا بقتله دين جدّه وقوانين الإسلام، وإن لم تقع تلك الواقعة ولم تظهر تلك الحسيّات الصادقة بين المسلمين لأجل قتل الحسين لم يكن الإسلام على ما هو عليه الآن قطعاً، بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئذٍ حديث العهد. عزم الحسين إنجاح هذا المقصد وإعلان الثورة ضدّ بني أُميّة من يوم توفّي والده، فلمّا قام يزيد مقام معاوية خرج الحسين من المدينة وكان يظهر مقصده العالي ويبثّ روح الثورة في المراكز المهمّة الإسلاميّة كمكّة والعراق، وأينما حلّ فازدادت نفرة قلوب المسلمين التي هي مقدّمة الثورة من بني أُميّة، ولم يكن يجهل يزيد مقاصد الحسين، وكان يعلم أنّ الثورة إذا أُعلنت في جهة والحسين قائدها ـ مع تنفّر المسلمين عموماً من حكومة بني أُميّة وميل القلوب وتوجّه الأنظار إلى الحسين ـ عمّت جميع البلاد، وفي ذلك زوال ملكهم وسلطانهم، فعزم يزيد قبل كلّ شيء من يوم بويع على قتل الحسين. ولقد كان هذا العزم أعظم خطأ سياسيّ صدر من بني أُميّة الذي جعلهم نسياً منسيّاً ولم يبق منهم أثر ولا خبر.

وأعظم الأدلّة على أنّ الحسين أقدم على قتل نفسه، ولم تكن في نظره سلطنة ولا رئاسة، هو أنّه ـ مضافاً إلى ما كان عليه من العلم والسياسة والتجربة التي وقف عليها زمن أبيه وأخيه في قتال بني أُميّة ـ كان يعلم أنّه مع عدم تهيئة الأسباب له واقتدار يزيد لايمكنه المقاومة والغلبة. وكان يقول من يوم توفّي والده: إنّه يقتل [1]. وأعلن يوم خروجه من المدينة: أنّه يمضي إلى القتل، وأظهر ذلك لأصحابه والذين اتّبعوه من باب إتمام ←

---

١. بحار الأنوار ٤٤: ٣٣١ ـ ٣٣٢، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢.

وأمّا ـ وشيبة الحسين عليه السلام المخضوبة بدمه الطاهر ـ لولا ما تحمّله ـ سلام الله عليه ـ في سبيل الله ما قامت لأهل البيت عليهم السلام ـ وهم حجج الله ـ قائمة، ولا عرفهم ـ وهم أُولوا الأمر ـ ممّن تأخّر عنهم أحد، لكنّه ـ بأبي وأُمّي ـ فضح المنافقين، وأسقطهم

← الحجّة، حتّى يتفرّق الذين التفّوا حوله طمعاً بالدنيا، وطالما كان يقول: «خير لي مصرع أنا ملاقيه»[١].

ولو لم يكن قصده ذلك، ولم يكن عالماً عامداً، لجمع الجنود ولسعى في تكثير أصحابه وزيادة استعداده، لا أن يفرّق الذين كانوا معه، ولكن لمّا لم يكن له قصد إلّا القتل مقدّمة لذلك المقصد العالي، وإعلان الثورة المقدّسة ضدّ يزيد، رأى أنّ خير الوسائل إلى ذلك الوحدة والمظلوميّة، فإنّ أثر هكذا مصائب أشدّ وأكثر في القلوب.

من الظاهر أنّ الحسين مع ما كانت له من المحبوبيّة في قلوب المسلمين في ذلك الزمان لو كان يطلب قوّة واستعداداً، لأمكنه أن يخرج إلى حرب يزيد جيشاً جرّاراً، ولكنّه لو وضع ذلك، لكان قتله في سبيل طلب السلطنة والإمارة، ولم يفز بالمظلوميّة التي أنتجت تلك الثورة العظيمة، هذا هو الذي سبّب أن لا يبقي معه أحداً إلّا الذين لا يمكن انفكاكهم عنه، كأولاده وإخوانه وبني إخوته وبني أعمامه وجماعة من خواصّ أصحابه، حتّى أنّه أمر هؤلاء أيضاً بمفارقته ولكنّهم أبوا عليه ذلك، وهؤلاء أيضاً كانوا من المعروفين بين المسلمين بجلالة القدر وعظم المنزلة، وقتلهم معه ممّا يزيد في عظم المصيبة وأثر الوقعة.

نعم، إنّ الحسين بمبلغ علمه وحسن سياسته بذل كمال جهده في إفشاء ظلم بني أُميّة وإظهار عداوتهم لبني هاشم، وسلك في ذلك كلّ طريق؛ لما كان يعلم عداوة بني أُميّة له ولبني هاشم، ويعرف أنّهم بعد قتله يأسرون عياله وأطفاله، وذلك يؤيّد مقصده، ويكون له أثر عظيم في قلوب المسلمين ـ سيّما العرب ـ كما وقع ذلك، حملهم معه وجاء بهم من المدينة. ←

---

١. المصدر: ٣٦٦ ـ ٣٦٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢.

من أنظار العالمين، واستلفت الأبصار بمصيبته إلى سائر مصائب أهل البيت، واضطرّ الناس بحلول هذه القارعة إلى البحث عن أساسها، وحملهم على التنقيب عن أسبابها، والفحص عن جذرها و بذرها، واستنهض الهمم إلى حفظ مقام

← نعم، إنّ ظلم بني أُميّة وقساوة قلوبهم في معاملاتهم مع حرم محمّد وصباياه أثّر في قلوب المسلمين تأثيراً عظيماً لا ينقص عن أثر قتله وأصحابه، ولقد أظهر في فعله هذا عقيدة بني أُميّة في الإسلام وسلوكهم مع المسلمين سيّما ذراري نبيّهم، لهذا كان الحسين يقول في جواب أصحابه والذين كانوا يمنعونه عن هذا السفر: «إنّي أمضي إلى القتل».

ولمّا كانت أفكار المانعين محدودة، وأنظارهم قاصرة لا يدركون مقاصد الحسين العالية ، لم يألوا جهدهم في منعه، وآخر ما أجابهم به أن قال لهم: «شاء الله ذلك» و«جدّي أمرني به» فقالوا: إن كنت تمضي إلى القتل فما وجه حملك النسوة والأطفال؟ فقال: «إنّ الله شاء أن يراهنّ سبايا»[1]. ولمّا كان بينهم رئيساً روحانياً، لم يكن لهم بدّ عن السكوت.

وممّا يدلّ على أنّه لم يكن له غرض إلّا ذلك المقصد العالي الذي كان في نفسه، ولم يتحمّل تلك المصائب لسلطنة وإمارة، ولم يقدم على هذا الخطر من غير علم ودراية ـ كما تصوّره بعض المؤرّخين منّا ـ أنّه قال لبعض ذوي النباهة قبل الواقعة بأعوام كثيرة على سبيل التسلية: «إنّ بعد قتلي وظهور تلك المصائب المحزنة يبعث الله رجالاً يعرفون الحقّ من الباطل، يزورون قبورنا، ويبكون على مصابنا، ويأخذون بثارنا من أعدائنا، أُولئك جماعة ينشرون دين الله وشريعة جدّي، وأنا وجدّي نحبّهم، وهم يحشرون معنا يوم القيامة»[2]. ←

١. راجع: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٨؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢.

٢. لاحظ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٠٩.

أهل البيت عليهم السلام، وحرك الحميّة على الانتصار لهم؛ لأنّ الطبيعة البشريّة والجبلّة الإنسانيّة تنتصر للمظلومين، وتنتقم بجهدها من الظالمين، فاندفع المسلمون إلى موالاة أهل البيت حتّى كأنّهم قد دخلوا بعد فاجعة الطفّ في دور جديد، وظهرت الروحانيّة الإسلاميّة بأجلى مظاهرها، وسطع نور أهل البيت بعد أن كان محجوباً بسحائب ظلم الظالمين، وانتبه الناس إلى نصوص الكتاب والسنّة فيهم عليهم السلام، فهدى الله بها من هدى لدينه، وضلّ عنها من عمي عن سبيله.

← ولو تأمّل المتأمّل في كلام الحسين وحركاته يرى أنّه لم يترك طريقاً من السياسة إلّا سلكه في إظهار شنائع بني أُميّة وعداوتهم القلبيّة لبني هاشم ومظلوميّة نفسه، وهذا ممّا يدلّ على حسن سياسته، وقوّة قلبه، وتضحية نفسه في طريق الوصول إلى المقصد الذي كان في نظره، حتّى أنّه في آخر ساعات حياته عمل عملاً حيّر عقول الفلاسفة، ولم يصرف نظره عن ذلك المقصد العالي مع تلك المصائب المحزنة والهموم المتراكمة، وكثرة العطش والجراحات، وهو قصّة الرضيع.

لمّا كان يعلم أنّ بني أُميّة لايرحمون له صغيراً، رفع طفله الصغير تعظيماً للمصيبة على يده أمام القوم، وطلب منهم أن يأتوه شربة من الماء فلم يجيبوه إلّا بالسهم، ويغلب على الظنّ أنّ غرض الحسين من هذا العمل تفهيم العالم بشدّة عداوة بني أُميّة لبني هاشم، وأنّها إلى أيّ درجة بلغت، ولا يظنّ أحد أنّ يزيد كان مجبوراً على تلك الإقدامات الفجيعة لأجل الدفاع عن نفسه؛ لأنّ قتل الطفل الرضيع في تلك الحال بتلك الكيفيّة ليس هو إلّا توحّش وعداوة سبعيّة منافية لقواعد كلّ دين وشريعة، ويمكن أن تكون هذه الفاجعة كافية في افتضاح بني أُميّة ورفع الستار عن قبائح أعمالهم ونيّاتهم الفاسدة بين العالم سيّما المسلمين، وأنّهم يخالفون الإسلام في حركاتهم؛ بل يسعون بعصبيّة جاهليّة إلى اضمحلال آل محمّد وجعلهم أيدي سبأ.

ونظراً لتلك المقاصد العالية التي كانت في نظر الحسين ـ مضافاً إلى وفور علمه ←

[علم الحسين عليه السلام بآثار قيامه، ودلائله]

وكان الحسين ـ بأبي وأُمّي ـ على يقين من ترتّب هذه الآثار الشريفة على قتله وانتهاب رحله، وذبح أطفاله وسبي عياله؛ بل لم يجد طريقاً لإرشاد الخلق إلى الأئمّة بالحقّ، واستنقاذ الدين من أئمّة المنافقين ـ الذين خفي مكرهم، وعلا في

← وسياسته التي كان لا يشكّ فيها اثنان ـ لم يرتكب أمراً يوجب مجبوريّة بني أُميّة للدفاع، حتّى أنّه مع ذلك النفوذ والاقتدار الذي كان له في ذلك العصر، لم يسع في تسخير البلاد الإسلاميّة وضمّها إليه، ولا هاجم ولاية من ولايات يزيد إلى أن حاصروه في واد غير ذي زرع، قبل أن تبدو منه أقلّ حركة عدائيّة، أو تظهر منه ثورة ضدّ بني أُميّة. لم يقل الحسين يوماً: سأكون ملكاً أو سلطاناً، وأُصبح صاحب سلطة. نعم، كان يبثّ روح الثورة في المسلمين بنشره شنائع بني أُميّة واضمحلال الدين إن دام ذلك الحال، وكان يخبر بقتله ومظلوميّته وهو مسرور، ولمّا حوصر في تلك الأرض القفراء، أظهر لهم من باب إتمام الحجّة بأنّهم لو تركوه لرحل بعياله وأطفاله، وخرج من سلطة يزيد، ولقد كان لهذا الإظهار الدالّ على سلامة نفس الحسين في قلوب المسلمين غاية التأثير.

قتل قبل الحسين ظلماً وعدواناً كثير من الرؤساء الروحانيّين وأرباب الديانات، وقامت الثورة بعد قتلهم بين تابعيهم ضدّ الأعداء، كما وقع مكرّراً في بني إسرائيل، وقصّة يحيى من أعظم الحوادث التاريخيّة، ومعاملة اليهود مع المسيح لم ير نظيرها إلى ذلك العهد، ولكن واقعة الحسين فاقت الجميع.

لم يرشدنا التاريخ إلى أحد من الروحانيّين وأرباب الديانات أنّه أقدم على قتل نفسه عالماً عامداً لمقاصد عالية لا تنجح إلّا بقتله، فإنّ كلّ واحد من أرباب الديانات ـ الذين قتلوا ـ ثار عليهم أعداؤهم وقتلوهم ظلماً، وبمقدار مظلوميّتهم قامت الثورة بعدهم، ومقاصد الحسين كانت عن علم وحكمة وسياسة، وليس لها نظير في التاريخ، فإنّه ←

نفوس العامّة أمرهم ـ إلّا الاستسلام لتلك الرزايا، والصبر على هاتيك البلايا، وما قصد كربلاء إلّا لتحمّل ذلك البلاء عهد معهود عن أخيه، عن أبيه، عن جدّه، عن الله عزّوجلّ.

← لم يزل يوالي السعي في تهيئة أسباب قتله نظراً لذلك المقصد العالي، ولم نجد في التاريخ رجلاً ضحّى حياته عالماً عامداً لترويج ديانته من بعده إلّا الحسين.

المصائب التي تحمّلها الحسين في طريق إحياء دين جدّه تفوق على مصائب أرباب الديانات السابقين، ولم ترد على أحد منهم.

نعم، إنّ هناك رجالاً قتلوا في طريق إحياء الدين ولكنّهم لم يكونوا كالحسين، فإنّه ضحّى نفسه العزيزة في طريق إحياء دين جدّه، وفداه بأولاده وإخوانه وأقربائه وأحبابه وأمواله وعياله، ولم تقع هذه المصائب دفعة واحدة حتّى تكون في حكم مصيبة واحدة، بل وقعت متتالية واحدة بعد أُخرى، ويختصّ الحسين دون غيره بتواتر أمثال هذه المصائب ، كما يشهد له التاريخ.

لم تنته المصائب التي وردت على الحسين من قتله وقتل أصحابه، وتسيير نسائه وبناته إلّا وانكشف الغطاء عن سرائر بني أُميّة، وقبائح أعمالهم، وظهرت بين المسلمين الحسيّات السياسيّة، وتولّدت أسباب الثورة ضدّ سلطنة يزيد وبني أُميّة، وعلم الجميع أنّ بني أُميّة مخرّبو الإسلام، وصار الجميع يرفض بدعهم وتقوّلاتهم ، وعرفوا بالظلم والغصب بالعكس من بني هاشم، فإنّهم عُرفوا بالمظلوميّة، وأنّ لهم الرئاسة الروحانيّة بالاستحقاق، وإليهم تنمى الحقيقة الروحانيّة.

كأنّ المسلمين ـ بعد قتل الحسين ـ قد دخلوا في دور جديد، وظهرت الروحانيّة الإسلاميّة بأجلى مظاهرها، وتجدّدت بعد أن كانت مندرسة غائبة عن أذهان المسلمين، كما أنّه لا يشكّ اثنان في تفوّق مصائب الحسين على جميع مصائب روحاني السلف، فكذلك لا يشكّ في الثورة التي حدثت بعده بأنّها فاقت سائر الثورات السالفة، وإنّ امتدادها وأثرها أكثر ، وإنّ بها ظهرت للعالم مظلوميّة آل محمّد. ←

ويرشدك إلى ذلك ـ مضافاً إلى أخبارنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة ـ دلائل أقواله، وقرائن أفعاله، فإنّها نصّ فيما قلناه، وحسبك منها:

جوابه لأُمّ سلمة إذ قالت له ـ كما في البحار وجلاء العيون وغيرها [١] ـ: يا بنيّ

← فكانت أوّل نتيجة هذه الثورة اختصاص الرئاسة الروحانيّة التي لها أهميّة عظمى في عالم السياسة ببني هاشم وخصوصاً في أولاد الحسين عليه السلام، فكان منهم أئمّة الشيعة وإلى حال التاريخ ينظر عموم المسلمين إلى بني هاشم سيّما أولاد الحسين نظرهم إلى الروحانيّين، ولم يطل العهد حتّى نزعت تلك السلطنة من بني أُميّة وزالت السلطة والقدرة من آل يزيد في أقلّ من قرن، واندرست آثارهم على وجه لم يبق منهم عين ولا أثر، وأينما ذكرت أسماؤهم في متون الكتب قرنها المسلمون بكلمة الشماتة، وكلّ ذلك نتيجة سياسة الحسين الذي يمكن أن يقال: إنّه لم يأت في أرباب الديانات والروحانيّين رجل عرف عواقب الأُمور مع بعد نظر وحسن سياسة كالحسين.

والتاريخ لم يرشدنا قبل أن تصل سبايا الحسين إلى الشام قامت الثورة ضدّ يزيد وظهرت بمظلوميّة الحسين سرائر بني أُميّة، وكشفت الغطاء عن نيّاتهم، وتوجّه اللوم على يزيد حتّى من أهل داره وحرمه، وصار يزيد يسمع تقديس الحسين وأولاد عليّ وعظمتهم ومظلوميّتهم بعد أن لم يكن يمكن ذكرهم عنده بخير، وكان يصعب عليه ذلك إلّا أنّه لم يكن له بدّ غير السكوت، ولمّا أراد تبرئة نفسه من تلك الأعمال، ألقى المسؤوليّة على عمّاله ولم يزل يسمع محامد الحسين، قال ذات يوم: إنّ سلطنة الحسين كانت أهون عليّ من هذا المقام العالي الذي فاز به آل عليّ وبنو هاشم.

وبالأخير فشيعة الحسين لم يزالوا يستفيدون من هذه الثورات، وتزيد قوّة بني هاشم وعظمتهم حتّى لم يمض أقلّ من قرن إلّا وصارت السلطنة الإسلاميّة الوسيعة في ←

١. بحار الأنوار ٤٤: ٣٣١ ـ ٣٣٢، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢؛ جلاء العيون: ٥١٦.

لا تحزنّي بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت جدّك صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يقتل ولدي الحسين بأرض يقال لها: كربلاء».

فقال لها: «يا أُمّاه، وأنا والله أعلم ذلك، وإنّي مقتول لا محالة، وليس لي منه بدّ، وقد شاءالله أن يراني مقتولاً، ويرى حرمي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين».

وجوابه لأخيه عمر إذ قال له ـ حين امتنع من البيعة ليزيد ـ: حدّثني أخوك أبومحمّد، عن أبيه ـ ثمّ بكى حتّى علا شهيقه ـ فضمّه الحسين إليه وقال ـ

← بني هاشم من دون مزاحم، وأبادوا بني أُميّة على وجه لم يبق منهم اسم ولارسم غير أفراد تسلّموا زمام السلطنة في الأندلس إلى كم قرن، ولم يبق فعلاً من تلك العظمة التي سيطرت على المسلمين قروناً عديدة أثر، ولم يوجد من أُولئك شخص ولو تحت ستر الخفاء، ولو وجد فلا يمكنه إظهار نسبه؛ نظراً لشناعة ذلك، ولمّا انتهت السلطنة بعد قرن إلى بني هاشم كانت في أولاد عمّ الحسين دون أولاده؛ لأنّهم اعتزلوا الناس، وأذعن الجميع لهم بالرئاسة الروحانيّة.

نعم، نال أولاد عمّ الحسين هذه السلطة، وتوفّقوا بسبب ثورات شيعة الحسين للقبض على زمامها، ولكنّهم بعد أن استلموا زمام الأُمور، وانقاد لهم الجمهور، صاروا في صدد منع تلك الثورات التي نالوا السلطة ببركتها خوفاً من رجوع السلطنة الإسلاميّة إلى أولاد الحسين وانتزاعها من أيديهم كما انتزعت من بني أُميّة، فقامت تلك الثورات يوماً فيوماً لمنع هؤلاء أوّلاً، ولاضمحلال بني أُميّة ثانياً، فلمّا رأى عقلاء شيعة عليّ ذلك، عرفوا أنّ تلك الثورات لا تقاوم سلطنة أولاد عمّهم؛ لزيادة اقتدارهم، وتفرّق الآراء والأهواء العموميّة، [و]تركوها بحسب الظاهر ولكنّهم في الحقيقة غيّروا شكلها، وأظهروها بصورة أُخرى، أعني بالاجتماع وعقد الاجتماعات، وذكر الوقائع المحزنة، والمصائب المؤلمة التي وردت على الحسين، حفظاً لروح الثورة، وتمهيداً لأسباب النهضة، وصوناً لها عن الاضمحلال والاندراس. انتهى.

كما في اللهوف وغيره[١] ـ: «حدّثك أنّي مقتول» قال: حوشيت يابن رسول الله، فقال: «بحقّ أبيك بقتلي خبّرك؟» قال: نعم، فلو بايعت.

فقال عليه السلام: «حدّثني أبي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته، أتظنّ أنّك علمت مالم أعلم؟».

والرؤيا التي رآها في مسجد جدّه صلى الله عليه وآله حين ذهب ليودّعه، وقول النبيّ له فيها ـ كما في أمالي الصدوق وغيره[٢] ـ: «بأبي أنت كأنّي أراك مرمّلاً بدمك بين عصابة من هذه الأُمّة [يرجون شفاعتي] ما لهم عندالله من خلاق».

وكتابه إلى بني هاشم لمّا فصل من المدينة، وقوله فيه ـ كما في اللهوف[٣] نقلاً عن رسائل ثقة الإسلام ـ: «أمّا بعد فإنّ من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح».

وخطبته ليلة خروجه من مكّة، وقوله فيها ـ كما في اللهوف وغيره[٤] ـ: «كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ـ إلى أن قال: ـ ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، موطّناً على لقاءالله نفسه، فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً إن شاءالله تعالى».

وقوله ـ كما في اللهوف وغيره[٥] ـ: «لولا تقارب الأشياء وهبوط الأجل، لقاتلتهم بهؤلاء، ولكنّي أعلم يقيناً أنّ هناك مصرعي ومصرع أصحابي، لاينجو منهم إلّا ولدي عليّ».

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٩ ـ ١٠٠، ذُكر في الهامش.

٢. الأمالي للصدوق: ١٣٠، المجلس ٣٠، ح ١؛ بحار الأنوار ٥٨: ١٨٢، كتاب السماء والعالم، الباب ٤٤، ح ٤٦.

٣. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٨. راجع أيضاً مناقب آل أبي طالب ٤: ٨٤.

٤. المصدر: ١٢٦. راجع أيضاً: مثير الأحزان: ٤١؛ كشف الغمّة ٢: ٢٤١؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦ ـ ٣٦٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢.

٥. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٦. فيها: «حبوط الأجر» بدل «هبوط الأجل».

وجوابه لأخيه محمّد بن الحنفيّة إذ قال له ـ كما في اللهوف وغيره[١] ـ: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: «بلى، ولكن أتاني رسول الله ﷺ بعد ما فارقتك فقال: يا حسين اخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً».

فقال ابن الحنفيّة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هذه النسوة وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ فقال له: «قال لي: إنّ الله شاء أن يراهنّ سبايا».

وجوابه لابن عبّاس وابن الزبير إذ أشارا عليه بالإمساك، فقال لهما ـ كما في اللهوف وغيره[٢] ـ: «إنّ رسول الله أمرني بأمر، وأنا ماض فيه».

فخرج ابن عبّاس وهو يقول: واحسيناه.

وجوابه لعبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، إذ حاولا عنه الرجوع فأبى وقال لهما ـ كما في تاريخي ابن جرير وابن الأثير وغيرهما[٣] ـ: «رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأمرني بما أنا ماض له».

وقوله في كلام له مع ابن الزبير ـ كما في تاريخي ابن جرير وابن الأثير وغيرهما[٤] ـ: «وايم الله، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتّى يقضوا فيّ حاجتهم، ووالله ليعتدُنّ كما اعتدت اليهود في السبت».

---

١. المصدر: ١٢٨. راجع أيضاً: بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢؛ ينابيع المودّة ٣: ٦٠، الباب ٦١.

٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠١. راجع أيضاً بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤ ـ ٣٦٥، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢.

٣. تاريخ الطبري ٥: ٣٨٨، حوادث سنة ٦٠؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤١، حوادث سنة ٦٠. راجع أيضاً: الإرشاد للمفيد ٢: ٦٩؛ إعلام الورى ١: ٤٤٦؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢.

٤. تاريخ الطبري ٥: ٣٨٥، حوادث سنة ٦٠؛ الكامل في التاريخ ٤: ٣٨، حوادث سنة ٦٠.

وقوله في مقام آخر ـ كما في كامل ابن الأثير وغيره[١] ـ: «والله لا يدعونني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من قرام المرأة» يعني من خرقة الحيض.

وقوله لأبي هرّة ـ كما في تاريخ ابن جرير وغيره[٢] ـ: «وايم الله لتقتلني الفئة الباغية».

ورؤياه التي رآها لمّا ارتحل من قصر بني مقاتل ـ كما في تاريخ الطبري وغيره[٣] ـ: فقال حين انتبه: «إنا لله وإنّا إليه راجعون، الحمد لله ربّ العالمين» مرّتين أو ثلاثاً.

قالوا: فأقبل عليه ابنه عليّ فقال: يا أبتاه ـ جعلت فداك ـ ممّ حمدت الله واسترجعت؟ فقال: «يا بنيّ خفقت برأسي فعنّ لي فارس، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعيت إلينا».

فقال: يا أبت ـ لا أراك الله سوءاً ـ ألسنا على الحقّ؟ قال: «بلى، والذي إليه مرجع العباد»، قال: إذاً لا نبالي نموت محقّين، فقال له: «جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده».

وقوله لمّا أُخبر بقتل قيس بن مسهّر الصيداوي ـ كما في تاريخ الطبري وغيره[٤] ـ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

إلى غير ذلك من أقواله الصريحة بأنّه كان على يقين ممّا انتهت إليه حاله، وأنّه ما

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٤، حوادث سنة ٦٠؛ الكامل في التاريخ ٤: ٣٩، حوادث سنة ٦٠. راجع أيضاً: مقاتل الطالبيين: ٧٤؛ البداية والنهاية ٨: ١٨٣، حوادث سنة ٦٠.

٢. لم نعثر عليه في تاريخ الطبري، ولكن حكاه ابن طاووس في الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٢، وابن نما في مثير الأحزان: ٤٦، والمجلسي في بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٨، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢.

٣. تاريخ الطبري ٥: ٤٠٧ـ٤٠٨، حوادث سنة ٦١؛ الكامل في التاريخ ٤: ٥١، حوادث سنة ٦٠.

٤. تاريخ الطبري ٥: ٤٠٥، حوادث سنة ٦١. راجع أيضاً الكامل في التاريخ ٤: ٥٠، حوادث سنة ٦١ والآية في سورة الأحزاب (٣٣): ٢٣.

خرج إلّا ليبذل في سبيل الله نفسه و جميع ما ملكته يده، ويضحّي في إحياء دين الله أولاده وإخوته، وأبناء أخيه وبني عمومته وخاصّة أوليائه، والعقائل الطاهرات من نسائه.

إذ لم يرالسبطُ للدينِ الحنيف شِفاً إلّا إذا دَمُه في نصرِه سُفِكا

وما سمعنا عليلاً لا علاجَ له إلّا بنفسِ مُداوِيه إذا هلكا

بقتلِه فاح للإسلامِ طيبُ هُدَىً فكلّما ذكرته المسلمون ذكا

وصانَ سترَ الهدى عن كلّ خائنةٍ سترُ الفواطمِ يومَ الطفّ إذ هُتِكا

نفسي الفداءُ لفادٍ شرعَ والدِه بنفسِه وبأهليهِ وما ملكا

قد آثَر الدينَ أن يحيا فَقَحَّمَها حيث استقام القنا الخَطِّي واشتبكا(١)

على أنّ الأمر الذي انتهت إليه حاله كان من الوضوح بمثابة لم تخف على أحد، وقدنهاه عن ذلك الوجه ـ جهلاً بمقاصده السامية ـ كثير من الناس، وأشفقوا عليه وأنذروه بلؤم بني أُميّة وغدر أهل العراق.

فقال له أخوه محمّد بن الحنفيّة ـ كما في اللهوف وغيره[1] ـ:

يا أخي إنّ أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنّك أعزّ من في الحرم وآمنه، فإن خفت فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنّك أمنع الناس به ولا يقدر عليك [أحد]، فردّه الحسين عليه السلام برأفة ورفق، وقال: «أنظر فيما قلت».

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة للشريف الفاضل السيّد جعفر الحلّي يرثي بها جدّه عليه السلام[2].

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٧ ـ ١٢٨. راجع أيضاً بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢.

٢. سحر بابل وسجع البلابل: ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

وأتاه ابن عبّاس فقال: يابن عمّ، قد أرجف النّاس أنّك سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع؟

قال: «إنّي قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى».

فقال له ابن عبّاس ـ كما في تاريخي الطبري، وابن الأثير وغيرهما[١] ـ:

أُعيذك بالله من ذلك، أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم و ضبطوا بلادهم و نفوا عدوّهم؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تجبي بلادهم، فإنّهم إنّما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغرّوك، و يكذبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك، فيكونوا أشدّ الناس عليك.

فردّه الحسين عليه السلام ردّ رحمة وحنان، فقال له: «أستخير الله وأنظر ما يكون».

فخرج ابن عبّاس ثمّ جاءه مرّةً أُخرى فقال له ـ كما في تاريخي الطبري وابن الأثير وغيرهما[٢] ـ: يابن عمّ إنّي أتصبّر ولا أصبر. إنّي أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إنّ أهل العراق قوم غُدُر فلا تقربنّهم. أقم بهذا البلد، فإنّك سيّد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك ـ كما زعموا ـ فاكتب إليهم، فلينفوا عدوّهم ثمّ أقدم عليهم؛ فإن أبيت إلّا أن تخرج فسر إلى اليمن؛ فإنّ بها حصوناً وشعاباً، ولأبيك بها شيعة، فتكتب إلى الناس وتبثّ دعاتك، فإنّي أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ في عافية.

فقال له الحسين عليه السلام: «يابن عمّ، إنّي لأعلم والله أنّك ناصح مشفق، ولكن قد عزمت وأجمعت على المسير».

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٣٨٣ ـ ٣٨٤، حوادث سنة ٦٠؛ الكامل في التاريخ ٤: ٣٧ و٣٩، حوادث سنة ٦٠. راجع أيضاً الأخبار الطوال: ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

٢. تقدّم تخريجها آنفاً.

ودخل عليه عمر بن عبدالرحمن المخزومي فقال له ـ كما في تاريخي الطبري وابن الأثير وغيرهما[١] ـ: إنّي مشفق عليك، إنّك تأتي بلداً فيه عمّاله وأُمراؤه، ومعهم بيوت وأموال، وإنّما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره.

فقال له الحسين عليه السلام: «جزاك الله خيراً يابن عمّ، فقد علمت أنّك مشيت بنصح وتكلّمت بعقل، ومهما يُقضَ من أمر يكن».

وكتب إليه عبدالله بن جعفر بعد خروجه من مكّة ـ كما في تاريخي الطبري وابن الأثير وغيرهما[٢] ـ: أمّا بعد، فإنّي أسألك بالله لمّا انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فإنّي مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنّك عَلَم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإنّي في أثر كتابي والسلام.

وقام عبدالله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد ـ وهو عامل يزيد يومئذٍ بمكّة ـ فقال له: أُكتب للحسين كتاباً تجعل له الأمان فيه، وتمنّيه فيه البرّ والصلة، واسأله الرجوع.

ففعل عمرو ذلك وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد وعبدالله بن جعفر، فلحقاه وقرآ عليه الكتاب وجهدا أن يرجع، فلم يفعل.

وقال له عبدالله بن مطيع إذ اجتمع به في الطريق على بعض مياه العرب ـ كما في تاريخ الطبري وغيره[٣] ـ: أُذكّرك الله ـ يابن رسول الله ـ وحرمةَ الإسلام أن تنتهك،

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٣٨٢، حوادث سنة ٦٠؛ الكامل في التاريخ ٤: ٣٧ ـ ٣٩، حوادث سنة ٦٠. راجع أيضاً مناقب آل أبي طالب ٤: ١٠٢.

٢. تاريخ الطبري ٥: ٣٨٧ ـ ٣٨٨، حوادث سنة ٦٠؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤٠ ـ ٤١، حوادث سنة ٦٠. راجع أيضاً الإرشاد للمفيد ٢: ٦٨.

٣. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٥ ـ ٣٩٦، حوادث سنة ٦٠؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤١، حوادث سنة ٦٠.

أنشدك الله في حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أُميّة ليقتلنّك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً. والله إنّها لحرمة الإسلام تنتهك، وحرمة قريش، وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرّض لبني أُميّة.

ـ قالوا: ـ فأبى إلّا أن يمضي إنجازاً لمقاصده السامية.

ولقيه أحد بني عكرمة ببطن العقبة ـ كما في تاريخ الطبري وغيره[1] ـ فقال له: أنشدك الله لمّا انصرفت، فوالله لا تقدمُ إلّا على الأسنّة وحدّ السيوف، فإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطّؤوا لك الأشياء، فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال فإنّي لا أرى لك أن تفعل.

فقال له: «يا عبدالله إنّه ليس يخفى عليّ الرأي ما رأيت، ولكنّ الله لا يغلب على أمره».

ولقيه بعض بني تميم قريباً من القادسيّة ـ كما في تاريخ الطبري وغيره[2] ـ فقال له: ارجع فإنّي لم أدع لك خيراً أرجوه.

وكان قد لقيه الفرزدق بن غالب الشاعر في الصفاح ـ كما في تاريخ الطبري وغيره[3] ـ فقال له: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أُميّة.

وما التقى في الطريق بأحد إلّا التمسه على الرجوع؛ إشفاقاً عليه من لؤم بني أُميّة وغدر أهل العراق، وما كان ليخفى عليه ما ظهر لأغلب الناس، لكنّه وهؤلاء كما قيل: أنت بواد و العذول بوادي.

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٩، حوادث سنة ٦٠؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤٣، حوادث سنة ٦٠. راجع أيضاً الإرشاد للمفيد ٢: ٦٨.

٢. تاريخ الطبري ٥: ٣٨٩، حوادث سنة ٦٠.

٣. تاريخ الطبري ٥: ٣٨٦، حوادث سنة ٦٠. راجع أيضاً الكامل في التاريخ ٤: ٤٠، حوادث سنة ٦٠.

ما نزل ـ بأبي وأُمّي ـ منزولاً ولا ارتحل منه ـ كما في الإرشاد وغيره[١] ـ إلّا ذكر يحيى بن زكريّا وقتله.

وقال يوماً: «من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريّا أُهدي إلى بَغِيٍّ من بغايا بني إسرائيل».

فهل تراه أراد بهذا غير الإشارة إلى أنّ سبيله في هذا الوجه إنّما هو سبيل يحيى عليه السلام؟

وأخبره الأسديّان[٢] وهو نازل في الثعلبيّة ـ كما في تاريخ الطبري وغيره[٣] ـ بقتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وأنّهما يجرّان بأرجلهما في الأسواق بلا نكير.

فهل يمكن بعد هذا أن يبقى له أمل بنصرة أهل الكوفة، أو طمع في شيء من خيرهم؟!

والله ما جاءهم إلّا يائساً منهم، عالماً بكلّ ما كان منهم عليه.

وقد كتب ـ وهو نازل بزبالة ـ كتاباً قرئ بأمره على الناس، وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّه قد أتانا خبر فظيع: قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وعبدالله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه منّا ذمام».

قال محمّد بن جرير الطبري ـ في تاريخ الأمم والملوك[٤] ـ: فتفرّق الناس عنه تفرّقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً حتّى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة. ـ قال: ـ وإنّما فعل ذلك؛ لأنّه ظنّ أنّما اتّبعه الأعراب؛ لأنّهم ظنّوا أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون على ما يقدمون.

---

١. الإرشاد للمفيد ٢: ١٣٢. راجع أيضاً: مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٢ ـ ٩٣؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٢.

٢. هما: عبدالله بن سليم والمذري بن المشمعل، لاحظ تاريخ الطبري ٥: ٣٩٧، حوادث سنة ٦٠.

٣. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٧، حوادث سنة ٦٠. راجع أيضاً الإرشاد للمفيد ٢: ٧٣ ـ ٧٤.

٤. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٨ ـ ٣٩٩، حوادث سنة ٦٠. راجع أيضاً الإرشاد للمفيد ٢: ٧٥.

ـ قال: ـ وقد علم أنّهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلّا من يريد مواساته والموت معه. انتهى.

وذكر أهل الأخبار:

أنّ الطرماح بن عديّ لمّا اجتمع به في عذيب الهجانات، دنا منه فقال له ـ كما في تاريخ الطبري وغيره[1] ـ: والله إنّي لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلّا هؤلاء الذين أراهم ملازميك ـ يعني الحرّ وأصحابه ـ لكان كفى بهم، وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة، وفيه من الناس ما لم تر عيناي في صعيد واحد جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم فقيل: اجتمعوا ليعرضوا ثمّ يسرّحوا إلى حرب الحسين، فأنشدك الله إن قدرت أن لا تقدم عليهم شبراً إلّا فعلت، فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتّى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتّى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى «أجأ» امتنعنا والله به من ملوك غسّان وحمير، ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله ما دخل علينا فيه ذلّ قطّ، فأسير معك حتّى أنزلك القرية، ثمّ نبعث إلى الرجال ممّن بـ«أجأ» و «سلمى» من طيّء فوالله لا يأتي عليك عشرة أيّام حتّى تأتيك طيّء رجالاً وركباناً، ثمّ أقِم فينا ما بدالك، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف، فقال له: «جزاك الله وقومك خيراً».

وأبى أن ينصرف عن مقصده.

وأنت تعلم أنّه لو كان له رغبة في غلبة، أو ميل إلى سلطان، لكان لكلام الطرماح وقع في نفسه عليه السلام، ولظهر منه الميل إلى ما عرضه عليه، لكنّه ـ بأبي وأمّي ـ أبى إلّا الفوز بالشهادة بالموت في إحياء دين الإسلام، وقد صرّح بذلك فيما تمثّل به، إذ

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٤٠٦، حوادث سنة ٦١. راجع أيضاً الكامل في التاريخ ٤: ٥٠، حوادث سنة ٦١.

قال له الحرّ: أُذكّرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ، فقال عليه السلام ـ كما في تاريخ الطبري وغيره[١] ـ:

«سأمضي ومابالموتِ عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقّاً وجاهدَ مسلماً
وواسَى الرجالَ الصالحين بنفسِه وفارقَ مثبوراً وخالف مجرماً»

وحسبك في إثبات علمه من أوّل الأمر بما انتهت إليه حاله ما سمعته من إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بقتله في شاطئ الفرات بموضع يقال له «كربلاء» وبكائه عليه، ونداء أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا حاذى نينوى وهو منصرف إلى صفّين: «صبراً أباعبدالله، صبراً أباعبدالله بشاطئ الفرات».[٢]

وقوله إذ مرّ بكربلاء: «هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم».[٣]

وقول الحسين عليه السلام لأخيه عمر: «حدّثني أبي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته».[٤]

وقول الحسن للحسين عليهما السلام ـ كما في أمالي الصدوق وغيرها[٥] ـ من جملة كلام كان بينهما: «ولكن لا يوم كيومك يا أباعبدالله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك، فعندها يحلّ الله ببني أُميّة اللعنة».

إلى غير ذلك من الأخبار الدالّة على أنّ قتل الحسين عليه السلام كان معروفاً عند أهل

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٤٠٤، حوادث سنة ٦١. راجع أيضاً الكامل في التاريخ ٤: ٥٠، حوادث سنة ٦١.
٢. الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.
٣. المصدر.
٤. راجع الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٠، ذُكر في الهامش.
٥. راجع: الأمالي للصدوق: ١٠١، المجلس ٢٤، ح ٣؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٣؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٩، ذُكر في الهامش.

البيت منذ أخبر الله به نبيّه صلى الله عليه وآله؛ بل صريح أخبارنا أنّ ذلك ممّا أُوحي إلى الأنبياء السابقين، وقد سمعت ما أشرنا إليه من بكائهم عليهم السلام.

ويظهر من بعض الأخبار أنّ قتل الحسين كان معروفاً عند جملة من الصحابة والتابعين حتّى أنّهم ليعلمون أنّ قاتله عمر بن سعد.

وحسبك ما نقله ابن الأثير حيث ذكر مقتل عمر بن سعد في كامله[1] عن عبدالله بن شريك قال: أدرك أصحاب الأردية المعلّمة، وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواري إذا مرّبهم عمر بن سعد، قالوا: هذا قاتل الحسين، وذلك قبل أن يقتله.

قال: وقال ابن سيرين: قال عليّ لعمر بن سعد: «كيف أنت إذا قمت مقاماً تخيّر فيه بين الجنّة والنار، فتختار النار؟».

أترى الحسين عليه السلام كان جاهلاً بما عليه أصحاب السواري؟ كلّا والله ما علم أصحاب البرانس السود ذلك إلّا منه، أو من أخيه، أو من جدّه، أو من أبيه.

وقد أطلنا الكلام في هذا المقام، إذ لم نجد من وفّاه حقّه وخرج من عهدة التكليف بإيضاحه.

والحمد لله على التوفيق لتحرير هذه المسألة، وتقرير شواهدها وأدلّتها على وجه تركن النفس إليه، ولا يجد المنصف بدّاً من البناء عليه؛ بل لا أظنّ أحداً يقف على ما تلوناه ثمّ يرتاب فيما قرّرناه.

والآن نشرع في الكتاب متوكّلين على الله عزّوجلّ، وقد جعلناه **أربعة أجزاء**.

---

١. الكامل في التاريخ ٤: ٢٤٢، حوادث سنة ٦٦.

الجزء الأوّل

يشتمل على فصول:

الفصل الأوّل

فيما يتلى بتمامه صبيحة العاشر من المحرّم

ويتلى مجالس متعدّدة في سائر أيّام العشر، أو في بقيّة أيّام السنة، فهو ليـوم العاشر مجلس واحد، ولغيره اثنا عشر مجلساً، وقد جعلت العـلامة عـلى انـتهاء المجلس أبياتاً في الرثاء تناسب المقام، ثمّ عقّبتها بنقط سبع تكون بشكل النـقط التي تكون تحت هذا السطر:

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

فلينتبه القارئ بوقوفه عليها، وليذكرني بأدعيته فـإنّي مـضطرّ إليـها، والله وليّ التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل. ولنشرع في المقصود، فنقول:

[المجلس الأوّل]

كان[(١)] مولد الحسين عليه السلام لخمس ليالٍ خلون[(٢)] من شعبان سنة أربع من الهجرة. ولمّا ولد هبط جبرائيل عليه السلام ومعه ألف ملك، يهنّون النبيّ صلى الله عليه وآله بولادته[١].

وعن أُمّ الفضل زوجة العبّاس ـ عليها الرحمة ـ قالت: رأيت في منامي قبل مولد الحسين عليه السلام كأنّ قطعة من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله قطعت فوضعت في حجري، فقصصت ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يا أُمّ الفضل رأيت خيراً إن صدقت رؤياكِ، فإنّ فاطمة ستلد غلاماً وأدفعه إليك لترضعيه».

---

(١) هذا المجلس يناسب اليوم الأوّل من المحرّم.

(٢) كذا في إرشاد المفيد[٢]، وقيل غير ذلك[٣].

---

١. عيون المعجزات: ٦٥؛ مثير الأحزان: ١٦؛ الملهوف على قتل الطفوف: ٩٠ ذُكر في الهامش؛ دلائل الإمامة: ٧٩؛ الدرّ النظيم: ٥٢٨.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ٢٧. صرّح به الطبري أيضاً في تاريخه ٢: ٥٥٥، حوادث سنة ٤، وأبوالفرج في مقاتل الطالبيّين: ٥١، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢: ١٧٦، حوادث سنة ٦٠. للمزيد راجع أيضاً: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٢٠٩؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ٨٤؛ مثير الأحزان: ١٦؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩١ ـ ٩٢؛ الدرّ النظيم: ٥٢٥.

٣. راجع: الدرّ النظيم: ٥٢٥؛ مثير الأحزان: ١٦؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩١؛ إعلام الورى ١: ٤٢٠؛ دلائل الإمامة: ٧١؛ الدروس الشرعيّة للشهيد الأوّل ٢: ٨.

قالت: فجرى الأمر على ذلك، فجئت به يوماً إليه فوضعته في حجره، فبينا هو يقبّله، إذ بال فقطرت من بوله قطرة على ثوب النبيّ ﷺ فقرصته فبكى، فقال النبيّ ﷺ كالمغضب: «مهلاً يا أُمّ الفضل، هذا ثوبي يغسل وقد أوجعتِ ابني».

قالت: فتركته في حجره وقمت لآتيه بماء، فجئت إليه فوجدته يبكي، فقلت: ممّا بكاؤك يا رسول الله؟! فقال: «أتاني جبرائيل فأخبرني أنّ أُمّتي ستقتل ولدي هذا»[١].

ولمّا أتت على الحسين من مولده سنة كاملة هبط على رسول الله ﷺ اثنا عشر ملكاً محمرّة وجوههم، باكية عيونهم، فقالوا: «يا محمّد، إنّه سينزل بولدك الحسين ما نزل بهابيل من قابيل، وسيعطى مثل أجر هابيل، ويحمل قاتله مثل وزر قابيل»[٢].

ولم يبقَ في السماوات ملك مقرّب إلّا نزل إلى النبيّ ﷺ يقرئه السلام عن ربّه عزّ وجلّ، ويعزّيه في الحسين عليه السلام، ويخبره في ثواب ما يُعطى، وربما عرض عليه تربته فيقول النبيّ ﷺ: «اللهمّ اخذل من خذله، واقتل من قتله، ولا تمتّعه فيما طلب»[٣].

فلمّا كان له من العمر سنتان خرج النبيّ ﷺ في سفرٍ له، فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك؟ فقال: «هذا جبرائيل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات يقال لها كربلاء، يُقتل فيها ولدي الحسين، وكأنّي أنظر إلى مصرعه ومدفنه».

---

١. راجع: مسند أحمد ١٠: ٢٥٦، ح ٢٦٩٣٩، و ٢٥٧، ح ٢٦٩٤٣؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٤٦٩؛ البداية والنهاية ٦: ٢٥٨، حوادث سنة ١١.

٢. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٧، الفصل ٨، ح ١٢؛ مثير الأحزان: ١٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٢.

٣. راجع: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، الفصل ٨، ح ١٢؛ مثير الأحزان: ١٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٢ ـ ٩٣. وانظر أيضاً كامل الزيارات: ١٣١ ـ ١٣٢، الباب ١٧، ح ٨.

ثمّ رجع مهموماً مغموماً فصعد المنبر يخطب والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه، فلمّا فرغ وضع يده اليمنى على رأس الحسن، ويده اليسرى على رأس الحسين، ثمّ رفع رأسه الشريف إلى السماء وقال: «اللهمّ إنّي محمّد عبدك ونبيّك، وهذان أطائب عترتي، وخيار ذرّيّتي وأرومتي، وقد أخبرني جبرائيل أنّ ولدي هذا مقتول مخذول، اللهمّ فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء، ولا تبارك اللهمّ في قاتله وخاذله». فضجّ الناس في المسجد بالبكاء[1].

ثمّ خرج النبيّ صلى الله عليه وآله فما لبث أن رجع متغيّر اللون، محمرّ الوجه، فخطب خطبةً أُخرى موجزة وعيناه تهملان دموعاً، ثمّ قال: «أيّها الناس، إنّي خلّفت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأرومتي ومزاج مائي، وثمرة فؤادي ومهجتي، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، ألا وإنّي أنتظرهما، وإنّي لا أسألكم في ذلك إلّا ما أمرني ربّي أن أسألكموه: المودّة في القربى، فانظروا أن لا تلقوني غداً على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم.

ألا وإنّه سترد عليَّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأُمّة:

الأُولى: راية سوداء مظلمة قد فزعت لها الملائكة، فتقف عليَّ فأقول: من أنتم؟ فينسون ذكري، فيقولون: نحن من أهل التوحيد من العرب، فأقول لهم: أنا أحمد نبيّ العرب والعجم، فيقولون: نحن من أُمّتك يا أحمد. فأقول لهم: كيف خلفتموني في أهلي وعترتي وكتاب ربّي؟ فيقولون: أمّا الكتاب فضيّعناه(١)، وأمّا عترتك

---

(١) يعني أنّ الله تعالى يقهرهم على النطق بذلك ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

١. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٨ ـ ٢٣٩، الفصل ٨، ح ١٣.

٢. النور (٢٤): ٢٤.

فحرصنا أن نبيدهم عن آخرهم من جديد الأرض. فأُولّي عنهم وجهي فيصدرون ظماءً عطاشى مسودّةٌ وجوههم.

ثمّ ترد عليَّ راية أُخرى أشدّ سواداً من الأُولى، فأقول لهم: كيف خلفتموني في الثقلين الأكبر والأصغر؟ فيقولون: أمّا الأكبر فخالفناه، وأمّا الأصغر فخذلناه ومزّقناه كلّ ممزّق، فأقول: إليكم عنّي. فيصدرون ظماءً عطاشى مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليَّ راية أُخرى تلمع وجوههم نوراً، فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحن أُمّة محمّد المصطفى ﷺ، ونحن بقيّة أهل الحقّ، حملنا كتاب ربّنا فحلّلنا حلاله وحرّمنا حرامه، وأحببنا ذرّيّة نبيّنا، فنصرناهم من كلّ ما نصرنا منه أنفسنا، وقاتلنا معهم من ناوأهم. فأقول لهم: ابشروا فإنّي نبيّكم محمّد، ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم، ثمّ أسقيهم من حوضي فيصدرون مرويّين مستبشرين، ثمّ يدخلون الجنّة خالدين فيها أبد الآبدين»[١].

وفي صحيح مسلم[٢]، عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً بماء يدعى خمّاً، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثمّ قال: «أيّها الناس، فإنّما أنا بشر، يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور ـ فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثمّ قال: ـ وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي».

وفي رواية: «وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، سألت ربّي ذلك

---

١. راجع: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٩، الفصل ٨، ح ١٤؛ مثير الأحزان: ١٨ ـ ٢٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٣ ـ ٩٤؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٩، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٤٦؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ١١٧ ـ ١١٩.

٢. صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٦.

لهما، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[١].

وفي رواية عن زيد أيضاً قال: أقبل رسول الله ﷺ يوم حجّة الوداع فقال: «إنّي فرطكم على الحوض، وإنّكم تبعي، وإنّكم توشكون أن تردوا عليَّ الحوض، فأسألكم عن ثقلي كيف خلفتموني فيهما».

فقام رجل من المهاجرين فقال: ما الثقلان يا رسول الله؟

فقال: «الأكبر منهما كتاب الله، والأصغر عترتي، فمن استقبل قبلتي، وأجاب دعوتي، فليستوصِ بهم خيراً. فلا تقتلوهم، ولا تقهروهم، ولا تقصّروا عنهم، وإنّي قد سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني أن يردا عليَّ الحوض كهاتين ـ وأشار بالمسبحتين ـ ناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليّهما لي وليّ، وعدوّهما لي عدوّ»[٢].

وقال ﷺ في مرضه الذي توفّي ـ بأبي وأُمّي ـ فيه والحجرة غاصّة بأصحابه: «يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرةً إليكم، ألا إنّي مخلّف فيكم كتاب ربّي عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي»[٣].

وكان آخر ما تكلّم به ـ فيما رواه الطبراني عن ابن عمر ـ: «اخلفوني في أهل بيتي»[٤].

بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، أين موضع القبول منهم بعهدك إلى أخيك،

---

١. راجع: المعجم الكبير ٣: ٦٦، ح ٢٦٨١، و ٥: ١٦٦ ـ ١٦٧، ح ٤٩٧١؛ الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١، و ٢٢٨، باب وصيّة النبيّ ﷺ بهم.

٢. ينابيع المودّة ١: ١١٦ ـ ١١٧، الباب ٤، ح ٤٠ بتفاوت.

٣. الصواعق المحرقة: ١٢٦، الباب ٩، الفصل ٢؛ ينابيع المودّة: ١٢٤، الباب ٤، ح ٥٦.

٤. المعجم الأوسط ٤: ٥١٢ ـ ٥١٣، ح ٣٨٧٢.

ووصاياك ببضعتك الزهراء وبنيك، وقد هدم القوم ما بنيت، وأضلّوا جانباً ممّن هديت، وفعلوا بعترتك ما لا يفعلون بالخوارج، وقابلوهم بما لا يقابلون به أهل الخنى والريب؟

تَــرَكُــوهُم شَــتّى مَـصا ئِـبُهم وأجـمعُها فـظيعه
فـــمُكابدٌ للســـمِّ قــد سُقِيَت حشـاشتُه نَـقِيعَه
ومُـــضرّجٌ بـــالسيف آ ثَرَ عِزَّةً وأبــى خـضوعه
ومُـــصَفَّدٌ لله ســـلــ ـم أمر ما قاسى جَـميعُه
وسَـــبِيَّةٌ بـــاتَتْ بأفـــعـ ـى الهمّ مـهجتها لَسـيِعَه
سُلِبَت وما سُلِبَت مـحا مِدُ عِـزِّها الغُـرِّ البَـدِيعَهْ
وكـــرائـــمُ التـنزيل بـيـ ـن أُمَيَّةٍ بَرَزَتْ مَرُوعَه(١)

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة للشريف الفاضل السيّد حيدر الحلّي يرثي بها جدّه عليه السلام [1].

---

١. ديوان السيّد حيدر الحلّي ١: ٩١ ـ ٩٢.

[المجلس الثاني]

لمّا هلك(١) معاوية ابن أبي سفيان ـ وذلك في رجب سنة ستّين[١] ـ كتب ابنه يزيد ـ لعنه الله ـ إلى ابن عمّه الوليد بن عتبة، وكان والياً على المدينة، يأمره بأخذ البيعة من أهلها عامّةً ومن الحسين عليه السلام خاصّة، ويقول له: إنْ أبى فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

فاستشار الوليد مروان بن الحكم فقال له: لو كنت مكانك لضربت عنقه، فقال الوليد: ليتني لم أكُ شيئاً مذكوراً.

ثمّ بعث إلى الحسين عليه السلام فجاءه في ثلاثين من أهل بيته ومواليه، فنعى الوليد إليه معاوية، وعرض عليه البيعة ليزيد، فقال عليه السلام: «إذا دعوت الناس غداً فادعنا معهم» ونهض لينصرف، فقال مروان: لا تقبل أيّها الأمير عذره وقد أبى، فاضرب عنقه.

فغضب الحسين عليه السلام وقال: «ويل لك يا بن الزرقاء، أنت تأمره بضرب عنقي، كذبت والله ولَؤُمْتَ»، ثمّ أقبل على الوليد فقال: «إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن

(١) وهذا المجلس أيضاً يناسب اليوم الأوّل من المحرّم.

١. كما في تاريخ الطبري ٥: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، حوادث سنة ٦٠، والكامل في التاريخ ٤: ٦ و ١٤، حوادث سنة ٦٠، والإرشاد للمفيد ٢: ٣٢، والدرّ النظيم: ٥٤٠.

الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس، معلن بالفجور، ومثلي لا يبايع مثله» ثمّ خرج عليه السلام.

فقال مروان للوليد: عصيتني. فقال: ويحك إنّك أشرت عليَّ بذهاب ديني ودنياي، والله ما أُحبّ أنّ مُلك الدنيا بأسرها لي وإنّي قتلت حسيناً أن قال: لا أُبايع، والله ما أظنّ أنّ أحداً يلقى الله بدم الحسين إلّا وهو خفيف الميزان، لا ينظر الله إليه ولا يزكّيه، وله عذاب أليم[1].

وأصبح الحسين عليه السلام فخرج يستمع الأخبار، فلقيه مروان فقال له: يا أباعبدالله، إنّي لك ناصح فأطعني ترشد، فقال عليه السلام: «وما ذاك، قل حتّى أسمع». فقال مروان: إنّي آمرك ببيعة أمير المؤمنين - يعني يزيد لعنه الله - فإنّه خيرٌ لك في دينك ودنياك. فقال عليه السلام: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام». وطال الحديث بينهما حتّى انصرف عدوّ الله وطريد رسوله الوزغ ابن الوزغ وهو غضبان[2].

وعن عمر بن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لمّا امتنع أخي الحسين من البيعة بالمدينة دخلت عليه فوجدته خالياً بنفسه، فقلت له: جُعلت فداك يا أباعبدالله، حدّثني أخوك أبومحمّد الحسن عن أبيه، ثمّ سبقتني الدمعة وعلا شهيقي، فضمّني إليه وقال: «حدّثك أنّي مقتول؟»، فقلت: حوشيت يا ابن رسول الله، فقال: «سألتك بحقّ أبيك بقتلي خبّرك؟» فقلت: نعم، فلو بايعت.

فقال عليه السلام: «حدّثني أبي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته، أتظنّ أنّك علمت ما لم أعلمه، وإنّي لا أُعطي الدنيّة من نفسي أبداً،

---

١. راجع: الأخبار الطوال: ٢٢٧ - ٢٢٨؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ١٠ - ١٩؛ تاريخ الطبري ٥: ٣٣٨ - ٣٤٠، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٣٢ - ٣٤؛ الكامل في التاريخ ٤: ١٤ - ١٦، حوادث سنة ٦٠؛ مثير الأحزان: ٢٤ - ٢٥؛ الدرّ النظيم: ٥٤٠ - ٥٤١.

٢. الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٣ - ٢٤.

ولتلقينّ فاطمة أباها ﷺ شاكية ما لقيت ذرّيّتها من أُمّته، ولا يدخل الجنّة أحد آذاها في ذرّيّتها»[١].

وكان الحسين ـ صلوات الله عليه ـ على يقين ممّا انتهت إليه حاله(١) حتّى قال ـ بأبي وأُمّي من خطبة خطبها حين عزم على الخروج إلى العراق ـ: «وخيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أُجور الصابرين»[٢].

بهذا عهد إليه جدّه سيّد النبيّين، وأبوه وأخوه سيّد الوصيّين.

فعن الشعبي قال: مرّ عليّ بأرضٍ فسأل عن اسمها، فقيل: كربلاء، فبكى حتّى بلّ الأرض من دموعه، ثمّ قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك بأبي أنت وأُمّي، قال: كان عندي جبرائيل فأخبرني أنّ ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له: كربلاء»[٣].

وروى الملّاء في سيرته أنّ عليّاً مرّ بموضع قبر الحسين فقال: «ها هنا مناخ

---

(١) كما وضّحناه في المقدّمة، فراجع منها صفحة ٦٦ وما بعدها إلى صفحة ٧٨ لتعلم الحقيقة. ولمّا كانت المقدّمة لا تثبت مطالبها بين العامّة؛ لعدم مطالعتهم في الكتب غالباً وكنّا حريصين على إيصال هذا المعنى إليهم، أعدنا ذكره هنا ابتغاءً لنشره على ألسنة قرّاء المآتم، فلا نقد بهذا التكرير، وهذا الاعتذار مطّرد في كلّ ما يتكرّر في هذه المجالس.

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٩ ـ ١٠٠ ذُكر في الهامش.

٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٦؛ كشف الغمّة ٢: ٢٤١؛ مثير الأحزان: ٤١.

٣. تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٨٩، الرقم ١٥٦٥ بتفاوت يسير؛ الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣. حكاه ابن نما أيضاً عن عبدالله بن يحيى، راجع مثير الأحزان: ١٨.

ركابهم، وها هنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمّد يقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء والأرض»[١].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام(١) قال: «دخل الحسين يوماً على الحسن عليهما السلام، فلمّا نظر إليه بكى، فقال: ما يبكيك؟ قال: أبكي لما يُصنع بك، فقال الحسن عليه السلام: إنّه يدسّ إليَّ سمّ فأُقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أباعبدالله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدّعون أنّهم من أُمّة جدّنا صلى الله عليه وآله، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها يحلّ الله ببني أُميّة اللعنة، وتمطر السماء دماً ورماداً، ويبكيك كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار».

كفى بيومك حزناً أنّه جَزِعَت — له النبيّون قدماً قبل أن يقعا
بكاك آدمُ حزناً يوم توبتِه — وكنتَ نوراً بساقِ العرش قد سطعا
ونوح أبكيتَه شجواً وقلّ بأن — يبكي بدمعٍ حكى طوفانه دفعا
ونارُ فقدِك في قلبِ الخليلِ بها — نيرانُ نمرودَ عنه اللهُ قد دفعا
كَلَمْتَ قلب كليم الله فانبَجَستْ — عيناه حزناً دماً كالغيث منهمعا
ولو يراك بأرضِ الطفّ منفرداً — عيسى لما اختار أن ينجو ويرتفعا
ولا أُحبّ حياةً بعد قتلكم — ولا أراد بغير الطفّ مضطجعا(٢)

* * * * * * *

(١) فيما أخرجه الصدوق في أماليه[٢].

(٢) هذه الأبيات من قصيدة للشيخ صالح الكوّاز الحلّي.

١. حكاه عنه ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣. راجع أيضاً: أُسد الغابة ٤: ٣٥٨، الرقم ٤١٦٧؛ كشف الغمّة ٢: ٢٢٤ و ٢٦٦.

٢. الأمالي للصدوق: ١٠١، المجلس ٢٤، ح ٣. راجع أيضاً: مثير الأحزان: ٢٣؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٣ ـ ٩٤.

[المجلس الثالث]

لمّا امتنع الحسين عليه السلام(1) من البيعة ليزيد ـ لعنه الله ـ ولم يمكنه البقاء على تلك الحال في المدينة الطيّبة، خرج منها خائفاً يترقّب لثلاث مضين من شعبان سنة ستّين حتّى أتى مكّة المعظّمة، فأقام فيها إلى يوم الثامن من ذي الحجّة[1].

ولمّا بلغ أهل الكوفة خبره عرضوا عليه النصرة، وبذلوا له الطاعة والبيعة، وأعطوه على ذلك العهود والأيمان، وأوثقوا أنفسهم بكلّ ميثاقٍ غليظ، وجاءه منهم أوّلاً مائة وخمسون صحيفة[2]، ثمّ أنفذوا إليه في يوم واحد ستّمائة كتاب[3].

وتواترت بعدها كتبهم إليه حتّى اجتمع عنده اثنا عشر ألف كتاب[4]، وهو يتأنّى ولا يجيبهم، حتّى قدم عليه هاني السبيعي وسعيد الحنفي بكتاب مختصر بليغ، قد اشتمل على ضروب الحثّ والاستعجال، وتضمّن أنواعاً من بذل الأنفس والأموال،

---

(1) هذا المجلس يناسب اليوم الأوّل أيضاً.

---

١. راجع: الفتوح لابن أعثم ٥: ٣٤؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٣٤؛ مثير الأحزان: ٢٥؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠١.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ٣٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٥؛ وقعة الطفّ لأبي مخنف: ٩٢ـ٩٣.

٣ و ٤. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٥.

وعندها قام الحسين عليه السلام فصلّى ركعتين بين الركن والمقام، واستخار الله عزّ وجلّ، ثمّ أنفذ إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل.

وكان ممّا كتبه حينئذٍ في جوابهم: «وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهلي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله»[1].

فلمّا ورد عليهم مسلم بن عقيل عظم استبشارهم به، وأنزلوه دار المختار، وكثر اختلاف الشيعة إليه، وكلّما اجتمع إليه جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين وهم يبكون، حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً[2].

وكتب عمر بن سعد وأصحابه إلى يزيد ـ لعنه الله ـ يخبرونه الخبر، ومذ علم بذلك عزل النعمان عن الكوفة استضعافاً له، وولّى عليها عبيدالله بن زياد ـ لعنه الله ـ جمعها له مع البصرة، وعرّفه أمر الحسين عليه السلام، وشدّد عليه في قتل مسلم.

فأسرع اللعين حتّى دخل الكوفة ليلاً، فظنّ أهلها أنّه الحسين عليه السلام فتباشروا بقدومه ودنوا منه، فلمّا عرفوه تفرّقوا عنه، وبات في القصر، ثمّ خرج الغداة فأرهب الناس بوعيده، وأخافهم بتهديده[3].

وخرج مسلم من دار المختار، خوفاً على نفسه من الاشتهار، فآواه هاني بن عروة، فتربّص ابن زياد بهاني الدوائر، واستعمل المكر والدهاء والخداع والحيل

---

١. راجع: الأخبار الطوال: ٢٣٠؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ٥١ ـ ٥٢؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٣٩؛ الكامل في التاريخ ٤: ٢١، حوادث سنة ٦٠.

٢. الأخبار الطوال: ٢٣٥؛ تاريخ الطبري ٥: ٣٤٧ ـ ٣٤٨، حوادث سنة ٦٠؛ الكامل في التاريخ ٤: ٣٠، حوادث سنة ٦٠؛ مثير الأحزان: ٢٦؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٨؛ الدرّ النظيم: ٥٤٢.

٣. راجع: الأخبار الطوال: ٢٣٠؛ تاريخ الطبري ٥: ٣٤٨، حوادث سنة ٦٠؛ الكامل في التاريخ ٤: ٢٤، حوادث سنة ٦٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٩ و ١١٤.

حتّى جيء به إليه، فندّد به وشتمه، وقال له: جئت بابن عقيل فأدخلته دارك، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك؟

فأنكر هاني ذلك.

فقال ابن زياد: عليَّ بمعقل، وكان عيناً له على أخبارهم.

فلمّا رآه هاني عرف أنّه كان رصداً عليهم، فسقط في يده ساعة، ثمّ قال: أصلح الله الأمير، والله ما بعثت إليه ولا دعوته، ولكن جاءني مستجيراً فأجرته، واستحييت من ردّه، فخلّني أرجع إليه وآمره بالخروج من داري لأخرج بذلك من ذمامه وجواره.

فقال له اللعين: والله لا تفارقني حتّى تأتيني به.

فقال: والله لا آتيك به أبداً، آتيك بضيفي لتقتله؟

فقال: والله لتأتيني به.

فقال: والله لا آتيك به، وكثر الجدال بينهما.

فقام مسلم بن عمرو الباهلي فخلا بهاني ناحيةً فقال له: يا هاني، أُنشدك الله لا تقتل نفسك ولا تدخل البلاء على عشيرتك، فوالله إنّي لأنفس بك عن القتل، إنّ هذا الرجل ابن عمّ القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه فادفعه إليهم، فإنّه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، وإنّما تدفعه إلى السلطان.

فقال هاني ـ رافعاً صوته ـ: والله إنّ عليَّ الخزي والعار أن أدفع جاري وضيفي ورسول ابن رسول الله ﷺ وأنا صحيح الساعدين كثير الأعوان، والله لو لم يكن لي ناصر ولا معين لم أدفعه حتّى أموت دونه، فأخذ يناشده وهو يقول: لا أدفعه أبداً.

فقال ابن زياد: ادنوه منّي، فأدنوه منه فقال: والله لتأتيني به أو لأضربنّ عنقك.

فقال: إذاً والله تكثر البارقة حول دارك.

فقال ابن زياد: والهفاه عليك، أبالبارقة تخوّفني، وهاني يظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه.

واستعرض ابن زياد وجه هاني بالقضيب فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخدّه حتّى كسر أنفه وسالت الدماء على ثيابه، ونثر لحم جبينه وخدّه على لحيته حتّى كسر القضيب. وضرب هاني يده على قائم سيف شرطيّ فجذبه ليضرب بـه ابـن زياد، فصاح اللعين: خذوه، فأخذوه سحباً وألقوه في بيت وجعلوا عليه حرّاساً [١].

يا ليتني كـنت الفـداء لأنـفسٍ فدت ابن بـنت نـبيّها بـحياتها

خلعت قلوبهم الحـياة وأقـبلوا يتهافتون على ورود مـماتها[(١)]

* * * * * * *

(١) هذان البيتان من قصيدة للشيخ عبد الحسين الأعسم.

١. للمزيد راجع: الأخبار الطوال: ٢٣٧ ـ ٢٣٨؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ٧٨ ـ ٨٥؛ مقاتل الطالبيين: ٦٥ ـ ٦٦؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٤٦ ـ ٥٠؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٩٤ ـ ٢٩٧، الفصل ١٠، ذكر خروج مسلم؛ الكامل في التاريخ ٤: ٢٩، حوادث سنة ٦٠؛ مثير الأحزان: ٣٢ ـ ٣٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١١٥ ـ ١١٩.

[المجلس الرابع]

لمّا بلغ مسلم بن عقيل خبر هاني بن عروة خرج ثـائراً بـمن مـعه، فـتحصّن ابن زياد بالقصر، واقتتل أصحابه وأصحاب مسلم، وجعل الذين مع ابن زياد فـي القصر يشرفون منه، ويحذّرون أصحاب مسلم، ويتهدّدونهم بجنود الشام.

فلم يزالوا كذلك حتّى جاء الليل فتفرّق أصحاب مسلم عنه، فـدخل المسـجد ليصلّي المغرب وليس معه إلّا عشرة، ومذ سلّم لم يجد منهم أحداً.

فخرج وحيداً لا يدري أين يذهب، ولا يعرف كيف يصنع، فوقف على باب امرأة يقال لها «طوعة» فسلّم عليها، فردّت عليه. فقال لها: يا أمة الله إسقيني ماءً، فسقته فجلس. وأدخلت الإناء، ثمّ خرجت فقالت: يا عبدالله، ألم تشرب؟

قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت.

ثمّ عادت فقالت له مثل ذلك، فسكت.

ثمّ قالت: فئ لله، سبحان الله، يا عبدالله فاذهب إلى أهلك فـإنّه لا يـصلح لك الجلوس على بابي ولا أُحلّه لك.

فقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المـصر أهـل ولا مـنزل، فـهل لكِ إليَّ أجـر ومعروف، ولعلّي أُكافئكِ به بعد اليوم؟

فقالت: وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبني هؤلاء القوم وغرّوني.

قالت: أأنت مسلم؟

قال: نعم! والله إنّي لمسلم.

فأدخلته بيتاً من دارها وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ.

وجاء ابنها ـ وهو بلال بن أُسيد الحضرمي ـ فعلم بمكان مسلم، فوشى بذلك إلى ابن زياد لعنه الله، فأحضر محمّد بن الأشعث وضمّ إليه ستّين أو سبعين رجلاً وأنفذه لإحضار مسلم.

فلمّا بلغوا دار المرأة وسمع مسلم وقع حوافر الخيل، خرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم حتّى أخرجهم منها، ثمّ عادوا إليه، فشدّ عليهم كذلك، واختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين، فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا وبلغ السيف شفته السفلى، وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة وثنّى بأُخرى على حبل العاتق.

وجعل يحاربهم حتّى قتل منهم جماعة، فلمّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيوت، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطناب القصب فيرمونها عليه، فخرج إليهم مصلتاً سيفه، فقاتلهم في السكّة وهو يقول:

أقسمتُ لا أُقتَلُ إلّا حرّا   وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكرا

كلّ امرئٍ يوماً ملاقٍ شرّا   ويخلِطُ الباردَ سخناً مَرّا

أخاف أن أُكذب أو أُغرّا   أضربكم ولا أخاف ضرّا

فناداه ابن الأشعث: إنّك لا تكذب ولا تغرّ ولك الأمان، فلم يلتفت إلى ذلك وتكاثروا عليه، فطعنه رجل من خلفه، وانتزعوا سيفه، وكأنّه عند ذلك يئس من نفسه، فدمعت عيناه ثمّ قال: هذا أوّل الغدر، أين أمانكم؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وبكى.

فقيل له: إنّ من يطلب مثل الذي تطلب لا يبكي إذا نزل به مثل الذي نزل بك.

قال: والله ما لنفسي أبكي، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لا أُحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليَّ، أبكي لحسين وآل حسين.

ثمّ أقبل على ابن الأشعث فقال له: إنّك ستعجز عن أماني، فهل تستطيع أن تبعث رجلاً على لساني يبلغ حسيناً ـ فإنّي لا أراه إلّا قد خرج، أو هو خارج غداً وإنّ ما ترى من جزعي لذلك ـ فيقول له: إنّ ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم، لا يرى أنّه يمسي حتّى يُقتل، وهو يقول لك: ارجع ـ فداك أبي وأُمّي ـ بأهل بيتك، ولا يغرّنك أهل الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك الذين كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة كذبوك، وليس لمكذوب رأي.

وانتهي بابن عقيل إلى باب القصر وقد اشتدّ به العطش، فإذا قلّة بها ماء بارد، فقال: اسقوني من هذا الماء، فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما أبردها، والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم، فقال له: ويلك من أنت؟ فقال: أنا الذي عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيت وخالفت، أنا مسلم بن عمرو الباهلي.

فقال له ابن عقيل: لأمّك الثكل، ما أجفاك وأفظّك! وأقسى قلبك! أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنّم.

ثمّ تساند إلى الحائط فأُتي بماء فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً، فلمّا ذهب بالثالثة ليشرب سقطت ثناياه في القدح، فقال: الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته.

وأُدخل على ابن زياد فلم يسلّم عليه بالإمرة، فقال الحرس: ألا تسلّم على الأمير؟ فقال: اسكت ويحك، والله ما هو لي بأمير.

فقال ابن زياد: لا عليك، سلّمت أم لم تسلّم فإنّك مقتول شرّ قتلة.

فقال له مسلم: إنّك والله لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة لأحدٍ أولى بها منك.

فقال ابن زياد: يا عاقّ يا شاقّ، خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة بينهم.

فقال مسلم: كذبت، إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه، وإنّما ألقح الفتنة أنت وأبوك، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يد شرّ بريّته.

فقال ابن زياد: منّتك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله.

فقال مسلم: ومن أهله ـ يا بن مرجانة ـ إذا لم نكن نحن أهله؟

فقال: أهله أمير المؤمنين يزيد.

فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال ابن زياد: يا مسلم، بماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم، فشتّت أمرهم، وفرّقت كلمتهم.

فقال مسلم: ما لهذا أتيت، ولكنّكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، وتآمرتم على الناس بغير رضىً منهم، وحملتموهم على غير ما أمركم الله به، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف، وننهى عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنّة، وكنّا أهل ذلك.

فجعل اللعين يشتمه ويشتم عليّاً والحسن والحسين وعقيلاً، فأعرض عنه مسلم حينئذٍ ولم يكلّمه بعدها أبداً.

ثمّ أمر ابن زياد بكير بن حمران أن يصعد به إلى أعلى القصر، فصعد به وهو يسبّح الله ويستغفره، ويصلّي على النبيّ وآله، فضرب عنقه ورماه من أعلى القصر. ثمّ أمر ـ لعنه الله ـ بهاني بن عروة فأُخرج وضربت عنقه. وجعلوا يجرّونهما

بأرجلهما في الأسواق. وأمر بعد ذلك بجثّتيهما فصلبتا بالكناسة، وبعث برأسيهما إلى يزيد، لعنه الله، فشكره على ذلك وأمره بقتل الحسين عليه السلام [١].

بـــنفسي وآبـــائي نـــفوساً أبـــيّةً		يُـــجَرِّعها كأسَ المـــنيّة مُـــترفُ

تُـــطَلّ بأســـيافِ الضـــلال دِمـاؤهم		وتُـــلغَى وصـــايا الله فـــيهم وتُـحذفُ

وهم خيرُ من تحت السماء بأسرهم		وأكرم مـمن فـي السـماء وأشـرفُ

كـــرام قـــضوا بـين الأسـنّة والظـبا		كراماً ويوم النقع بـالنقع مسـدف(١)

* * * * * * *

---

(١) إلى آخر القصيدة، وهي للشريف الفاضل السيّد حيدر الحلّي عليه الرحمة [٢].

---

١. للمزيد راجع: الأخبار الطوال: ٢٤٠ ـ ٢٤٢؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ٨٦ ـ ١٠٤؛ مقاتل الطالبيين: ٦٧ ـ ٧١؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٥٤ ـ ٦٤؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٩٧ ـ ٣٠٧، الفصل ١٠، ذكر خروج مسلم...؛ الكامل في التاريخ ٤: ٣٠ ـ ٣٥، حوادث سنة ٦٠؛ مثير الأحزان: ٣٤ ـ ٣٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١١٩ ـ ١٢٢؛ الدرّ النظيم: ٥٤٣ ـ ٥٤٦.

٢. ديوان السيّد حيدر الحلّي: ٩٣.

[المجلس الخامس]

لمّا عزم الحسين عليه السلام على الخروج من مكّة إلى العراق قام خطيباً فقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ما شاء الله، ولا قوّة إلّا بالله، وصلّى الله على رسوله، خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيرٌ لي مصرعٌ أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً(1)، وأجربة سغباً، لا محيص عن يومٍ خطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أُجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وينجز به وعده، ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله»[1].

---

(1) هذا كناية عن قتله ونبذه بالعراء وتركه عرضةً لما ذكره عليه السلام.

---

1. مثير الأحزان: ٤١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٦؛ كشف الغمّة ٢: ٢٤١؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦ ـ ٣٦٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ٢١٤.

وجاءه أخوه محمّد بن الحنفيّة تلك الليلة فقال:

يا أخي، إنّ أهل الكوفة مَن عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم، فإنّك أعزّ من في الحرم وأمنعه.

فقال: «يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم. فأكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت».

فقال له ابن الحنفيّة: فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنّك أمنع الناس به.

فقال: «أنظر فيما قلت»[١].

فلمّا كان السحر من تلك الليلة ـ وهي ليلة الثامن من ذي الحجّة سنة ستّين[٢] ـ ارتحل عليه السلام.

فبلغ ذلك ابن الحنفيّة، فأتاه فأخذ زمام ناقته، وكان قد ركبها، فقال: يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟

قال: «بلى»!.

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

قال: «أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين اخرج، فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً».

فقال ابن الحنفيّة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هذه النسوة وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟

فقال له: «إنّ الله شاء أن يراهنّ سبايا»[٣].

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٧ ـ ١٢٨.

٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ٣٨؛ الدرّ النظيم: ٥٤٦؛ وقعة الطفّ لأبي مخنف: ١٤٧.

٣. مثير الأحزان: ٤١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٦؛ كشف الغمّة ٢: ٢٤١.

وذكر الشيخ المفيد(١): «أنّه لمّا سار من مكّة، لقيه أفواج من الملائكة المسوّمين والمردفين في أيديهم الحراب على نجبٍ من نجب الجنّة، فسلّموا عليه وقالوا: يا حجّة الله على خلقه بعد جدّه وأبيه وأخيه، إنّ الله عزّ وجلّ أمدّ جدّك ﷺ بنا في مواطن كثيرة، والله أمدّك بنا.

فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي أستشهد فيها، وهي كربلاء، فإذا وردتها فأتوني.

قالوا: يا حجّة الله، إنّ الله أمرنا أن نسمع لك ونطيع، فهل تخشى من عدوّ يلقاك فنكون معك؟

فقال: لا سبيل لهم عليَّ ولا يلقونني بكريهة أو أصل إلى بقعتي.

وأتته أفواج من مؤمني الجنّ فقالوا: يا مولانا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوٍّ لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك.

فجزاهم خيراً وقال لهم: أما قرأتم قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[1] فإذا أقمت في مكاني فبما يمتحن هذا الخلق المتعوس؟ وبماذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي وقد اختارها الله تعالى لي، وجعلها معقلاً لشيعتنا، تقبل فيها أعمالهم وصلواتهم، ويستجاب بها دعاؤهم، وتسكن إليها شيعتنا، فتكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة، ولكن تحضرون يوم عاشوراء الذي في آخره أُقتل، ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي، ويسار برأسي إلى يزيد بن معاوية؟»[2].

---

(١) في كتاب مولد النبيّ ﷺ وأوصيائه صلوات الله عليه وعليهم[3].

---

١. آل عمران (٣): ١٥٤.

٢. راجع: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٩، ذكر في الهامش: بحار الأنوار ٤٤: ٣٣٠ ـ ٣٣١، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢. رواه الشيخ المفيد عن الصادق عليه السلام.

٣. للمزيد راجع الذريعة ٢٣: ٢٧٧، الرقم ٨٩٦٦.

فقالت الجنّ: يا حبيب الله وابن حبيبه، لولا أنّ أمرك طاعة، وأنّه لا يجوز لنا مخالفتك، لَخالفناك وقتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك [١].

ثمّ سار عليه السلام حتّى نزل الثعلبيّة وقت الظهر، فوضع رأسه فرقد، ثمّ استيقظ، فقال: «رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنّة».

فقال له شبله عليّ: يا أبتاه، ألسنا على الحقّ؟

فقال: «بلى! يا بنيّ، والله الذي إليه مرجع العباد».

فقال: يا أباه، إذاً لا نبالي بالموت.

فقال الحسين عليه السلام: «جزاك يا بنيّ خير ما جزى ولداً عن والده» [٢].

وبات بالثعلبيّة، فلمّا أصبح وافاه أبوهرّة الأسدي فسلّم عليه ثمّ قال: يابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: «يا أباهرّة، إنّ بني أُميّة أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسنّهم الله ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلّطنّ الله عليهم من يذلّهم، حتّى يكونوا أذلّ من قوم سبأ، إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم» [٣].

ثمّ سار حتّى بلغ زبالة، فأتاه فيها خبر مسلم بن عقيل، فعرف بذلك جماعة

---

١. حكاه ابن طاووس عن المفيد في الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٠، والمجلسي في بحار الأنوار ٤٤: ٣٣٠ـ ٣٣١، تاريخ الحسين بن علىّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ١، والبحراني في عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ١٧٩ ـ ١٨٠ بتفاوت يسير.

٢. راجع: مقاتل الطالبيين: ٧٤؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٢٤، الفصل ١١، ح ٧؛ مثير الأحزان: ٤٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣١ـ ١٣٢.

٣. للمزيد راجع مقاتل الطالبيين: ٧٣.

ممّن تبعه، فتفرّق عنه أهل الأطماع والارتياب، وبقي معه من يريد مؤاساته والموت معه [١].

ولمّا أُخبر بقتل مسلم بن عقيل قال سلام الله عليه ـ وقد استعبر باكياً ـ: «رحم الله مسلماً لقد صار إلى رَوحٍ وريحان، وجنّةٍ ورضوان، أما إنّه قد قضى ما عليه، وبقي ما علينا» [٢].

حَنانَيْك يا معطي البسالة حقَّها	ومُرخِص نفسٍ لا تكادُ تسام
فهل لك في وصلِ المنيّةِ مطلبٌ	وهل لك في قطع الحياة مرامُ
فليت أَكُفّاً حارَبَتْكَ تَقَطّعت	وأرجُل بغيٍ جاولتك جذامُ
أصِبت فلا يومُ المسرّات نيّر	ولا قَمَر في ليلهنّ تمامُ
ألا إنّ يوماً أيّ يوم دَهَى العُلا	وحادثة يُجثىٰ لها ويُقامُ
غداةَ حسينٍ والمنايا جليّةٌ	وليس عليها بُرقَعٌ ولِثامُ
ومَن حوله أبنا أبيه وصَحْبُه	كمثلِ الأضاحي غالَهُنّ حِمامُ
على الأرض صَرعَى من كهولٍ وفتيةٍ	فرادى على حرّ الصفا وتؤامُ
وما أُنسَ إلّا أُنس النساء كأنّها	قطاً بين أجراعِ الطفوف حيام(١)

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) هذه الأبيات من قصيدة في رثائه عليه السلام لا أعرف قائلها.

١. راجع مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٢٤، الفصل ١١، ح ٧؛ مثير الأحزان: ٤٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٢.

٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٤؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٤، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ١؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ٢٢٤.

المجالس الفاخرة

في مآتم العترة الطاهرة

[بسم الله الرحمن الرحيم]

التعريف بالكتاب

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على خاتم رسله، وأهدى سبله، محمّد سيّد الأنبياء، وأفضل من أقلته الأرض ومن عرج به إلى السماء، وعلى آله المعصومين المظلومين، الذين افترض الله تعالى مودّتهم وولايتهم وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد، فيقول العبد الجاني عليّ بن إسماعيل بن جواد بن إسماعيل بن محمّد بن إبراهيم ـ الملقّب بشرف الدين ـ الموسوي العاملي ـ غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه ـ: إنّ سيّدنا ومولانا سماحة الإمام وآية الله الملك العلّام السيّد عبدالحسين شرف الدين الموسوي العاملي ـ رفع الله درجته ـ كان قد ألّف سنة ١٣٣٠هـ كتاب المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، فجعله عبارة عن مقدّمة وأربعة أجزاء في مجلّدات أربعة، وفي سنة ١٣٣٢هـ شرع في طبعه، فما تمّ طبع المقدّمة حتّى طرقت العالمين طوارق الحرب العامّة، فما تمّ الطبع.

وفي سنة ١٣٣٨هـ مُني ـ قدّس الله سرّه ـ في سبيل الله بما مُني به أجداده الطاهرون، فشرد في الله عزّوجلّ، ونهبت داره، وتمزّقت ـ بعين الله تعالى ـ كتبه كلّ ممزّق، فكان هذا الكتاب ممّا أُصيبت ألمة بفقده يومئذ.

وكان المجلّد الأوّل منه في هدى النبيّ وسيرته ﷺ منذ نشأ حتّى اختار الله دار كرامته، وقد تتبّع خصائصه المقدّسة قبل البعثة وبعدها، فمثلها أعلاماً لنبوّته،

وآيات بيّنات على صدوق دعوته، فكانت شؤونه بمجرّدها أدلّ على رسالته من سائر معجزاته الباهرة، وآياته الظاهرة، وقد أقام ﷺ من أفعال النبيّ وأقواله ﷺ أدلّة محسوسة، وبراهين ملموسة، وأسلوب جديد، يألفه فلاسفة العصر، ولا يسعهم أن يقفوا أمامه إلّا موقف التسليم طوعاً أو كرهاً.

المجلّد الثاني في أحوال أميرالمؤمنين، وسيّدة نساء العالمين، ومجتباهما أبي محمّد السبط الأكبر سيّد شباب أهل الجنّة، وقد اشتمل على سيرتهم ومناقبهم وفضائلهم، وقد أوردها ـ أعلى الله مقامه ـ على وجه الاستدلال على عصمتهم ولإمامتهم عليهم السلام.

المجلّد الثالث خاصّ بسيّدالشهداء أرواحنا له الفداء.

المجلّد الرابع في التسعة من أبنائه المعصومين عليهم السلام، وقد اشتمل على ما لم يأت به أحد من الاستدلال على طمامة التسعة بمجرّد هديهم وسمتهم، وأفعالهم وأقوالهم، وقد أبرز أسراراً مكنونة، وحكماً في أفعالهم بالغة.

وتخلّص في كلّ مجلس من مجالس الأجزاء الأربعة إلى مصائب أهل البيت عليهم السلام الدالّة على جلالة قدرهم، وعظيم صبرهم.

فأسفاً على فقد هذا الكتاب الذي لم يبق منه إلّا مقدّمته المطبوعة كرسالة على حدة، وهي في بابها ممّا لا نظير له، وقد أثبت فيها بالأدلّة الشرعيّة، والفلسفة العقليّة، حسن المآتم الإماميّة، والمظاهرات الحسينية بما لم يسبق إليه مثيل ولا يلحق فيه.

وقد التقطت من أفواه قرّاء المآتم بعض المجالس المحفوظة، وهي غير مرتّبة، ولا واقعة في مواقعها التي أوقعها فيها المؤلّف أعلى الله مقامه.

وجمعتها في حياته ـ قدّس الله نفسه الزكيّة ـ وقرأتها عليه من أوّلها حتّى انتهائها، فأقرّه، وحبّذ عملي هذا وباركه.

وإنّا خسرنا ـ كما خسرت الأُمّة الإسلامية ـ قائداً حكيماً، ومصلحاً عظيماً، وبطلاً معلماً من أبطال الفكر والقلم، والعلم والعمل، والإصلاح والبناء، تغمّده الله برحمته ورضوانه، وأسكنه فسيح من جنّاته، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وكان ـ أعلى الله مقامه ـ قد ألقى نظرة على المقدّمة، ورتّبها بعض الترتيب، وحوّرها مجالس نثبتها، كما هي بلا نقيصة ولا زيادة.

مقدّمة الكتاب

الأصل العملي يقتضي إباحة البكاء على مطلق الموتى من المؤمنين، ورثائهم بالقريض، وتلاوة مناقبهم ومصائبهم، والجلوس حزناً عليهم، والإنفاق عنهم في وجوه البرّ، ولا دليل على خلاف هذا الأصل، بل السيرة القطعيّة والأدلّة اللفظيّة حاكمتان بمقتضاه، بل يستفاد من بعضها استحباب هذه الأُمور إذا كان الميّت من أهل المزايا والآثار النافعة، وفقاً لقواعد المدنيّة، وعملاً بأُصول العمران؛ لأنّ تمييز المصلحين يكون سبباً في تنشيط أمثالهم، وأداء حقوقهم يكون داعياً إلى كثرة الناسجين على منوالهم، وتلاوة أخبارهم ترشد العالمين إلى اقتفاء آثارهم.

وذكرى ما أصاب الأئمّة في سبيل مصالح الأُمّة، تبعث فيها إلى روح الإيمان والهدى، وتأخذ بأعناقها وقلوبها إليهم، وإن طال العهد وبَعدَ المدى.

وهنا مطالب خمسة:

الأوّل: في البكاء.

الثاني: في الرثاء.

الثالث: في تلاوة مناقب الميّت ومصائبه.

الرابع: في الجلوس حزناً عليه.

الخامس: في الإنفاق عنه في وجوه البرّ.

وهذه المطالب الخمسة هي كلّ ما تقوم به الشيعة في مجالسها الحسينيّة. ونحن في هذه المقدّمة نثبت استحبابها شرعاً، وأنّا مقتدون فيها بأهل بيت العصمة، ومعدن الهدى والرحمة، وأنّ الحكم فيها بين الرجال والنساء سواء، وأنّ الفلسفة الصحيحة تقتضي رجحان هذه المآتم عقلاً.

وتفصيل ذلك كلّه في **مجالس**:

المجلس الأوّل: في البكاء

لا ريب في جواز البكاء على موتى المؤمنين بدليل فعل النبيّ ﷺ، [وقوله وتقريره ﷺ].

أمّا فعله فمتواتر في موارد عديدة:

أحدها: يوم مات عمّه وكافله أبوطالب(١).

---

(١) فيما رواه أبوداود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة، ونقله الدحلاني في باب وفاة عبد المطّلب ووصيّته لأبي طالب، ص ١٠٨ من الجزء الأوّل من سيرته المطبوعة في هامش السيرة الحلبيّة ١.

ونقله الحلبي أيضاً في باب أبي طالب وخديجة، ص ٤٦٢ من الجزء الأوّل من سيرته، حيث رووا عن عليّ عليه السلام قال: «لمّا مات أبوطالب أخبرتُ النبيّ ﷺ بموته، فبكى وقال: اذهب فاغسله وكفّنه وواره، غفر الله له ورحمَه» ٢.

---

١. سنن أبي داود ٣: ٢١٤، ح ٣٢١٤؛ سنن النسائي ٤: ٨٢، ح ٢٠٠٢؛ السيرة النبويّة للدحلاني ١: ٩٢.

٢. السيرة الحلبيّة ١: ٣٥١. رواه ابن سعد أيضاً في الطبقات الكبرى ١: ١٢٣، وابن الجوزي في تذكرة الخواص: ١٩.

ثانيها: يوم استشهد عمّه الحمزة في أُحد(١).

---

(١) فعن ابن مسعود: ما رأينا رسول الله باكياً أشدّ من بكائه على حمزة، وضعه في القبلة ثمّ وقف على جنازته وانتحب ـ أي شهق حتّى بلغ به الغشي ـ يقول: «يا عمّ رسول الله، يا حمزة، يا أسد الله وأسد رسوله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا حمزة يا ذابّ عن وجه رسول الله» إلى آخر نياحته وندبته التي ذكرها أهل السير، كالحلبي في ص ٣٢٣ من الجزء ٢ من سيرته، وكالدحلاني في ص ٦٧ من الجزء الأوّل من سيرته، وسائر من أرّخ مقتل حمزة في غزوة أُحد[١].

وترى ندبة النبيّ ونياحته هذه قد عدّد فيها محاسن عمّه بما يهيج الحزن واللوعة عليه.

وقال ابن عبد البرّ في ترجمة حمزة من الاستيعاب[٢]: لمّا رأى النبيّ ﷺ حمزة قتيلاً بكى، فلمّا رأى ما مُثّل به شهق.

وذكر المؤرّخون[٣] ـ كما في أواخر ص ٣٨٧ من المجلّد ٣ من شرح النهج للعلّامة المعتزلي[٤] ـ: أنّ النبيّ ﷺ كان يومئذٍ إذا بكت صفيّة يبكي، وإذا نشجت ينشج. قالوا: وجعلت فاطمة تبكي، فلمّا بكت بكى رسول الله.

وهذا الحديث حجّة من جهة جواز البكاء؛ من جهة أنّه بكى ﷺ، ومن جهة أنّه أقرّ صفيّة والزهراء على بكائها، على أنّ مجرّد بكاء سيّدة النساء حجّة قاطعة.

---

١. السيرة الحلبيّة ٢: ٥٣٤؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٦٣. راجع أيضاً: ذخائر العقبى: ١٨١. ينابيع المودّة ٢: ٢١٥، الباب ٥٦، ح ٦٢٠.

٢. الاستيعاب ١: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، الرقم ٥٤١.

٣. راجع المغازي للواقدي ١: ٢٩١.

٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ١٧.

ثالثها: يوم استشهد ابن عمّه جعفر، وزيد بن حارثة، وعبدالله بن رواحة في مؤتة[١].

رابعها: يوم مات ولده إبراهيم إذ بكى عليه، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: «يابن عوف، إنّها رحمة» ـ يعني عبرة ـ ثمّ أتبعها بأُخرى فقال ﷺ: «إنّ العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يرضى ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٢].

خامسها: يوم زار ﷺ قبر أُمّه آمنة فبكى وأبكى مَن حوله[٣].

---

(١) ذكر ابن عبد البرّ في أحوال جعفر من استيعابه[١]: أنّ النبيّ ﷺ بكى على جعفر وزيد وقال ـ يندبهما ـ: «أخواي ومؤنساي ومحدّثاي».

وأخرج البخاري في أبواب الجنائز ص ١٤٨ من الجزء الأوّل من صحيحه[٢]: أنّ النبيّ ﷺ نعى جعفراً وزيداً وابن رواحة، وإنّ عينيه لتذرفان.

(٢) أخرجه البخاري في باب قول النبيّ ﷺ: «إنّا بك لمحزونون» من أبواب الجنائز ص ١٥٥ من الجزء الأوّل من صحيحه[٣].

ولا يخفى ما في تسميتها «رحمة» من الدلالة على حسن البكاء، وأراد بقوله: «إنّ العين تدمع» ـ إلى آخره ـ أن لا إثم بدمع العين وحزن القلب، وإنّما الإثم بقول ما يسخط الربّ كالاعتراض عليه عزّ وجلّ.

(٣) فيما أخرجه مسلم في آخر ص ٣٥٩ من الجزء الأوّل من صحيحه[٤]. وهذا الحديث يشتمل على فعله وتقريره ﷺ، فهو حجّة من جهتين.

---

١. الاستيعاب ١: ٢٤٣، الرقم ٣٢٧؛ ٢: ٥٤٦، الرقم ٨٤٣.

٢. صحيح البخاري ١: ٤٣٧، ح ١٢٣٧. رواه النسائي أيضاً في السنن الكبرى ١: ٦١٥، ح ٢٠٠٥، والطبراني في المعجم الكبير ١٩: ١٦٨، ح ٣٧٨.

٣. صحيح البخاري ١: ٤٣٨ ـ ٤٣٩، ح ١٢٤١. رواه البيهقي أيضاً في شعب الإيمان ٧: ٢٤١، ح ١٠١٦٢.

٤. صحيح مسلم ٢: ٦٧١، كتاب الجنائز، ح ١٠٥ و١٠٦. رواه أيضاً ابن حبّان في الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٦٧، ح ٣١٥٩، والنسائي في السنن الكبرى ١: ٦٥٤، ح ٢١٦١، والبيهقي في السنن الكبرى ٤: ١١٧، ح ٧١٥٧، وابن ماجة في سننه ١: ٥٠١، ح ١٥٧٢.

سادسها: يوم ماتت إحدى بناته ﷺ[1]؛ إذ جلس على قبرها وعيناه تدمعان(١).

سابعها: يوم مات صبيّ لإحدى بناته؛ إذ فاضت عيناه يومئذٍ، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء»(٢).

ثامنها: يوم اشتكى سعد بن عبادة فأتاه النبيّ ﷺ يعوده ومعه بعض أصحابه، فوجده في غاشية أهله، فقال ﷺ: «قد قضى؟» قالوا: لا يا رسول الله، فبكى

---

(١) كما أخرجه البخاري في باب يعذّب الميّت ببعض بكاء أهله عليه، من أبواب الجنائز ص ١٥٢ من الجزء الأوّل من صحيحه[2].

(٢) أخرجه الشيخان، فهو في ص ١٥٢ من الجزء الأوّل من صحيح البخاري، وفي ص ٣٤٠ من الجزء الأوّل من صحيح مسلم[3].

وتأمّل في قوله ﷺ: «هذه رحمة»، وقوله ﷺ: «وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء» يتّضح لك استحباب البكاء.

---

١. قيل: إنّها أمّ كلثوم، وقيل: إنّها رقيّة. للمزيد راجع: الاستيعاب ٤: ١٨٤١ ـ ١٨٤٢، الرقم ٣٣٣٤؛ الإصابة ٨: ٤٦٠، الرقم ١٢٢٢٦.

٢. صحيح البخاري ١: ٤٣٢، ح ١٢٢٥، ذكره في باب «وما يرخّص من البكاء في غير نوح». رواه أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده ٤: ٢٥٤، ح ١٢٢٧٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٤: ٨٨، ح ٧٠٤٦ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٣. صحيح البخاري ١: ٤٣١ ـ ٤٣٢، ح ١٢٢٤؛ ٥: ٢١٤١، ح ٥٣٣١؛ ٦: ٢٤٥، ح ٦٢٧٩، ٢٦٧٦، ٢٦٧٨، ٢٧١١ و ٧٠١٠؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٥ ـ ٦٣٦، كتاب الجنائز، ح ١١. رواه أيضاً عبدالرزاق في مصنّفه ٣: ٥٥٢، ح ٦٦٧٠، وابن حبّان في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٦٣، ح ٣١٤٨ بتفاوت في بعض الألفاظ.

النبيّ ﷺ، فلمّا رأى القوم بكاءه بكوا، فقال ﷺ: «إنّ الله لا يعذّب بدمع العين ولا بحزن القلب». الحديث(١).

والصحاح الدالّة على بكائه على الموتى ممّا لا يكاد يحصى.

وأمّا قوله ﷺ وتقريره الدالّان على جواز البكاء، فمستفيضان، ومواردهما كثيرة:

أحدها: يوم استشهد جعفر الطيّار، إذ جاءت النبيّ ﷺ امرأته أسماء بنت عميس فعزّاها، ودخلت فاطمة عليها السلام وهي تبكي وتقول: «وا عمّاه»، فقال النبيّ ﷺ: «على مثل جعفر فلتبكِ البواكي»(٢).

ثانيها: يوم رجع رسول الله ﷺ من أُحد، وجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من رجالهنّ، فقال ـ بعد أن أقرّهنّ على البكاء ـ: «ولكن حمزة

---

(١) أخرجه الشيخان، فراجع باب البكاء عند المريض ص ١٥٥ من الجزء الأوّل من صحيح البخاري. وباب البكاء على الميّت ص ٣٤١ من الجزء الأوّل من صحيح مسلم[1]. وهذا الحديث حجّة من ثلاث جهات: فعل النبيّ ﷺ، وقوله، وتقريره.

(٢) هذا الحديث مستفيض وطرقه صحيحة، وقد ذكره ابن عبد البرّ في ترجمة جعفر من الاستيعاب[2]، وهو مشتمل على تقرير النبيّ ﷺ على البكاء وأمره به، على أنّ مجرّد بكاء الزهراء حجّة بالغة.

---

١. صحيح البخاري ١: ٤٣٩، ح ١٢٤٢؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٦، كتاب الجنائز، ح ١٢. راجع أيضاً: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٦٣ ـ ٦٤، ح ٣١٤٩؛ السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١١٥، ح ٧١٥٢.

٢. الاستيعاب ١: ٢٤٣، الرقم ٣٢٧. للمزيد راجع: الطبقات الكبرى ٨: ٢٨٢؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٦٣ ـ ٦٤، ح ٣١٤٩؛ السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١١٥، ح ٧١٥٢؛ أُسد الغابة ١: ٤٢٣، الرقم ٧٥٩.

لا بواكي له». ثمّ نام فانتبه وهنّ يبكين حمزة، فهنّ إلى اليوم إذا بكين يندبن حمزة(١).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في ص ٤٠ من الجزء ٢ من مسنده عن ابن عمر [١]، وذكره ابن جرير، وابن الأثير، وصاحب العقد الفريد، والحلبي، والدحلاني في سيرتهما [٢]، وكلّ من أرّخ غزوة أُحد من أهل السير والأخبار [٣].

ولا تنس كلمة النبيّ ﷺ في طلب البكاء على حمزة وما فيها من الدلالة على الاستحباب، وحسبك بها وبقوله: «على مثل جعفر فلتبكِ البواكي» [٤] دليلاً على ذلك.

أمّا ما جاء في صحيحي البخاري ومسلم: «من أنّ الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه» وفي رواية: «ببعض بكائه عليه» وفي رواية: «ببكاء الحيّ» وفي رواية: «يعذّب في قبره بما نيح عليه» وفي رواية: «من يبكِ عليه يعذّب» [٥]، فإنّه خطأ من الراوي بحكم العقل والنقل.

قال الفاضل النووي ـ عند ذكر هذه الروايات في باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه في ص ٣١٨ من المجلّد الخامس من شرح صحيح مسلم [٦] المطبوع في هامش شرحي القسطلاني وزكريّا الأنصاري ـ ما هذا لفظه:

هذه الروايات كلّها من رواية عمر بن الخطّاب وابنه عبدالله. ـ قال: ـ وأنكرت عائشة عليهما ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه، واحتجّت بقوله تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ إلى آخر كلامه. ←

---

١. مسند أحمد ٢: ٢٨٧، ح ٤٩٨٤.

٢. تاريخ الطبري ٢: ٥٣٢، حوادث سنة ٣؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٦٣، حوادث سنة ٣؛ العقد الفريد ٣: ٢٣٥؛ السيرة الحلبيّة ٢: ٥٤٦؛ السيرة النبويّة للدحلاني ٢: ٦٩.

٣. راجع: المغازي للواقدي ١: ٣١٧؛ أُسد الغابة ٢: ٦٨، الرقم ١٢٥١؛ السيرة النبويّة لابن كثير ٣: ٩٥.

٤. الاستيعاب ١: ٢٤٣، الرقم ٣٢٧.

٥. راجع: صحيح البخاري ١: ٤٣٢ ـ ٤٣٣، ح ١٢٢٦ ـ ١٢٢٨؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٨ ـ ٦٤٢، باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه.

٦. شرح صحيح مسلم للنووي ٦: ٤٨٢. والآية في سورة النجم (٥٣): ٣٨ والزمر (٣٩): ٧ وفاطر (٣٥): ١٨.

ثالثها: يوم ماتت رقيّة بنت رسول الله ﷺ حيث بكت عليها النساء فجعل عمر يضربهنّ بسوطه مع أنّ النبيّ ﷺ أقرّهنّ على البكاء. فقال ﷺ: «دعهنّ يبكين» ثمّ قال: «مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة» وقعد ﷺ على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي، فجعل ﷺ يمسح دمعها بثوبه رحمةً لها(١).

← وأنكر هذه الروايات أيضاً ابن عبّاس واحتجّ على خطأ راويها، والتفصيل في الصحيحين وشروحهما.

وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض، حتّى أخرج الطبري في حوادث سنة ١٣ عند ذكر وفاة أبي بكر في الجزء الرابع من تاريخه[1] بالإسناد إلى سعيد بن المسيّب قال:

لمّا توفّي أبوبكر أقامت عليه عائشة النوح، فأقبل عمر بن الخطّاب حتّى قام ببابها فنهاهنّ عن البكاء على أبي بكر، فأبين أن ينتهين، وقال عمر لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إليّ ابنة أبي قحافة، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إنّي أُحرّج عليك بيتي، فقال عمر لهشام: ادخُل فقد أذنت لك، فدخل هشام فأخرج أُمّ فروة أُخت أبي بكر إلى عمر فعلاها بالدرّة، فضربها ضربات، فتفرّق النوح حين سمعوا ذلك. انتهى.

قلت: كأنّه لم يعلم إقرار النبيّ ﷺ نساء الأنصار على البكاء على موتاهنّ، و[لم] يبلغه قوله ﷺ: «لكن حمزة لا بواكي له». وقوله ﷺ: «على مثل جعفر فلتبكِ البواكي». وقوله ﷺ: «وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء». ولعلّه نسي نهي النبيّ ﷺ إيّاه عن ضرب البواكي يوم ماتت رقيّة بنت رسول الله ﷺ، ونسي نهيه إيّاه عن انتهارهنّ في مقام آخر.

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عبّاس في ص ٣٣٥ من الجزء الأوّل من مسنده[2].

---

١. تاريخ الطبري ٣: ٤٢٣، حوادث سنة ١٣.

٢. مسند أحمد ١: ٧١٧، ح ٣١٠٣.

رابعها: يوم مرّت جنازة على رسول الله ﷺ ومعها بواكٍ فنهرهنّ عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «دعهنّ يا عمر؛ فإنّ النفس مصابة، والعين دامعة»(١).

إلى غير ذلك ممّا لا يسعنا استيفاؤه.

وقد بكى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم إذ غيّب الله ولده ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1] حتّى قيل(٢): ما جفّت عيناه من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله تعالى منه.

وعن رسول الله ﷺ(٣): «أنّه سأل جبرائيل عليه السلام: ما بلغ وجد يعقوب على يوسف؟ قال: وجد سبعين ثكلى، قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد»(٤).

أقول: أيّ عاقل يرغب عن مذهبنا في البكاء بعد ثبوته عن الأنبياء ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[2] وقد استمرّت سيرة الأئمّة على الندب والعويل،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة في ص ٣٣٣ من الجزء الثاني من مسنده[3].

(٢) كما في تفسير هذه الآية من الكشّاف[4].

(٣) كما في تفسير الآية المذكورة من الكشّاف أيضاً[5].

(٤) ترتيب هذا الثواب العظيم على وَجْده دليل على أنّه كان مستحبّاً شرعاً، ونَقْل النبيّ ﷺ لهذه الحكاية عن يعقوب بلا تعليق شيء عليها منه ﷺ على أنّه ﷺ أقرّها في شريعته المقدّسة، وإلّا لأبان حكمها الشرعي الإسلامي.

---

١. يوسف (١٢): ٨٤.

٢. البقرة (٢): ١٣٠.

٣. مسند أحمد ٣: ٢٣٠، ح ٨٤٠٩. راجع أيضاً ١٠٣، ح ٧٦٩٥. رواه أيضاً النسائي في السنن الكبرى ١: ٦١٠، ح ١٩٨٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٤: ١١٧، ح ٧١٥٩.

٤ و٥. الكشّاف ٢: ٤٩٧، ذيل الآية ٨٤ من سورة يوسف (١٢).

وأمروا أولياءهم بإقامة مآتم الحزن على الحسين جيلاً بعد جيل؟

قال الصادق عليه السلام(١): «إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام بكى على أبيه مدّة حياته، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، ولا أُوتي بشراب إلّا بكى، حتّى قال له بعض مواليه: جعلت فداك يابن رسول الله، إنّي أخاف أن تكون من الهالكين، قال عليه السلام: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون».

وفي رواية أُخرى(٢) قال: «ويحك! إنّ يعقوب عليه السلام كان له اثنا عشر ولداً فغيّب الله واحداً منهم فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغمّ وابنه حيّ في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمومتي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي».

وكان إذا أخذ إناء ليشرب بكى حتّى يملأها دمعاً(٣)، فقيل له في ذلك، فقال: «كيف لا أبكي وقد منع أبي الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش».

---

(١) فيما رواه ابن قولويه في الكامل، وابن شهرآشوب في المناقب، وغير واحد من الثقات الأثبات[١].

(٢) أخرجها ابن قولويه، وابن شهرآشوب أيضاً، وغيرهما من أعلام الحفظة[٢].

(٣) أورده العلّامة المجلسي في هذه الألفاظ في باب حزنه وبكائه على أبيه ص ٢٣ من المجلّد ١١ من البحار[٣].

---

١. كامل الزيارات: ٢١٣، الباب ٣٥، ح ١؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٩. راجع أيضاً: الخصال: ٢٧٣، باب الخمسة، ح ١٥؛ الأمالي للصدوق: ١٢١، المجلس ٢٩، ح ٥؛ روضة الواعظين ١: ٣٨٩، ح ٤١١؛ مكارم الأخلاق ٢: ٩٤، في البكاء؛ بحار الأنوار ١٢: ٢٦٤، كتاب النبوّة، الباب ٩، ح ٢٧.

٢. كامل الزيارات: ٤٤٥، الباب ٨٨، ح ١؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٩ ـ ١٨٠. راجع أيضاً: الخصال للصدوق: ٥١٨ ـ ٥١٩، أبواب العشرين ومافوقه، ح ٤؛ بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨، تاريخ عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام، الباب ٦، ح ١.

٣. بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨ ـ ١٠٩، تاريخ عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام، الباب ٦، ح ١.

وعن الصادق عليه السلام[(١)]: «البكّاؤون خمسة: آدم بكى على الجنّة، ويعقوب بكى على يوسف، ويوسف بكى على يعقوب، وفاطمة بكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى قيل لها: آذيتنا بكثرة بكائك، وعليّ بن الحسين بكى على أبيه حتّى لحق بربّه، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، وكان يقول: إنّي لم أذكر مصرع [بني] فاطمة إلّا خنقتني لذلك العبرة».

وقال الصادق عليه السلام: «وكان جدّي عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا ذكره - يعني الحسين بأبي وأُمّي - بكى حتّى يبكي لبكائه رحمة له من رآه - قال: - وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون فيبكي لبكائهم كلّ من في الهواء والسماء، وما من باكٍ يبكيه إلّا وقد وصل فاطمة واسعدها، ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّى حقّنا»[(٢)].

وقال الرضا عليه السلام: «إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه الظلم والقتال فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبيت فيه ذرارينا ونساؤنا، وأُضرمت النار في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم تُرعَ لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا.

---

(١) فيما أخرجه ابن إدريس عن أبيه، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن محمّد بن سهيل البحراني يرفعه إلى الصادق، كما في المجلّد ١١ من البحار[١].

(٢) من حديث أخرجه ابن قولويه في كامل الزيارات، وغير واحد من المحدّثين[٢].

---

١. بحار الأنوار ١١: ٢٠٤، كتاب النبوّة، الباب ٤، ح ٢. رواه أيضاً الصدوق في الخصال ١: ٢٧٢ - ٢٧٣، باب الخمسة، ح ١٥؛ والطبرسي في مكارم الأخلاق ٢: ٩٣ - ٩٤، ح ٢٢٦٤؛ وابن الفتال في روضة الواعظين ١: ٣٨٨ - ٣٨٩، ح ٤١١؛ والديلمي في إرشاد القلوب ١: ١١٨.

٢. كامل الزيارات: ١٦٨، الباب ٢٠، ح ٨. راجع أيضاً: مستدرك الوسائل ١٠: ٣١٣ - ٣١٤، الباب ٤٩ من أبواب المزار وما يناسبه، ح ١؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ٤٦٢، ح ١٦.

إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام».

ثمّ قال عليه السلام: «كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يرى فيه ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه»[(١)].

وقال عليه السلام[(٢)]: «من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

وعن الريّان بن شبيب[(٣)] قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرّم، فقال لي: «يابن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأُمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيّها؛ إذ قتلوا

---

(١) فيما أخرجه الثقات الأثبات، كابن قولويه في الكامل وغيره[١].

(٢) فيما أخرجه الصدوق في أماليه، وغير واحد من أعلام المحدّثين[٢].

(٣) فيما أخرجه الشيخ الصدوق في العيون، وغير واحد من الثقات[٣].

---

١. لم نعثر عليه في كامل الزيارات ولكن روي في: الأمالي للصدوق: ١١١، المجلس ٢٧، ح ٢؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٤؛ الإقبال بالأعمال الحسنة ٣: ٢٨، الباب ١، الفصل ٢؛ روضة الواعظين ١: ٣٨٦ـ ٣٨٧، ح ٤٠٧.

٢. الأمالي للصدوق: ٦٨، المجلس ١٧، ح ٤. راجع أيضاً: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٦٤، الباب ٢٨، ح ٤٨؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٧٨، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٤٤، ح ٢؛ وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٢، الباب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه، ح ٤.

٣. عيون أخبار الرضا ١: ٢٦٨، الباب ٢٦، ح ٥٨. راجع أيضاً: الأمالي للصدوق: ١١٢ ـ ١١٣، المجلس ٢٧، ح ٥؛ الإقبال بالأعمال الحسنة ٣: ٢٩ ـ ٣٠، الباب ١، الفصل ١؛ وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٢ ـ ٥٠٣، الباب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه، ح ٥؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٤، ح ٢٣.

في هذا الشهر ذرّيّته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله. يابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابكِ للحسين عليه السلام؛ فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض من شبيه، ولقد بكت السماوات السبع لقتله».

إلى أن قال: «يابن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا».

وقال عليه السلام[(١)]: «من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله ـ عزّ وجلّ ـ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنان عينه».

وعن الباقر عليه السلام[(٢)] قال: «كان أبي يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام دمعة حتّى تسيل على خدّه، صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار».

وقال الصادق عليه السلام[(٣)] لفضيل بن يسار: «أتجلسون وتتحدّثون؟» قال: نعم جعلت فداك، قال عليه السلام: «إنّ تلك المجالس أُحبّها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا.

---

(١) فيما أخرجه الصدوق في أماليه، وغير واحد من الأثبات[١].

(٢) فيما أخرجه جماعة من الثقات كابن قولويه في كامله وغيره من الأثبات[٢].

(٣) كما في كتاب قرب الإسناد بسنده إلى أبي بكر بن محمّد الأزدي[٣].

---

١. الأمالي للصدوق: ١١٢، المجلس ٢٧، ح ٤. راجع أيضاً: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٦٧، الباب ٢٦، ح ٥٧؛ وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٤، الباب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه، ح ٧؛ روضة الواعظين ١: ٣٨٧، ح ٤٠٨.

٢. كامل الزيارات: ٢٠٧، الباب ٣٢، ح ١. راجع أيضاً: تفسير القمّي ٢: ٢٦٥، ذيل الآية ٢٩ من سورة الدخان (٤٤)؛ وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١، الباب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه.

٣. قرب الإسناد: ٣٦، ح ١١٧.

يا فضيل من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه».

وعن أبي عمارة المنشد[(١)] قال: ما ذكِر الحسين عليه السلام عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام في يوم قطّ فرئي فيه متبسّماً إلى الليل. ـ قال: ـ وكان أبو عبد الله الصادق يقول: «الحسين عبرة كلّ مؤمن».

وعن الصادق عليه السلام[(٢)] قال: «قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلّا استعبر»[(٣)]. جعلت فداك.

(١) أخرجه ابن قولويه في كامله[1].

(٢) فيما أخرجه ابن قولويه في كامل الزيارات[2].

(٣) إلى غير ذلك من صحاح الأخبار المتواترة بمعناها عن أئمّة الأبرار[3]، وناهيك به حجّة على رجحان المآتم الحسينيّة، واستحبابها شرعاً، فإنّ أقوال أئمّة الثقلين وأفعالهم وتقريرهم حجّة؛ لوجوب عصمتهم بحكم العقل والنقل، كما هو مقرّر في مظانّه من كتب المتكلّمين من أصحابنا[4]. وكنّا فصّلنا القول فيه في كتابنا الكبير سبيل المؤمنين؛ على أنّ الاقتداء بهم لا يتوقّف ـ عند الخصم ـ على عصمتهم، بل يكفينا فيه ما اتّفقت عليه الكلمة من إمامتهم في الفتوى، وأنّهم في أنفسهم لا يقصرون عن الفقهاء الأربعة وأضرابهم ـ كالثوري والأوزاعي ـ علماً ولا عملاً.

وأنت تعلم أنّ هذه المآتم لو ثبتت عن أبي حنيفة، أو صاحبيه ـ أبي يوسف والشيباني ـ لاستبق الخصم إليها، وعكف أيّام حياته عليها، فلِمَ ينكرها علينا، ويندّد بها بعد ثبوتها عن أئمّة أهل البيت يا منصفون؟!

١. كامل الزيارات: ٢١٤ ـ ٢١٥، الباب ٣٦، ح ٢.

٢. المصدر: ٢١٥، الباب ٣٦، ح ٣.

٣. للمزيد راجع المصدر: ٢١٤ ـ ٢١٦، الباب ٣٦.

٤. للمزيد راجع: كشف المراد: ٣٦٤، المسألة الثالثة في أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً؛ نهج الحقّ وكشف الصدق: ١٦٤ ـ ١٧١، المسألة الخامسة في الإمامة.

يابن النبيّ المصطفى ووصيّه | وأخا الزكيّ ابن البتول الزاكية
تبكيك عيني لا لأجل مثوبةٍ | لكنّما عيني لأجلك باكيهْ
تبتلّ منكم كربلا بدم ولا | تبتلّ منّي بالدموع الجاريهْ
أنست رزيّتكم رزايانا التي | سلفت وهوّنت الرزايا الآتيهْ
ولقد يعزّ على رسول الله أن | تسبى نساه إلى يزيد الطاغيهْ
ويرى حسيناً وهو قرّة عينه | ورجاله لم تبقَ منهم باقيهْ
وجسومهم تحت السنابك بالعَرا | ورؤوسهم فوق الرماح العاليهْ
ويزيد يقرع ثغره بقضيبه | مترنّماً منه الشماتة باديهْ

المجلس الثاني: في الرثاء

لا ريب في جواز رثاء موتى المؤمنين؛ لأصالة الإباحة، وعدم الدليل على خلافها[1]. وقد رثى آدم ولده هابيل[2]، واستمرّت على ذلك ذرّيّته إلى يومنا هذا بلا نكير، وأقرّ رسول الله ﷺ عليه أصحابه مع إكثارهم من تهيّج الحزن به، وتفنّنهم

---

(١) لكنّ الذي يظهر من القسطلاني ـ في باب رثي النبيّ سعد بن خولي ص ٣١٨ من الجزء ٣ من إرشاد الساري في شرح البخاري [1] ـ أنّ جماعة يفصّلون القول في الرثاء، فيحرّمون منه ما اشتمل على مدح الميّت وذكر محاسنه الباعث على تحريك الحزن وتهييج اللوعة، ويبيحون منه ما عدا ذلك.

والحقّ إباحته مطلقاً إلّا إذا اشتمل على الباطل؛ إذ لا دليل على الحرمة. والنهي الذي يزعمون إنّما يستفاد منه الكراهة في موارد أُخر ليست من موضوع بحثنا، على أنّ النهي غير صحيح عندنا.

(٢) بقوله فيما يروى ـ وقد ضعّف ـ: تغيّرت البلاد ومن عليها. إلى آخره [2].

---

١. إرشاد الساري ٢: ٤٠٦.

٢. راجع: تاريخ الطبري ١: ١٤٥ ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم...؛ التبيان في تفسير القرآن ٣: ٤٩٥؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢: ٤٨، ذيل الآية ٣١ من سورة المائدة (٥).

في ذلك بذكر مدائح الموتى في أخلاقهم وأفعالهم (١).

ولمّا توفّي رسول الله ﷺ تنافست فضلاء الصحابة في رثائه.

فرثته بضعته الزهراء سيّدة نساء العالمين عليها السلام بأبيات تهيّج الأحزان،

---

(١) تلك مراثيهم في كتب الأخبار، فراجع من الاستيعاب ـ إن أردت بعضها ـ أحوال سيّدالشهداء حمزة[1]، وعثمان بن مظعون[2]، وسعد بن معاذ[3]، وشمّاس بن عثمان بن الشريد[4]، والوليد بن الوليد بن المغيرة[5]، وأبي خرّاش الهذلي[6]، وإياس بن بكير الليثي[7]، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم[8].

ولاحظ من الإصابة أحوال ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب[9]، وأبي زُبيْد الطائي[10]، وأبي سنان بن حُريث المخزومي[11]، والأشهب بن رُمَيْلة الدارمي[12]، وزينب بنت العوّام[13]، وعبدالله بن عبد المدان الحارثي[14]، وجماعة آخرين لا تحضرني أسماؤهم. ←

---

١. الاستيعاب ١: ٣٧٤، الرقم ٥٤١.

٢. المصدر ٣: ١٠٥٥، الرقم ١٧٧٩.

٣. المصدر ٢: ٦٠٢، الرقم ٩٥٨.

٤. المصدر: ٧١٠، الرقم ١٢٠٣.

٥. المصدر ٤: ١٥٥٨، الرقم ٢٧٢٤.

٦. المصدر: ١٦٣٦، الرقم ٢٩٢٨.

٧. المصدر ١: ١٢٤، الرقم ١١٢٢.

٨. المصدر ٤: ١٨٧٦، الرقم ٤٠٢٤.

٩. الإصابة ١: ٥٩٢، الرقم ١١٦٩.

١٠. المصدر ٧: ١٣٦، الرقم ١٩٩٧١.

١١. المصدر: ١٦٤، الرقم ١٠٠٦٧.

١٢. المصدر ١: ٣٤٤، الرقم ٤٦٧.

١٣. المصدر ٨: ١٦١، الرقم ١١٢٤٩.

١٤. المصدر ٤: ١٣٧، الرقم ٤٨١٨.

ذكر القسطلاني(١) منها هذين البيتين:

«ماذا على من شمّ تربة أحمد		أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صُبّت عليّ مصائبُ لو أنّها		صبّت على الأيّام صرن لياليا»

ورثته أيضاً بأبيات تثير الأشجان، ذكر ابن عبد ربّه(٢) منها هذين البيتين:

«إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها		وغاب مذ غبت عنّا الوحي والكتبُ
فليت قبلك كان الموت صادَفنا		لمّا نُعيت وحالت دونك الكُثُبُ»

ورثاه كلّ من عمّته صفيّة(٣)، وابن عمّه أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطّلب(٤)،

← ودونك كتاب الدرّة في التعازي والمراثي ـ وهو في أوّل الجزء الثاني ـ من العقد الفريد [1] تجد فيه مراثي الصحابة ومن بعدهم شيئاً كثيراً.

وإذا تتبّعت كتاب أسد الغابة تجد الكثير من مراثي الصحابة. وليس شيء ممّا أشرنا إليه إلّا وقد اشتمل على ما يهيّج الحزن ويجدّد اللوعة بمدح الميّت بالحقّ، وذكر محاسنه بالصدق.

(١) في ص ٣١٨ من الجزء ٣ من إرشاد الساري [2] في باب رثي النبيّ ﷺ سعد بن خولي.

(٢) في ص ٧ من الجزء الثاني من عقده الفريد، وذكر ابن أبي الحديد ثلاثة أبيات أُخر منها في آخر ص ٩٣، وثلاثة أبيات أيضاً في ص ٩٤ من المجلّد الرابع من شرح النهج [3].

(٣) رثته بقصيدة يائيّة، ذكر ابن عبد البرّ بعضها في أحوال النبيّ من استيعابه [4].

(٤) رثاه بقصيدة لاميّة، ذكر بعضها صاحبا الاستيعاب والإصابة في ترجمة أبي سفيان [5].

---

١. العقد الفريد ٣: ٢٢٨ـ ٣٠٧.

٢. إرشاد الساري ٢: ٤٠٧.

٣. العقد الفريد ٣: ٢٣٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٥٠.

٤. الاستيعاب ١: ٤٩، المقدّمة. للمزيد راجع أيضاً: الطبقات الكبرى ٢: ٣٢٧ـ ٣٣٠؛ الإصابة ٨: ٢١٥، الرقم ١١٤١١.

٥. الاستيعاب ٤: ١٦٧٣، الرقم ٣٠٠٢؛ الإصابة ٧: ١٥١، الرقم ١٠٠٢٨. راجع أيضاً: الروض الأنف ٤: ٢٧٥؛ البداية والنهاية ٥: ٣٠٣، حوادث سنة ١١.

وأبي ذؤيب الهذلي(١)، وأبي الهيثم بن التيّهان(٢)، وأُمّ رِعْلة القشيريّة(٣)، وعامر بن الطفيل(٤) وغيرهم.

ومن استوعب الاستيعاب وتتبّع طبقات ابن سعد وأُسد الغابة والإصابة يجد من مراثي الصحابة شيئاً كثيراً.

وقد أكثرت الخنساء ـ وهي صحابيّة ذات شأن ـ من رثاء أخويها: صخر ومعاوية[1] ـ وهما كافران ـ وأبدعت في مدائح صخر، وأهاجت عليه لواعج الأحزان، على أنّها كانت من الصالحات، وقد بذلت أولادها الأربعة في نشر الدعوة الإسلاميّة، وسرّها قتلهم في هذا السبيل، وما برحت ترثي أخويها حتّى ماتت، فما أنكر عليها في ذلك أحد.

وأكثر أيضاً متمّم بن نويرة من تهيّج الحزن على أخيه مالك في مراثيه السائرة

(١) رثاه بقصيدة حائيّة، ذكر بعضها الفاضل العبّاسي في أحوال أبي ذؤيب من معاهد التنصيص، وأورد بعضها أيضاً صاحبا الاستيعاب والإصابة في ترجمة أبي ذؤيب[2].

(٢) رثاه بقصيدة داليّة، أشار إليها العسقلاني في ترجمة أبي الهيثم من إصابته[3].

(٣) رثته بقصيدة رائيّة، أشار إليها العسقلاني في ترجمة أُمّ رِعلة من إصابته[4].

(٤) رثاه بقصيدة جيميّة، أشار إليها العسقلاني في ترجمة عامر من إصابته[5].

١. للمزيد راجع: الأغاني ١٥: ٧٧ ـ ٩٢، نسب الخنساء وخبرها و...؛ الاستيعاب ٤: ١٨٢٧ ـ ١٨٢٩، الرقم ٣٣١٧؛ الإصابة ٨: ١١٠ ـ ١١٢، الرقم ١١١١٢.

٢. معاهد التنصيص: ٢٥٢؛ الاستيعاب ٤: ١٦٤٨، الرقم ٢٩٤٢؛ الإصابة ٧: ١١٠، الرقم ٩٨٨١. راجع أيضاً الروض الأنف ٤: ٢٧٥.

٣. الإصابة ٧: ٣٦٥، الرقم ١٠٦٨٩.

٤. المصدر ٨: ٣٩٠، الرقم ١٢٠٢٥.

٥. المصدر ٣: ٤٧٣، الرقم ٤٤١٤.

حتّى وقف مرّة في المسجد وهو غاصّ بالصحابة، واتّكأ على سِيَة قوسه(١) أمام أبي بكر بعد صلاة الصبح فأنشد(٢):

نعم القتيلُ[١] إذ الرياح تناوحت ... خلف البيوت قتلت يابن الأزوَرِ

ثمّ أومأ إلى أبي بكر فقال مخاطباً له(٣):

أدعوته بالله ثمّ غدرته ... هو لو دعاك بذمّة لم يغدرِ

فقال أبوبكر: والله ما دعوته ولا غدرته. ثمّ قال متمّم:

ولنعم حشو الدرع كان وحاسراً ... ولنعم مأوى الطارق المتنوّرِ

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه ... حلو شمائله عفيف المأزرِ

وبكى حتّى انحطّ عن سية قوسه.

قالوا: فما زال يبكي حتّى دمعت عينه العوراء، فما أنكر عليه في بكائه، ولا في رثائه منكر ـ مع ما في بكائه ورثائه من المغازي السياسيّة ـ بل قال له عمر(٤): «لوددِت أنّك رثيت زيداً أخي بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك، فرثى متمّم بعدها

---

(١) سية القوس: ما عطف من طرفيها. جمعها سيات[٢].

(٢) كما في ترجمة وثيمة بن موسى بن الفرات من وفيات ابن خلّكان، وكما في ص ٢٠ من العقد الفريد[٣].

(٣) كما في ترجمة وثيمة من وفيات ابن خلّكان، وكما في ص ٢٠ من الجزء ٢ من العقد الفريد أيضاً[٤].

(٤) كما في ترجمة وثيمة من الوفيات أيضاً[٥].

---

١. في المصدر: «نعم بالله».

٢. اُنظر المعجم الوسيط: ٤٦٩، «س. ي. ي».

٣ ـ ٥. الوفيات ٦: ١٥ ـ ١٦، الرقم ٧٦٩؛ العقد الفريد ٣: ٢٦٢.

زيداً فما أجاد، فعاتبه عمر بقوله: لِم لم ترث أخي كما رثيت أخاك؟ فقال: إنّه ـ والله ـ ليحرّكني لأخي ما لا يحرّكني لأخيك.

واستحسن الصحابة والتابعين ومن بعدهم مراثيه في مالك، فكانوا يتمثّلون بها إذا اقتضى الأمر ذلك، كما فعلته عائشة إذ وقفت على قبر أخيها عبد الرحمن، فبكَت عليه[1] وتمثّلت بقول متمّم:

وكنّا كندماني جذيمة حِقبَةً | من الدهر حتّى قيل لن يتصدَّعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكاً | لطُول اجتماع لم نبت ليلة معا

وما زال الرثاء فاشياً بين المسلمين في كلّ عصر ومصر لا يتناكرونه.

وحسبنا دليلاً على استحبابه في مآتمنا ما رواه أصحابنا عن زيد الشحّام[2] قال: كنّا عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام ونحن جماعة من الكوفيّين، فدخل جعفر بن عفّان[3] فقرّبه الإمام وأدناه، ثمّ قال: «يا جعفر بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين وتجيد» قال: نعم جعلت فداك، قال: «قل» فأنشده:

لِيبكِ على الإسلام من كان باكياً | فقد ضيّعت أحكامه واستحلّتِ[4]

(١) كما في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب ١.

(٢) هذا الحديث رواه عدّة من أصحابنا الثقات، كأبي عليّ في أحوال جعفر بن عفّان الطائي من كتاب منتهى المقال في أحوال الرجال ٢.

(٣) كان من ثقات سلفنا.

(٤) لم يورد أبو عليّ في منتهى المقال هذه الأبيات وإنّما أشار إليها، وأوردها غيره ٣.

١. الاستيعاب ٢: ٨٢٦، الرقم ١٣٩٤.

٢. منتهى المقال ٢: ٢٥٤، الرقم ٥٦١. روي أيضاً في اختيار معرفة الرجال: ٢٨٩، ح ٥٠٨.

٣. كالمجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ٢٨٦ ـ ٢٨٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٤٤.

غــداة حســين للــرماح دريــئة		وقد نـهلت مـنه السيوف وعـلّتِ
وغودر فـي الصـحراء شـلواً مـبدّداً		عــليه عـتاق الطـير بـاتت وظـلّتِ
فــما نــصرته أُمّــة السـوء إذ دعـا		لقد طاشت الأحـلام مـنهم وظـلّتِ
وما حـفظت قـرب النـبيّ ولا رعت		وزلّت بــها أقــدامــها واســتزلّتِ
أذاقــته حــرّ القــتل أُمّــة جـدّه		فــتبّت أكــفّ الظــالمين وشـلّتِ
فــلا قــدّس الرحــمن أمّـة جـدّه		وإن هــي صـامت للإله وصـلّتِ
كما فـجعت بـنت الرسـول بـنسلها		وكانوا كماة الحرب حـين استقلّتِ

فبكى الصادق عليه السلام ومن حوله حتّى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثمّ قال: «يا جعفر، والله لقد شهدك الملائكة المقرّبون، وإنّهم لهاهنا يسمعون قولك في الحسين، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، وقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعتك الجنّة وغفر لك» ثمّ قال: «ألا أزيدك؟» قال: نعم يا سيّدي، قال عليه السلام: «ما من أحد قال في الحسين شعراً، فبكى أو أبكى إلّا أوجب الله له الجنّة وغفر له».

وقد نسج جعفر بن عفّان في هذا الرثاء على رويّ سليمان بن قتّة[١] العدويّ، إذ مرّ بكربلاء لثلاث بعد قتل الحسين وأصحابه، فنظر إلى مصارعهم ومضاربهم فأنشأ يقول ويبكي:

مررت على أبـيات آل مـحمّد		فلم أرها أمثالها حين حلّتِ(١)

(١) أنشد هذه الأبيات أبو تمّام في الحماسة، والمبرّد في الكامل لسليمان بن قتّة[٢]. ←

١. «قتّة»: كقبّة، اسم أمّ سليمان بن حبيب المحاربي التابعي، يعرف بابن قتّة، وهو القائل في رثاء الحسين عليه السلام:
وإنّ قتيل الطفّ من آل هاشم ... . أُنظر قاموس الرجال ٥: ٢٩١.

٢. ديوان الحماسة: ١٧٣، الرقم ٣٣٣؛ الكامل للمبرّد (الجزء الأوّل): ١٥١ بتفاوت ونقيصة. حكي ابن شهر آشوب بعضها ونسبها إلى ابن قبّة الهاشمي في مناقب آل أبي طالب ٤: ١٢٧.

فــــلا يــــبعد الله الديــــار وأهـــلها ... وإن أصــبحت مـنهم بـرغمي تخلّتِ
وإنّ قــتيل الطــفّ مــن آل هـاشم ... أذلّ رقـــاب المســـلمين فــذلّتِ
وكـــانوا غــياثاً ثـمّ أضـحوا رزيّـة ... ألا عــظمت تــلك الرزايـا وجـلّتِ
ألم تر أنّ الشـمس أضـحت مـريضة ... لقــتل حســين والبــلاد اقشــعرّتِ
وقـد أعـولت تـبكي السـماء لفـقده ... وأنــجمها نــاحت عــليه وصــلّتِ

ورحم الله الحسين بن الضحّاك إذ نسج على هذا الرويّ والقافية، فقال:

وممّا شجا قـلبي وأسـبل عـبرتي ... مــحارم مـن آل النـبيّ اسـتحلّتِ
ومـهتوكة بـالطفّ عـنها سـجوفها ... كعاب كقرن الشـمس لمّـا تـبدّتِ
إذا حــفزتها وزعــة مـن مـنازع ... لها المرط عاذت بالخضوع ورنّتِ
وربّـات خـدرٍ مـن ذؤابـة هـاشم ... هتفن بـدعوى خـير حـيٍّ ومـيّتِ
أردّ يــداً مــنّي إذا مــا ذكـرتها ... عـلى كـبد حـرّى وقـلبٍ مـفتّتِ
فــلا بـات ليـل الشـامتين بـغيظه ... ولا بــلغت آمــالها مــا تـمنّتِ[1]

← ونسبها ابن الأثير في آخر وقعة الطفّ من كامله[2] إلى التيمي تيم مرّة، قال: وكان منقطعاً إلى بني هاشم. والظاهر أنّه أراد سليمان بن قتّة؛ لأنّه تيمي بالولاء.

وقال الخطيب التبريزي في شرح الحماسة: رواها البرقي لأبي الزميج الخزاعي.

وأوردها ابن عبد البرّ في ترجمة الحسين من الاستيعاب[3] فنسبها إلى سليمان بن قتّة الخزاعي، وقيل: إنّها لأبي الزميج الخزاعي.

---

١. أدب الطفّ ١: ٣١٠.

٢. الكامل في التاريخ ٤: ٩١، حوادث سنة ٦١.

٣. الاستيعاب ١: ٣٩٤، الرقم ٥٥٦.

ولله درّ عواطف الإمام محمّد بن إدريس الشافعي حيث يقول من أبيات له في رثاء الحسين عليه السلام:

تــزلزلت الدنــيا لآل مــحمّد　　وكادت لهم صمّ الجبال تذوبُ
فمن مبلغ عنّي الحسين رسالة　　وإن كـرهتها أنـفس وقـلوبُ
قــتيل بــلا جـرم كأنّ قـميصه　　صبيغ بماء الأُرجوان خضيبُ (١)

وروى الصدوق في أماليه وفي ثواب الأعمال، وابن قولويه في كامله بالإسناد إلى أبي عمّارة، قال: دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقال: «أنشد في الحسين» فأنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أُنشده وهو يبكي حتّى سمعت البكاء من الدار، فقال: «يا أباعمّارة... من أنشد في الحسين فبكى فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فتباكى فله الجنّة»[1].

وروى الصدوق في ثواب الأعمال، وابن قولويه في كامله[2] بالإسناد إلى أبي هارون المكفوف، قال: دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقال: «يا أباهارون، أنشدني في الحسين» فأنشدته ـ فلم يعجبه الإنشاد؛ لخلوّه من الرقّة المشجية، وكأنّه تركها حياءً من الإمام عليه السلام ـ فقال: «لا» ـ يعني لا تنشد بهذه الطريقة ـ «بل كما تنشدون، وكما ترثيه عند قبره».

---

(١) هذا الرثاء نقله عن الإمام الشافعي جمال الدين الحافظ الزرندي المدني، كما في كتاب معارج الأصول، ونقله الفاضل البلخي في ينابيعه[3].

---

١. الأمالي للصدوق: ١٢١ ـ ١٢٢، المجلس ٢٩، ح ٦؛ ثواب الأعمال: ١١٠، ح ٣؛ كامل الزيارات: ٢٠٨ ـ ٢٠٩، الباب ٣٣، ح ٢.

٢. ثواب الأعمال: ١٠٨ ـ ١٠٩، ح ١؛ كامل الزيارات: ٢٠٨ ـ ٢١١، الباب ٣٣، ح ١ و ٥ بتفاوت يسير.

٣. ينابيع المودّة ٣: ٩٩، الباب ٦٢، حكاه عن كتاب «معراج الوصول في معرفة آل الرسول». ونقله ابن شهرآشوب أيضاً في مناقب آل أبي طالب ٤: ١٣٥، وابن نما في مثير الأحزان: ٧٧ بتفاوت في بعض الألفاظ.

قال: فأنشدته[١] حينئذٍ:

أُمرر عـلى جـدث الحسـين ... فـــقل لأعـــظمه الزكـيّة

يــــا أعــظماً لا زلت مـــن ... وطـــفاء سـاكـبة رويّـــة

وإذا مـــــــررت بـــقبره ... فأطــل بــه وقــف المطيّة

وابكِ المـــطهّر للـــمطهّر ... والمــــــطهّرة التـــقيّة

كـــبكاء مـــعولة أتت ... يـــوماً لواحــدها المـنيّة

قال: فبكى، ثمّ قال: «زدني» فأنشدته القصيدة الأُخرى:

يا مـريم قـومي وانـدبي مـولاكِ ... وعلى الحسـين أسـعدي بـبكاكِ

قال: فبكى الصادق وتهايج النساء من خلف الستر، فلمّا أن سكتن قـال: «يـا أباهارون، من أنشد في الحسين فبكى وأبكى عشرة، كـتبت لهـم الجـنّة ـ إلى أن قال: ـ ومن ذُكر الحسين عنده فخرج من عينه مقدار جناح ذبابة، كان ثوابه على الله، ولم يرض له بدون الجنّة».

ودخل عبدالله بن غالب[٢] على الإمام الصادق عليه السلام فأنشده مرثيته في الحسـين عليه السلام فلمّا انتهى إلى قوله: لبليّة... ـ البيت[1] ـ صاحت باكية من وراء الستر: يا أبتاه.

وللإمام الثامن الضامن عليه السلام مع دعبل الخزاعي قضيّة مشهورة[٣]، وذلك لمّا وفد

---

(١) أنشد أبوهارون هذه الأبيات وهي للسيّد إسماعيل الحميري.

(٢) أخرجه ابن قولويه في كامل الزيارات بسند صحيح[2].

(٣) أشار إليها الفاضل العبّاسي في أحوال دعبل من معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص في أوّل ص ٣٧٣، وذكرها الصدوق في عيون أخبار الرضا، والعلّامة الإربلي ←

---

١. تمامه هكذا: لبليّـة تسقـو حسينـاً ... بمسقاة الثرى غير التراب.

٢. كامل الزيارات: ٢٠٩ ـ ٢١٠، الباب ٣٣، ح ٣.

عليه بعبقريّته التائيّة ـ تلك القصيدة التاريخيّة الرنّانة، التي تجاذبت بها أندية الأدب ـ انتشرت في أقطار العرب، وقامت بتلاوتها في دار الرضا قيامة الأحزان، وقرعت ساحته الشريفة بنَوح دعبل بها الأشجان، فبكى الإمام أحرّ بكاء، وعلا من وراء الستر صراخ النساء، وكان لأطفاله رَنين وَمأْق ورغاء(١) حتّى استولى عليه الإغماء، واشترك في البكاء معه جِنّة الأرض وملائكة السماء.

وقد علم الناس أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد أمر بِشراً برثاء سيّد الشهداء حيث قال: «يا بشر(٢) رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟» قال: نعم يابن رسول الله.

قال عليه السلام: «ادخل المدينة وانع أباعبدالله».

قال بشر بن جذلم: فركبت فرسي، وركضت حتّى دخلت المدينة، فلمّا بلغت مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها		قتل الحسين فأدمعي مدرارُ
الجسم منه بكربلاء مضرّج		والرأس منه على القناة يدارُ

← في كشف الغمّة، والمجلسي في المجلّد ١١ من بحاره، وأبوالفرج الإصفهاني في أغانيه [١]. وغير واحد من المحدّثين والمؤرّخين.

(١) المأق: ما يأخذ الصبيّ بعد البكاء من الشهيق الشبيه بالفواق. ورغاء الصبيّ: هو أشدّ ما يكون من بكائه [٢].

(٢) ذكر ذلك السيّد ابن طاووس في كتاب اللهوف على قتلى الطفوف [٣].

---

١. معاهد التنصيص ٢: ٢٠٣ ـ ٢٠٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٩٤ ـ ٢٩٧؛ كشف الغمّة ٢: ١٠٨ ـ ١١٨؛ بحار الأنوار ٤٩: ٢٤٤ ـ ٢٥١، تاريخ الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، الباب ١٧، ح ٩؛ الأغاني ٢٠: ١٢٠ ـ ١٢١، أخبار دعبل بن عليّ ونسبه.

٢. لسان العرب ١٢: ٦، «م.أ.ق».

٣. الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٦ ـ ٢٢٧. راجع أيضاً مثير الأحزان: ١١٢.

المجلس الثالث: في تلاوة الأحاديث

لا ريب في رجحان تلاوة الأحاديث المشتملة على مناقب الموتى من المؤمنين ومصائبهم، إذ تكون كذكرى لحياتهم، تنتفع الأُمّة بها على قدر مكانتهم في محامد الصفات، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال.

وإنّ أُمّة تهتمّ بتاريخ عظمائها الممتازين في دينهم ودنياهم، لتعدّ حافظة مجدها، ناصحة لمن بعدها. وقد جرت سيرة الخلف والسلف على ذكر مناقب الموتى ومصائبهم، كتابةً وخطابةً، نظماً ونثراً، والعقل والنقل يحكمان بحسن ذلك، وقواعد المدنيّة تقتضيه، وأُصول الترقّي في المعارف والفضائل توجبه؛ إذ به تحفظ الآثار النافعة، وتخلّد الأرواح الشريفة، وبالتنافس فيه تعرج أبطال المنابر إلى أوج البلاغة، وتستوي رجال المحابر ببراعتها على عرش البراعة.

وما أحوج الأُمّة إلى ذكرى ما أصاب سلفها من النوائب أيّام بؤسهم، وما اكتسبوه من المآثر والمناقب أيّام عزّهم ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الألْبَابِ﴾[1].

وهذا كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ وسنّة رسوله ﷺ يمثّلان مناقب الأنبياء ومصائبهم بأجلى مظاهر التمثيل، ويصوّران مثالب أعداء الله وأعداء أنبيائه بأوضح التصوير،

---

١. الزمر (٣٩): ٢١.

ولولا الكتاب والسنّة، ما عرفنا فضائل أنبياء الله، ولا رذائل أعدائه. وأنّى لنا ـ لولا الكتاب والسنّة ـ بالوقوف على نصح الأنبياء لله تعالى ولعباده، والصبر على الأذى الذي نالهم في سبيل الحقّ من النماردة والفراعنة والعمالقة، وأصحاب الرسّ والأُخدود وغيرهم.

فالقول بتحريم تلاوة مناقب أهل المناقب من الموتى ومصائبهم يستلزم تحريم تلاوة الكتاب والسنّة، وقراءة التاريخ وعلم الرجال، ومن يرضى لنفسه هذا الحمق! ويختار لبصيرته هذا العمى؟! نعوذ بالله من سفه الجاهلين.

وقف أمير المؤمنين عليه السلام على قبر خبّاب بن الأرتّ في ظهر الكوفة ـ وهو أوّل من دفن هناك(١) ـ فقال في تأبينه: «رحم الله خبّاباً، لقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتُلي في جسمه أحوالاً، ولن يضيّع الله أجر من أحسن عملاً».

ووقف الإمام زين العابدين على قبر جدّه أمير المؤمنين عليهما السلام فقال: «أشهد أنّك جاهدت في الله حقّ جهاده، وعملت بكتابه، واتّبعت سنن نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى دعاك الله إلى جواره، فقبضك إليه باختياره لك كريم ثوابه، وألزم أعداءك الحجّة في ظلمهم إيّاك مع ما لك من الحجج البالغة»[1].

ووقف الإمام الصادق على قبر جدّه الحسين عليهما السلام فقال: «أشهد أنّك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وأطعت الله ورسوله،

---

(١) كما في ص ٨ من الجزء الثاني من العقد الفريد[2].

---

١. كامل الزيارات: ٩٢، الباب ١١، ح ١ بزيادة يسيرة، وفي فرحة الغري: ٤٣ ـ ٤٤.

٢. العقد الفريد ٣: ٢٣٨. راجع أيضاً الكامل في التاريخ ٣: ٣٢٤، حوادث سنة ٣٧.

وعبدته مخلصاً، وجاهدت في سبيله صابراً محتسباً حتّى أتاك اليقين، فلعن الله أُمّة قتلتك، ولعن الله أُمّة ظلمتك، ولعن الله أُمّة سمعت بذلك فرضيت به»[1].

ووقف الحسين على قبر أخيه الحسن عليهما السلام فقال:

«أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي وخدّك معفور وأنت تريبُ[2]
وليس حريباً من أُصيب بماله ولكنّ من وارى أخاه حريبُ
غريب وأطراف البيوت تحوطه ألا كلّ من تحت التراب غريبُ
بكائي طويل والدموع غزيرة وأنت بعيد والمزار قريبُ»[3]

ووقف محمّد بن أمير المؤمنين ـ المعروف بابن الحنفيّة ـ على قبر أخيه وخليفة أبيه أبي محمّد الحسن الزكيّ المجتبى فخنقته العبرة فقال(١):

يرحمك الله أبا محمّد، فلئن عزّت حياتك فقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمّه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمّه كفنك. وكيف لا يكون كذلك وأنت بقيّة ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غذّتك أكفّ الحقّ. وربّيت في حجر الإسلام، فطبت حيّاً وطبت ميّتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيّبة بفراقك، ولا شاكّة في الخيار لك.

ثمّ بكى بكاءً شديداً وبكى الحاضرون حتّى علا نشيجهم وفيهم الحسين وإخوته وابن عبّاس وسائر الهاشميّين.

---

(١) كما في ص ٨ من الجزء الثاني من العقد الفريد[4].

---

١. مصباح المتهجّد: ٧٢٠ ـ ٧٢١؛ مصباح الزائر: ٢٠٠؛ بحار الأنوار ٩٨: ٢٠٠، كتاب المزار، ذيل الحديث ٣٢ مع تفاوت يسير.

٢. في المصدر: «سليب» بدل «تريب».

٣. راجع: مناقب آل أبي طالب ٤: ٥١؛ بحار الأنوار ٤٤: ١٦٠، تاريخ الإمام الزكيّ الحسن المجتبى عليه السلام، الباب ٢٢، ذيل الحديث ٢٩.

٤. العقد الفريد ٣: ٢٣٩ ـ ٢٤٠. للمزيد راجع أيضاً: مروج الذهب ٣: ٦ ـ ٧؛ تهذيب الكمال ٦: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، الرقم ١٢٤٨.

ولمّا توفّي أمير المؤمنين عليه السلام قام الخلف من بعده أبو محمّد الحسن الزكـيّ عليه السلام فقال[(١)]: «لقد قتلتم الليلة رجلاً والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده. [والله] إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليبعثه في السريّة، وجبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره. ما ترك بيضاء ولا صفراء...» إلى آخر كلامه.

ووقف أمير المؤمنين عليه السلام على الضريح الأقدس ضريح النبيّ صلى الله عليه وآله ساعة دفنه فقال[(٢)]: «إنّ الصبر لجميلٌ إلّا عنك، وإنّ الجزع لقبيحٌ إلّا عليك، وإنّ المصاب بك لجليلٌ، وإنّه بعدك لقليل[١]».

وعن أنس بن مالك قال[(٣)]: لمّا فرغنا من دفن رسول الله صلى الله عليه وآله أقبلت فاطمة عليها السلام فقالت: «كيف طابت أنفسكم أن تَحثُوا على وجه رسول الله التراب؟» ثـمّ بكت ونادت: «يا أبتاه، أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه، مِن ربّه ما أدناه، يا أبتاه، مَنْ ربّه ناداه، يا أبتاه، إلى جبرائيل نَنعاه، يا أبتاه، جنّة الفردوس مأواه، يا أبتاه، لست بعد اليوم أراه».

وكأنّي بها وقد أصلى ضلعها الخطب، ولاع قلبها الكرب، ولعج فؤادها الحزن،

---

(١) كما في حوادث سنة ٤٠ من تاريخي ابن جرير وابن الأثير، وفي ص ٨ من الجزء ٢ من العقد الفريد[٢].

(٢) كما في نهج البلاغة[٣].

(٣) كما في ص ٧ من المجلّد ٢ من العقد الفريد. وذكر ابن أبي الحديد ندبتها في ص ١٩٤ من المجلّد ٣ من شرح نهج البلاغة[٤].

---

١. في المصدر: «وبَعْدك لَجَلَلٌ».

٢. تاريخ الطبري ٥: ١٥٧، حوادث سنة ٤٠؛ الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٠ ـ ٤٠١، حوادث سنة ٤٠؛ العقد الفريد ٣: ٢٣٨ بتفاوت يسير في بعض الألفاظ. راجع أيضاً مسند أبي يعلى ١٢: ١٢٦، ح ٦٧٥٧ و٦٧٥٨.

٣. نهج البلاغة: ٧١٨، الحكمة ٢٩٢.

٤. العقد الفريد ٣: ٢٣٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٤٣. للمزيد راجع: صحيح البخاري ٤: ١٦١٩، ح ٤١٩٣؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٢٢، ح ١٦٣٠.

واستوقد صدرها الغبن، حين ذهبت كاظمة، ورجعت راغمة، ثمّ انكفأت إلى قبر أبيها باكية شاكية قائلة[(١)]:

«قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنتَ شاهدها لم تكثُر الخطبُ

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا[(٢)]

فليت بعدك كان الموت صادفنا لمّا قضيت وحالت دونك الكُثُبُ»

ولم تزل ـ بأبي هي وأُمّي ـ بعد أبيها ﷺ ذات غصّة لا تساغ، ودموع تترى من مقلة عبرى، قد استسلمت للوجد، وأخلدت في بيت أحزانها إلى الشجون، حتّى لحقت بأبيها ﷺ معصّبة الرأس، قد ضاقت عليها الأرض برحبها.

فلمّا فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من دفنها في ظلام الليل، ورهقه من الحزن عليها ما عيل به صبره، وضاق به صدره، استقبل بوجهه ضريح رسول الله ﷺ يشكو إليه بثّه وحزنه، وقد جاشت في صدره غصص الهموم واعتلجت فيه حزازات الغموم، فقال ـ وهو يجرض بريقه، ويميد به شجوه، وقد انحلّت عقود دموعه، وتناثرت لآلئ جفونه ـ: «السلام عليك[(٣)] يا رسول الله عنّي، وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة

(١) كما في ص ٩٣ من المجلّد ٤ من شرح النهج للعلّامة ابن أبي الحديد[١].

(٢) الموجود في شرح النهج: واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب، لكنّ الصحيح ما أثبتناه، وهو المأثور عندنا. ومعنى نكبوا: عدلوا[٢].

(٣) هذا الكلام من الثابت عنه عليه السلام المأثور في كتاب نهج البلاغة[٣].

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٢. للمزيد راجع: الأمالي للمفيد: ٤١، المجلس ٤، ح ٨؛ مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٣٧؛ دلائل الإمامة: ٣٥.

٢. لسان العرب ١: ٧٧٠، «ن.ك.ب».

٣. نهج البلاغة: ٤٣٣ ـ ٤٣٤، الكلام ٢٠٢. راجع أيضاً: مناقب آل أبي طالب ٣: ٤١٣؛ روضة الواعظين ١: ٣٤٩ ـ ٣٥٠، ح ٣٦٥؛ شرح نهج البلاغة ١٠: ٢٦٥.

اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، ورقّ عنها تجلّدي، إلّا أنّ لي في التأسّي بعظيم فُرْقَتِك، وفادح مصيبتك موضعَ تعزٍّ، فلقد وسَّدْتُك في ملحودةِ قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، فـ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾[1] فلقد استرجعت الوديعة، وأُخذت الرهينة، أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمُسَهّدٌ، إلى أنْ يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبئّك ابنتك بتضافر أُمّتك على هضمها، فأحفِها السؤال، واستخبِرْها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخلُ منك الذكر».

فلأيّ الأُمور تدفن سرّاً   بضعة المصطفى ويعفى ثراها
فمضت وهي أعظم الناس شجواً   في فم الدهر غصّة من جواها[2]

وكأنّي بأمير المؤمنين عليه السلام واقفاً على قبرها وهو شجي بغصصه، لا يملك دمعه ولا قلبه، وكأنّي به ينشد(١):

«لكلّ اجتماعٍ من خليلين فُرقة   وكلّ الذي دون الممات قليلُ
وإنّ افتقادي واحداً بعد واحد   دليل على أن لا يدوم خليلُ»

---

(١) نقل إنشاده يومئذٍ لهذين البيتين كلّ من المبرّد في كامله، وابن عبد ربّه في ص ٩ من الجزء ٢ من عقده الفريد، وابن أبي الحديد في الصفحة الأخيرة من المجلّد الثاني من شرح نهج البلاغة[3].

---

١. البقرة (٢): ١٥٦.
٢. الأزرية في مدح النبيّ والوصي والآل: ١٠٩.
٣. العقد الفريد ٣: ٢٤١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٢٨٨. راجع أيضاً: المستدرك على الصحيحين ٤: ١٥٢، ح ٤٨٢٢؛ الأمالي للصدوق: ٣٩٧، المجلس ٧٤، ح ٧؛ الثقات لابن حبّان ٩: ٢٣٤، الرقم ٢١٤؛ تاريخ مدينة دمشق ٢٧: ٣٩٥، الرقم ٣٢٤٦؛ مناقب آل أبي طالب ٣: ٤١٤؛ لسان الميزان ٦: ١٩٦، الرقم ٦٩٩.

المجلس الرابع: في الجلوس حزناً على الموتى

لا ريب في أنّ النبيّ ﷺ حزن حزناً شديداً على شيخ الأباطح وبيضة البلد، عمّه وكافله أبي طالب، وعلى صدّيقته الكبرى أُمّ المؤمنين، وقد ماتا في عام واحد، فسمّاه النبيّ ﷺ: «عام الحزن» ولزم بيته(١) وأقلّ من الخروج؛ حزناً عليهما. وكان إذا تهجّمت عليه قريش يندب عمّه فيقول: «يا عمّ، ما أسرع ما وجدت فقدك»(٢).

---

(١) كلّ ذلك موجود في باب وفاة أبي طالب وخديجة من السيرة الحلبيّة ص ٤٦٢ من جزئها الأوّل، وموجود في غيرها[١].

(٢) نقل ذلك كلّ المؤرّخين وأهل السير، فراجع أواخر ص ٤٧٠ من الجزء الأوّل من السيرة الحلبيّة، وراجع غيرها[٢].

---

١. السيرة الحلبية ٢: ٤٠. راجع أيضاً: إعلام الورى ١: ٥٣؛ قصص الأنبياء للراوندي: ٣١٧؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٢٢٤؛ كشف الغمّة ١: ١٦.

٢. السيرة الحلبيّة ٢: ٤٨ ـ ٥٠. راجع أيضاً: حلية الأولياء ٨: ٣٠٨، الرقم ٤٢١؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٦: ٩، ح ٩٨١١؛ السيرة النبويّة للدحلاني ١: ٩٦؛ المعجم الأوسط ٤: ٤٨٩، ح ٣٨٣٠.

وصحّ جلوسه في المسجد حزناً على ابن عمّه جعفر، وصاحبيه: زيد وابن رواحة(١).

وصحّ أيضاً(٢) أنّه حزن حزناً شديداً لم يرَ أشدّ منه حين قتل القرّاء من أصحابه، وقنت شهراً يستغفر لهم، ويدعو على قاتليهم في قنوته.

والعقل يحكم برجحان الجلوس حزناً على فقد المصلحين من أهل الحفائظ والأيادي المشكورة؛ لأنّ تمييزهم بذلك يكون سبباً في تنشيط أمثالهم، وأداء حقّهم بعد موتهم، ويكون داعياً إلى كثرة الناسجين على منوالهم.

أمّا الجلوس لذكرى ما أصاب الأئمّة، في سبيل مصالح الأُمّة، فيبعث فيها روح الإيمان والهدى، ويأخذ بقلوبها إليهم، وإن بَعُد العهد وطال المدى.

وقول اللائمين بأنّه لا يحسن الجلوس حزناً على الميّت إذا تقادم العهد بموته(٣)

---

(١) والحديث في هذا ثابت في باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن ص ١٥٤ من الجزء الأوّل من صحيح البخاري، وفي باب التشديد في النياحة ص ٣٤٥ من الجزء الأوّل من صحيح مسلم، وثابت في صحيح أبي داود أيضاً [1].

(٢) فيما أخرجه البخاري عن أنس بن مالك في الباب المتقدّم ذكره من صحيحه [2].

(٣) أخرج الإمام أحمد في ص ٢٠١ من الجزء الأوّل من مسنده من حديث الحسين عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلّا جدّد الله له عند ذلك، فأعطاه مثل أجرها يوم أُصيب بها» [3].

وروى ابن ماجة وأبويعلى عنه هذا الحديث أيضاً، كما في ترجمته عليه السلام من الإصابة [4].

---

١. صحيح البخاري ١: ٤٣٧، ح ١٢٣٧؛ صحيح مسلم ٢: ٦٤٤ ـ ٦٤٥، كتاب الجنائز، ح ٣٠؛ سنن أبي داود ٣: ١٩٢، ح ٣١٢٢. راجع أيضاً السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٩٧، ح ٧٠٨٥.

٢. صحيح البخاري ١: ٤٣٧، ح ١٢٣٨.

٣. مسند أحمد ١: ٤٢٩، ح ١٧٣٤.

٤. راجع: سنن ابن ماجة ١: ٥٠٩، ح١٥٩٨؛ الإصابة ٢: ١٤ ـ ١٥، الرقم ١٧١٩، ولم نعثر عليه في مسند أبي يعلى.

لا يتمّ في فجائعنا بأهل البيت، حيث لا يتلاشى الحزن عليهم مهما تقادم العهد بهم، بل لا تخبو زفرة تلك الفجائع، ولا تخمد لوعة هاتيك القوارع ما بقي الزمان، وكرّ الجديدان، فقربُ العهد بها وبعده عنها سيّان، وما أولى هذا اللائم، بقول بعض الأعاظم:

خلّي أُميمة عن ملامك   ما المعزّي كالثكولِ
ما الراقد الوسنان مثل   معذّب القلب العليلِ
سهران من ألم وهذا   نائم الليل الطويلِ
ذوقي أُميمة ما أذوق   وبعده ما شئت قولي

ورحم الله القائل:

ويل قلبي الشجيّ ممّا يعاني   من ملام الخليّ طعناً ووخزاً

ولو علم اللائم الأحمق بما في حزننا على أهل البيت من النصرة لهم، والحرب الطاحنة لأعدائهم، لخشع أمام حزننا الطويل، ولأكبر الحكمة المقصودة من هذا النوح والعويل، ولأذعن للأسرار في استمرارنا على ذلك في كلّ جيل، وما أولاه وإيّانا بقول القائل:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني   أو كنت أجهلُ ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني   وعلمت أنّك جاهل فعذرتكا[1]

على أنّ الأوامر المتواترة عن أئمّة العترة الطاهرة[2] تستوجب التعبّد بترتيب آثار الحزن على الدوام، ولو ثبتت هذه الأوامر عن أئمّة المذاهب الأربعة لعمل اللائمون بها، فلماذا إذن يلوموننا بعد ثبوتها عن أئمّة العترة، وسفينة نجاة الأُمّة، وباب حِطّة، وأمان أهل الأرض، وأعدال كتاب الله، وعيبة رسوله، لو كانوا ينصفون؟؟

---

١. تهذيب الكمال ٨: ٣٣١، الرقم ١٧٢٥.

٢. للمزيد راجع كامل الزيارات: ٢٠١ ـ ٢١٦، الباب ٣٢ ـ ٣٦.

ولمَ يلومنا اللائمون في حزننا، مع تقادم العهد بمصيبتنا، ويحبّذون استمرار أهل المدينة على ندب حمزة كلّما ناحوا على ميّت منهم؟ فإن كان بكاؤهم على حمزة مواساة لرسول الله ﷺ بمصيبته في عمّه، وأداءً لواجب قوله ﷺ: «لكنّ حمزة لا بواكي له»[1] فإنّ بكاءنا إنّما هو مواساة له في مصيبته بريحانته من الدنيا، وقرّة عينه، وأداءً لواجب بكائه عليه.

أيبكي رسول الله ﷺ على الحسين ـ بأبي هو وأمّي ـ قبل الفاجعة ونحن لا نبكيه بعدها؟؟ ما هذا شأن المتأسّي بنبيّه، والمواسي له.

ألم يرو الإمام أحمد(١): أنّ عليّاً لمّا حاذى نينوى ـ وهو منطلق إلى صفّين ـ نادى: «صبراً أباعبدالله، صبراً أباعبدالله بشطّ الفرات» فسئل عن ذلك فقال: «دخلت على رسول الله ﷺ ذات يوم وهو يبكي، فسألته فقال: قام من عندي جبرائيل فحدّثني أنّ الحسين يقتل بشطّ الفرات.

قال: فقال: هل لك أن أشمّك من تربته؟

قال: قلت: نعم. فمدّ يده، فقبض قبضة من تراب فأعطانيها».

وأخرج ابن سعد(٢) عن الشعبي قال: مرّ عليّ عليه السلام بكربلاء عند مسيره إلى صفّين، فوقف وسأل عن اسم الأرض، فقيل: كربلاء، فبكى حتّى بلّ الأرض من

---

(١) من حديث عليّ في ص ٨٥ من الجزء الأوّل من مسنده بالإسناد إلى عبدالله بن نجا، عن أبيه: أنّه سار مع عليّ فلمّا حاذى نينوى ... الحديث[2].

(٢) كما في الفصل الثالث من الباب ١١ من الصواعق المحرقة لابن حجر[3].

---

١. راجع: مسند أحمد ٢: ٢٨٧، ح ٤٩٨٤؛ تاريخ الطبري ٢: ٥٣٢، حوادث سنة ٣؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٦٣، حوادث سنة ٣.

٢. مسند أحمد ١: ١٨٤ ـ ١٨٥، ح ٦٤٨.

٣. الصواعق المحرقة: ١٩٢ ـ ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٢.

دموعه، ثمّ قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: كان عندي جبرائيل آنفاً وأخبرني أنّ ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال لها: كربلاء».

وأخرج الملّاء[(١)]: أنّ عليّاً مرّ بموضع قبر الحسين عليه‌السلام فقال: «ها هنا مناخ ركابهم، وها هنا موضع رحالهم، وها هنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمّد يقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء والأرض»[(٢)].

ومن حديث أُمّ سلمة[(٣)] قالت: كان عندي النبيّ ﷺ ومعي الحسين، فدنا من النبيّ فأخذته فبكى فتركته، فدنا منه فأخذته فبكى فتركته، فقال له جبرائيل: أتحبّه يا محمّد؟ قال: «نعم». قال: أما إنّ أُمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها، فبكى النبيّ[(٤)].

(١) كما في الصواعق أيضاً[١].

(٢) وهذا الحديث رواه أصحابنا بكيفيّة مشجية عن الباقر عليه‌السلام، ورووه عن هرثمة وعن ابن عبّاس، وإن أردت الوقوف عليه فدونك ص ١٠٨ وما بعدها إلى ص ١١٢ من الخصائص الحسينيّة[٢].

(٣) كما نصّ عليه المالكي في مقتل الحسين من الجزء ٢ من العقد الفريد ص ٢٤٣[٣].

(٤) وهذا الحديث أخرجه البغوي في معجمه، وأبو حاتم في صحيحه من حديث أنس، ونقله ابن حجر في الفصل ٣ من الباب ١١ من صواعقه[٤].

١. الصواعق المحرقة: ١٩٢ ـ ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.

٢. الخصائص الحسينيّة: ١١٥ ـ ١١٦ بتفاوت في بعض الألفاظ. للمزيد راجع أيضاً: الأمالي للصدوق: ١١٧ ـ ١١٨، المجلس ٢٨، ح ٦، و٤٧٨ ـ ٤٨٠، المجلس ٨٧، ح ٥؛ مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٤٦، الفصل ٨، ح ٢٠؛ كشف الغمّة ٢: ٢٦٦.

٣. العقد الفريد ٤: ٣٨٣.

٤. الصواعق المحرقة: ١٩٢ ـ ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.

وروى الماوردي الشافعي(١) عن عائشة، قالت:

دخل الحسين بن عليّ على رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه، فقال جبرائيل عليه السلام: إنّ أُمّتك ستفتتن بعدك، وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: في هذه يقتل ابنك اسمها الطفّ.

فلمّا عرج جبرائيل عليه السلام خرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه والتربة بيده، وفيهم أبوبكر وعمر وعليّ وحذيفة وعمّار وأبوذرّ وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟

فقال: «أخبرني جبرائيل أنّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطفّ، وجاء بهذه التربة(٢) فأخبرني أنّ فيها مضجعه».

فإذن أوّل من بكى في هذه الأُمّة على الحسين، وأوّل من أُهدي إليه تربته، وأوّل من شمّها، وأوّل من تلا على الناس مقتل الحسين بأرض الطفّ لهو رسول الله ﷺ، وأوّل من سمع حديث مقتله لأصحابه الكرام. ولا احتمل إلّا أنّهم واسوا يومئذٍ رسول الله ﷺ في حزنه وبكائه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾١، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾٢.

---

(١) في باب إنذار النبيّ ﷺ بما سيحدّث بعده، وهو الباب ١٢ من كتابه أعلام النبوّة ص ٢٣ ٣.

(٢) إنّ تربة يحملها الروح الأمين إلى سيّد النبيّين والمرسلين لحقيقة بالاحترام، وجديرة بأن تدّخر وتحمل وتُهدى بكلّ إجلال وإعظام.

---

١. الأحزاب (٣٣): ٢١.

٢. الحديد (٥٧): ٢٤؛ الممتحنة (٦٠): ٦.

٣. أعلام النبوّة للماوردي: ١٨٢. رواه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير ٣: ١٠٧، ح ٢٨١٤.

وأخرج الترمذي(١): أنّ أُمّ سلمة رأت النبيّ ﷺ ـ فيما يراه النائم ـ باكياً، وبرأسه ولحيته التراب، فسألته فقال: قتل الحسين آنفاً.

قال في الصواعق: وكذلك رآه ابن عبّاس نصف النهار أشعثَ أغبرَ وفي يده قارورةٌ فيها دم يلتقطه، فسأله فقال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتتبّعه منذ اليوم(٢) ـ قال: ـ فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم.

وأمّا صحاحنا فإنّها متواترة في بكائه ﷺ على سبطه وريحانته في مقامات عديدة: يوم ولادته وقبلها[1]، ويوم السابع من مولده[2]، وبعده في بيت الزهراء[3]، وفي حجرته[4]،

---

(١) كما في الصواعق وغيرها[5].

(٢) وأخرجه من حديث ابن عبّاس أحمد بن حنبل في ص ٢٨٣ من الجزء الأوّل من مسنده، وابن عبد البرّ والعسقلاني في ترجمة الحسين من الاستيعاب والإصابة، وخلق كثير[6].

---

١. الأمالي للصدوق: ١١٧، المجلس ٢٨، ح ٥.

٢. الأمالي للطوسي: ٣٦٧ ـ ٣٦٨، المجلس ١٣، ح ٣٢؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٠ ـ ٢٥١، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه السلام، الباب ٣١، ح ١.

٣. كامل الزيارات: ١٢٥ ـ ١٢٧، الباب ١٦، ح ٨ ـ ١٠، و١٤١ ـ ١٤٢، الباب ٢١، ح ١، و١٤٧، الباب ٢٢، ح ٦.

٤. الملهوف على قتلى الطفوف: ٩١ ـ ٩٢؛ الدرّ النظيم: ٥٣٧؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٥ ـ ٢٤٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٤٥.

٥. الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣. راجع أيضاً ينابيع المودّة ٣: ١٢ ـ ١٣، الباب ٦٠، ح ١٤، حكاها عن الشعبي بتفاوت يسير.

٦. مسند أحمد ١: ٦٠٦، ح ٢٥٥٣؛ الاستيعاب ١: ٣٩٦، الرقم ٥٥٦؛ الإصابة ٢: ١٧. راجع أيضاً الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.

وعلى منبره[١]، وفي بعض أسفاره[٢]، تارةً يبكيه وحده[٣]، ومرّة هو والملائكة[٤]، وأحياناً هو وعليّ وفاطمة[٥]، وربما بكاه هو وبعض أصحابه[٦]، وربما قبّله في نحره وبكى[٧]، وربما قبّله في شفتيه فبكى[٨]، وربما بكى إذا رآه فرحاً، أو رآه حزيناً[٩].

ولله درّ السيّد الرضي حيث يقول:

لو رسول الله يحيا بعده	قعد اليوم عليه للعزا
جَزروا جَزر الأضاحيّ نسله	ثُمّ ساقوا أهله سوق الإما
ليس هذا لرسول الله يا	أُمّة الطغيان والبَغي جزا
يا رسول الله لو أبصرتهم	وهم ما بين قتلى وسبا
من رميضٍ يُمنع الظلّ ومن	عاطش يُسقى أنابيب القنا
ومسوقٍ عاثرٍ يسعى به	خلف محمولٍ على غير وطا
لرأت عيناك منهم منظراً	للحشا شجواً وللعين قذى
لا أرى حُزنكم ينسى ولا	رُزءكم يُسلى وإن طال المدى[١٠]

١ و٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٣ ـ ٩٤؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٨ ـ ٢٤٩، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه‌السلام، الباب ٣٠، ح ٤٦.

٣. الأمالي للصدوق: ١٢٠، المجلس ٢٩، ح ٣؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٢٥، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه‌السلام، الباب ٣٠، ح ٥.

٤. الأمالي للصدوق: ١١٧، المجلس ٢٧، ح ٥؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ١١٦.

٥. راجع كامل الزيارات: ١٢١ و١٢٥ ـ ١٢٦، الباب ١٦، ح ١ و٨ ـ ١٠؛ مثير الأحزان: ٢٢.

٦. أعلام النبوّة للماوردي: ١٨٢؛ مثير الأحزان: ٢١ ـ ٢٢.

٧. كامل الزيارات: ١٤٦، الباب ٢٢، ح ٤.

٨. المصدر: ١١٦ ـ ١١٧، الباب ١٤، ح ١٢، فيه: «وضع فاه على فيه وقبّله».

٩. كامل الزيارات: ١٤٦، الباب ٢٢، ح ٤؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٥ ـ ٢٤٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه‌السلام، الباب ٣٠، ح ٤٥.

١٠. ديوان الشريف الرضيّ ١: ٤٤ ـ ٤٧.

المجلس الخامس: في الإنفاق صدقة عن الميّت

لا ريب في استحباب الإنفاق صدقة عن موتى المؤمنين، وقد فعل النبيّ ﷺ ذلك وأمر به.

ففي الصحيحين بطرق متعدّدة عن عائشة(١) قالت: ما غِرتُ على أحد من نساء النبيّ مثل ما غِرتُ على خديجة وما رأيتها، لكن كان النبيّ ﷺ يُكثرُ ذكرها، وربما ذبح الشاة ثمّ يُقطّعها أعضاءً ثمّ يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا إلّا خديجة، فيقول لي: «إنّها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»(٢).

وأخرج مسلم(٣) أنّ رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ أُمّي افتُلِتَتْ

(١) راجع من صحيح البخاري باب تزويج النبيّ ﷺ خديجة وفضائلها في ص ٢٠٧ من جزئه الثاني، وراجع من صحيح مسلم باب فضائل خديجة في ص ٣٣٢ من جزئه الثاني[1].

(٢) هذا الحديث يدلّ على استحباب صلة أصدقاء الميّت وأوليائه صدقة عنه.

(٣) في باب وصول ثواب الصدقة عن الميّت إليه من كتاب الزكاة ص ٣٧٢ من الجزء الأوّل من صحيحه[2] بطرق متعدّدة عن عائشة ترفعه.

١. صحيح البخاري ٣: ١٣٨٩، ح ٣٦٠٧؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٨٩، كتاب فضائل الصحابة، ح ٧٤ و٧٥.

٢. صحيح مسلم ٢: ٦٩٦، كتاب الزكاة، ح ٥١.

نفسها ولم توصِ، أفلها أجر إن تصدّقت عنها؟ قال ﷺ: «نعم».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده(١) أنّ سعد بن عبادة قال: إنّ ابن بكر أخا بني ساعدة توفّيت أُمّه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله، إنّ أُمّي توفّيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدّقت بشيء عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإنّي أُشهدك أنّ حائط المَخرف صدقة عليها(٢).

وعن رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٣).

وفي خصال الصدوق بالإسناد إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أُولئك منّا وإلينا»[1].

---

(١) من حديث عبدالله بن عبّاس في ص ٣٣٣ من جزئه الأوّل مرفوعاً[2].

(٢) ربما كان المنكرون علينا فيما نفعله في مجالسنا الحسينيّة من الصدقة عن الحسين عليه السلام لا يقنعون بأقوال النبيّ ولا بأفعاله ﷺ إلّا أن يكون ذلك مأثوراً عن سلفهم، وحينئذٍ نحتجّ عليهم بما فعله الوليد بن أبي معيط الأُموي، إذ مات لبيد بن ربيعة العامري الشاعر، فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزوراً فجزرت عنه. نقل ذلك ابن عبدالبرّ في ترجمة لبيد من الاستيعاب[3].

(٣) نقله السيوطي في ص ٣٤ من الجامع الصغير من صحيح مسلم، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي، وعن البخاري في الأدب[4].

---

١. الخصال ٢: ٦٣٥، باب الواحد إلى المائة، ذيل الحديث ١٠.

٢. مسند أحمد ١: ٧١٣، ح ٣٠٨٠.

٣. الاستيعاب ٣: ١٣٣٧ ـ ١٣٣٨، الرقم ٢٢٣٣.

٤. الجامع الصغير: ٥٨، ح ٨٥٠. راجع أيضاً: أدب المفرد: ٣٠ ـ ٣١، باب برّ الوالدين بعد موتها، ح ٣٨؛ سنن أبي داود ٣: ٣٠٠، ح ٢٨٨٠؛ الجامع الصحيح ٣: ٦٦٠، ح ١٣٧٦.

بأبي أنتم وأُمّي أهل بيت الرحمة، أسبغتم على العالمين آلاءكم، وأفضتم على أهل الأرض سجال نعمائكم، فأياديكم تسترقّ الأعناق، ومننكم تستعبد قلوب الأحرار، وما رأى الراؤون أعطى لجزيل عن ظهر يد منكم(١)، أنشأتم الهدى، وكافحتم الكفر والضلال، والبغي والفساد والعمى، وسنّيتم في الأرض صراطاً مستقيماً، وقاسيتم من الناس في سبيل هدايتهم بلاءً عظيماً.

سلبوكم بشبا الصوارم أنفساً   قام الوجود بسرّها المكنونِ

فما خطر أموالنا وأنفسنا في جنب أموالكم وأنفسكم التي بذلتموها فينا، وكيف نستكثر أموالاً وأنفساً نقابل بها تلك الأموال والأنفس. وإنّ الجرأة عليكم بسلب عقال من أموالكم المقدّسة، أو مسيل قطرة من دمائكم الزكيّة لأفظع من اجتياح أموال العالمين وأنفسهم كافّة، فالويل لمن قاتلكم وسلبكم، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول، تبّت أيديهم ولُعنوا بما ارتكبوا، إذ قتلوا عترة رسول الله، وبقيّته فيهم.

أُمّة قاتلت إمام هداها   يا ترى أين زال عنها حياها

ويحهم ـ أخزاهم الله ـ كيف سلبوه حتّى ثيابه، فأخذ قميصه ـ بأبي وأمّي ـ إسحاق بن حويّة، وأخذ سراويله أبجر بن كعب، وأخذ عمامته أخنس بن مرثد، وأخذ سيفه رجل من بني دارم، وانتهبوا رحله وإبله وأثقاله، وسلبوا نساءه وهنّ عقائل النبوّة، وخفرات بيت الوحي والتنزيل.

قال حميد بن مسلم(٢): فوالله لقد كنت أرى المرأة من نساء الحسين وبناته

---

(١) أي تفضّلاً من غير مكافأة ولا قرض.

(٢) كما في إرشاد المفيد وغيره[1].

---

١. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٢. راجع أيضاً إعلام الورى ١: ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

وأهله تُنازَع ثوبها عن ظهرها حتّى تُغلب عليه فيذهب به منها. قال: ثمّ انتهينا إلى عليّ بن الحسين عليه‌السلام وهو منبسط على فراش، وهو شديد المرض، ومع شمر جماعة من الرجّالة فقالوا له: ألا نقتل هذا العليل؟!

قال حميد: فقلت: سبحان الله أيقتل الصبيان؟! إنّما هذا صبيّ وإنّه لما به، فلم أزل حتّى دفعتهم عنه.

قال: وجاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه وبكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة، ولا تتعرّضوا لهذا الغلام المريض.

وسألته النسوة ليسترجع ما أخذ منهنّ ليستترنّ به، فقال: من أخذ من متاعهنّ شيئاً فليردّه عليهنّ. قال: فوالله ما ردّ أحد منهم شيئاً....

وروى حميد بن مسلم أيضاً[١] قال: رأيت امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه‌السلام فسطاطهنّ، وهم يسلبونهنّ، أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت: يا آل بكر بن وائل أتُسلب بنات رسول الله؟ لا حكم إلّا لله يا لثارات رسول الله. قال: فأخذها زوجها وردّها إلى رحله.

أأنسى هجوم الخيل ضابحة[٢] على		خيام نساكم بالعواسل والقضبِ
عشيّة حنّت جزعاً خفراتكم		بأوجهها ندباً لحامي الحمى الندبِ

(١) كما في كتاب اللهوف على قتلى الطفوف ١.

(٢) ضبحت الخيل في عدوها: أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة ٢.

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠. راجع أيضاً مثير الأحزان: ٧٧.

٢. لسان العرب ٢: ٥٢٣، «ض.ب.ح».

صـــرخـــن بـــلا لبّ ومـا زال صـوتها يغضّ ولكـن صـحن مـن دهشـة اللبِّ
فأبـرزن مـن حـجب الخـدور تـودّ لو قضت نحبها قبل الخروج من الحـجبِ
وســيقت سبايا فـوق أحـلاس هـزّل إلى الشام تطوي البيد سهباً على سهبِ
يســـار بـــها عـــنفاً بـلا رفـق محرم بـها غـير مـغلول يـحنّ عـلى صـعبِ
ويـــحضرها الطــاغي يــناديه شـامتاً بما نال أهل البيت مـن فـادح الخـطبِ
ويـوضع رأس السـبط بـين يـديه كـي تدار عـليه الراح فـي مـجلس الشـربِ
ويســـــمع آل الله شـــــتم خـــــطيبه أباالحسن الممدوح في مـحكم الكـتبِ
يـــصلّي عـــليه الله جـــلّ وتـــجتري عـــلى ســـبّه مـن خـصّها الله بـالسبِّ

الفصل الأوّل*

فيما يُتلى بتمامه صبيحة العاشر من المحرّم

ويتلى مجالس متعدّدة في سائر أيّام العشر، أو فـي بـاقي أيّـام السنة، فهو ليوم العاشر مجلس واحد ولغيره اثنا عشر مجلساً. فليتنبّه القارئ -في غير يوم عاشوراء- بوقوفه عليها، وليذكرني بأدعيته، فإنّي مضطرّ إليها. والله وليّ التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* أي الفصل الأوّل من الجزء الأوّل من الأجزاء الأربعة للكتاب.

المجلس الأوّل

كان مولد الحسين عليه السلام لخمس [ليالٍ] خلون من شعبان سنة أربع للهجرة[1]، وروي غير ذلك[2].

ولمّا ولد هبط جبرائيل عليه السلام في ألف مَلك يهنّئون النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد سرّ به وسمّاه حسيناً[3].

وعن أُمّ الفضل قالت: رأيت في منامي قبل مولد الحسين عليه السلام(1) كأنّ قطعة من

---

(1) وأخرج أحمد بن حنبل من حديث أُمّ الفضل زوجة العبّاس، قالت: كأنّ في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فجزعت من ذلك فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرت له ذلك، فقال: «خيراً، تلد فاطمة غلاماً فتكفلينه بلبن ابنك قُثم» قالت: فولدت حسيناً فأعطيته فأرضعته حتّى تحرّك، أو فطمته، ثمّ جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأجلسته في ←

---

١. راجع: تاريخ الطبري ٢: ٥٥٥، حوادث سنة ٢؛ مقاتل الطالبيين: ٥١؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٢٧؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٠٩، الفصل ٧، ح ١؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ٨٤؛ مثير الأحزان: ١٦؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩١ـ ٩٢.

٢. راجع: إعلام الورى ١: ٤٢٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩١؛ دلائل الإمامة: ٧١؛ الدرّ النظيم: ٥٢٥؛ الدروس الشرعيّة للشهيد الأوّل ٢: ٨.

٣. راجع: مثير الأحزان: ١٦؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩١، ذُكر في الهامش.

لحم رسول الله ﷺ قُطعت فوضعت في حجري، فقصصت ذلك على رسول الله ﷺ فقال: «رأيتِ خيراً، إن صدقت رؤياك فإنّ فاطمة ستلد غلاماً، وأدفعه إليك لترضعيه».

قالت: فجرى الأمر على ذلك، فجئت به يوماً إليه، فوضعته في حجره فبينما هو يقبّله بال فقطرت من بوله قطرة على ثوب النبيّ ﷺ فقرصته، فبكى، فقال النبيّ ﷺ كالمغضب: «مهلاً يا أُمّ الفضل، فهذا ثوبي يُغسل، وقد أوجعت ابني».

قالت: فتركته في حجره وقمت لآتيه بماء، فجئت إليه فوجدته يبكي، فقلت: ممّا بكاؤك يا رسول الله؟

فقال: «إنّ جبرائيل أتاني فأخبرني أنّ أُمّتي ستقتل وَلدي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة»[1].

ولمّا أتت على الحسين من مولده سنة كاملة هبط على رسول الله ﷺ اثنا عشر ملكاً محمرّة وجوههم، باكية عيونهم، وهم يقولون: إنّه سينزل بولدك الحسين ما نزل بهابيل من قابيل، وسيعطى مثل أجر هابيل، ويحمل قاتله مثل وزر قابيل»[2].

← حجره فبال، فضربت بين كتفيه، فقال: «ارفقي بابني رحمكِ الله» أو «أصلحك الله أوجعت ابني». الحديث في ص ٣٣٩ من الجزء السادس[3].

---

١. مثير الأحزان: ١٦ ـ ١٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩١ ـ ٩٢.

٢. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٧، الفصل ٨، ح ١٢؛ مثير الأحزان: ١٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩١، ذُكر في الهامش.

٣. مسند أحمد ١٠: ٢٥٦، ح ٢٦٩٣٩؛ ٢٥٧، ح ٢٦٩٤٣.

ولم يبق في السماوات ملك مقرّب إلّا ونزل إلى النبيّ ﷺ يقرئه السلام، ويعزّيه عن الحسين، ويخبره في ثواب ما يُعطى، ويعرض عليه تربته(١)، والنبيّ ﷺ يقول: «اللهمّ اخذل من خذله، واقتل من قتله، ولا تمنّعه[١] بما طلب»[٢].

فلمّا أتى على مولده سنتان خرج النبيّ ﷺ في سفر له، فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال: «جبرائيل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات يقال لها: كربلاء، يقتل فيها ولدي الحسين... وكأنّي أنظر إلى مصرعه ومدفنه».

ثمّ رجع ﷺ من سفره مهموماً ومغموماً، فصعد المنبر فخطب [و] الحسنُ والحسين بين يديه، ثمّ نزل فوضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين، وقد رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللهمّ إنّي محمّد عبدك ونبيّك، وهذان من أطائب عترتي وخيار ذرّيّتي ومَن أخلفهما في أُمّتي، وقد أخبرني جبرائيل أنّ ولدي هذا مخذول مقتول. اللهمّ بارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء. اللهمّ ولا تبارك في قاتله وخاذله». فضجّ الناس في المسجد بالبكاء[٣].

---

(١) وقد أخرج أحمد بن حنبل من حديث عليّ عليه السلام في ص ٨٥ من الجزء الأوّل من مسنده حديثاً في هذا الموضوع طويلاً جاء في آخره: «إنّ جبرائيل عليه السلام حدّث النبيّ ﷺ بقتل الحسين بشطّ الفرات وأنّه قال له: هل لك إلى أن أُشمّك من تربته؟ قال: قلت: نعم. قال ﷺ: فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عينيّ أن فاضتا»[٤].

---

١. في المصادر: «ولا تمتعه».

٢. كامل الزيارات: ١٣١ ـ ١٣٢، الباب ١٧، ح ٨؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، الفصل ٨، ح ١٢؛ مثير الأحزان: ١٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٢ ـ ٩٣؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٣٦. تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٢٧.

٣. راجع مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٨ ـ ٢٣٩، الفصل ٨، ح ١٣.

٤. مسند أحمد ١: ١٨٤ ـ ١٨٥، ح ٦٤٨.

ثمّ [خرج النبيّ ﷺ فما لبث أن] رجع ﷺ فخطب خطبة أُخرى موجزة وهو متغيّر اللون وعيناه تهملان دموعاً فقال: «أيّها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ألا وإنّي أنتظرهما، وإنّي لا أسألكم في ذلك إلّا ما أمرني ربّي المودّة في القربى، ألا وإنّه سترد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأُمّة:

الأُولى: [راية] سوداء مظلمة قد فزعت لها الملائكة، فتقف عليّ فأقول: من أنتم؟ فينسون ذكري، فيقولون: نحن أهل التوحيد من العرب. فأقول: أنا أحمد نبيّ العرب والعجم. فيقولون: نحن من أُمّتك. فأقول لهم: كيف خلفتموني في عترتي وكتاب ربّي؟ فيقولون(١): أمّا الكتاب فضيّعناه، وأمّا عترتك فحرصنا على أن نبيدهم عن آخرهم. فأُولّي عنهم وجهي، فيصدرون عطاشاً مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليَّ راية أُخرى أشدّ سواداً من الأُولى، فأقول لهم: كيف خلفتموني في الثقلين الأكبر والأصغر: كتاب ربّي وعترتي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فخالفناه، وأمّا الأصغر فخذلناه ومزّقناه كلّ ممزّق. فأقول: إليكم عنّي! فيصدرون ظماءً عطاشى مسودّة وجوههم.

---

(١) ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]؛ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2].

---

١. النور (٢٤): ٢٤.

٢. فصّلت (٤١): ١٩ ـ ٢١.

ثمّ ترد عليَّ راية أُخرى تلمع وجوههم نوراً، فأقول: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحن أُمّة محمّد المصطفى، ونحن بقيّة أهل الحقّ، حملنا كتاب ربّنا فحلّلنا حلاله، وحرّمنا حرامه، وأحببنا ذرّيّة نبيّنا فنصرناهم وقاتلنا معهم. فأقول لهم: أبشروا فإنّي نبيّكم محمّد صلى الله عليه وآله، ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم. ثمّ أسقيهم من حوضي فيصدرون مرويّين مستبشرين، ثمّ يدخلون الجنّة خالدين فيها أبد الآبدين»(١).

وروى الشيخ في الأمالي بأسانيده إلى الرضا عن آبائه عليهم السلام، عن أسماء بنت عميس قالت: لمّا ولدت فاطمة الحسين عليه السلام كنت أخدمها في نفاسها به، فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «هلمّي ابني يا أسماء» فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأخذه وجعله في حجره وأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى.

قالت: وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: «إنّه سيكون لك حديث، اللهمّ العن قاتله، لا تعلمي فاطمة بذلك».

قالت أسماء: فلمّا كان يوم السابع من مولده جاء النبيّ صلى الله عليه وآله فعقّ عنه كبشاً أملح، وأعطى القابلة الورك ورجلاً، وحلق رأس الحسين وتصدّق بوزن الشَعر وَرِقاً، وخلّق رأسه بالخلوق.

قالت: ثمّ وضعته في حجره، فقال: «يا أباعبدالله عزيز عليَّ» ثمّ بكى.

فقلت: بأبي أنت وأُمّي ممّا بكاؤك في هذا اليوم وفي اليوم الأوّل؟

---

(١) كما في البحار، وجلاء العيون، وعوالم العلوم والمعارف والأحوال[1].

---

١. بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٨ ـ ٢٤٩، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٤٦؛ جلاء العيون: ٣٢٠ ـ ٣٢١؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ١١٧ ـ ١١٩. للمزيد راجع أيضاً: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٩، الفصل ٨، ح ١٤؛ مثير الأحزان: ١٨ ـ ٢٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٣ ـ ٩٤.

قال ﷺ: «أبكي على ابني هذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أُميّة، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة» ثمّ قال: «اللهمّ إنّي أسألك فيهما ما سألك إبراهيم عليه السلام في ذرّيّته، اللهمّ أحبّهما وأحبّ من يحبّهما، والعن من يبغضهما ملء السماء والأرض»[1].

اشدد يداً بحبّ آل أحمد   فإنّها عقدة فوز لا تحل
وابعث لهم مراثياً ومِدَحاً   صفوة ما راض الضمير ونخل
وما الخبيثان ابن هند وابنه   وإن طغى أمرهما بعدُ وجل
بمبدعين للذي جاءا به   وإنّما تقفّيا تلك السبل[2]

---

١. الأمالي للطوسي: ٣٦٧، المجلس ١٣، ح ٣٢. رواه عن أسماء بنت أبي بكر بتفاوت في بعض الألفاظ.

٢. حكاه ابن شهر آشوب عن مهيار الديلمي في مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٥٠.

المجلس الثاني

كانت إمامة الحسين بعد أخيه الحسن عليه السلام ثابتة، وطاعته على جميع الخلق فريضة، بنصّ أبيه[1] وجدّه عليه السلام عليه[2]، وعهد أخيه الحسن ووصيّته إليه[3].

وكانا سيّدي شباب أهل الجنّة، بشهادة جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله، وهما سبطاه بالاتّفاق الذي لا مرية فيه، وريحانتاه من الدنيا(1)، وحبيباه من جميع أهله، وهما حجّتا الله لنبيّه صلى الله عليه وآله في المباهلة، وحجّتا الله بعد على الأُمّة في الدين والملّة.

وإنّ من برهان كمالهما، وحجّة اختصاص الله لهما بفضله بيعةَ رسول الله صلى الله عليه وآله لهما، ولم يبايع صبيّاً غيرهما.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر[4].

---

١. كما في من لا يحضره الفقيه ٤: ١٨٩، ح ٥٤٣٣؛ كتاب سليم بن قيس (الجزء الثاني): ٩٢٤ ـ ٩٢٥، ح ٦٩.

٢. راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ٣٠؛ إعلام الورى ١: ٤٠٧؛ مناقب آل أبي طالب ٣: ٤١٨.

٣. راجع: الكافي ١: ٣٠٠ ـ ٣٠٣، باب الإشارة النصّ على الحسين بن عليّ عليه السلام، ح ١ ـ ٣؛ إعلام الورى ١: ٤٢١ ـ ٤٢٢.

٤. صحيح البخاري ٣: ١٣٧١، ح ٣٥٤٣. راجع أيضاً: صحيح مسلم ٤: ١٨٧١، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٢؛ الجامع الصحيح ٥: ٢٢٥، ح ٢٩٩٩؛ أسباب النزول: ٩٠ ـ ٩١؛ الدرّ المنثور ٢: ٢٣٢ ـ ٢٣٣. ذيل الآية ٦٣ من سورة آل عمران.

وكان من عناية الله الخاصّة بهما الدالّة على تفضيلهما نزول القرآن بإيجاب الجنّة ثواباً على عملهما أيّام طفوليّتهما حيث كانوا ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾[١].

ولم ينزل قرآن بذلك في طفلين سواهما.

وقد نصّ رسول الله ﷺ على إمامتهما بقوله: «ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»[٢].

ودلّت وصيّة الحسن إلى الحسين على إمامته، كما دلّت وصيّة أمير المؤمنين إلى الحسن على إمامته، ووصيّة رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام على إمامته من بعده. وتفصيل هذا في مظانّه من كتب الأعلام من علمائنا رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فالحسين إمام بعد صنوه المجتبى، وإن لم يدع إلى نفسه أيّام معاوية؛ للتقيّة التي كانوا عليها، والحال التي آل أمرهم بعد النبيّ ﷺ إليها، فهو في ذلك كأبيه أميرالمؤمنين حيث يقول: «وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاءَ، أو أصبرَ على طخيةٍ عمياء ـ إلى أن قال: ـ فصبرت وفي العين قذىً، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً»[٣].

---

١. الإنسان (٧٦): ٧ ـ ١٢.

٢. راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ٣٠؛ مناقب آل أبي طالب ٣: ٤١٨؛ إعلام الورى ١: ٤٠٧؛ كشف الغمّة ٢: ٢١٧.

٣. نهج البلاغة: ٢٦، الخطبة ٣؛ الإرشاد للمفيد ١: ٢٨٨؛ الأمالي للطوسي: ٣٧٣، المجلس ١٣، ح ٥٤؛ شرح نهج البلاغة ١: ٤٢٣ ـ ٤٢٤؛ نهج الحقّ وكشف الصدق: ٣٢٦.

وعلى هذا المنوال نسج الحسن ـ بأبي وأُمّي ـ أيّام الهدنة، إذ تغلب عليه ابن آكلة الأكباد. وهم جميعاً على سنن النبيّ في أوّل أمره حيث لم يتمكّن ﷺ من دعوة أحد إلى الله حينئذٍ أصلاً، وحال أوصيائه من بعده كحاله حين كان في الشعب محصوراً، وفي الغار مستوراً، ولئن كانت هذه الحال غير منافية للنبوّة، فهي غير منافية للإمامة بطريق أولى كما يعلمه أُولو الألباب.

ولمّا هلك معاوية وانقضت الهدنة التي كانت تمنع الحسين عليه السلام من الدعوة إلى نفسه، ووجد في ظاهر الحال من الأنصار ما يتسنّى له القيام بالدعوة إلى الله تعالى، نهض بأعبائها، وتوجّه بولده وأهل بيته من حرم الله تعالى وحرم رسوله إلى العراق؛ للاستنصار على الظالمين بمن دعاه إلى ذلك من أهل الكوفة.

وقدّم أمامه ابن عمّه مسلماً للدعوة إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ والبيعة له على الجهاد في إعلاء كلمته تعالى، وإنقاذ الدين والمسلمين من أُولئك المنافقين، فبايعه أهل الكوفة على ذلك، وعاهدوه وضمنوا له النصرة والنصيحة وواثقوه. ثمّ لم تطل المدّة حتّى نكثوا البيعة، وأسلموا مسلماً فقتل بينهم غريباً مظلوماً وحيداً شهيداً، وخرجوا إلى حرب الحسين عليه السلام ففعلوا به ما لم يفعلوه بالخوارج، وقابلوه بما لم يقابلوا به أهل الخَنا والريب.

جعجعوا به ومنعوه المسير إلى بلاد الله، وحالوا بينه وبين ماء الفرات، حتّى قضى شهيداً ظمآن، مظلوماً مهموماً، مجاهداً مكابداً، صابراً محتسباً، قد نُكثت بيعته، واستحلّت حرمته، ولم يوف له بعهد، ولا رعيت فيه ذمّة وعقد، وانتهبوا أمواله، وسبوا عياله [1].

---

١. للمزيد راجع الإرشاد للمفيد ٢: ٣١ـ٣٢.

فلهفي لآل الرسول، وللخفرات من عقائل البتول، وقد ضاقت بهم المذاهب، وأُرتِجَت عليهم المسالك، مولّهين مدلّهين، خائفين مترقّبين.

كانت بحيث عليها قومها ضربت ... سرادقاً أرضه من عزّهم حرمُ
يكاد من هيبة أن لا يطوف به ... حتّى الملائك لولا أنّهم خدمُ
فغودرت بين أيدي القوم حاسرة ... تسبى وليس لها من فيه تعتصمُ
نعم لوت جيدها للعتب هاتفة ... بقومها وحشاها ملؤه ضرمُ
عجّت بهم مذ على أبرادها اختلفت ... أيدي العدوّ ولكن من لها بهمُ
قومي الأُولى عقدوا قِدماً مآزرهم ... على الحميّة ما ضيموا ولا اهتضموا
ما بالهم لا عفت منهم رسومهم ... قرّوا وقد حملتنا الأنيق الرسمُ

المجلس الثالث

لمّا اختار الله تعالى للإمام أبي محمّد الحسن السبط عليه السلام دار كرامته ومأوى أصفيائه، كتب الشيعة في العراق إلى الحسين عليه السلام يعرضون عليه البيعة(1)، ويبذلون له النصرة فأبى عليهم، وذكر أنّ بينهم عليهم السلام وبين معاوية هدنة لا يجوز لهم نقضها.

فلمّا هلك معاوية ـ وذلك للنصف من رجب سنة ستّين[1] ـ قام من بعده وليّ عهده يزيد المتهتّك، وسكّيره المفضوح، وهو صبيّ يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ولا يعرف من الدين موطئ قدمه، ولا يرقب إلاًّ ولا ذمّة.

فكتب إلى ابن عمّه الوليد بن عتبة ـ وكان والياً على المدينة ـ يأمره بأخذ البيعة له من الناس عامّة، ومن الحسين خاصّة، ويقول له: إن أبى عليك الحسين فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه.

---

(1) كما في ص ٢٠٠ من إرشاد المفيد، و ص ١٠ من اللهوف [2].

---

١. كما في تاريخ الطبري ٥: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، حوادث سنة ٦٠، والإرشاد للمفيد ٢: ٣٢، والكامل في التاريخ ٤: ٦ و١٤، حوادث سنة ٦٠.

٢. راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ٣٢ ـ ٣٦؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٢ ـ ١٠٦.

فاستشار الوليد مروان في ذلك، فقال له: إنّه لا يبايع، ولو كنت مكانك لضربت عنقه.

ثمّ بعث إلى الحسين عليه السلام فجاءه ـ بأبي وأُمّي ـ في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه، فنعى إليه معاوية وكلّفه بالبيعة. فقال له عليه السلام: «إنّ البيعة لا تكون سرّاً فإذا دعوت الناس غداً فادعنا معهم». فقال مروان: لا تقبل أيّها الأمير عذره، فإن بايع الآن، وإلّا فاضرب عنقه.

فغضب الحسين عليه السلام ثمّ قال: «ويل لك يابن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت». ثمّ أقبل على الوليد فقال: «إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل شارب الخمور، قاتل النفس المحرّمة، معلن الفسق، ومثلي لا يبايع مثله». ثمّ خرج عليه السلام.

فقال مروان للوليد: عصيتني. فقال: ويحك، إنّك أشرت عليّ بذهاب ديني ودنياي والله ما أُحبّ أنّ الدنيا بأسرها تكون لي وأنّي قتلت حسيناً أن قال: لا أُبايع، والله ما أظنّ أنّ أحداً يلقى الله بدم الحسين عليه السلام إلّا وهو خفيف الميزان يوم القيامة، لا ينظر الله إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم[1].

فأقام الحسين عليه السلام في منزله تلك الليلة، وهي ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستّين.

فلمّا أصبح ـ بأبي وأُمّي ـ خرج يستمع الأخبار فلقيه مروان فقال: يا أباعبدالله إنّي لك ناصح، فأطعني ترشد. فقال الحسين عليه السلام: «وما ذاك؟ قل حتّى أسمع».

فقال: إنّي آمرك ببيعة يزيد فإنّه خير لك في دينك ودنياك.

---

١. راجع: الأخبار الطوال: ٢٢٧ ـ ٢٢٨؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ١٠ ـ ١٩؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٣٢؛ الكامل في التاريخ ٤: ١٤ ـ ١٦، حوادث سنة ٦٠؛ مثير الأحزان: ٢٤ ـ ٢٥؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٨.

فقال ﷺ: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، على الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد» وطال الحديث بينهما حتّى ولّى مروان وهو غضبان [١].

فلمّا كان آخر يوم السبت بعث الوليد برجاله إلى الحسين ليحضر فيبايع، فقال له الحسين ﷺ: «أصبحوا ثمّ ترون ونرى» فكفّوا عنه ولم يلحّوا عليه.

فخرج ـ بأبي وأُمّي ـ من تحت ليلته ـ وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب [٢] ـ متوجّهاً نحو مكّة، ومعه بنوه وبنو أخيه وإخوته وجلّ أهل بيته، سار من المدينة وهو يقرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٣].

ولزم الطريق الأعظم، فسئل أن يتنكّب الطريق كما فعل ابن الزبير؛ كيلا يلحقه الطلب، فأبى وقال: «لا أُفارقه حتّى يقضي الله ما هو قاضٍ».

وكان دخوله مكّة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان [٤] دخلها وهو يقرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَـنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [٥].

فأقام فيها باقي شعبان وشهر رمضان وشوّال وذي القعدة وثمان ليالٍ من ذي الحجّة، ثمّ لم يأمن على نفسه، ولم يتمكّن من تمام حجّه؛ مخافة أن يقبض عليه بمكّة فينفذ به إلى يزيد بن معاوية، فأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة مفردة، وخرج من مكّة وهي حرم الله الذي يأمن فيه الوحش والطير، كما خرج من المدينة وهي حرم جدّه رسول الله خائفاً يترقّب [٦].

---

١. راجع الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٣ ـ ٢٤.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ٣٤.

٣. القصص (٢٨): ٢١.

٤. كما في الفتوح لابن أعثم ٥: ٣٤، والإرشاد للمفيد ٢: ٣٤، ومثير الأحزان: ٢٥، والملهوف على قتلى الطفوف: ١٠١.

٥. القصص (٢٨): ٢٢.

٦. للمزيد راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ٣٢ ـ ٣٦؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٦ ـ ١٠٢ بتفاوت يسير.

فوا لهفتاه و واجزعاه عليك يا وديعة المصطفى، وريحانته من الدنيا.

و واحرّ قلباه لك يا خامس أصحاب الكساء، وقرّة عين سيّدة النساء.

يابن مكّة ومنى، وابن زمزم والصفا، خفت على نفسك في الحرم، وأنت أمن الخائفين. وفررت منهم لمّا خفتهم بأطفالك وعيالك، وأنت ملجأ الهاربين.

فيا لله من هذه الفادحة التي أثكلت جبرائيل، و وامصيبتاه من هذه النازلة إذ عظمت على الربّ الجليل.

مثل ابن فاطمة يبيت مشرّداً ... ويزيد في لذّاته متنعّمُ
ويضيّق الدنيا على ابن محمّد ... حتّى تقاذفه الفضاء الأعظمُ
خرج الحسين من المدينة خائفاً ... كخروج موسى خائفاً يتكتّمُ
وقد انجلى عن مكّة وهو ابنها ... وبه تشرّفت الحطيم وزمزمُ
لم يدر أين يريح بدن ركابه ... فكأنّما المأوى عليه محرّمُ
فمشت تؤمّ به العراق نجائب ... مثل النعام به تخبّ وترسمُ

المجلس الرابع

ولمّا نزل الحسين عليه السلام مكّة أقبل أهلها ومن كان فيها من المعتمرين وأهل الآفاق يختلفون إليه.

وجاءه ابن عبّاس وابن الزبير فأشارا عليه بالإمساك[1] فقال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرني بأمر وأنا ماضٍ فيه». فخرج ابن عبّاس وهو يقول: وا حسيناه.

وجاءه ابن عمر فأشار عليه بالصلح، فقال عليه السلام: «يا أباعبد الرحمن، أما علمت أنّ من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريّا أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل؟ أما تعلم أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوعي الفجر والشمس سبعين نبيّاً، ثمّ يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنّهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجّل الله عليهم، ثمّ أخذهم أخذ عزيز ذي انتقام؟ اتّق الله يا أباعبد الرحمن ولا تدعنّ نصرتي».

وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية فأرجفوا بيزيد، وعرفوا بامتناع الحسين من

---

(١) كما في ص ١٣ و ١٤ من اللهوف [1].

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠١ ـ ١٠٢. راجع أيضاً: مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٧؛ مثير الأحزان: ٤١.

بيعته، ومجيئه إلى مكّة[١] فاجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صُرَد الخزاعي، فلمّا تكاملوا قام سليمان فقال: إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته وخرج إلى مكّة، وأنتم شيعتُه وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه، ونقتل أنفسنا دونه، فاكتبوا إليه، وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغرّوا الرجل.

قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه. قال: فاكتبوا إذاً إليه.

فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ عليهما السلام

من سليمان بن صُرَد، والمسيّب بن نَجَبة، ورِفاعة بن شدّاد، وحبيب بن مُظاهر، وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة:

سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد، الذي انتزى على هذه الأُمّة فابتزّها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضاً منها، ثمّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دُولةً بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بَعِدَت ثمود.

وإنّه ليس علينا إمام، فأقبِل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ؛ والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعةٍ، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى.

والسلام عليك يابن رسول الله وعلى أبيك ومن قبلك، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

---

(١) كما في ص ٢٠٢ من إرشاد المفيد[١].

---

١. الإرشاد للمفيد ٢: ٣٦ ـ ٣٧. للمزيد راجع أيضاً: الفتوح لابن أعثم ٥: ٤٥ ـ ٤٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٢ ـ ١٠٦.

ثمّ سرّحوا الكتاب مع عبدالله بن مِسمع الهمداني، وعبدالله بن وال، وأمروهما بالنجاء(١)، فخرجا مُسرعين حتّى قدما على الإمامعليه السلام بمكّة لعشرٍ مضين من شهر رمضان.

وبعد يومين من تسريحهم بالكتاب(٢) أنفذوا قيس بن مُسهِر الصيداوي، وعبدالله وعبد الرحمن ابني شدّاد الأرحبي، وعمارة بن عبدالله السلولي [إلى الحسين عليه السلام][1] ومعهم نحو مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة.

ثمّ لبثوا يومين آخرين وسرّحوا إليهعليه السلام هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي وكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ عليهما السلام

من شيعته من المؤمنين والمسلمين:

أمّا بعد، فحيَّ هلا؛ فإنّ الناس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثمّ العجل العجل.

ثمّ كتب شَبثُ بن ربعيّ، وحجّار بن أبجر، ويزيد بن الحرث، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج الزبيدي، ومحمّد بن عمرو التميمي:

أمّا بعد، فقد اخضرّ الجناب، وأينعت الثمار [وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار]، فإذا شئت فأقبل على جندٍ لك مجنّدة، والسلام.

---

(١) النجاء: الإسراع والسبق[2].

(٢) كما في ص ٢٠٣ من إرشاد المفيد، و ص ١٥ من اللهوف[3].

---

١. أضفناه من المصدر.

٢. لسان العرب ١٥: ٣٠٥؛ القاموس المحيط ٤: ٣٩٤، «ن.ج.ا».

٣. الإرشاد للمفيد ٢: ٣٦ ـ ٣٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٥ ـ ١٠٦. للمزيد راجع أيضاً: الأخبار الطوال: ٢٢٩؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ٤٩ ـ ٥٠؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٧ ـ ٩٨؛ مثير الأحزان: ٢٦.

وتواترت عليه الكتب حتّى اجتمع عنده في نوب متفرّقة اثنا عشر ألف كتاب[١]، وهو مع ذلك يتأنّى ولا يجيبهم.

فورد عليه في يوم واحد ستّ مائة كتاب، وتلاقت الرسل كلّها عنده، فسألهم عن الناس، وقال لهاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي: «خبّراني من اجتمع على هذا الكتاب؟».

فذكرا له وجوه أهل الكوفة، وأُولي الرأي منهم. فقام ـ بأبي وأُمّي ـ عند ذلك فصلّى ركعتين بين الركن والمقام، ثمّ كتب مع هاني وسعيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليّ، إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين:

أمّا بعد، فإنّ هانياً وسعيداً قدما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمتُ كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جُلّكم: إنّه ليس علينا إمام فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ والهدى.

وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إليَّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم، وذوي الحجى والفضل منكم على ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فإنّي أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله تعالى. فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام»[٢].

ودعا ـ سلام الله عليه ـ مسلم بن عقيل فسرّحه مع قيس بن مُسهر الصيداوي وعُمارة بن عبدالله السلولي وعبدالله وعبد الرحمن الأرحبيّين، وأمره بالتقوى

---

١. راجع: مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٨؛ مثير الأحزان: ٢٦.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ٣٨ ـ ٣٩. راجع أيضاً: الأخبار الطوال: ٢٣٠؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ٥١ ـ ٥٢.

وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك.

فأقبل مسلم ـ رضوان الله عليه ـ حتّى أتى المدينة، فصلّى في مسجد رسول الله ﷺ وودّع أهله ومن يحبّ.

وسار حتّى وصل الكوفة، فنزل في دار المختار بن [أبي] عُبيدة الثقفي، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، وكلّما اجتمع إليه منهم جماعة، قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون. وبايعه الناس حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً[١]. فكتب مسلم إلى الحسين بذلك؛ وطلب منه القدوم عليهم.

وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم بن عقيل، حتّى علم النعمان بن بشير بذلك ـ وكان والياً على الكوفة من قِبل معاوية فأقرّه يزيد عليها ـ وعلم بمكان مسلم فلم يتعرّض له بسوء.

فقام إليه عبدالله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي حليف بني أُميّة، فقال له: إنّه ما يصلح ما ترى أيّها الأمير إلّا الغَشمُ ـ أي الظلم ـ وإنّ هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوّك لرأي المستضعفين.

وكتب إلى يزيد كتاباً فيه: أنّ مسلم بن عقيل قدم الكوفة وبايعته الشيعة للحسين، فإن يكن لك فيها حاجة فابعث إليها [رجلاً] قويّاً يُنفِّذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوّك، فإنّ النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعَّف.

ثمّ كتب كلّ من عُمارةُ بن عُقبة، وعمر بن سعد بنحو من ذلك[٢].

وبعد وصول كتبهم إلى يزيد كتب إلى عبيدالله بن زياد وكان والياً على البصرة، بأنّه

---

١. راجع: مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٩؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٨؛ الدرّ النظيم: ٥٤٢.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ٤١ ـ ٤٢. راجع أيضاً: الأخبار الطوال: ٢٣١، فيه: «كتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمارة بن عقبة»؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ٥٨ ـ ٦٠.

قد ولّاه الكوفة وضمّها إليه، وعرّفه أمر مسلم بن عقيل وشدّد عليه في تحصيله وقتله.

فأسرع اللعين إلى الكوفة، واستخلف أخاه عثمان على البصرة، وكان دخوله إلى الكوفة ليلاً، فظنّ أهلها أنّه الحسين عليه السلام فتباشروا بقدومه ودنوا منه، فلمّا عرفوا أنّه ابن مرجانة تفرّقوا عنه.

فدخل قصر الإمارة وبات فيه إلى الغداة، ثمّ خرج فأبرق وأرعد، ووعد وتوعّد[1].

فلمّا سمع مسلم بن عقيل بذلك، خاف على نفسه، فقصد هاني بن عروة فآواه وأكرم مثواه، وكثر اختلاف أصحابه إليه يبايعونه على السمع والطاعة.

لكنّهم نقضوا بعد ذلك بيعته، وأخفروا ذمّته، ولم يثبتوا معه على عهد، ولا وفوا له بعقد. وكان ـ بأبي هو وأُمّي ـ من أسود الوقائع، وسقاة الحتوف، وأُباة الذلّ، وأُولي الحفائظ.

وله حين أسلمه أصحابه، واشتدّ البأس بينه وبين عدوّه مقامٌ كريم، وموقف عظيم، إذ جاءه العدوّ من فوقه ومن تحته وأحاط به من جميع نواحيه، وهو وحيد فريد لا ناصر ولا معين، فأبلى بلاءً حسناً، وصبر صبر الأحرار على ضرب سيوفهم، ورضخ(١) أحجارهم، وما ناله من ضباتهم الشحيذة، وأطنان قصبهم الملتهبة، التي كانوا يرمونه من فوق البيت عليه، حتّى وقع في أيديهم أسيراً، بعد أن فتك بهم، وأذاقهم وبال أمرهم، ثمّ قتلوه ظمآناً، وهو

---

(١) رضخ رأسه بالحجر: رضّه[2].

---

١. راجع: الأخبار الطوال: ٢٣١ ـ ٢٣٢؛ تاريخ الطبري ٥: ٣٥٨، حوادث سنة ٦٠؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ٦٥ ـ ٦٦؛ مقاتل الطالبيّين: ٦٩ ـ ٧١؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٤٢ ـ ٤٥؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٩ ـ ١٠٢.

٢. لاحظ لسان العرب ٣: ١٩، «ر. ض. خ».

يكبّر الله ويستغفره، ويصلّي على رسوله ﷺ، وصلبوا جثّته بالكناسة، وبعثوا برأسه إلى الشام[١].

رعى الله جسماً بالكنائس مُصلباً ورأساً له فوق السنان مركّبا
لقد سامه الأعداء خفضاً فما ارتضى سوى الرفع فوق السمهريّة منصبا
وقفت بمستنٍّ النزال فلم تجد سوى الموت في الهيجا من الضيم مهربا
إلى أن وردت الموت والموت سنّة لكم عرفت تحت الأسنّة والضبا
ولا عيب في الحرّ الكريم إذا قضى بحدّ الضبا حرّاً كريماً مهذّبا

١. للمزيد راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ٣٦ ـ ٧١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠١ ـ ١١٤.

المجلس الخامس

لمّا جاء عبيدالله بن زياد إلى الكوفة(١) وضع المراصد، وبثّ الجواسيس فيها على مسلم، حتّى علم أنّه في دار هاني، فدعا محمّد بن الأشعث، و[حسان بن] أسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجّاج، فقال: ما يمنع هانياً من إتياننا؟

فقالوا: ما ندري، وقد قيل: إنّه يشتكي.

فقال: بلغني ذلك، ثمّ علمت أنّه قد برئ وأنّه يجلس على باب داره، ولو أعلم أنّه شاكٍ لعُدته، فألقوه ومروه أن لا يدع ما يجب عليه من حقّنا، فإنّي لا أُحبّ أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب.

فأتوه ووقفوا عشيّةً على باب داره، فقالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير، فإنّه ذكرك وقال: لو أعلم أنّه شاكٍ لعُدته؟

فقال: الشكوى تمنعني.

---

(١) كما في ص ١٩ من اللهوف. و ص ٢٠٨ من إرشاد المفيد [1].

---

١. الإرشاد للمفيد ٢: ٤٦ ـ ٥٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١١٤ ومابعدها. راجع أيضاً: الأخبار الطوال: ٢٣٦ ـ ٢٣٨؛ تاريخ الطبري ٥: ٣٦٤ ـ ٣٦٨، حوادث سنة ٦٠؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ٧٨ ـ ٨٥؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٠٠ ـ ١٠١؛ مثير الأحزان: ٣٢ ـ ٣٤.

فقالوا: قد بلغه جلوسك كلّ عشيّة على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يتحمّله السلطان من مثلك؛ لأنّك سيّد قومك، ونحن نقسم عليك إلّا ركبت معنا. وما زالوا به حتّى غلبوه على رأيه. فدعا بثيابه فلبسها، ثمّ دعا ببغلته فركبها، فلمّا دنا من القصر أحسّ ببعض الذي كان، فقال لحسّان بن أسماء بن خارجة: يابن أخي، إنّي والله لخائف من هذا الرجل فما ترى؟

فقال: والله يا عمّ ما أتخوّف عليك شيئاً، لا تجعل على نفسك سبيلاً. ولم يكن حسّان يعلم الذي أضمر ابن مرجانة لهاني.

فجاء ـ رحمه الله تعالى ـ والقوم معه حتّى دخلوا جميعاً على ابن زياد، فلمّا رأى هانياً قال: أتتك بحائن رجلاه، ثمّ تمثّل فقال:

أُريد حياته[1] ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادِ

فقال له هاني: وما ذاك يا أمير؟

فقال: إيهاً يا هاني ما هذه الأُمور التي تربص في دارك لأمير المؤمنين وعامّة المسلمين؟ جئت بابن عقيل فأدخلته دارك، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أنّ ذلك يخفى عليّ؟

فقال: ما فعلت.

قال: بلى قد فعلت.

فلمّا كثر ذلك بينهما وأبى هاني إلّا الإنكار، دعا ابن زياد بمعقل مولاه حتّى وقف بين يديه. وكان عيناً له على أخبارهم من حيث لا يدرون، وقد عرف كثيراً من أسرارهم، إذ كان يظهر لهم الإخلاص لأهل البيت، والتفاني في حبّهم.

فلمّا رآه هاني علم أنّه كان عيناً عليهم، وأنّه قد أتاه بأخبارهم، فأُسقط في يده، ثمّ راجعته نفسه فقال: أصلح الله الأمير، والله ما بعثت إلى مسلم بن عقيل، ولا

---

١. في الإرشاد للمفيد: «حِباءَهُ» بدل «حياته».

دعوته، ولكن جاءني مستجيراً فأجرته، واستحييت من ردّه، ودخلني من ذلك ذمام فضيّفته وآويته، والآن فخلِّ سبيلي حتّى أرجع إليه وآمره بالخروج من داري إلى حيث شاء من الأرض لأخرج بذلك من ذمامه وجواره، ثمّ أرجع إليك حتّى أضع يدي في يدك.

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقني حتّى تأتيني به.

فقال: والله لا آتيك به أبداً، آتيك بضيفي تقتله؟!!

فقال: والله لتأتينّي به.

فقال: والله لا آتيك به.

فلمّا كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي فقال: أصلح الله الأمير خلّني وإيّاه حتّى أكلّمه.

فقام فخلا به ناحية وهما بحيث يراهما ابن زياد ويسمع كلامهما، فبينما هما يتناجيان إذ رفعا أصواتهما، فقال الباهلي: يا هاني أُنشدك بالله لا تقتل نفسك، ولا تدخل البلاء على عشيرتك، فوالله إنّي لأنفس بك عن القتل، إنّ هذا الرجل ابن عمّ القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليهم فإنّه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة وإنّما تدفعه إلى السلطان.

فقال هاني: والله إنّ عَليّ في ذلك الخزي والعار أن أدفع جاري وضيفي ورسول ابن رسول الله وأنا صحيح الساعدين كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلّا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتّى أموت دونه. فأخذ يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه أبداً.

فسمع ابن زياد ذلك فقال: أدنوه منّي، فأُدني منه، فقال: والله لتأتينّي به أو لأضربنّ عنقك.

فقال هاني: إذاً تكثر البارقة حول دارك.

فقال ابن زياد: وا لهفاه عليك، أبالبارقة تخوّفني؟ وهاني يظنّ أنّ عشيرته يمنعونه، ثمّ قال: أدنوه منّي، فأُدني منه، فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب أنفه وجبهته وخدّه حتّى كسر أنفه وسالت الدماء على ثيابه، ونثر لحم خدّه

وجبينه على لحيته الشريفة، فانكسر القضيب.

وضرب هاني يده على قائم سيف شرطي فجاذبه ذلك الرجل، فصاح اللعين ابن مرجانة: خذوه، فجرّوه حتّى ألقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه وجعلوا عليه حرساً.

فقام حسّان بن أسماء بن خارجة إلى ابن زياد فقال: أرُسُلُ غُدُر نحن سائرَ اليوم، أيّها الأمير؟ أرسلتنا إلى الرجل، وأمرتنا أن نجيئك به، حتّى إذا جئناك به هشمت وجهه، وأسلت دماءه، وزعمت أنّك تقتله؟

فغضب ابن مرجانة وقال: وإنّك لها هنا. ثمّ أمر به فضرب وقُيّد وحبس.

فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون إلى نفسي أنعاك يا هاني.

وبلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانياً قد قتل ـ وكان هاني صهره على بنته رويحة ـ فأقبل عمرو في مذحج كافّة حتّى أحاط بالقصر، ونادى: أنا عمرو بن الحجّاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم تخلع طاعة، ولم تفارق جماعة، وقد بلغنا أنّ صاحبنا قد قتل.

فأتاهم القاضي شريح ـ وكان مع ابن زياد في القصر حين دخل عليه هاني وفعل معه ما فعل ـ فأخبرهم بسلامته، فرضوا بقوله وانصرفوا[١].

تبّاً لهم وترحاً، لقد خطمهم(١) ابن مرجانة بالذلّ، وقادهم ببُرَة(٢) الهوان،

---

(١) من خطم البعير وهو: أن يشدّ على أنفه حبل يقاد به[٢].

(٢) البرة: حلقة تجعل في لحم أنف البعير ويشدّ إليها الزمام[٣].

---

١. تقدّم ذكر مصادرها في بداية هذا المجلس فراجع.

٢. لسان العرب ١٢: ١٨٦، «خ.ط.م».

٣. المصدر ١٣: ٤٧٦، «ب.ر.ة».

وعفّر وجوههم إذ هشّم وجه سيّدهم، وأرغم آنافهم إذ كسر أنفه، وألقاهم في مراغة الذلّ(١) إذ ألقاه في الحبس، ومرّغهم في حمأة(٢) الهوان إذ جرّوه قتيلاً برجله في الأسواق.

أمّا هاني فقد فاز بالشهادة، وختمت أيّامه بالسعادة.

وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرماً[١]

وقد ثارت به الحميّة لله ـ عزّ وجلّ ـ وعصفت في رأسه لرسول الله ﷺ، وأخذته حفائظ الولاية لآله الطيّبين الطاهرين، فبذل نفسه، ووقاهم بمهجته.

فوا لهفاه ما أعزّ جانبه. وأسفاً عليه ما أمنع حوزته. وحزناً لوجهه الميمون المشرق وقد شوّهه اللعين ضرباً بعصاه. ونفسي الفداء لذلك الأنف الحميّ وقد كسر في سبيل الله. ولله تناثر اللحم من جبينه الوضّاح، وخدّه الزاهر، وجبهته المباركة على كريمته الشريفة.

وفي عين الله خضّبت تلك الشيبة العزيزة بدماء ذلك الأغرّ، دون أن يهتضم جاره أو يستباح ذماره.

كريم أبى شمّ الدنيّة أنفه فأشممه شوك الوشيج المسدّدِ
وقال: قفي يا نفس وقفة واردٍ حياض الردى لا وقفة المتردّدِ[٢]

---

(١) المراغة: الموضع تتمرّغ فيه الدوابّ[٣].

(٢) الحمأة: الطين الأسود المنتن[٤].

---

١. كامل الزيارات: ١٩٤، الباب ٢٩، ذيل الحديث ٧؛ بحار الأنوار ٤٤: ١٩٢، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٢٦، ذيل الحديث ٤.

٢. ديوان السيّد حيدر الحلّي: ٧١.

٣. المعجم الوسيط: ٨٦٤، «م.ر.غ».

٤. المصدر: ١٩٥، «ح.م.أ».

المجلس السادس

لمّا بلغ مسلم بن عقيل ما فعل ابن زياد بهاني بن عروة، خرج بمن بايعه لإنقاذ هاني، وحرب ابن زياد(١) فتحصّن اللعين عنه بقصر الإمارة، واقتتل أصحابه وأصحاب مسلم، وجعل أصحابه الذين معه في القصر يشرفون منه ويحذّرون أصحاب مسلم ويتوعّدونهم بأجناد الشام.

فلم يزالوا كذلك حتّى جاء الليل، فجعل أصحاب مسلم يتفرّقون عنه، ويقول بعضهم لبعض: ماذا نصنع بتعجيل الفتنة، وينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم. وما زالوا يتفرّقون حتّى أمسى ابن عقيل وصلّى المغرب وما معه إلّا ثلاثون نفساً في المسجد.

فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كِندة، فما بلغها إلّا ومعه منهم عشرة.

ثمّ خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان يدلّه، فالتفت فإذا لا يُحسّ بأحد،فمضى

---

(١) راجع إرشاد الشيخ المفيد ص ٢١٠؛ و ص ٢٢ من اللهوف [1].

---

١. الإرشاد للمفيد ٢: ٥٤ ـ ٦٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١١٤ ـ ١٢٣. راجع أيضاً: الأخبار الطوال: ٢٤٠ ـ ٢٤٢؛ تاريخ الطبري ٥: ٣٧١ ـ ٣٧٨، حوادث سنة ٦٠؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ٨٦ ـ ١٠٤؛ مقاتل الطالبيّين: ٦٩ ـ ٧١؛ الكامل في التاريخ ٣: ٣٧١ ـ ٣٧٨، حوادث سنة ٦٠؛ مثير الأحزان: ٣٤ ـ ٣٧؛ الدرّ النظيم: ٥٤٣ ـ ٥٤٦.

على وجهه متلدّداً في أزقّة الكوفة لا يدري كيف يصنع ولا أين يذهب.

ومشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: «طوعة» ـ أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس فأعتقها، فتزوّجت أُسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمّه قائمة تنتظره ـ فسلّم عليها مسلم فردّت عليه، ثمّ طلب منها ماءً فسقته، وأدخلت الإناء ثمّ خرجت فوجدته جالساً، فقالت له: ألم تشرب الماء؟ قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت. ثمّ أعادت عليه القول، فسكت. فقالت له في الثالثة: سبحان الله يا عبدالله قُم ـ عافاك الله ـ إلى أهلك؛ فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أُحلُّه لك.

فقام وقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك من أجر ومعروفٍ ولعلّي مكافيك بعد اليوم.

قالت: يا عبدالله وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني.

قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم.

قالت: ادخُل، فدخل بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ.

وجاء ابنها وعرف بمكان مسلم فوشى به إلى ابن زياد.

فأحضر محمّد بن الأشعث، وضمّ إليه قومه، وبعث معه عبيدالله بن عبّاس السُلمي في سبعين رجلاً من قيس، حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم، فلمّا سمع وَقْع حوافر الخيل وأصوات الرجال علم أنّه قد أُتي، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم فضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك، فاختلف هو وبكر بن حُمران الأحمري، فضرب بكر ـ لعنه الله ـ فمَ مسلم

فقطع شفته العليا، وأسرع السيف في السفلى وفصلت[١] ثنيّتاه، وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة، وثنّاه بأُخرى على حبل عاتقه كادت تطلع من جوفه. وجعل يحارب أصحاب ابن زياد حتّى قتل منهم جماعة، فلمّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق البيت فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويُلهبون النار في أطنان القصب ثمّ يلقونه عليه من فوق السطح، فخرج عليهم مُصلِتاً بسيفه، فناداه محمّد بن الأشعث: لك الأمان لا تقتل نفسك، وهو يقاتلهم ويقول:

أقسمت لا أُقتل إلّا حُرّاً   وإن رأيت الموت شيئاً نُكرا
أكره أن أُخدع أو أُغرّا   أو أخلط البارد سخناً مُرّا
كلّ امرئٍ يوماً يلاقي شرّاً   أضربكم ولا أخاف ضرّا

فناداه ابن الأشعث: إنّك لا تُكذب ولا تُغرّ.

وكان قد أُثخن بالحجارة، وعجز عن القتال، فأسند ظهره إلى الحائط. فأعاد ابن الأشعث عليه القول: لك الأمان.

فقال: أنا آمن؟ قال: نعم.

ثمّ قال للقوم: ألي الأمان؟ قالوا: نعم.

فقال: أما لو لم تؤمّنوني ما وضعت يدي في أيديكم، وأُوتي ببغلة فحمل عليها، فاجتمعوا حوله، وانتزعوا سيفه، فكأنّه عند ذلك يئس من نفسه فدمعت عيناه، ثمّ قال: هذا أوّل الغدر، أين أمانكم؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وبكى.

فقال له عبيدالله السُلمي: إنّ من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبكِ.

قال: إنّي والله ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لا أُحبّ لها

---

١. في المصدر: «نصلت» بدل «فصلت»، ولعلّ ما في المصدر هو الصحيح. أُنظر صحاح اللغة ٥: ١٨٣٠، «ن.ص.ل» قال فيه: «نصلت: أي زال».

طرفة عينٍ تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي للحسين وآل الحسين عليهم السلام.

ثمّ أقبل على ابن الأشعث فقال: إنّك ستعجز عن أماني، فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلّغ الحسين ـ فإنّي لا أراه إلّا قد خرج اليوم، أو هو خارج غداً بأهل بيته ـ فيقولَ له: إنّ ابن عقيل بعثني إليك، وهو أسير في أيدي القوم لا يرى أنّه يمسي حتّى يقتل، وهو يقول: ارجع فداك أبي وأُمّي بأهل بيتك، ولا يغرّك أهل الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك الذين كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة كذبوك، وليس لمكذوب رأي؟

وأقبل ابن الأشعث بمسلم إلى باب القصر، فدخل على ابن زياد فأخبره الخبر، وقد اشتدّ العطش بمسلم وعلى باب القصر جماعة ينتظرون الإذن، وإذا قُلّة باردة على الباب، فقال: اسقوني من هذا الماء.

فقال مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها؟! والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم.

فقال له ابن عقيل: لأُمّك الثكل، ما أجفاك وأفظّك وأقسى قلبك! أنت يابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنّم. ثمّ تساند إلى حائطَ.

وجاء عمرو بن حريث بقُلّة عليها منديل وقدح، فصبّ فيه ماءً وقال له: اشرب.

فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً من فيه، ففعل ذلك مرّتين، فلمّا ذهب في الثالثة ليشرب سقطت ثنيّتاه في القدح، فقال: الحمد لله لو كان لي من الرزق المقسوم شربته.

ثمّ أُدخل على ابن مرجانة فلم يسلّم عليه. فقال له الحرسي: سلّم على الأمير.

فقال له: اسكت ويحك والله ما هو لي بأمير.

فقال له ابن زياد: إيهاً يابن عقيل، أتيت الناس وهم جميع، فشتّت بينهم، وفرّقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض.

قال: كلّا، لست لذلك أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم،

وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كِسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب.

فقال ابن زياد: وما أنت وذاك، ثمّ قال ـ عليه اللعنة ـ: يا فاسق، إنّ نفسك تُمنّيك ما حال الله دونه، ولم يرك له أهلاً.

فقال مسلم: مَن أهله إذا لم نكن نحن أهله؟

فقال ابن زياد: أهله أمير المؤمنين يزيد.

فقال مسلم: الحمد لله على كلّ حال، رضينا بالله حَكماً بيننا وبينكم.

فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحد في الإسلام.

فقال مسلم: أما إنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنّك لا تدع سوء القتلة، وقبح المُثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك.

فأقبل ابن زياد يشتُمه ويشتم الحسين وعليّاً وعقيلاً عليهم السلام.

فأخذ مسلم لا يكلّمه، ونظر إلى جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد فقال: يا عمر إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك نجح حاجتي، وهي سرّ بيننا. فامتنع اللعين أن يسمع منه، فأمره ابن مرجانة بذلك، فقاما إلى ناحية في المجلس وابن مرجانة يراهما، فقال: إنّ عليَّ سبعمائة درهم لبعض أهل الكوفة فبع سيفي ودرعي واقضها عنّي، وإذا قتلت فاستوهب جثّتي فوارها، وابعث إلى الحسين عليه السلام من يردّه، فإنّي كتبت إليه أنّ الناس معه، ولا أراه إلّا مقبلاً.

فقال ابن سعد: أتدري أيّها الأمير ما قال؟ إنّه ذكر كذا وكذا وكذا.

فقال ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن.

وأمر ـ لعنه الله ـ أن يصعدوا به فوق القصر ويضربوا عنقه، ثمّ يتبعوه جسده، ودعا بكر بن حمران فقال له: اصعد وكن أنت الذي تضرب عنقه، فصعد به وهو يكبّر الله ويستغفره، ويصلّي على رسوله ويقول: اللهمّ احكم بيننا وبين قوم غرّونا

وكذبونا وخذلونا. فأشرف على موضع الحذّائين فضرب عنقه وأتبع جسده رأسه.

ثمّ أمر ابن زياد بهاني في الحال فقال: أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه. فأخرج وهو مكتوف فجعل يقول: وا مذحِجاه ولا مَذحج لي اليوم، يا مَذحجاه! يا مذحجاه! وأين مَذحج؟

فلمّا رأى أنّ أحداً لا ينصره، جذب يده فنزعها من الكتّاف وهو يقول: أما من عصا أو سكّينٍ أو حجرٍ يحاجز بها رجل عن نفسه؟ فوثبوا إليه فشدّوه وثاقاً، ثمّ قيل له: مدّ عنقك. فقال: ما أنا بها سخيّ، وما أنا بمعينكم على نفسي. فضربه مولىً لابن مرجانة ـ تركيّ ـ بالسيف فلم يصنع شيئاً. فقال هاني: إلى الله المعاد، اللهمّ إلى رحمتك ورضوانك، ثمّ ضربه أُخرى فقتله شهيداً محتسباً.

وفي مسلم وهاني يقول عبدالله بن الزبير الأسدي:

فإن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئ في السوق وابن عقيلِ
إلى بَطَلٍ قد هشّم السيف وجهه ... وآخر يَهوي من طمار قتيلِ
أصابهما أمرُ اللعين فأصبحا ... أحاديث من يسري بكلِّ سبيلِ
ترى جسداً قد غيّر الموت لونه ... ونضحَ دمٍ قد سال كلّ مسيلِ
فتىً كان أحيا من فتاةٍ حييّةٍ ... وأقطع من ذي شفرتين صقيلِ[1]

١. للمزيد راجع ما ذكرنا من المصادر في بداية هذا المجلس.

المجلس السابع

لمّا عزم الحسين عليه السلام على الخروج إلى العراق قام خطيباً، فكان ممّا قال(١):

«وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجر الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقرّبهم عينه وينجز بهم وعده. ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى».

وجاءه تلك الليلة أخوه محمّد بن الحنفيّة فقال له: يا أخي إنّ أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنّك أعزّ من في الحرم وأمنعه.

فقال عليه السلام: «يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت».

---

(١) كما في ص ٢٥ من اللهوف [1].

---

١. مثير الأحزان: ٤١. راجع أيضاً الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٦.

فقال له ابن الحنفيّة: فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن، أو بعض نواحي البرّ، فإنّك أمنع الناس به، ولا يُقدر عليك.

فقال عليه السلام: «أنظر فيما قلت»[1].

فلمّا كان في السحر ارتحل عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفيّة فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها، فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟

قال: «بلى».

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

قال: «أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين اخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً».

فقال له ابن الحنفيّة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك على مثل هذه الحالة؟

فقال له: «قد قال لي: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»[2].

ولقيه أبومحمّد الواقدي وزرارة بن خلج قبل أن يخرج عليه السلام إلى العراق فأخبراه ضعف الناس بالكوفة، وأنّ قلوبهم معه وسيوفهم عليه. فأومأ بيده نحو السماء ففتحت أبوابها، ونزلت الملائكة عدد لا يحصيهم إلّا الله عزّ وجلّ، فقال: «لولا تقارب الأشياء، وهبوط الأجل لقاتلتهم بهؤلاء، ولكن أعلم يقيناً أنّ هناك مصرعي ومصرع أصحابي لا ينجو منهم إلّا ولدي»(١).

---

(١) أخرج ذلك أبوجعفر محمّد بن جرير الطبري الإمامي في كتابه دلائل الإمامة بإسناده إلى الأعمش. ونقله السيّد في اللهوف[3].

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٧ ـ ١٢٨.

٢. المصدر: ١٢٨.

٣. دلائل الإمامة: ٧٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٥ ـ ١٢٦.

وخرج ـ بأبي وأُمّي ـ يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذي الحجّة سنة ستّين[١].

قال معمّر بن المثنّى ـ في كتاب مقتل الحسين ـ:

فلمّا كان يوم التروية قدم عمر بن سعد بن أبي وقّاص إلى مكّة في جندٍ كثيف، قد أمره يزيد أن يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه، أو يقتله إن قدر عليه[٢].

فخرج الحسين عليه السلام يوم التروية، حين يُخرج إلى عرفة، إذ لم يتمكّن من تمام حجّه، مخافة أن تستباح حرمات بيت الله الحرام، ومشاعره العظام، فأحلّ ـ بأبي وأُمّي ـ من إحرامه، وجعلها عمرة مفردة.

وقد انجلى عن مكّة وهو ابنها ... وبه تشرّفت الحطيم وزمزمُ

لم يدرِ أين يريح بدن ركابه ... فكأنّما المأوى عليه محرّمُ[٣]

وعن الصادق عليه السلام ـ فيما رواه الشيخ المفيد(١) بإسناده إليه ـ قال: «لمّا سار الحسين ـ صلوات الله عليه ـ من مكّة لقيه أفواج من الملائكة المسوّمين والمردفين في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنّة، فسلّموا عليه وقالوا: يا حجّة الله على خلقه بعد جدّه وأبيه وأخيه، إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ أمدّ جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله بنا في مواطن كثيرة، وإنّ الله أمدّك بنا.

فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء فإذا وردتها فأتوني.

فقالوا: يا حجّة الله إنّ الله أمرنا أن نسمع لك ونطيع، فهل تخشى من عدوّ يلقاك

---

(١) كما في كتاب اللهوف[٤].

---

١. راجع: الفتوح لابن أعثم ٥: ١٢٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٦٦.

٢. راجع الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٧، ذُكر في الهامش.

٣. من أشعار جعفر الحلّي، راجع سحر بابل وسجع البلابل: ٤٢٩.

٤. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٩ ـ في الهامش ـ حكاه عن كتابه: مولد النبيّ صلى الله عليه وآله. رواه المجلسي أيضاً عن المفيد في بحار الأنوار ٤٤: ٣٣٠ ـ ٣٣١، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢.

فنكون معك؟ فقال: لا سبيل لهم عَلَيّ، ولا يلقوني بكريهة أو أصل إلى بقعتي.

وأتته أفواج من مؤمني الجنّ فقالوا له: يا مولانا نحن شيعتك وأنصارك فمرنا بما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوّ لك وأنت بمكانك، لكفيناك ذلك. فجزاهم خيراً.

وقال لهم: أما قرأتم كتاب الله المنزل على جدّي رسول الله ﷺ في قوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾[١]. فإذا أقمت في مكاني فبماذا يمتحن هذا الخلق المتعوس؟ وبماذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي، وقد اختارها الله تعالى لي يوم دحا الأرض، وجعلها معقلاً لشيعتنا ومحبّينا، تقبل فيها أعمالهم وصلواتهم، ويجاب دعاؤهم، وتسكن إليها شيعتنا، فتكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة؟ ولكن تحضرون يوم عاشوراء الذي في آخره أُقتل، ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وإخوتي وأهل بيتي، ويسار برأسي إلى يزيد بن معاوية».

ساروا برأسك يابن بنت محمّد مــتزمّلاً بــدمائه تــزميلا
قــتلوك عطشاناً ولمّـا يـرقبوا في قـتلك التأويـل والتـنزيلا
ويكـبّرون بأن قُـتلت وإنّـما قـتلوا بك التكـبير والتـهليلا[٢]

❋ ❋ ❋

رأس ابـن بـنت مـحمّد ووصـيّه للـناظرين عـلى قـناة يـرفعُ
والمسـلمون بـمنظر وبـمسمعٍ لا مـنكر مـنهم ولا مـتفجّعُ
كحلت بـمنظرك العـيون عـماية وأصـمَّ رزؤك كـلّ أُذن تسمعُ[٣]

١. آل عمران (٣): ١٥٤.

٢. مناقب آل أبي طالب ٤: ١٢٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١١، فيه: «جاؤوا» بدل «ساروا»؛ تهذيب الكمال ٦: ٤٤٨، الرقم ١٣٢٣.

٣. راجع: ديوان دعبل بن عليّ الخزاعي: ٢٢٥ ـ ٢٢٦؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٣٧؛ معجم الأدباء ١١: ١١٠، الرقم ٢٦؛ مثير الأحزان: ١٠٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠٣.

المجلس الثامن

كان توجّه الحسين عليه السلام من مكّة إلى العراق يوم خروج مسلم للقتال بالكوفة(١) وهو يوم التروية، واستشهد مسلم في الثامن من خروجه وهو يوم عرفة، وكان قد اجتمع إلى الحسين نفر من أهل الحجاز والبصرة انضافوا إلى أهل بيته ومواليه.

ولمّا أراد التوجّه إلى العراق طاف وسعى وحلّ من إحرامه وجعلها عمرةً مفردة، وخرج مبادراً بأهله وولده، ومن انضمّ إليه من شيعته.

وروي عن الفرزدق الشاعر[١] أنّه قال: حججت بأُمّي سنة ستّين، فبينا أنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم إذ لقيت الحسين عليه السلام خارجاً من مكّة في أسيافه وأتراسه، فقلت: لمن هذا القطار؟

---

(١) كما في إرشاد المفيد رحمه الله ص ٢١٨ [٢].

---

١. راجع: تاريخ الطبري ٥: ٣٨٦ ـ ٣٨٧، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٦٧ ـ ٦٨؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٢١؛ مثير الأحزان: ٤٠؛ إعلام الورى ١: ٤٤٥.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ٦٦ ـ ٦٩. راجع أيضاً: الفتوح لابن أعثم ٥: ١٢٠؛ الكامل في التاريخ ٢: ٣٨١، حوادث سنة ٦٠؛ مثير الأحزان: ٣٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٤؛ الدرّ النظيم: ٥٤٦.

فقيل: للحسين بن عليّ عليهما السلام. فأتيته فسلّمت عليه وقلت: أعطاك الله سؤلَكَ وأملكَ فيما تُحبّ، بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله ما أعجلك عن الحجّ؟

فقال: «لو لم أعجل لأُخذت، من أنت؟».

فقلت: امرؤ من العرب، فوالله ما فتّشني عن أكثر من ذلك.

ثمّ قال: «أخبرني عن الناس خلفك».

فقلت: الخبير سألت، قلوب الناس معك، وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء.

فقال: «صدقت، لله الأمر وكلّ يوم هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد من كان الحقّ نيّته والتقوى سريرته».

فقلت: أجل، بلّغك الله ما تُحبّ، وكفاك ما تحذر، وسألته عن أشياء من نذور ومناسك فأخبرني بها، وحرّك راحلته وقال: «السلام عليك» ثمّ افترقنا.

وكان ـ سلام الله عليه ـ لمّا خرج اعترضه يحيى بن سعيد وجماعة أرسلهم عمرو بن سعيد بن العاص والي يزيد يومئذٍ على مكّة، فأبى عليهم الحسين عليه السلام وامتنع منهم هو وأصحابه امتناعاً قويّاً، وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط[1].

وسار ـ بأبي وأمّي ـ حتّى أتى «التنعيم»[2] فلقي عيراً قد أقبلت من اليمن فاستأجر من أهلها جِمالاً لرحله وأصحابه[3].

---

١. الأخبار الطوال: ٢٤٤؛ تاريخ الطبري ٥: ٣٨٨، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٦٨؛ الكامل في التاريخ ٤: ٣٩، حوادث سنة ٦٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٣٩.

٢. التنعيم: موضع بمكّة في الحلّ. معجم البلدان ٢: ٥٨.

٣. الإرشاد للمفيد ٢: ٦٨.

وألحقه عبدالله بن جعفر بابنيه عونٍ ومحمّد، وكتب معهما إليه كتاباً يقول فيه:

أمّا بعد، فإنّي أسألك بالله لمّا انصرفت حين تنظر في كتابي، فإنّي مشفق عليك من الوجه الذي توجّهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنّك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل في المسير فإنّي في أثر كتابي، والسلام [١].

وذهب عبدالله إلى عمرو بن سعيد فسأله أن يكتب للحسين أماناً ليرجع عن وجهه، فكتب إليه عمرو في ذلك، وأنفذ كتابه مع أخيه يحيى وعبدالله بن جعفر، ودفعا إليه الكتاب وجهدا به في الرجوع، فقال: «إنّي رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وأمرني بما أنا ماضٍ فيه».

ولمّا يئس عبدالله بن جعفر أمر ابنيه: عوناً ومحمّداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه، ورجع مع يحيى بن سعيد إلى مكّة [٢].

وتوجّه الحسين عليه السلام نحو العراق مُغذّاً [٣] لا يلوي على شيء، حتّى نزل «ذات عرق» [٤] فلقي بشر بن غالب وارداً من العراق، فسأله عن أهلها.

فقال: خلّفت القلوب معك، والسيوف مع بني أُميّة.

فقال: «صدق أخو بني أسد إنّ الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد» [٥].

ولمّا بلغ عبيدالله بن زياد إقبال الحسين عليه السلام من مكّة، بعث صاحب شرطته

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٣٨٧ ـ ٣٨٩، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٦٨ ـ ٦٩؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤٠، حوادث سنة ٦٠.

٢. تاريخ الطبري ٥: ٣٨٨، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٦٩.

٣. الإغذاذ في السير: الإسراع فيه. الصحاح ٢: ٥٦٧ «غ. ذ. ذ».

٤. مكان في طريق مكّة وهو الحدّ بين نجد وتهامة. معجم البلدان ٤: ١٠٧.

٥. الإرشاد للمفيد ٢: ٦٧ ـ ٦٩؛ مثير الأحزان: ٤٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣١.

الحُصين بن نُمير حتّى نزل القادسيّة، ونظم الخيل ما بين القادسيّة إلى خفّان، وما بين القادسيّة إلى القُطقُطانيّة[١].[٢]

ولمّا بلغ الحسين عليه السلام الحاجر من «بطن الرُمة» بعث قيس بن مُسهر الصيداوي ـ وقيل: بل بعث أخاه من الرضاعة عبدالله بن يَقطُر[٣] ـ إلى الكوفة، ولم يكن عليه السلام علم بخبر ابن عقيل، وكتب معه إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليّ، إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين:

سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم واجتماع مَلَئكم على نصرنا والطلب بحقّنا، فسألت الله أن يحسن لكم الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي، فانكمشوا في أمركم وجدّوا، فإنّي قادم عليكم في أيّامي هذه، والسلام»[٤].

وكان مسلم كتب إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة، وكتب إليه أهل الكوفة: إنّ لك هنا مائة ألف سيف فلا تتأخّر[٥].

---

١. موضع قرب الكوفة، كان به سجن النعمان بن المنذر. راجع معجم البلدان ٤: ٣٧٤.

٢. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٤، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٦٩؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٢٧؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤١، حوادث سنة ٦٠؛ مثير الأحزان: ٤٢.

٣. قال به الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام (الجزء الأوّل): ٣٢٧، الفصل ١١، ح ٧؛ والطبرسي في إعلام الورى ١: ٤٤٦. انظر أيضاً تاريخ الطبري ٥: ٣٩٨، حوادث سنة ٦٠.

٤. الأخبار الطوال: ٢٤٥؛ تاريخ الطبري ٥: ٣٩٤ ـ ٣٩٥، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٧٠ ـ ٧١؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤٠، حوادث سنة ٦٠؛ مثير الأحزان: ٤٢ ـ ٤٣.

٥. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٥، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٧١.

وأقبل قيس بن مُسهر إلى الكوفة بكتاب الحسين عليه السلام حتّى انتهى إلى «القادسيّة» أخذه الحصين بن نُمَير فبعث إلى ابن زياد، فأمره اللعين أن يسبّ الحسين وأباه وأخاه على المنبر، فصعد قيس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ هذا الحسين بن عليّ خير خلق الله، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا رسوله إليكم فأجيبوه. ثمّ لعن عبيدالله بن زياد وأباه، واستغفر لعليّ بن أبي طالب وصلّى عليه.

فأمر ابن زياد أن يُرمى به من فوق القصر، فرموا به فتقطّع [١]. وروي: أنّه وقع إلى الأرض مكتوفاً فتكسّرت عظامه وبقي به رمق، فجاء عبدالملك بن عُمير اللخمي فذبحه [٢].

وأقبل الحسين عليه السلام من الحاجر يسير نحو الكوفة فانتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبدالله بن مُطيع العدوي، فلمّا رأى الحسين عليه السلام قام إليه فقال: بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله ما أقدمك؟ واحتمله فأنزله.

فقال له الحسين عليه السلام: «كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إليَّ أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم».

فقال ابن مطيع: أُذكّرك الله يابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تُنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أُميّة ليقتلنّك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً، والله إنّها لحرمة الإسلام تُنتهك، وحرمة قريش، وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرّض نفسك لبني أُميّة.

فأبى الحسين عليه السلام إلّا أن يمضي إنجازاً لمقاصده السامية [٣].

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٥، حوادث سنة ٦٠؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ١٤٥ ـ ١٤٧؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٧١؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤١، حوادث سنة ٦٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٥ ـ ١٣٦.

٢. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٨، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٧١.

٣. الأخبار الطوال: ٢٤٦؛ تاريخ الطبري ٥: ٣٩٥ ـ ٣٩٦، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٧٢؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤١، حوادث سنة ٦٠.

وكان ابن زياد أمر فأخذ ما بين واقِصَةَ[١] إلى طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يَدَعون أحداً يلجُ، ولا أحداً يخرج.

وأقبل الحسين عليه السلام فلقي الأعراب فسألهم فقالوا: ما ندري غير أنّا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج، فسار ـ بأبي وأمّي ـ تلقاء وجهه[٢].

وحدّث جماعة من فزارة وبَجيلة، قالوا: كنّا مع زُهير بن القين البَجَلي حين أقبلنا من مكّة، فكنّا نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن ننازله في منزل، فإذا نزل منزلاً لم نجد بُدّاً من أن نُنازله فيه، كنّا ننزل في جانب غير الجانب الذي ينزل فيه الحسين عليه السلام. فبينا نحن جلوس نتغدّى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتّى سلّم، ثمّ قال: يا زهير، إنّ أباعبدالله الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه.

فطرح كلّ إنسان منّا ما في يده حتّى كأنّ على رؤوسنا الطير. فقالت له امرأته ـ وهي ديلم بنت عمر ـ: سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه؟!! فلو أتيته فسمعت من كلامه.

فمضى إليه زهير، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه فحوّل إلى الحسين عليه السلام، ثمّ قال لامرأته: أنت طالق، الحقي بأهلك فإنّي لا أُحبّ أن يصيبك بسببي إلّا خيراً، وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بروحي، وأقيه بنفسي، ثمّ أعطاها ما لها وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها.

فقامت إليه وبكت وودّعته وقالت: خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليهما السلام.

---

١. «واقصة»: موضع في طريق مكّة إلى العراق. معجم البلدان ٥: ٣٥٤.

٢. راجع الارشاد للمفيد ٢: ٧٢.

ثمّ قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعَني، وإلّا فهو آخر العهد بي. إنّي سأُحدّثكم حديثاً: إنّا غزونا البحر ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟ قلنا: نعم.

فقال: إذا أدركتم سيّد شباب آل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه ممّا أصبتم اليوم. فأمّا أنا فأستودعكم الله. ثمّ لحق بالحسين عليه السلام ففاز بنصرته[1].

وروى عبدالله بن سليمان، والمُنذر بن مشعل[2] الأسديّان. قالا: لمّا قضينا حجّنا لم تكن لنا همّة إلّا اللحاق بالحسين عليه السلام في الطريق لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا تُرقِل بنا ناقتانا مسرعين حتّى لحقناه بـ«زَرُود[3]» فلمّا دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام فوقف ـ سلام الله عليه ـ كأنّه يريده، ثمّ تركه ومضى.

ومضينا نحوه حتّى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك. فقال: وعليكم السلام.

قلنا: مَن الرجل؟ قال: أسدي.

قلنا له: ونحن أسديّان، فمن أنت؟ قال: أنا بكر بن فلان، وانتسبنا له.

ثمّ قلنا له: أخبرنا عن الناس وراءك؟

قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتّى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ورأيتهما يجرّان بأرجلهما في السوق.

فأقبلنا حتّى لحقنا الحسين عليه السلام فسايرناه حتّى نزل الثعلبيّة ممسياً، فجئناه حين نزل فسلّمنا عليه فردّ علينا السلام.

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٦ ـ ٣٩٧، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٧٢ ـ ٧٣؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤٢، حوادث سنة ٦٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٢ ـ ١٣٣؛ الدرّ النظيم: ٥٤٧ ـ ٥٤٨.

٢. في المصدر: «مشمعل» بدل «مشعل».

٣. «زَرود»: موضع على طريق حاجّ الكوفة بين الثعلبيّة والخزيميّة. معجم البلدان ٣: ١٣٩.

فقلنا له: رحمك الله، إنّ عندنا خبراً إن شئت حدّثناك به علانيةً، وإن شئت سرّاً.

فنظر إلينا وإلى أصحابه، ثمّ قال: «ما دون هؤلاء سرّ».

فقلنا له: أرأيت الراكب الذي استقبلته مساء أمس؟ قال: «نعم. وقد أردت مسألته».

فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منّا ذو رأي وصدقٍ وعقلٍ، وإنّه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتّى قتل مسلم وهاني، ورآهما يُجرّان في السوق بأرجلهما.

فقال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، رحمة الله عليهما» يردّد ذلك مراراً.

ثمّ انتظر حتّى إذا كان السحر، قال لفتيانه وغلمانه: «أكثروا من الماء» فاستقوا وأكثروا ثمّ ارتحلوا[1].

ثمّ ارتحلوا فسار حتّى انتهى إلى «زُبالة» فأتاه خبر عبدالله بن يقطر، فأخرج إلى الناس كتاباً قرأه عليهم وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد، فإنّه قد أتانا خبرٌ فظيعٌ: قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة وعبدالله بن يقطر، وقد خذَلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج ليس معه ذمامٌ».

فتفرّق الناس عنه، وأخذوا يميناً وشمالاً حتّى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، ونفر يسير ممّن انضمّوا إليه، وإنّما فعل ذلك؛ لأنّه عليه السلام علم أنّ الأعراب الذين اتّبعوه إنّما اتّبعوه؛ لأنّهم ظنّوا أنّه يأتي بلداً استقامت له طاعة أهله، فكره أن

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٧ ـ ٣٩٨، حوادث سنة ٦٠؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٧٣ ـ ٧٤؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٢٧ ـ ٣٢٨؛ الدرّ النظيم: ٥٤٨.

يسيروا معه إلّا وهم يعلمون على ما يقدمون[١].

ثمّ سار حتّى مرّ بـ«بطن العقبة»[٢] فنزل عليها، فلقيه شيخ من بني عكرمة يقال له «عمر بن لوذان» فسأله: أين تريد؟ فقال عليه السلام: «الكوفة».

فقال الشيخ: أنشدُك لمّا انصرفت، فوالله ما تقدم إلّا على الأسنّة وحدّ السيوف، وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال، ووطّؤوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال التي تذكُر فإنّي لا أرى لك أن تفعل.

فقال له: «يا عبدالله، لا يخفى عَليَّ الرأي، لكنّ الله تعالى لا يُغلب على أمره».

ثمّ قال عليه السلام: «والله لا يدعونني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ فرق الأُمم»[٣].

إن يقتلوك فلا عن فقد معرفة　　　الشمس معروفة بالعين والأثرِ

قد كنت في مشرق الدنيا ومغربها　　　كالحمد لم تغنِ عنها سائر السورِ

---

١. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٢٨ ـ ٣٢٩؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤٣، حوادث سنة ٦٠.

٢. إسم منزلٍ على الطريق بين مكّة والكوفة، يقع قريباً من الكوفة وهو لفرع من قبيلة بني أسد.

٣. تاريخ الطبري ٥: ٣٩٩، حوادث سنة ٦٠ بنقيصة؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٧٦ بزيادة.

المجلس التاسع

سار الحسين عليه السلام حتّى صار على مرحلتين من الكوفة[1] فإذا بالحرّ بن يزيد في ألف فارس، فقال له الحسين عليه السلام: «ألنا أم علينا؟». فقال: بل عليك يا أباعبدالله.

فقال عليه السلام: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم».

ثمّ تردّد الكلام بينهما حتّى قال الحسين عليه السلام: «فإن كنتم على خلاف ما أتتني به كتبكم، وقدمت به عليّ رسلكم، فإنّي أرجع إلى الموضع الذي أتيت منه».

فمنعه الحرّ وأصحابه، وقال: بل خذ يابن رسول الله طريقاً لا يدخلك الكوفة، ولا يصلك إلى المدينة لأعتذر إلى ابن زياد بأنّك خالفتني في الطريق.

فتياسر الحسين عليه السلام حتّى إذا وصل إلى «عذيب الهجانات» فورد كتاب عبيدالله بن زياد ـ لعنه الله ـ إلى الحرّ يلومه في أمر الحسين، ويأمره بالتضييق عليه، فعرض له الحرّ وأصحابه ومنعوه من السير.

---

(١) راجع ص ٢٢٥ من إرشاد المفيد، و ص ٣٢ من اللهوف [1].

---

١. الإرشاد للمفيد ٢: ٧٨ ومابعدها؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٧ ـ ١٣٨. للمزيد راجع أيضاً: تاريخ الطبري ٥: ٤٠٠ ومابعدها، حوادث سنة ٦١؛ الكامل في التاريخ ٤: ٤٦ ومابعدها، حوادث سنة ٦١.

فقال له الحسين عليه السلام: «ألم تأمرنا بالعدول عن الطريق؟».

فقال له الحرّ: بلى ولكن كتاب الأمير قد وصل يأمرني فيه بالتضييق عليك، وقد جعل عليَّ عيناً يطالبني بذلك.

فقام الحسين عليه السلام خطيباً في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه وذكر جدّه فصلّى عليه، ثمّ قال:

«إنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها واستمرّت حذّاء، ولم يبقَ منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به، وأنّ الباطل لا يتناهى عنه، فليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما»[1].

فقام زهير بن القين فقال: سمعنا يابن رسول الله مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلّدين، لآثرنا النهوض معك على الإقامة[2].

وقام هلال بن نافع البجلي فقال: والله ما كرهنا لقاء ربّنا، وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا، نوالي مَنْ والاك ونعادي مَن عاداك[3].

وقام بُرير بن خضير فقال: والله ـ يابن رسول الله ـ لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا، ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة[4].

ثمّ إنّ الحسين عليه السلام ركب وسار، وكلّما أراد المسير يمنعونه تارة، ويسايرونه أُخرى، وقد عظم رعب النساء ووجل الأطفال حينئذٍ بما لا مزيد عليه، حتّى بلغوا كربلاء في اليوم

---

١. راجع: الأخبار الطوال: ٢٤٩ ـ ٢٥٠؛ تاريخ الطبري ٥: ٤٠٣ ـ ٤٠٤، حوادث سنة ٦١؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ١٣٣ ـ ١٤٥؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٣٠ ـ ٣٣٣؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٧ ـ ١٣٨.

٢. راجع: تاريخ الطبري ٥: ٤١٩ ـ ٤٢٠، حوادث سنة ٦١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٨.

٣ و ٤. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٨ ـ ١٣٩.

الثاني من المحرّم، فسأل الحسين عليه السلام عن اسم الأرض، فقيل: كربلاء، فقال: «اللهمّ إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء ـ ثمّ قال: ـ هذا موضع كرب وبلاء، انزلوا، هاهنا محطّ ركابنا وسفك دمائنا، وهنا محلّ قبورنا، بهذا حدّثني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

فنزلوا جميعاً، ونزل الحرّ وأصحابه ناحية. وجلس الحسين عليه السلام يصلح سيفه ويقول:

«يا دهر أُفٍّ لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيلِ

من طالبٍ وصاحب قتيل والدهر لا يقنع بالبديلِ

وكلّ حيّ سالك سبيل ما أقرب الوعد من الرحيلِ

وإنّما الأمر إلى الجليلِ»[2]

فسمعت أُخته زينب فقالت: يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل. فقال: «نعم يا أُختاه».

فقالت زينب: واثكلاه! ينعى الحسين إليّ نفسه. وبكى النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب، وجعلت أُمّ كلثوم تنادي: وا محمّداه، وا عليّاه، وا أُمّاه، واأخاه، واحسناه، واضيعتنا بعدك يا أباعبدالله!

فعزّاها الحسين عليه السلام وقال لها: «يا أُختاه تعزّي بعزاء الله، فإنّ سكّان السماوات يفنون، وأهل الأرض كلّهم يموتون، وجميع البريّة يهلكون»[3].

---

١. راجع: الفتوح لابن أعثم ٥: ١٤٩؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٣٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٩، ذُكر في الهامش.

٢. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٣٨، الفصل ١١، ح ٧. راجع أيضاً: الفتوح لابن أعثم ٥: ١٤٩؛ تاريخ الطبري ٥: ٤٢٠، حوادث سنة ٦١؛ مقاتل الطالبيّين: ٧٥؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٩٣، بتفاوت في البيت الآخر من الشعر؛ الكامل في التاريخ ٤: ٥٨، حوادث سنة ٦١.

٣. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٤٠ ـ ١٤٢. راجع أيضاً: الفتوح لابن أعثم ٥: ١٤٩ ـ ١٥٠؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٣٨، الفصل ١١، ح ٧.

وروي من طريق آخر أنّها عليها السلام لمّا سمعت مضمون الأبيات ـ وكانت في موضع منفردة مع النساء والبنات ـ خرجت حاسرة تجرّ ثوبها حتّى وقفت عليه فقالت:

واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أُمّي فاطمة وأبي عليّ وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وثمال الباقين.

فنظر إليها الحسين عليه السلام وقال: «يا أُختاه لا يَذهبنّ بحلمك الشيطان».

فقالت: بأبي أنت وأُمّي أتستقتل، نفسي لك الفداء. فردّت عليه غصّته، وتغرغرت عيناه بالدموع، ثمّ قال: «ولو تُرك القطا ليلاً، لنام».

فقالت: يا ويلتاه أفتغتصب نفسك اغتصاباً؟ فذلك أقرحُ لقلبي، وأشدّ على نفسي، ثمّ أهوت إلى جيبها فشقّته، وخرّت مغشيّاً عليها.

فقام عليه السلام فصبّ عليها الماء حتّى أفاقت[1].

نادت فقطّعت القلوب بشجوها		لكأنّما انتظم البيان فريدا
إنسان عيني يا حسين أُخيَّ يا		أملي وعقد جماني المنضودا
إن تنع أعطت كلّ قلب حسرة		أو تدعُ صدّعت الجبال الميدا
عبراتها تحيي الثرى لو لم تكن		زفراتها تدع الرياض همودا

---

١. راجع: تاريخ الطبري ٥: ٤٢٠ ـ ٤٢١، حوادث سنة ٦١؛ مقاتل الطالبيّين: ٧٥؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٩٣ ـ ٩٤؛ الكامل في التاريخ ٤: ٥٨ ـ ٥٩، حوادث سنة ٦١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٤١.

المجلس العاشر

لمّا نزل الحسين عليه السلام بأرض كربلاء، كان نافع بن هلال البجلي[1] من أخصّ أصحابه به وأكثرهم ملازمة له، ولا سيّما في مظانّ الاغتيال؛ لأنّه كان حازماً بصيراً بالسياسة.

فخرج الحسين عليه السلام ذات ليلة خارج الخيام حتّى أبعد، فتقلّد نافع سيفه وأسرع في أثره، فرآه يختبر الثنايا والعقبات والأكمات المشرفة على المنزل فالتفت الحسين عليه السلام فرآه فقال: «من الرجل؟ نافع؟». قال: نعم جعلت فداك يابن رسول الله.

فقال: «يا نافع، ما أخرجك في هذا الليل؟». فقال: سيّدي، أزعجني خروجك ليلاً إلى جهة هذا الباغي.

فقال: «يا نافع، خرجت أتفقّد هذه التلعات مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل على مخيّمنا يوم يحملون وتحملون».

قال: ثمّ رجع وهو قابض على يساري وهو يقول: «هي هي والله وعد لا خلف فيه». ثمّ قال: «يا نافع، ألا تسلك بين هذين الجبلين وانج بنفسك؟».

---

(١) كما في ص ٣٤٥ من كتاب الدمعة الساكبة[1] نقلاً عن الشيخ المفيد.

---

١. الدمعة الساكبة ٤: ٢٧٣ ـ ٢٧٤. و راجع أيضاً الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٣.

فوقع نافع بن هلال على قدميه يقبّلهما ويبكي وهو يقول: إذن ثكلت نافعاً أُمّه، سيّدي إنّ سيفي بألف، وفرسي بمثله، فوالله الذي منَّ عليَّ بك في هذا المكان لن أُفارقك أباعبدالله حتّى يكلّا عن فري وجري.

قال نافع: ثمّ فارقني ودخل خيمة أُخته زينب عليها السلام ووقفت أنتظره، فاستقبلته زينب ووضعت له متّكأً وجلس يحدّثها سرّاً، فما لبثت أن اختنقت بعبرتها ونادت: وا أخاه واحسيناه! أُشاهد مصرعك وأُبتلى برعايتي هذه المذاعير من النساء، والقوم ـ يابن أُمّي ـ كما تعلم ما هم عليه من الحقد القديم، ذلك خطب جسيم يعزّ عليّ مصرع هذه الفتية وأقمار بني هاشم.

ثمّ قالت: يابن أُمّي، هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم؟ فإنّي أخاف أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنّة.

فبكى الحسين عليه السلام وقال: «أما والله لقد بلوتهم فما رأيت فيهم إلّا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني استئناس الطفل بلبن أُمّه».

قال نافع: فبكيت رقّةً لها، ثمّ أتيت حبيب بن مظاهر فرأيته جالساً في خيمته وبيده سيف مصلت وهو يقول كأنّه يخاطبه:

أيّها الصارم استعدّ جواباً لسؤال إذا العجاج أُثيرا

والمواضي برق وقد تخذ البا سل المطهّمات سريرا

قال نافع: فسلّمت عليه، فردّ السلام، ثمّ قال: يا أخي ما الذي أخرجك في هذا الليل؟

فحكيت له القصّة من أوّلها إلى ما كان من قوله عليه السلام: «يستأنسون بالمنيّة دوني استئناس الطفل بلبن أُمّه».

فقام حبيب قائماً على قدميه وقال: إي والله لولا انتظار أمره، لعاجلتهم وعالجتهم الليلة بسيفي هذا ما ثبت قائمه بيدي.

ثمّ قال نافع: يا أخي، فارقت الحسين عليه السلام مع أُخته زينب في حال وجل ورعب،

وأظنّ أنّ النساء قد شاركنها في الزفرة والحسرة، فهل لك أن تجمع أصحابك وتمضي إليهم بكلام يسكن قلوبهنّ ويذهب رعبهنّ، فلقد شاهدت ما لا قرار لي على بقائه؟

فقال: أنا طوع إرادتك، فبرز حبيب ناحية ونافع إلى جنبه وانتدب أصحابه فنادى: أين أنصار الله؟ أين أنصار رسول الله ﷺ؟ أين أنصار أمير المؤمنين؟ أين أنصار فاطمة؟ أين أنصار الحسين؟ أين أنصار الإسلام؟

فتطالعوا من منازلهم كالليوث الضارية يقدمهم أبوالفضل العبّاس عليه السلام، فلمّا اجتمعوا قال لبني هاشم: ارجعوا إلى منازلكم لا سهرت عيونكم، ثمّ خطب أصحابه فقال: يا أصحاب الحميّة، وليوث الكريهة، هذا نافع بن هلال يخبرني الساعة بكذا وكذا فأخبروني عن نيّاتكم.

فجرّدوا صوارمهم، ورموا عمائمهم وقالوا: أما والله يابن مظاهر لئن زحف القوم إلينا لنحصدنّ رؤوسهم ولنلحقنّهم بأشياخهم، ولنحفظنّ [وصيّة] رسول الله ﷺ في عترته وذرّيّته.

فقال لهم حبيب: معي معي، فقام يخبط الأرض بهم وهم يعدون خلفه حتّى وقف بين أطناب الخيم ونادى: السلام عليكم يا ساداتنا، السلام عليكم يا معشر حرم رسول الله ﷺ، هذه صوارم فتيانكم آلوا أن لا يغمدوها إلّا في رقاب مَن يبتغي السوء فيكم. وهذه أسنّة غلمانكم آلوا أن لا يركزوها إلّا في صدور من يفرّق ناديكم.

فخرج إليهم الحسين عليه السلام وقال: «أصحابي جزاكم الله عن أهل بيت نبيّكم خيراً»[١].

رجال تواصوا حيث طابت أُصولهم وأنفسهم بالصبر حتّى قضوا صبرا
حماة حموا خدراً أبى الله هتكه فعظّمه شأناً وشرّفه قدرا
فأصبح نهباً للمغاوير بعدهم ومنه بنات المصطفى أبرزت حسرا

---

١. الدمعة الساكبة ٤: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

المجلس الحادي عشر

عن مولانا الصادق عليه السلام[(١)] أنّه قال: «سمعت أبي يقول: لمّا التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد وقامت الحرب، أنزل الله النصر حتّى رفرف على رأس الحسين عليه السلام، ثمّ خيّر بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله، فاختار لقاء الله».

ثمّ صاح الحسين عليه السلام: «أما من مغيث يغيثنا لوجه الله؟ أما من ذابٍّ يذبّ عن حرم رسول الله؟»

قال [الراوي]: فإذا الحرّ بن يزيد الرياحي قد أقبل إلى ابن سعد فقال: أمقاتل أنت هذا الرجل؟

فقال: أي والله قتال أيسره أن تطير الرؤوس وتطيح الأيدي.

قال: فمضى الحرّ ووقف موقفاً من أصحابه وأخذه مثل الأفكل[(٢)]. فقال له المهاجر بن أوس: والله إنّ أمرك لمريب، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة؟ لما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟

---

(١) كما في اللهوف ص ١٣٤[١].

(٢) الأفكل ـ بفتح الهمزة والكاف ـ: الرعدة[٢].

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٨ ومابعدها.

٢. لسان العرب ١١: ٥٢٩، «ف.ك.ل».

فقال: والله إنّي أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار فوالله لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قُطّعت وحُرّقت. ثمّ ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو يقول: اللهمّ إليك أنبتُ فتب عليَّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك أولاد بنت نبيّك.

وقال للحسين عليه السلام: جعلت فداك، أنا صاحبك الذي حبسك عن الرجوع وجعجع بك، وما ظننت أنّ القوم يبلغون بك ما أرى، وأنا تائب إلى الله تعالى، فهل ترى لي من توبة؟

فقال له الحسين عليه السلام: «نعم، يتوب الله عليك، فانزل».

فقال: أنا لك فارساً خير منّي لك راجلاً وإلى النزول يصير آخر أمري.

ثمّ قال: كنت أوّل من خرج عليك فأذن لي أن أكون أوّل قتيل بين يديك، لعلّي أكون ممّن يصافح جدّك محمّداً صلى الله عليه وآله غداً في القيامة.

فأذن له، فجعل يقاتل أحسن قتال حتّى قتل جماعة من الشجعان والأبطال، ثمّ استشهد فحمل إلى الحسين عليه السلام فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: «أنت الحرّ كما سمّتك أُمّك حرّاً في الدنيا والآخرة»[١].

قال: وخرج برير بن خضير وكان زاهداً عابداً، فخرج إليه يزيد بن المغفل فاتّفقا على المباهلة إلى الله تعالى في أن يقتل المحقّ منهما المبطل، وتلاقيا فقتله برير ولم يزل يقاتل حتّى قتل رحمه الله تعالى[٢].

---

١. الأخبار الطوال: ٢٥٦؛ تاريخ الطبري ٥: ٤٢٧ ـ ٤٢٨، حوادث سنة ٦١؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ١٨٤ ـ ١٨٦؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٩٩ ـ ١٠١؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٢ ـ ١٤؛ الكامل في التاريخ ٤: ٦٤ ـ ٦٥، حوادث سنة ٦١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٩ ـ ١٦٠.

٢. الفتوح لابن أعثم ٥: ١٨٦ ـ ١٨٨؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٤ـ١٥؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٠.

ـ قال: ـ وخرج وهب بن حباب الكلبي فأحسن في الجلاد وبالغ في الجهاد، وكانت معه امرأته ووالدته، فرجع إليهما وقال: يا أُمّاه أرضيتِ أم لا؟ فقالت الأمّ: ما رضيت حتّى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام.

وقالت امرأته: بالله عليك لا تفجعني بنفسك.

فقالت له أُمّه: يا بنيّ أُغرب عن قول زوجتك، وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت نبيّك تنل شفاعة جدّه يوم القيامة. فرجع ولم يزل يقاتل حتّى قطعت يداه.

وأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأُمّي قاتل دون الطيّبين حرم رسول الله. فأقبل كي يردّها إلى النساء، فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود دون أن أموت معك.

فقال الحسين عليه السلام: «جُزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعي إلى النساء رحمك الله» فانصرفت إليهنّ، ولم يزل الكلبي يقاتل حتّى قتل رضوان الله عليه [1].

قال: ثمّ خرج مسلم بن عوسجة رحمه الله فبالغ في قتال الأعداء وصبر على أهوال البلاء حتّى سقط إلى الأرض وبه رمق، فمشى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر، فقال له الحسين عليه السلام: «رحمك الله يا مسلم **﴿فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً﴾** [2].

ودنا منه حبيب رحمه الله وقال: عزّ عليّ مصرعك، يا أخي يا مسلم أبشر بالجنّة. فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير. ثمّ قال له حبيب: لولا أعلم أنّني في الأثر لأحببت أن توصي إليّ بكلّ ما أهمّك.

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٤٢٩ ـ ٤٣٠، حوادث سنة ٦١؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ١٨٩ ـ ١٩١؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٥ ـ ١٦؛ الكامل في التاريخ ٤: ٦٥ ـ ٦٦، حوادث سنة ٦١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦١.
٢. الأحزاب (٣٣): ٢٣.

فقال له مسلم: فإنّي أُوصيك بهذا ـ وأشار بيده إلى الحسين عليه السلام ـ قاتل دونه حتّى تموت. فقال له حبيب: لأنعُمنّك عيناً، ثمّ مات رضوان الله عليه[١].

إلى أن قال: وحضرت صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام زهير بن القين وسعيد بن عبدالله الحنفي أن يتقدّما أمامه بنصف من تخلّف معه، ثمّ صلّى بهم صلاة الخوف، فوصل إلى الحسين عليه السلام سهم، فتقدّم سعيد بن عبدالله الحنفي يقيه بنفسه ما زال ولا تخطّى حتّى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهمّ العنهم لعن عاد وثمود. اللهمّ أبلغ نبيّك عنّي السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإنّي أردت ثوابك في نصر ذرّيّة نبيّك. ثمّ قضى نحبه فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح[٢].

قال: وتقدّم سويد بن عمرو بن أبي المطاع وكان شريفاً كثير الصلاة، فقاتل قتال الأسد الباسل، وبالغ في الصبر على الخطب النازل حتّى سقط بين القتلى وقد أُثخن بالجراح، فلم يزل كذلك وليس به حراك حتّى سمعهم يقولون: قتل الحسين عليه السلام، فتحامل وأخرج من خفّه سكّيناً وجعل يقاتلهم به حتّى قُتل[٣].

وجعل أصحاب الحسين عليه السلام يسارعون إلى القتل بين يديه فكانوا كما قيل:

قوم إذا نودوا لدفع ملمّةٍ والخيل بين مدعّس ومكردسِ
لبسوا القلوب على الدروع كأنّهم يتهافتون على ذهاب الأنفسِ[٤]

١. تاريخ الطبري ٥: ٤٣٥ ـ ٤٣٦، حوادث سنة ٦١؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ١٩٣ ـ ١٩٤؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٣ ـ ١٠٤؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٨ ـ ١٩؛ الكامل في التاريخ ٤: ٦٧ ـ ٦٨، حوادث سنة ٦١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦١ ـ ١٦٢.

٢. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢٠ ـ ٢١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٥.

٣. مثير الأحزان: ٦٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٥ ـ ١٦٦.

٤. زينة المجالس: ٤٤٤.

المجلس الثاني عشر

لمّا زحف القوم نحو الحسين عليه السلام وطلب العبّاس منهم تأجيل القتال إلى غد، أمر الحسين عليه السلام أصحابه أن يقرّبوا بيوتهم، ويدخلوا الأطناب بعضها ببعض، ويكونوا أمام البيوت فيستقبلوا القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وشمائلهم.

وقام الحسين عليه السلام وأصحابه الليل كلّه يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتضرّعون، وباتوا ولهم دويّ كدويّ النحل، ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد، فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر ابن زياد اثنان وثلاثون رجلاً[1].

ولمّا ضيّقوا على الحسين عليه السلام ونال منه ومن أصحابه العطش، قام واتّكأ على قائم سيفه، ونادى بأعلى صوته فقال: «أنشدكم الله هل تعرفوني؟». قالوا: نعم أنت ابن رسول الله وسبطه.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدّي رسول الله؟» قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ أُمّي فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله؟» قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ أبي عليّ بن أبي طالب؟» قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدّتي خديجة بنت خويلد أوّل نساء هذه

---

١. الإرشاد للمفيد ٢: ٩٤.

الأُمّة إسلاماً ؟ » قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ جعفر الطيّار في الجنّة عمّي ؟ » قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله أنا متقلّده ؟» قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله ﷺ أنا لابسها ؟ » قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ عليّاً عليه السلام كان أوّل القوم إسلاماً وأعلمهم علماً وأعظمهم حلماً، وأنّه وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة ؟ » قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «فبم تستحلّون دمي وأبي الذائد عن الحوض يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر عن الماء، ولواء الحمد بيد أبي يوم القيامة ؟ ».

قالوا: قد علمنا ذلك كلّه ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً.

فلمّا خطب هذه الخطبة وسمع بناته وأُخته زينب كلامه بكين وندبن ولطمن الخدود وارتفعت أصواتهنّ، فوجّه إليهنّ أخاه العبّاس عليه السلام وعليّاً ابنه وقال لهما: «سكّتاهنّ فلعمري ليكثر بكاؤهنّ»[1].

فلمّا لم يبق معه سوى أهل بيته خرج عليّ بن الحسين عليه السلام(١) وكان من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خُلقاً، فاستأذن أباه في القتال، فأذن له، ثمّ نظر إليه نظرة آيس منه وأرخى عينيه بالدموع وبكى، ثمّ قال:

---

(١) كما في اللهوف ص ٤٧[2].

---

١. راجع: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٤٥ ـ ١٤٨؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ١٦٧ ـ ١٦٨؛ الدمعة الساكبة ٤: ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٦ ـ ١٦٧.

«اللهمّ اشهد، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إليه» فصاح وقال: «يابن سعد، قطع الله رحمك كما قطعت رحمي».

فتقدّم نحو القوم وقاتل قتالاً شديداً وقتل جمعاً كثيراً، ثمّ رجع إلى أبيه وقال:

يا أبة العطش قد قتلني وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوّى بها على الأعداء؟

فبكى الحسين عليه السلام وقال: «وا غوثاه يا بنيّ، من أين آتي لك بالماء؟ قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدّك محمّداً صلى الله عليه وآله فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً».

فرجع إلى موقف النزال وقاتل أعظم قتال، فرماه منقذ بن مرّة العبدي بسهم فصرعه، فنادى: يا أبتاه عليك منّي السلام، هذا جدّي يقرئك السلام ويقول لك: عجّل القدوم إلينا. ثمّ شهق شهقة فمات.

فجاء الحسين عليه السلام حتّى وقف عليه ووضع خدّه على خدّه وقال: «قتل الله قوماً قتلوك يا بنيّ، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول! على الدنيا بعدك العفا».

قال [الراوي]: وخرجت زينب بنت عليّ عليه السلام تنادي: يا حبيباه، يابن أخاه، وجاءت فانكبّت عليه، فجاء الحسين عليه السلام فأخذها وردّها إلى النساء [1].

ثمّ جعل أهل بيته يخرج منهم الرجل بعد الرجل حتّى قتل القوم منهم جماعة.

فصاح الحسين عليه السلام في تلك الحال: «صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً» [2].

---

١. راجع: تاريخ الطبري ٥: ٤٤٦ ـ ٤٤٧، حوادث سنة ٦١؛ الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٠٧ ـ ٢٠٩؛ مقاتل الطالبيّين: ٧٦ ـ ٧٧؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٦ ـ ١٠٧؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٤ ـ ٣٦؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١١٨؛ الكامل في التاريخ ٤: ٧٤، حوادث سنة ٦١؛ مثير الأحزان: ٦٨ ـ ٦٩؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٦ ـ ١٦٧.

٢. الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٠٥؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٧.

قال: وخرج غلام كأنّ وجهه شقّة قمر فجعل يقاتل، فضربه ابن فضيل الأزدي على رأسه ففلقه، فوقع الغلام لوجهه وصاح: يا عمّاه!

فجلّى الحسين عليه السلام كما يجلّي الصقر، ثمّ شدّ شدّة ليثٍ أغضب فضرب ابن فضيل بالسيف، فاتّقاها بالساعد فأطنّه من لدن المفرق، فصاح صيحة سمعه أهل العسكر، وحمل أهل الكوفة ليستنقذوه فوطأته الخيل حتّى هلك.

قال: ثمّ قام الحسينُ على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والحسين يقول: «بُعداً لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك وأبوك» ثمّ قال: «عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك صوت، والله كثر واتره وقلّ ناصره». ثمّ حمل عليه السلام الغلام على صدره حتّى ألقاه بين القتلى من أهل بيته [١].

قال [الراوي]: ولمّا رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانه وأحبّته، عزم على لقاء القوم بمهجته ونادى: «هل من ذابٍّ يذبّ عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ هل من موحّدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو الله بإغاثتنا؟ هل من معينٍ يرجو الله في إعانتنا؟».

فارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدّم إلى باب الخيمة وقال لزينب عليها السلام: «ناوليني ولدي الصغير حتّى أُودّعه» فأخذه وأومأ إليه ليقبّله، فرماه حرملة بن كاهل بسهم فوقع في نحره فذبحه. فقال لزينب: «خذيه» ثمّ تلقّى الدم بكفّيه، فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء، ثمّ قال: «هوّن عليّ ما نزل بي إنّه بعين الله تعالى».

قال الباقر عليه السلام: «فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض».

قال [الراوي]: واشتدّ العطش بالحسين عليه السلام، فركب المسنّاة يريد الفرات والعبّاس أخوه بين يديه، فاعترضته خيل ابن سعد فرمى رجل من بني دارم الحسين عليه السلام بسهم، فأثبته في حنكه الشريف فانتزع السهم وبسط يديه تحت حنكه

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٤٤٧ ـ ٤٤٨، حوادث سنة ٦١؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٧ ـ ١٠٨؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣١ ـ ٣٢؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١١٥؛ الكامل في التاريخ ٤: ٧٥، حوادث سنة ٦١.

حتّى امتلأت راحتاه من الدم، ثمّ رمى به وقال: «اللهمّ إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيّك».

ثمّ إنّهم اقتطعوا العبّاس عنه وأحاطوا به من كلّ جانب حتّى قتلوه ـ قدّس الله روحه ـ فبكى الحسين لقتله بكاء شديداً.

وفي ذلك يقول الشاعر:

أحقّ الناس أن يبكى عليه　　فتىً أبكى الحسين بكربلاءِ
أخوه وابن والده عليّ　　أبوالفضل المضرّج بالدماءِ
ومن واساه لا يثنيه شيء　　وجادله على عطش بماءِ[1]

ولمّا دخل بشير بن جذلم المدينة المنوّرة لينعى الحسين عليه السلام، التقى بأُمّ البنين ـ وهي أمّ العبّاس ـ فقال لها: عظّم الله لك الأجر بولدك عبدالله.

قالت له: أسألك عن سيّدي ومولاي الحسين.

قال لها: عظّم الله لك الأجر بولدك جعفر.

قالت له: أسألك عن سيّدي ومولاي الحسين.

قال لها: عظّم الله لك الأجر بولدك عثمان.

قالت له: أسألك عن سيّدي ومولاي الحسين.

قال لها: عظّم الله لك الأجر بولدك العبّاس.

قالت: أسألك عن سيّدي ومولاي الحسين.

فقال:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها　　قُتل الحسين فأدمعي مدرارُ
الجسم منه بكربلاء مضرّج　　والرأس منه على القناة يدارُ[2]

---

١. للمزيد راجع الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٠ ـ ١٧٠.

٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٧.

فصاحت ولطمت خدّها وشقّت جيبها ونادت: وا حسيناه، وا سيّداه! ثمّ أنشدت:

لا تـدعونّي ويكِ أمّ البنين … تـذكّريني بـليوث العـرين
كـانت بنون لي أدعى بهم … واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى … قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم … فكلّهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا … بأنّ عبّاساً قطيع اليمين

ثمّ إنّ الحسين عليه السلام دعا الناس إلى البراز فلم يزل يقتل كلّ من برز إليه حتّى قتل مقتلة عظيمة وهو في ذلك يقول:

«القتل أولى من ركوب العارِ … والعار أولى من دخول النارِ»

قال بعض الرواة: فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه، وإن كانت الرجال لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب[1].

ولقد كان يحمل فيهم وقد تكمّلوا ثلاثين ألفاً فينهزمون بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله».

قال الراوي: ولم يزل يقاتلهم حتّى حالوا بينه وبين رحله فصاح:

«ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون».

قال فناداه شمر: ما تقول يابن فاطمة؟

فقال: «أقول: إنّي أقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا

---

١. تاريخ الطبري ٥: ٧٧، حوادث سنة ٦١؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١١١؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٤.

عتاتكم وجهّالكم وطغاتكم من التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً».

فقال شمر: لك ذلك يابن فاطمة.

فقصدوه بالحرب فجعل يحمل عليهم ويحملون عليه وهو في ذلك يطلب شربة من ماء فلا يجد، حتّى أصابه اثنتان وسبعون جراحة. فوقف يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال، فبينا هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن جبهته، فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبه فقال: «بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله». ثمّ رفع رأسه وقال: «إلهي أنت تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن [بنت] نبيّ غيره».

ثمّ أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كأنّه ميزاب، فضعف عن القتال ووقف.

فكلّما أتاه رجل انصرف عنه كراهة أن يلقى الله بدمه، حتّى جاءه رجل من كندة يقال له: مالك بن النسر، فشتم الحسين عليه السلام وضربه على رأسه الشريف بالسيف، فقطع البرنس ووصل السيف إلى رأسه فامتلأ البرنس دماً.

قال الراوي: فاستدعى الحسين عليه السلام بخرقة فشدّ بها رأسه، واستدعى بقلنسوة فلبسها واعتمّ عليها، فلبثوا هنيئة، ثمّ عادوا إليه وأحاطوا به [1].

فخرج عبدالله بن الحسن بن عليّ(١) ـ وهو غلام لم يراهق ـ من عند النساء يشتدّ حتّى وقف إلى جنب الحسين عليه السلام فلحقته زينب بنت عليّ لتحبسه فأبى

(١) كما في اللهوف ص ٥١ والإرشاد للمفيد ص ٢٤١ [2].

١. راجع: الفتوح لابن أعثم ٥: ٢١٤ ـ ٢١٥؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١١١ ـ ١١٢؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٨ ـ ٣٩؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٠ ـ ١٧٦.

٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٣؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١١٠.

وامتنع امتناعاً شديداً فقال: لا والله لا أُفارق عمّي.

فأهوى بحر بن كعب ـ وقيل: حرملة بن كاهل ـ إلى الحسين عليه السلام بالسيف.

قال له الغلام: ويلك يابن الخبيثة أتقتل عمّي؟ فضربه بالسيف فاتّقاها الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة. فنادى الغلام: يا عمّاه!

فأخذه الحسين عليه السلام وضمّه إليه وقال: «يابن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير؛ فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين».

قال الراوي: فرماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمّه الحسين عليه السلام.

قال الراوي: ولمّا أُثخن الحسين عليه السلام بالجراح وبقي كالقنفذ، طعنه صالح بن وهب المري على خاصرته، فسقط الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خدّه الأيمن وهو يقول: «بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله».

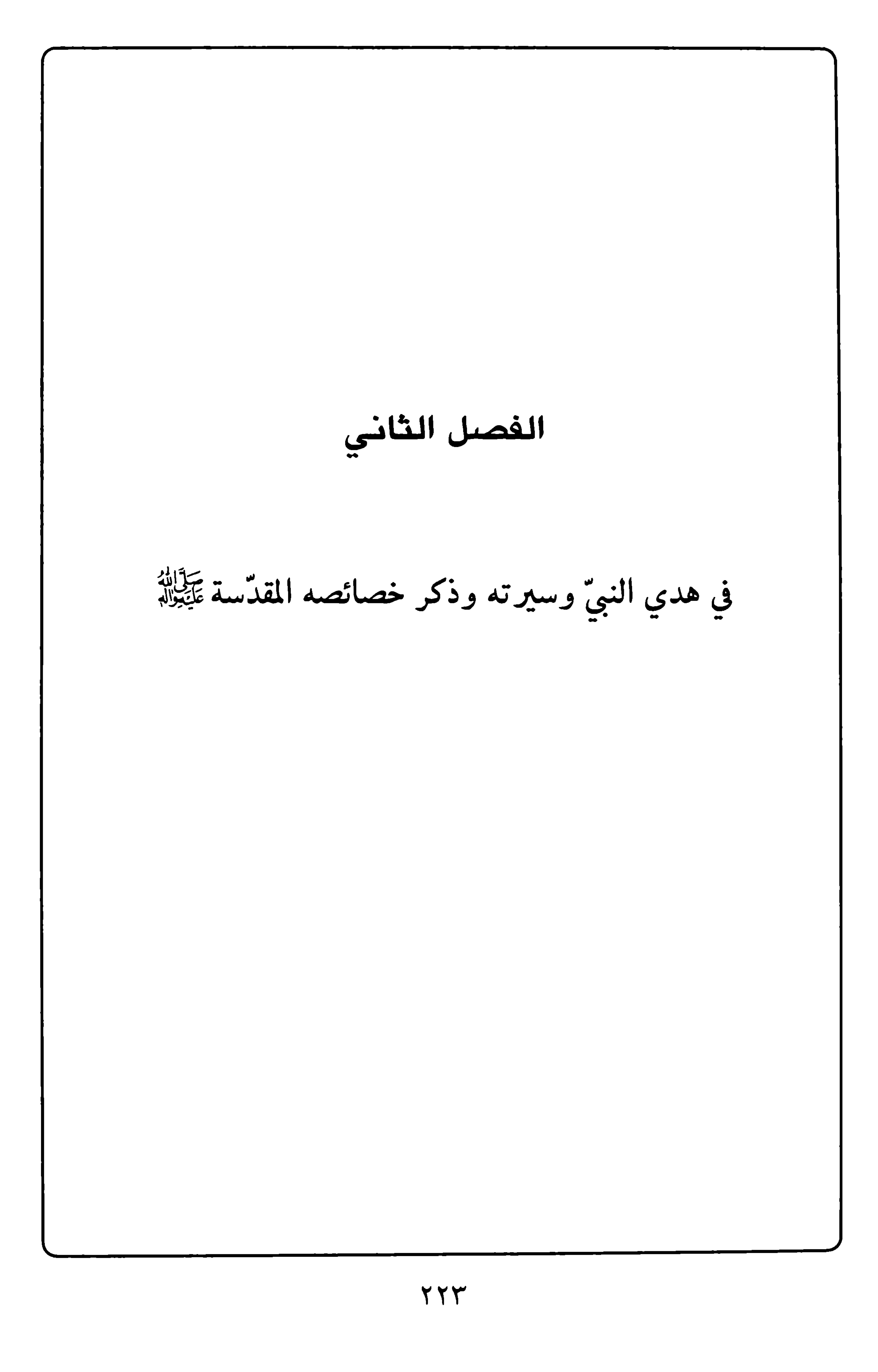
وخرجت زينب من باب الفسطاط وهي تنادي: وا أخاه، وا سيّداه، وا أهل بيتاه!، ليت السماء أُطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل[1].

وكان ما كان ممّا لست أذكره.

يا رسول الله لو عاينتهم	وهم ما بين قتلى وسبا
من رميضٍ يمنع الظلّ ومن	عاطشٍ يُسقى أنابيب القنا
جزروا جزر الأضاحي نسلَه	ثمّ ساقوا أهله سوق الإما
قتلوه بعد علمٍ منهم	أنّه خامس أصحاب الكسا
ليس هذا لرسول الله يا	أُمّة الطغيان والكفر، جزا[2]

١. راجع: مثير الأحزان: ٧٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠ ـ ١٨١.

٢. ديوان الشريف الرضيّ ١: ٤٤ ـ ٤٥؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٣٢.



الفصل الثاني

في هدي النبيّ وسيرته وذكر خصائصه المقدّسة صلى الله عليه وآله

المجلس الثالث عشر

إنّ رسول الله ﷺ قد اتّسعت أعلام نبوّته، وتواترت دلائل رسالته، ونطقت له السماوات قبل بعثته.

نوّهت باسمه السماوات والأرض   كما نوّهت بصبح ذكاها[1]

هو محمّد بن عبدالله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2].

وهو أحمد الذي بشّر به عيسى عليه السلام، وهو المصطفى والمختار والمحمود والماحي الذي يمحو الله به الذنوب، والعاقب والحاشر والمهيمن.

وكنيته: أبوالقاسم، وفي ذلك يقول الشاعر:

لله ممّن قد برا صفوة   وصفوة الخلق بنو هاشمِ

وصفوة الصفوة من هاشم   محمّد النور أبوالقاسمِ

كان مولده المبارك عام الفيل وطير الأبابيل لسبع عشرة خلون من ربيع الأوّل.

---

١. الأُزريّة في مدح النبيّ والوصيّ والآل: ٣٧.

٢. راجع: الطبقات الكبرى ١: ٥٥ ـ ٥٦؛ مروج الذهب ٢: ٢٧٢.

وقيل: يوم الثاني عشر منه. وقيل: لثمانٍ خلون منه قبل الهجرة المباركة بثلاث وخمسين سنة(١).

ولد ﷺ بمكّة المعظّمة بدار ابن يوسف التي بَنَتها بعد ذلك الخيزران ـ أُمّ الهادي والرشيد ـ مسجداً، وكان أبوه عبدالله غائباً بأرض الشام، فانصرف مريضاً فقضى نحبه بالمدينة الطيّبة والنبيّ ﷺ حملٌ [١].

أمّا أُمّه ﷺ: فإنّها آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب... [٢].

وفي السنة الأُولى من مولده رُفع إلى حليمة بنت عبدالله بن الحارث ترضعه، فكانت تقول ـ وهي تلاعبه ـ:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيّب الأردانِ

---

(١) القول الأوّل هو المشهور، وعليه أكثر علماء الإماميّة [٣]. والثاني رواه الكليني في الكافي [٤]، وعليه أكثر علماء السنّة [٥]، والثالث قال به بعض من شذّ من المخالفين [٦].

---

١. راجع: الطبقات الكبرى ١: ٩٩؛ تاريخ اليعقوبي ١: ٣٢٧؛ تاريخ الطبري ٢: ١٥٦؛ الكافي ١: ٤٣٩، بداية باب مولد النبيّ ﷺ؛ السيرة الحلبيّة ١: ١٠١ ـ ١٠٢.

٢. سيرة ابن إسحاق: ٤٢؛ السيرة النبويّة لابن هشام ١: ١٧٩؛ مروج الذهب ٢: ٢٨٠؛ الكافي ١: ٤٣٩، بداية باب مولد النبيّ ﷺ.

٣. كما في المقنعة: ٤٥٦؛ تهذيب الأحكام ٦: ٢؛ قصص الأنبياء للراوندي ٣: ٣١٦، ح ٣٩٣؛ الإقبال بالأعمال الحسنة ٣: ١٢١؛ الدرّ النظيم: ٥٨؛ بحار الأنوار ١٥: ٢٤٨، تاريخ نبيّنا ﷺ، بداية الباب ٣.

٤. الكافي ١: ٤٣٩، باب مولد النبيّ ﷺ.

٥. راجع: السيرة النبويّة لابن هشام ١: ١٨٣؛ تاريخ خليفة بن خيّاط: ٢٦ ـ ٢٧؛ تاريخ الطبري ٢: ٥٦؛ الكامل في التاريخ ١: ٤٥٨، ذكر مولد النبيّ ﷺ؛ عيون الأثر لابن سيّدان ١: ٧٩؛ السيرة النبويّة لابن كثير ١: ١٩٩؛ الوفا بأحوال المصطفى: ٨٦ ـ ٨٧.

٦. حكاه ابن هشام عن محمّد بن إسحاق في سيرته النبويّة ١: ١٨٤، وأشار إليه المجلسي في بحار الأنوار ١٥: ٢٤٩، تاريخ نبيّنا، بداية الباب ٣.

قد ساد في المهد على الغلمانِ أُعيذه بالبيت ذي الأركانِ[١]

فبقي في بني سعد إلى السنة الرابعة من مولده، وفي تلك السنة أرجعته مرضعته حليمة إلى أُمّه آمنة في مستهلّ السادسة من عمره الشريف، وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيّام[٢].

وفي السنة السابعة من مولده خرجت به أُمّه إلى أخواله تزورهم فتوفّيت بالأبواء[٣]، وقدمت به أُمّ أيمن إلى مكّة بعد خمسة أيّام من موت أُمّه[٤].

وفي السنة الثامنة من مولده توفّي جدّه شيبة الحمد ـ أعني عبد المطّلب ـ وضمّه عمّه أبوطالب إليه[٥]، وكان في حجره يؤثره على ولده ونفسه.

وخرج مع عمّه إلى الشام وله ثلاث عشرة سنة[٦]. ثمّ خرج في تجارة لخديجة بنت خويلد ومعه غلامها «ميسرة» وكان ﷺ ابن خمس وعشرين سنة، فنظر نسطور الراهب وهو في صومعته إليه وقد ظلّلته الغمامة، فقال: هذا نبيّ، وهو آخر الأنبياء وخاتم الرسل[٧]. وكان منه ما قد تواترت به

---

١. مروج الذهب ٢: ٢٨٠ ـ ٢٨١؛ الخرائج والجرائح ١: ٧١ مع قليل الاختلاف؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٥٥؛ كتاب الفضائل لابن شاذان: ٢٤؛ الأمالي للصدوق: ٢٣٦، المجلس ٤٨، ح ١، مع قليل الاختلاف.

٢. راجع: مروج الذهب ٢: ٢٨١؛ الكامل في التاريخ ١: ٤٦٢، ذكر مولد النبيّ ﷺ.

٣. راجع: السيرة النبويّة لابن هشام ١: ١٩٣؛ الكامل في التاريخ ١: ٤٦٦، مولد النبيّ ﷺ.

٤. سيرة ابن إسحاق: ٦٥؛ الطبقات الكبرى ١: ١١٦؛ مروج الذهب ٢: ٢٨١؛ صفة الصفوة ١: ٣٢؛ إعلام الورى ١: ٥٢.

٥. الخصائص الكبرى ١: ١٣٨؛ تاريخ الطبري ٢: ٢٧٧، ذكر رسول الله ﷺ وأسبابه؛ مروج الذهب ٢: ٢٨١؛ أعلام النبوّة للماوردي: ٢٣٢.

٦. مروج الذهب ٢: ٢٨١. راجع أيضاً: صفة الصفوة ١: ٣٥؛ السيرة النبويّة لابن كثير ١: ٢٤٣ ـ ٢٤٩، فيها: «وهو ابن اثنتي عشرة سنة».

٧. السيرة النبويّة لابن هشام ١: ٢٠٤ ـ ٢٠٦؛ الطبقات الكبرى ١: ١٢٩ ـ ١٣١؛ تاريخ الطبري ٢: ٢٧٧ ـ ٢٧٨، ذكر رسول الله ﷺ وأسبابه؛ مروج الذهب ٢: ٢٨١؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٢٢٣.

الأخبار، واشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار.

ولمّا هدمت الكعبة بالسيل بنتها قريش فرفعت سمكها، وتأتّى لها ما أرادت في بنيانها من الخشب الذي ابتاعوه من السفينة التي رمى بها البحر إلى ساحلهم، وكان قد بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر إلى الحبشة لتبنى هنالك له كنيسة.

وانتهت قريش إلى موضع الحجر الأسود وتنازعوا أيّهم يضعه، فاتّفقوا على تحكيم الصادق الأمين محمّد ﷺ، وكان يُعرف عندهم جميعاً بالأمين، وكانوا ـ على اختلاف مشاربهم ونزعاتهم وضغائنهم، وإعجاب كلّ قبيلة من قبائلهم بنفسها ـ مجمعين على حبّه وأمانته وعدالته في كلّ شؤونه، فحكّموه فيما تنازعوا فيه، وانقادوا إلى قضائه.

فبسط رداءه وأخذ الحجر فوضعه في وسطه، ثمّ قال لأربعة من زعماء قريش، وأهل الرئاسة فيها ـ وهم: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، والأسود بن عبد المطّلب بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ، وأبوحذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم، وقيس بن عديّ السهمي ـ: «ليأخذ كلّ واحد منكم بجنب من جنبات هذا الرداء»[١] فشالوه حتّى ارتفع ودنا من موضعه، فأخذه ﷺ ووضعه في مكانه وقريش كلّها حضور.

فقال قائل لمن حضر من قريش ـ متعجّباً من فعلهم وانقيادهم إلى أصغرهم سنّاً ـ: وا عجباً لقوم أهل شرف ورئاسة كهولاً وشيوخاً عمدوا إلى أصغرهم سنّاً فجعلوه عليهم رئيساً وحاكماً! أما واللات والعزّى ليقسمنّ بينهم حظوظاً وجدوداً، وليكوننّ له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم[٢].

---

١ و ٢. الطبقات الكبرى ١: ١٤٦ بتفاوت يسير في بعض الألفاظ؛ مروج الذهب ٢: ٢٧٨.

وكان أبوطالب حاضراً، فلمّا سمع هذا الكلام أنشأ يقول:

إنّ لنـــا أوّله وآخــرهْ في الحَكم العدل لن ينكرهْ[١]

قاتل الله أهل العناد ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَافِرِينَ﴾[٢] كذّبوه وأنّهم ليعلمونه الصادق الأمين، وأنكروا نبوّته وهم منها على يقين ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[٣] ثمّ لم يألوا جهداً، ولم يدّخروا وسعاً في إطفاء نور الله من مشكاته ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾[٤].

ظلموه وشتموه وأجلوه عن حرم الله ـ عزّ وجلّ ـ مسقط رأسه، ومحلّ أُنسه. ثمّ لم يكتفوا بما كان منهم في مكّة المعظّمة من فضائع وفجائع وأُمور تستكّ منها المسامع، حتّى غزوه وهو في دار هجرته ومحلّ غربته، فكانت حروب تشيب الأطفال وتميد بها الجبال، لكنّها ـ والحمد لله ـ طحنتهم بكلكلها، وقرت الكلاب أشلاءهم. ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[٥].

بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله. بأبي أنت وأُمّي يا نبيّ الرحمة. كم أسديت لهذه الأُمّة من نعمة، وكم لك عليها من يد بيضاء تستوجب الشكر والثناء!

وحين فتحت مكّة بعد أن أجلوك عنها، وكان من أبي سفيان ما كان من التحريض على قتلك ومحاربتك، فأمرت مناديك ينادي: «من دخل دار أبي سفيان

---

١. راجع: الطبقات الكبرى ١: ١٤٧؛ تاريخ الطبري ٢: ٢٩٠، ذكر باقي الخبر عن الكائن من أمر رسول الله ﷺ؛ الكامل في التاريخ ٢: ٤٥، ذكرهم قريش الكعبة وبنائها.

٢. البقرة (٢): ٨٩.

٣. النمل (٢٧): ١٤.

٤. التوبة (٩): ٣٢.

٥. الأحزاب (٣٣): ٢٥.

فهو آمن »[١]. ثمّ يتمّ على ولدك وسبطك وريحانتك ما تمّ.

ملكنا فكان العفو منّا سجيّة فلمّا ملكتم سال بالدم أبطحُ
وحلّلتم قتل الأُسارى وطالما نمرّ على الأسرى فنعفو ونصفحُ
وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكلّ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ[٢]

قال عبدالله بن العبّاس رضي الله عنه: إنّه لمّا اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه وقد ضمّ الحسين إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه ويقول: «ما لي وليزيد لا بارك الله فيه، اللهمّ العن يزيد» ثمّ غشي عليه طويلاً وأفاق وجعل يقبّل الحسين عليه السلام وعينان تذرفان ويقول: «أما أنّ لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عزّ وجلّ»[٣].

وقال ابن عبّاس أيضاً: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً إذ أقبل الحسن عليه السلام فلمّا رآه بكى وقال له: «إليّ إليّ» فأجلسه على فخذه اليمنى. ثمّ أقبل الحسين عليه السلام فلمّا رآه بكى وقال له: «إليّ إليّ» فأجلسه على فخذه اليسرى. ثمّ أقبلت فاطمة عليها السلام فلمّا رآها بكى فقال لها: «إليّ إليّ» فأجلسها بين يديه. ثمّ أقبل عليّ عليه السلام فرآه وقال له: «إليّ إليّ» وأجلسه إلى جانبه الأيمن.

فقال له أصحابه: يا رسول الله ما ترى واحداً من هؤلاء إلّا وبكيت أوَما فيهم من تسرّ برؤيته؟

فقال: «والذي بعثني بالنبوّة واصطفاني على جميع البريّة، ما على وجه الأرض نسمة أحبّ إليّ منهم، وإنّما بكيت لما يحلّ بهم بعدي، وما يصنع بهذا ولدي

---

١. راجع: السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ٤٤؛ تاريخ الطبري ٣: ٥٤ و٥٥، حوادث سنة ٨؛ البداية والنهاية ٢: ٣٣٢ و٣٣٣ و٣٣٤، حوادث سنة ٨.

٢. راجع: وفيات الأعيان ٢: ٣٦٤ ـ ٣٦٥، الرقم ٢٥٨؛ الكنى والألقاب ١: ٣٣٨.

٣. مثير الأحزان: ٢٢؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣١، ح ٢٤.

الحسين، كأنّي به وقد استجار بحرمي وقبري فلا يجار، ثمّ يرتحل إلى أرض مقتله ومصرعه أرض كرب وبلاء، تنصره عصابة من المسلمين أُولئك سادة شهداء أُمّتي يوم القيامة، فكأنّي أنظر إليه وقد رمي بسهم فخرّ عن فرسه صريعاً، ثمّ يذبح كما يذبح الكبش مظلوماً».

ثمّ انتحب ﷺ وبكى وأبكى من حوله وارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثمّ قام وهو يقول: «اللهمّ إنّي أشكو إليك ما يلقى أهل بيتي بعدي»[1].

والمسلمون بمنظر وبمسمعٍ لا منكر منهم ولا متفجّعُ
كحلت بمنظرك العيون عماية وأصمّ رزؤك كلّ أُذن تسمعُ
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى وأنمت عيناً لم تكن بك تهجعُ[2]

١. الأمالي للصدوق: ٩٩، المجلس ٢٤، ح ٢؛ بحار الأنوار ٢٨: ٣٧، كتاب الفتن والمحن، الباب ٢، ح ١.
٢. مناقب آل أبي طالب ٤: ١٣٧؛ معجم الأُدباء ١١: ١١٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠٣.

المجلس الرابع عشر

ولد رسول الله ﷺ ـ أعلى الأنبياء قدراً، وأرفع الرسل في الملأ الأعلى ذكراً، الذي بشّرت الرسل بظهوره، وخلقت الأنوار بعد نوره ـ يوم السابع عشر من ربيع الأوّل. وقيل: يوم الثاني عشر منه، بمكّة المشرّفة في شعب أبي طالب يوم الجمعة بعد الزوال، أو عند الفجر، عام الفيل وطير الأبابيل[1].

وهو أبوالقاسم محمّد المصطفى بن عبدالله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان...[2].

وأُمّه آمنة بنت وهب[3].

وأزواجه خمس عشرة[4]. وفي المبسوط:

> ثماني عشرة: سبع من قريش، وواحدة من حلفائهم، وتسع من سائر القبائل، وواحدة من بني إسرائيل بن هارون بن عمران. واتّخذ من الإماء ثلاثة: عجميّتين، وعربيّة[5].

---

١ ـ ٣. تقدّم تخريجها في بداية المجلس الثالث عشر فراجع.

٤. راجع: مروج الذهب ٢: ٢٩٠؛ الكامل في التاريخ ٢: ٣٠٧، ذكر عدد أزواج النبيّ....

٥. المبسوط للشيخ الطوسي ٤: ٢٧٠، حكاه عن أبي عبيدة معمّر بن المثنّى.

وله من الأولاد من خديجة: القاسم، ورقيّة، وزينب، وأُمّ كلثوم ـ وفي رقيّة وزينب خلاف[١] ـ وبعد المبعث ولد من خديجة: الطيّب، والطاهر، وسيّدة نساء العالمين[٢]. وله ولد أيضاً من مارية القبطيّة اسمه إبراهيم[٣].

ونزل عليه الوحي ﷺ وتحمّل أعباء الرسالة يوم السابع والعشرين من رجب وهو ابن أربعين سنة...[٤].

واصطفاه ربّه بالمدينة مسموماً يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشر من الهجرة المباركة، وله ثلاث وستّون سنة، ودفن في حجرته المنوّرة[٥].

ومات أبوه و هو ابن شهرين. وقيل: سنتان وأربع أشهر[٦]. وقيل: مات وهو حمل[٧].

وماتت أُمّه في الأبواء[٨].

وكان ﷺ كما وصفه ولده باقر علوم الأوّلين والآخرين عليه السلام: «أبيض اللون مشرَباً بحمرة، أدعج العينين، مقرون الحاجبين، عظيم المنكبين، إذا التفت التفت جميعاً، سائل الأطراف، كأنّ عنقه إبريق فضّة، وإذا تكفّأ كأنّه إلى منحدر، لم ير

---

١. راجع مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٦و٢٠٩.

٢. للمزيد راجع: سيرة ابن إسحاق: ٢٤٥؛ تاريخ الطبري ٢: ٢٨١، ذكر تزويج النبيّ ﷺ؛ الذرّيّة الطاهرة: ٦٦ ـ ٦٩؛ الكامل في التاريخ ٢: ٤٠، ذكر نكاح النبيّ ﷺ، و٣٠٧، ذكر عدد أزواج النبيّ...؛ إعلام الورى ١: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

٣. سيرة ابن إسحاق: ٢٧٠؛ السيرة النبويّة لابن هشام ١: ٢١٦؛ الطبقات الكبرى ١: ١٣٤ ـ ١٤٤؛ الذرّيّة الطاهرة: ٦٦؛ الإرشاد للمفيد ١: ١٢٠ ـ ١٤٧؛ الكامل في التاريخ ٢: ٣١١، ذكر عدد أزواج النبيّ ﷺ... .

٤. صفه الصفوة ١: ٣٩.

٥. راجع تهذيب الأحكام ٦: ٢، كتاب المزار، باب نسب رسول الله ﷺ و... .

٦. مروج الذهب ٢: ٢٨٠؛ عيون الأثر لابن سيّدان ١: ٧٨.

٧. الوفا بأحوال المصطفى: ٨٦.

٨. السيرة النبويّة لابن هشام ١: ١٩٣؛ السيرة النبويّة لابن كثير ١: ٢٣٥.

الراؤون مثل نبيّ الله قبله ولا بعده»[١].

وأمّا معاجزه الباهرة وآياته الظاهرة، فقد قصرت عن حصرها الحُسّاب، وكلّت عن سطرها الكُتّاب، كانشقاق القمر، وتظليل الغمام، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى، وتكليم الموتى، ومخاطبة البهائم، وإثمار يابس الشجر، وغرس الأشجار وإثمارها على الفور، وقصّة الغزالة مع خشفيها، وخروج الماء من بين أصابعه، وانتقال النخلة بأمره، وإخبار الذراع له بالسمّ، والنصر بالرعب، ونوم عينيه دون قلبه، وعدم طول قامة أحد على قامته، وإكثار اللبن من شاة أُمّ معبد، ورؤيته من خلفه كما يرى من أمامه، وإطعامه من القليل الجمّ الغفير، وطيّ البعيد له، وشفاء الأرمد إن تفل في عينيه، وقصّة الأسد، ونزول المطر بدعائه، ودعائه على سراقة فساخت به الأرض، وإخباره بالمغيبات، كإنبائه عن العترة الطاهرة واحداً بعد واحد، وما يجري عليهم من الأعداء في أرض كربلاء[٢].

ففي البحار وغيره: لمّا ولدت فاطمة الحسين عليه السلام جاء النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «هلمّي إليّ بابني يا أسماء». قالت: فدفعته إليه في خرقة بيضاء، ففعل به كما فعل بالحسن يوم ولادته وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: «إنّه سيكون لك حديث، اللهمّ العن قاتله، لا تعلمي فاطمة بذلك».

قالت أسماء: فلمّا كان يوم سابعه جاء النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «هلمّي بابني» فأتيته به، ففعل به كما فعل بالحسن عليه السلام، وعقّ عنه كبشاً أملحاً، وحلق رأسه وتصدّق

---

١. الكافي ١: ٤٤٣، كتاب الحجّة، باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله، ح ١٤؛ بحار الأنوار ١٦: ١٨٩، تاريخ نبيّنا صلى الله عليه وآله، الباب ٨، ح٢٦.

٢. راجع: سيرة ابن إسحاق: ٢٧٧ ـ ٢٨٣؛ أعلام النبوّة للماوردي: ١٤٧ ـ ١٩٧؛ أعلام النبوّة للبيهقي ٦: ٤٤٢ ـ ٤٤٥؛ شمائل الرسول: ٣٨٥ ـ ٥٣٠؛ البداية والنهاية ٦: ٨٢ومابعدها؛ الخصائص الكبرى للسيوطي ٢: ٩٤ ـ ١٢٦.

بوزن شعره ورِقاً، ثمّ وضعه في حجره، وخلّق رأسه بالخلوق، ثمّ قال: «يا أباعبدالله عزّ عليّ» ثمّ بكى[1].

أقول: كأنّ رسول الله ﷺ ذكر حين خلّق رأس الحسين عليه السلام بالخلوق أنّ هذا الرأس يهدى إلى يزيد ـ لحاه الله ـ على رمح طويل من العراق إلى الشام مع سبعة عشر رأساً من العترة الطاهرة، تشرق أنوارها على أطراف الرماح كأنّها الأقمار الزاهرة، وجسومهم منبوذة بالعراء، لا مغسّلين ولا مكفّنين، ولا مدفونين، تصهرهم الشمس، وبالعزيز عليك يا رسول الله أن يبقى سبطك وريحانتك عاري اللباس.

قطيع الرأس منخمد الأنفا س في جندل كالجمر مضطرمِ
ثوى ثلاث ليالٍ بالعراء بلا غسل ولا كفن لله من حكمِ

وكريمتك يا رسول الله تناديك بصوت حزين، وقلب كئيب: يا رسول الله، يا جدّاه، صلّى عليك مليك السماء، هذا حسينك بالعراء، تسفى عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا. يا حزناه، يا كرباه! اليوم مات جدّي رسول الله ﷺ. يا أصحاب محمّداه، هذه ذرّيّة المصطفى يساقون سوق السبايا، يا محمّداه بناتك سبايا، وذرّيّتك مقتّلة، وهذا حسينك مقطوع الرأس من القفا.

نادت فقطّعت القلوب بشجوها لكنّما انتظم البيان فريدا
إنسان عيني يا حسين أُخيّ يا أملي وعقد جماني المنضودا[2]

---

١. عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥، الباب ٣١، ح ٥، بتفاوت يسير؛ بحار الأنوار ٤٣: ٢٣٨، تاريخ الإمامين ...، الباب ١١، ح ٤.

٢. الأبيات للشيخ هاشم الكعبي.

المجلس الخامس عشر*

روى المحدّثون من طرق شتّى: أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم عليه السلام، ألهمه أنّه قال: يا ربّ، لما كنّيتني أبامحمّد؟ قال الله تعالى: يا آدم، ارفع رأسك، فرأى نور محمّد صلى الله عليه وآله في سرادق العرش، فقال: يا ربّ، ما هذا النور؟ قال: هذا نور نبيّ من ذرّيّتك، اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمّد صلى الله عليه وآله، لولاه ما خلقتك، ولا خلقت سماءً ولا أرضاً[1].

وروى الحاكم في صحيحه: أنّ آدم رأى اسم محمّد صلى الله عليه وآله مكتوباً على العرش، وأنّ الله تعالى قال لآدم: «لولا محمّد ما خلقتك»[2].

وفي المواهب: أنّ آدم رأى مكتوباً على ساق العرش، وعلى كلّ موضع في الجنّة ـ من قصر وغرفة، والحور العين، وورق شجرة طوبى، وورق سدرة المنتهى، وأطراف الحجب، وبين أعين الملائكة ـ اسمَ محمّد صلى الله عليه وآله مقروناً باسم الله تعالى،

---

*. هذا المجلس وبعض المجالس التالية التي نشير إليها وجدناها في «المجالس الفاخرة» طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة للإمام الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه».

١. المواهب اللدنيّة ١: ٩، المقصد الأوّل.

٢. المستدرك على الصحيحين ٣: ٥١٧، ح ٤٢٨٦.

وهو لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله ﷺ، فقال آدم: يا ربّ، هذا محمّد من هو؟ فقال الله له: هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك، فقال: يا ربّ، بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد. فنودي: يا آدم، لو تشفّعت إلينا بمحمّد ﷺ في أهل السماء والأرض، لشفّعناك[1].

وعن عمر بن الخطّاب، قال رسول الله ﷺ: «لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ، أسألك بحقّ محمّد رسولك ﷺ إلّا غفرت لي، فقال الله تعالى: وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: يا ربّ، لأنّك لمّا خلقتني رفعتُ رأسي، فرأيت مكتوباً على قوائم العرش: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، فعلمت أنّك لم تُضِف إلى اسمك إلّا أحبَّ الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، إنّه لأحبّ الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقّه، فقد غفرت لك؛ ولولاه ما خلقتك». ورواه البيهقي في دلائله[2].

وروى أبوالشيخ والحاكم عن ابن عبّاس مرفوعاً: «أوحى الله تعالى إلى عيسى: آمِن بمحمّد ﷺ، ومُر اُمّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمّد ما خلقت آدم، ولا الجنّة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله ﷺ»[3].

وروى الديلمي عن ابن عبّاس مرفوعاً: «أتاني جبرئيل، فقال: إنّ الله تعالى

---

١. المواهب اللدنيّة ١: ١٢، المقصد الأوّل، ما بين الخطّين ليس في المصدر.

٢. دلائل النبوّة للبيهقي ٥: ٤٨٩. للمزيد راجع أيضاً: المستدرك على الصحيحين ٣: ٥١٧، ح ٤٢٨٦؛ كنز العمّال ١١: ٤٥٥، ح ٣٢١٣٨.

٣. طبقات المحدّثين بإصبهان ٢: ٢٨٧، الرقم ٣٦٢، ح ٤٩٤؛ المستدرك على الصحيحين ٣: ٥١٦، ح ٤٢٨٤. راجع أيضاً: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٣، الفصل ١، ح ١٢؛ قصص الأنبياء للراوندي ١: ٥١، ح ٢٥؛ سبل الهدى والرشاد ١: ٩٤، الباب الثاني.

يقول: لولاك ما خلقت النار»[١].

وروى ابن سبع عن عليّ عليه السلام: «إنّ الله قال لنبيّه: من أجلك أسطح البطحاء، وأُموج الموج، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب»[٢].

ولله درّ من قال:

وكان لذي الفردوس آدم في الصبا ... وأثواب شمل الإنس محكمة السدى
يشاهد في عدن ضياءً مشعشعاً ... يزيد على الأنوار في الضوء والهدى
فقال: إلهي ما الضياء الذي أرى ... جنود السماء تعشوا إليه تردّدا
فقال: نبيّ خيرُ مَن وطئ الثرى ... وأفضلُ مَن في الخير قد راح واغتدى
تخيّرته من قبل خلقك سيّداً ... وألبسته من قبل خلقك سؤددا
وأعددته يوم القيامة شافعاً ... مطاعاً إذا ما الغير حاد وحيّدا
فيشفع في إنقاذ كلّ موحّد ... ويُدخله جنّاتِ عدنٍ مخلّدا
وإنّ له أسماء سمّيته بها ... ولكنّني أحببت منها محمّدا
فقال: إلهي امنن عليّ بتوبة ... تكون على غسل الخطيئة مسعّدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التي ... خصصتُ بها دون الخليقة أحمدا
أقِلْني عثاري يا إلهي فإنّ لي ... عدوّاً لعيناً جار في القصد واعتدى
فتاب عليه ربّه وحماه من ... جناية ما أخطاه لا متعمّدا[٣]

وعن ابن عبّاس: «إنّ الله تعالى خلق حوّاء من ضلع آدم الأيسر وهو نائم، فلمّا

---

١. راجع: سبل الهدى والرشاد ١: ٩٤، الباب الثاني؛ كنز العمّال ١١: ٤٣١، ح ٣٢٠٢٥؛ ينابيع المودّة ٢: ٣٣٧، ح ٩٨١.

٢. حكاه عنه الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد ١: ٩٤، الباب الثاني.

٣. حكى بعضها الصالحي الشامي ونسبها إلى صالح بن الحسين الشافعي. راجع: سبل الهدى والرشاد ١: ٩١، الباب الأوّل؛ والمواهب اللدنّيّة ١: ٩، المقصد الأوّل.

استيقظ ورآها، سكن ومال إليها، فمدّ يده إليها، فقالت الملائكة: مه يا آدم، فقال: ولِمَ وقد خلقها الله لي؟ فقالوا: حتّى تؤدّي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: أن تصلّي على محمّد وآل محمّد ثلاث مرّات»[١].

وروى ابن عساكر عن سلمان الفارسي ـ سلام الله عليه ـ قال: هبط جبرئيل على النبيّ ﷺ فقال: «إنّ ربّك يقول لك: إن كنتُ اتّخذتُ إبراهيم خليلاً، فقد اتّخذتُك حبيباً، وما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها عن فهم كرامتك ومنزلتك عندي»[٢].

ولله درّ من قال:

سكن الفؤاد فعِشْ هنيئاً يا جسده	ذاك النعيم هو المقيم إلى الأبد
أصبحتَ في كنف الحبيب ومَن يكن	جارَ الحبيب فعيشه عيش رغد
عش في أمان الله تحت لوائه	لا خوف في هذا اللواء ولا نكد
لا تخشَ مِن فقرٍ وعندك بيتُ مَن	كلُّ المُنى لك من يديه مدد
ربّ الكمال ومرسل الجدوى ومَن	هو في المحاسن كلّها فرداً أحد
قطب النهى، غوث العوالم كلّها	أعلى عليّ وهو أحمد من حمد
روح الوجود حياة مَن لولاه	ما تمّ الوجود لمن وجد
عيسى وكلّ الأنبياء جميعهم	هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره	في وجه آدم كان قسراً قد سجد
أو لو رأى النمرود نور جماله	عبد الجليل مع الجليل وما جحد

١. لم نعثر على نصّه. للمزيد راجع من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٢٦، ح ٥٧٠٤، ولاحظ أيضاً ما ذكره الصدوق ذيل هذه الرواية.

٢. حكاه عنه السيوطي في الخصائص الكبرى ٢: ٣٣٠، والصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد ١: ٩٤، الباب الثالث في خلق آدم و....

لكـن جـمال الله جـلّ فـلا يُـرى إلّا بـتخصيص مـن الله الصـمد[١]

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه: لمّا نفخ في آدم الروح، صار نور محمّد صلى الله عليه وآله يلمع من جبهته كالشمس، لكن إبليس لم يبصر ذلك؛ لخذلانه. ولمّا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، كان استقبالهم لذلك النور، فالمسجود له حقيقةً هو الله تعالى، وآدم كالقبلة، وتلك القبلة ليس المقصود منها إلّا النور المحمّدي الذي في جبهة آدم عليه السلام.

ولمّا حملت حوّاء بشيث انتقل النور إليها، فلمّا وضعت شيثاً ظهر النور في جبهته، وكان هو وصيَّ آدم عليه السلام، وأوصاه أن لا يضع ذلك النور إلّا في المطهّرات من النساء، ولم تزل هذه الوصيّة جاريةً بينهم تنتقل من قرن إلى قرن إلى أن وصل ذلك النور إلى صلب عبد المطّلب، وانقسم نصفين: نصف في عبدالله، ونصف في أبي طالب عليه السلام، نور الإمامة والوصاية[٢].

وطهّر الله هذا النسب الشريف من أرجاس الجاهليّة، ومدلهمّات ثيابها، وقد انتقل هذا النور الساطع إلى أبي الأئمّة وشهيد هذه الأُمّة، إرثاً من جدّه سيّد الأنبياء وأبيه سيّد الأوصياء، وقد وقف عليه بعض أعدائه وهو صريع على الرمضاء شلواً مزمّلاً بالدماء.

قال [هلال بن نافع]:

وقفت على الحسين وأنّه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلاً قطّ مضمّخاً بدمه أحسنَ، ولا أنورَ منه وجهاً، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيبته عن الفكرة في قتله، فاستسقى في تلك الحال ماء، فسمعت رجلاً يقول: لا تذوق الماء حتّى ترد

---

١. راجع: المواهب اللدنّيّة ١: ١٢، المقصد الأوّل؛ سبل الهدى والرشاد ١: ٩٥، الباب الثالث.

٢. أُنظر بحار الأنوار ١٥: ٣٤، تاريخ نبيّنا صلى الله عليه وآله، الباب ١، ح ٤٨؛ و٢٥: ٣ ـ ٤، كتاب الإمامة، الباب ١، ح ٥.

الحامية فتشرب من حميمها !!! فأسمعه يقول:

«أنا أرد الحامية، فأشرب من حميمها؟ بل أرد على جدّي رسول الله ﷺ، وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشرب من ماءٍ غير آسن، وأشكو الله ما ارتكبتم منّي وفعلتم بي».

قال: فغضبوا بأجمعهم حتّى كأنّ الله لم يجعل في قلب أحد منهم من الرحمة شيئاً، فاحتزّوا رأسه وأنّه ليكلّمهم، فتعجّبت من قلّة رحمتهم، وقلت: والله لا أجامعكم على أمرٍ أبداً[1].

يا قتيلاً قوّض الدهر به	عمد الدين وأركان الهدى
وا صريعاً عالج الموت بلا	شدّ لَحْيَين ولا مدّ ردا
قتلوه بعد علمٍ منهم	أنّه خامس أصحاب الكسا[2]

١. مثير الأحزان: ٧٥؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٧؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٢. ديوان الشريف الرضي ١: ٤٤ بتفاوت يسير في بعض الألفاظ.

المجلس السادس عشر*

قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله وسلامه عليه، وعلى أبنائه المعصومين ـ: «ما صافح رسول الله ﷺ أحد قطّ، فنزع يده من يده حتّى يكون هو الذي ينزع يده، وما فاوضه أحد قطّ في حاجة وحديث، فانصرف [حتّى يكون الرجل هو الذي ينصرف؛ وما نازعه الحديث][1] حتّى يكون هو الذي يسكت، وما رئى مقدِّماً رجلَه بين يدي جليس قطّ، ولا خِير بين أمرين إلّا أخذ بأيسرهما؛ وما انتصر لنفسه من مظلمة حتّى تنهتكَ محارم الله، فيكون حينئذٍ غضبه لله تبارك وتعالى، وما أكل متّكئاً قطّ حتّى فارق الدنيا، وما سئل شيئاً قطّ فقال: لا، وما ردّ سائلَ حاجةٍ إلّا بها أو بميسور من القول، [وكان أخفّ الناس صلاة في تمام، وكان أقصر الناس خطبةً، وأقلّه هذراً]، وكان يُعرَف بالطيب إذا أقبل، وكان إذا أكل مع القوم أوّل من يبدأ، وآخِرَ من يرفع [يده][2]، وإذا أكل أكل ممّا يليه، فإذا كان الرطب والتمر جالت يده، وإذا شرب [شرب] ثلاثة أنفاس، [وكان] يمصّ الماء مصّاً،

---

* . هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة سيّدنا ومولانا الحجّة سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه ...».

١ و ٢. أضفناهما من المصدر.

ولا يعبّه عبّاً، وكان يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وإعطائه، [كان لا يأخذه إلّا بيمينه، ولا يعطي إلّا بيمينه، وكان شماله لما سوى ذلك من بدنه]، يحبّ التيمّن في كلّ أُموره: في لبسه وتنعّله وترجّله، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، [وإذا تكلّم تكلّم وتراً، وإذا استأذن استأذن ثلاثاً]، وكان كلامه فصلاً يتبيّنه كلّ من سمعه، وإذا تكلّم رئى كالنور يخرج من بين ثناياه، وإذا رأيته قلت: أفلجُ الثنيّتين [وليس بأفلج][1]، وكان نظره اللحظَ بعينه، وكان لا يكلّم أحداً بشيء [يكرهه][2]، وكان إذا مشى كأنّما ينحطّ من صَبَب، وكان يقول: إنّ خياركم أحسنكم أخلاقاً، وكان لا يذمّ ذواقاً ولا يمدحه، ولا يتنازع أصحابه بالحديث عنده، وكان المحدّث عنه يقول: لم أرَ مثله قبله ولا بعده»[3].

وقال أبوعبدالله الصادق عليه السلام: «إنّ رسول الله ﷺ إذا رئي في الليلة الظلماء رئي له نور»[4].

«وقد نزل عليه[5] الروح الأمين، فقال له: إنّ الله ـ جلّ جلاله ـ يقرئك السلام، ويقول لك: هذه بطحاء مكّة، إن شئت أن تكون لك ذهباً وفضّة، فنظر النبيّ ﷺ إلى السماء ثلاثاً، ثمّ قال: يا ربّ لا، ولكن أشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك»[6].

وعن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: لست أدع ركوب الحمار مُؤَكَّفاً،

---

١ و٢. أضفناهما من المصدر.

٣. مكارم الأخلاق ١: ٦١ ـ ٦٢، ح ٥٥؛ بحار الأنوار ١٦: ٢٣٦، تاريخ نبيّنا ﷺ، الباب ٩، ح ٣٥.

٤. الكافي ١: ٤٤٦، باب مولد النبيّ ﷺ ووفاته، ح ٢٠؛ مكارم الأخلاق ١: ٦٢، ح ٥٦.

٥. أي رسول الله ﷺ.

٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٣، الباب ٣١، ح ٣٦ بتفاوت في بعض الألفاظ؛ مكارم الأخلاق ١: ٦٢ ـ ٦٣، ح ٥٧. فيه: «نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: إنّ الله جلّ جلاله يقرئك السلام ويقول لك: هذه بطحاء مكّة تكون لك رضراضه ذهباً. قال: فنظر النبيّ ﷺ إلى السماء ثلاثاً ثمّ قال: لا يا ربّ...».

والأكلَ على الحضيض مع العبيد، ومناولةَ السائل بيدي»[١].

وعن ثابت عن أنس بن مالك، قال: إنّ رسول الله ﷺ كان أزهر اللون، وإذا مشى تكفّأ[٢]، وما شممت رائحة مسك ولا غيرِه أطيبَ من رائحته، ولا مسست ديباجاً ولا حريراً ألينَ من كفّه.

وعن جرير بن عبدالله قال: لمّا بُعث النبيّ ﷺ، أتيته، فقال لي: «يا جرير، لأيّ شيء جئت؟» قلت: لأُسلم على يديك، فألقى لي كساءه لأجلس عليه، وقال لأصحابه: «إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموه»[٣].

قاتل يزيد بن معاوية ما أفظّه وأكفره، أيّ كريم أكرم من زين العابدين وسيّد الساجدين وأبي الثمانية الميامين ابن رسول الله ﷺ؟ ما أكرمه عدوّ الله يزيد ـ لعنه الله ـ حيث أوقفه بين يديه مكشوفَ الرأس، حافيَ القدمين، والجامعةُ في عنقه، والغلّ في يديه، والقيد في رجليه، ورأس الحسين، عدوّ الله ينكث ثناياه بمخصرته، هو تارة يقول: أسرع الشيب في عارضيك أباعبدالله[٤]، وتارة يقول:

لعبت هاشم بالمُلك فلا خبرٌ جاء ولا وحي نزل[٥]

---

١. الطبقات الكبرى ١: ٤١٣؛ مكارم الأخلاق ١: ٦٣، ح ٦١. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ٤: ٤٥٣، ح ١٣٣٧٣، والبخاري في صحيحه ٣: ١٣٠٦، ح ٣٣٦٨، والترمذي في الجامع الصحيح ٤: ٣٦٨ ـ ٣٦٩، ح ٢٠١٥ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٢. التكفّي: التمايل إلى قدّام. كما تتكفّأ السفينة في جريها. لسان العرب ١: ١٤١ ـ ١٤٢، «ك. ف. أ».

٣. المعجم الكبير ٢: ٣٠٤، ح ٢٢٦٦؛ المعجم الصغير ٢: ١٢؛ السنن الكبرى للبيهقي ٨: ٢٩١، ح ١٦٦٨٧؛ مكارم الأخلاق ١: ٦٤، ح ٦٢؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٨: ٣٦، ح ١٢٦٢١؛ كنز العمّال ١٣: ٣٢٧، ح ٣٦٩٢٦.

٤. الأمالي للصدوق: ١٤٠، المجلس ٣١، ح ٣؛ بحار الأنوار ٤٥: ١٥٤، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه السلام، الباب ٣٩.

٥. راجع: الاحتجاج: ٣٠٧، احتجاج زينب بنت عليّ بن أبي طالب...؛ روضة الواعظين ١: ٤٣٣؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٥؛ تذكرة الخواصّ: ٢٣٥.

ولا أكرم آل رسول الله؛ إذ أقامهم على درج المسجد حيث يقام السبايا وفيهم عليّ بن الحسين، وهو يومئذٍ شابّ، فأتاهم شيخ من أهل الشام، فقال لهم: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وقطع قرن الفتنة، ولم يألُ عن شتمهم.

فلمّا انقضى كلامه، قال له الإمام عليّ بن الحسين: «أما قرأت كتاب الله عزّ وجلّ؟»

قال: نعم.

[قال:] «أما قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبىٰ﴾[1]؟».

قال: بلى.

قال: «فنحن أُولئك، أما قرأت: ﴿وَآتِ ذَا القُرْبىٰ حَقَّهُ﴾[2]؟».

قال: بلى.

قال: «فنحن هم، فهل قرأت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3]؟».

قال: نعم.

قال: «فنحن هم».

فرفع الشامي يده إلى السماء وقال: اللهمَّ إنّي أتوب إليك، ثلاث مرّات، اللهمَّ إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد ومن قتلة أهل بيته[4].

يا رسول الله لو عاينتهم ... وهم ما بين قتل وسبا
لرأت عيناك فيهم منظراً ... للحشا شجواً وللعين قذا[5]

---

١. الشورى (٤٢): ٢٣.

٢. الإسراء (١٧): ٢٦.

٣. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٤. الأمالي للصدوق: ١٤١، المجلس ٣١، ح ٣؛ الاحتجاج: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، احتجاج عليّ بن الحسين عليه السلام بالشام... بنقيصة؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١١ ـ ٢١٢.

٥. ديوان الشريف الرضي ١: ٤٤ و ٤٥.

المجلس السابع عشر

روي عن الحسن ـ سلام الله عليه ـ قال:

«سألت خالي هند بن [أبي] هالة ـ وكان وصّافاً ـ عن حلية النبيّ ﷺ فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخّماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذّب، عظيم الهامة، رَجِلَ الشعر، أزهر اللون، واسع الجبين، أزجّ الحواجب، بينهما عرقٌ يُدرّه الغضب، أقنَى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من [لم] يتأمّله أشَمَّ، كثّ اللحية، سهل الخدّين، أدعج العينين، ضليع الفم أشنب، مفلّج الأسنان، دقيق المسربة، كأنّ عنقه جيد دُميَة في صفاء الفِضّة، معتدل الخلق، بادناً متماسكاً، سواء البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور [المتجرّد]، موصول ما بين الصدر والسرّة بشعر يجري كالخطّ، عاري الثديين والبطن ممّا سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفّين والقدمين[1]، سائل الأطراف، مسيح الزندين،

---

(١) شثن وشثل بمعنى، يقال: شثنت أصابعه أي: خشنت وغلظت. وقدم شثنة: غليظة اللحم[1].

---

١. الصحاح ٤: ٢١٤٢، «ش. ث. ن».

يخطو تكفّئاً، ويمشي هوينا، سريع المشي إذا مشى كأنّما ينحطّ عن صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض، يبدر من لقيه بالسلام. وكان متواصل الأحزان، دائم الفكرة، لا يتكلّم في غير حاجة، طويل السكوت يتكلّم بجوامع الكلم، ليس بالجافي ولا المهين، يعظّم النعمة وإن دقّت، ولا يذمّ منها شيئاً، ولا يذمّ ذواقاً ولا يمدحه، ولا تُغضبه الدنيا، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفّه كلّها، وإذا تعجّب قلبها، وإذا حدّث أشار بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض، وإذا فرح غضّ من طرفه، جُلُّ ضَحكه التبسّم، ويفترُّ عن مثل حبّ الغمام»[١].

صلّى الله عليك يا رسول الله، وعلى فرخك وشبل سبطك عليّ بن الحسين الأكبر الشهيد بن الشهيد، والمظلوم بن المظلوم، أشبه الناس بك خلقاً وخُلقاً ومنطقاً، ولقد يعزّ عليك حين برز إلى ثلاثين ألفاً وهو ابن تسع عشرة سنة[٢]، فرفع الحسين سبابته إلى السماء، وقال:

«اللهمّ اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إلى وجهه. اللهمّ امنعهم بركات الأرض، وفرّقهم تفريقاً، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا، ثمّ عدوا علينا يقاتلوننا».

ثمّ صاح عليه السلام: «يابن سعد، مالك؟ قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك، وسلّط عليك من يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله ﷺ».

---

١. راجع: أوصاف النبيّ ﷺ: ٢٥، ح ٧، روى قطعة منها أيضاً في ١٧٩، ح ٢٢٦. للمزيد راجع أيضاً: المعجم الكبير ٢٢: ١٥٥ ـ ١٥٦، ح ٤١٤؛ معاني الأخبار: ٨٠ ـ ٨١؛ شعب الإيمان ٢: ١٥٤ ـ ١٥٥، ح ١٤٣٠؛ صفة الصفوة ١: ٨٠ ـ ٨١؛ مكارم الأخلاق ١: ٤١ ـ ٤٣.

٢. قال به ابن حاتم الشامي في الدرّ النظيم: ٥٥٥.

ثمّ رفع صوته وتلا: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ثمّ حمل عليّ بن الحسين على القوم وهو يقول:

أنا عليّ بن الحسين بن عليْ ... من عصبة جدّ أبيهم النبيْ

والله لا يحكم فينا ابن الدعيْ ... أطعنكم بالرمح حتّى ينثنيْ

أضربكم بالسيف أحمي عن أبيْ ... ضرب غلام هاشميّ علويْ[2]

ولم يزل يقاتل حتّى ضجّ الناس من كثرة من قتل منهم، ثمّ رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أباه العطش قتلني، وثقل الحديد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوّى بها على الأعداء؟

وبكى الحسين عليه السلام وقال: «يا بنيّ، يعزّ على محمّد وعليّ وعلى أبيك أن تدعوهم فلا يجيبونك، وتستغيث بهم فلا يغيثونك. يا بنيّ، هات لسانك» فأخذه فمصّه، ودفع إليه خاتمه وقال: «أمسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوّك، فإنّي أرجو أنّك لا ترجع حتّى يسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً».

فرجع عليّ بن الحسين عليه السلام إلى موضع النزال، وقاتل أعظم القتال وهو يقول:

الحرب قد بانت لها الحقائقْ ... وظهرت من بعدها مصادقْ

والله ربّ العرش لا نفارقْ ... جموعكم أو تغمد البوارقْ[3]

فلم يزل يقاتل حتّى قتل تمام المائتين، ثمّ ضربه منقذ بن مرّة العبدي على مفرق

١. راجع: الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٠٧ ـ ٢٠٨، بتفاوت يسير في بعض الألفاظ، والآيات في سورة آل عمران (٣): ٣٣ ـ ٣٤.

٢. الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٠٨ ـ ٢٠٩؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١١٨ بتفاوت؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٥.

٣. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٥.

رأسه ضربة صرعته، وضربه الناس بأسيافهم، ثمّ اعتنق فرسه فاحتمله الفرس إلى عسكر الأعداء، فقطّعوه بسيوفهم إرباً إرباً، فلمّا بلغت روحه التراقي، قال رافعاً صوته:

يا أبتاه، هذا جدّي قد سقاني بكأسه الأوفى شربةً لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول لك: العجل العجل؛ فإنّ لك كأساً مذخورة حتّى تشربها الساعة.

فصاح الحسين عليه السلام: «قتل الله قوماً قتلوك يا بنيّ، ما أجرأهم على الرحمن وعلى رسوله ﷺ، على الدنيا بعدك العفا».

كنت السواد لناظري فعليك يبكي الناظرُ
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أُحاذرُ[1]

قال حميد بن مسلم: فكأنّي أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة تنادي بالويل والثبور وتقول: يا حبيباه، يا ثمرة فؤاداه، يا نور عيناه.

فسألت عنها فقيل لي: هي زينب بنت عليّ، عليها وعلى أبيها السلام، وجاءت وانكبّت عليه، فجاء الحسين عليه السلام وأخذها بيدها فردّها إلى الفسطاط، وأقبل بفتيانه وقال: «احملوا أخاكم» فحملوه من مصرعه، فجاؤوا به حتّى وضعوه عند الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه[2].

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الأسحارِ
جاورت أعدائي وجاور ربّه شتّان بين جواره وجواري[3]

---

١. مناقب آل أبي طالب ١: ٣٠٠؛ البداية والنهاية ١٠: ٣٧٩، حوادث سنة ٢٤٣ بتفاوت يسير.

٢. للمزيد راجع: الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٠٧ ـ ٢٠٩؛ مقاتل الطالبيّين: ٧٦ ـ ٧٧؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٦ ـ ١٠٧؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٤ ـ ٣٦؛ مثير الأحزان: ٦٨ ـ ٦٩؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٦ ـ ١٦٧؛ الدرّ النظيم: ٥٥٥.

٣. راجع: سير أعلام النبلاء ١٩: ٣٩٩ الرقم ٢٣٦؛ الكنى والألقاب ١: ٤٩؛ تكملة أمل الآمل: ٣١٢، الرقم ٢٩٢.

المجلس الثامن عشر*

لمّا هاجر رسول الله ﷺ وخرج من الغار نحو المدينة، أرسلت قريش لأهل السواحل: أنّ من قتل أو أسر محمّداً فله مائة ناقة[1].

قال سراقة: بينا أنا جالس مع قومي بني مدلج بـ«قُدَيْد» ـ وهو محلّ بالقرب من «رابغ»[2] ـ إذ أقبل رجل حتّى وقف علينا قال: يا سراقة إنّي رأيت أسودةً، أي شخصاً.

قال سراقة: فعرفت أنّه محمّد وأصحابه لكنّي غالطت القوم فيهم؛ لأفوز من قريش بالمائة ناقة وحدي ـ قال: ـ فلبثت في المجلس ساعة، ثمّ قمت إلى منزلي، فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي إلى بطن الوادي، وتأخذ لي معها بعض لامتي خفية عن الناس، فأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجّه[3] في الأرض؛ لئلّا يراه أحد حتّى أتيت فرسي، فركبتها بعد أن لبست لامة حربي. ثمّ

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لمولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه، قال: ...».

١. صرّح به ابن الأثير في أُسد الغابة ٢: ٣٩٦، الرقم ١٩٥٥، والحلبي في سيرته ٢: ٢١٦.

٢. رابغ: وادٍ من دون الجحفة يقطعه طريق الحاجّ من دون عَزْور، موضع بين المدينة والجحفة. معجم البلدان ٣: ١٢؛ معجم ما استعجم ٢: ٦٢٥.

٣. يقال لنَصْل السهم: زُجٌّ. لسان العرب ٢: ٢٨٦، «ز. ج. ج».

دفعت الفرس وبالغت في إجرائها حتّى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي لمنخريها، ثمّ قامت تحمحم فخررت عنها، فقمت فأهويت بيدي على كنانتي فأخرجت الأزلام ـ وهي عيدان السهام التي لا نصال فيها ـ واستقسمت بها أضرّهم أم لا، فخرج الذي أكره ـ وهو النهي عن ضررهم ـ وكان مكتوب على بعضها «افعل» وعلى البعض «لا تفعل» فركبت فرسي وعصيت الأزلام، ثمّ أجريتها فدنت منهم، فأسمع قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، فساخت يدا فرسي في الأرض حتّى بلغت الركبتين وكانت الأرض صلبة، فعجبت فزجرت الفرس، فنهضت لكنّها لم تكد تخرج يديها، وخررت عنها إلى الأرض، فاستقسمت في الأزلام فخرجت أن «لا تفعل» فناديت: يا محمّد الأمان الأمان، انظر بي لا أُوذيك، ولا يأتيك منّي شيء تكرهه، أنا لكم نافع غير ضارّ، ولعلّ الحيّ فزعوا لركوبي، فأنقذ فرسي لأردّهم عنك.

فدعى رسول الله ﷺ فنهضت فرسه كأنّما نشطت من عقال، فركبها حتّى جاء رسول الله ﷺ، فقال: يا محمّد، إنّ قومك جعلوا الدية مائة من الإبل لمن قتلك أو أسرك، فقال له: «يا سراقة، إذا تسوّرت بسواري كسرى بن هرمز». قال سراقة: كسرى بن هرمز؟! قال: «نعم كسرى بن هرمز».

فرجع سراقة عن النبيّ وأرجع الناس عن رسول الله ﷺ.

وقال سراقة في قضيّته هذه مخاطباً لأبي جهل:

أباحكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسيخ[1] قوائمه

علمت ولم تشكّك بأنّ محمّداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه[2]

---

١. تسوخ في الأرض وتسيخ: تدخل فيها وتغيب. لسان العرب ٣: ٢٧، «س. و. خ».

٢. راجع: السيرة النبويّة لابن هشام ٢: ١٣٠ ـ ١٣١؛ تاريخ اليعقوبي ١: ٣٥٩ ـ ٣٦٠؛ إعلام الورى ١: ٧٧ ـ ٧٨؛ مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٤؛ السيرة النبويّة لابن كثير ٢: ٢٤٦ ـ ٢٤٩، باب هجرة رسول الله؛ أُسد الغابة ٢: ٣٩٥ ـ ٣٩٦، الرقم ١٩٥٥؛ السيرة الحلبيّة ٢: ٢١٦ ـ ٢٢٠.

وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وبقي حتّى فتح المسلمون بلاد كسرى وجيء بسَواريه وتاجه ومِنْطَقَته وبساطه.

وكان ـ كما نصّ عليه الحلبي في سيرته[1] ـ: ستّين ذراعاً في ستّين ذراعاً منظوماً باللؤلؤ والجواهر الملوّنة على ألوان أزهار الربيع، كان يُبسط له في إيوانه، ويشرب عليه الشراب إذا عدمت الزهور.

وجيء إلى المدينة بمالٍ كثير من مال كسرى، وببناته الثلاث وعليهنّ من الحُليّ والحلل والجواهر ما يقصر اللسان عن وصفه.

وعند ذلك دعى عمر سراقة وقال: ارفع يديك، والبس سواري، وقل: الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز الذي كان يقول: أنا ربّ الناس، وألبَسها سراقة بن مالك، وصبّ المال الذي جيء به من أموال كسرى في صحن المسجد، وفرّقه على المسلمين. ثمّ قطع البساط وفرّقه أيضاً، فأصاب أميرالمؤمنين عليه السلام منه قطعة باعها بخمسين ألف دينار، واشترى بها بناته الثلاث.

قال الحلبي في سيرته[2]:

ثمّ جاءت بنات الملك الثلاث، فوقفن بين يدي عمر، وأمر المنادي أن ينادي عليهنّ، وأن يزيل النقاب عن وجوههنّ؛ ليزيد المسلمون في أثمانهنّ، فامتنعن كشف نقابهنّ، ووكزن الدلّال في صدره ـ قال الحلبي: ـ فغضب عمر وأراد أن يعلوهنّ الدرّة، فقال له عليّ بن أبي طالب: «مه يا أباحفص؛ فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ارحموا عزيز قومٍ ذلّ» فسكن غضبه، فقال له عليّ: «إنّ بنات الملوك لايعاملن معاملة غيرهنّ من بنات السوقة» فقال له عمر: كيف الطريق إلى العمل معهنّ؟ فقال عليّ عليه السلام: «يقوّمن ومهما بلغ ثمنهنّ يقوم به من يختارهنّ» فقوّمن فأخذهنّ عليّ عليه السلام، ثمّ زوّج إحداهنّ لولده الحسين، فهي أُمّ

١ و ٢. السيرة الحلبيّة ٢: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

زين العابدين، وزوّج الثانية من محمّد بن أبي بكر، فهي أُمّ القاسم بن محمّد، وزوّج الثالثة من عبدالله بن عمر، فهي أمّ سالم [بن] عبدالله.

وروي: أنّ علياً لمّا رآهنّ بكين في ذلك المجلس الحافل، وتمنعن المنادي من كشف نقابهنّ، رقّ لهنّ واغرورَقَت عيناه، فردّ عَبرته وحبسها، ثمّ شفع بهنّ إلى عمر حين همّ أن يعلوهنّ بسوطه، فقبل فيهنّ شفاعته.

آجرك الله يا مولاي يا أميرالمؤمنين، وأحسن لك العزاء حيث لم يشفع بعقائلك أحد حين أُدخلن على ابن مرجانة في الكوفة، وعلى ابن آكلة الأكباد في الشام.

ويعزّ عليك وعلى أخيك رسول الله ﷺ دخول خفرتكم زينب ـ عليها وعلى أبيها السلام ـ على ابن مرجانة متنكّرة وعليها أرثُّ ثيابها وقد مضت حتّى جلست ناحية من القصر، وحفّت بها إماؤها.

فقال ابن زياد: من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟

فلم تجبه عليها السلام، فأعاد القول ثانية وثالثة يسأل عنها، فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

فأقبل عليها اللعين، فقال: الحمد لله الذي فضحكم، وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد، وأذهب عنّا الرجس، وطهّرنا تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

فقال اللعين: كيف رأيتي صُنْع الله بأخيك وأهل بيتك؟

فقالت: ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ، ثكلتك أُمّك يابن مرجانة.

فغضب اللعين، وهَمَّ أن يضربها، فقال له ابن حريث: إنّها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها.

فقال لها اللعين: لقد شفى الله نفسي من طاغيتك الحسين والعتاة المردة من أهل بيتك.

فرقّت[1] عند ذكرها لأخيها وأهل بيتها، فقالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاك فقد اشتفيت.

فقال ابن زياد لعنه الله: هذه سجّاعة، ولعمري كان أبوها سجّاعاً شاعراً.

فقالت: يابن زياد ما للمرأة وللسجع؟![2]

وأعظم ما يشجي الغيورَ دخولُها إلى مجلسٍ ما بارح اللهو والخمر

يقارضها فيه اللعين مسبته ويصرف عنها وجهه معرضاً كبر

١. في المصادر: «فزقت».

٢. الأمالي للصدوق: ١٤٠، المجلس ٣١، ح ٣؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١١٥ ـ ١١٦ بتفاوت يسير في بعض الألفاظ؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠١.

المجلس التاسع عشر

لمّا قدم النبيّ ﷺ إلى المدينة تعلّق الناس بزمام الناقة فقال: «دعـوها فـإنّها مأمورة فعلى باب من بركت فأنا عنده»(١).

فأطلقوا زمامها وهي تهفّ(٢) في السير، فبركت على باب أبي أيّوب خالد بن زيد الأنصاري ـ رضي الله تعالى عنه ـ ولم يكن في المدينة أفقر مـنه، فـانقطعت قلوب الناس حسرة على مفارقة النبيّ ﷺ، ونادى أبوأيّوب:

يا أُمّاه افتحي الباب، فقد قدم سيّد البشر، وأكرم ربيعة ومضر.

فـفتحت البـاب وقـالت: وا حسـرتاه ليت لي عـيناً أُبـصر بـها وجـه سـيّدي رسول الله ﷺ، وكانت عمياء. فكان أوّل معجزة للنبيّ في المدينة أنّه ﷺ وضع كفّه الشريفة على وجه أُمّ أيّوب فانفتحت عيناها.

---

(١) راجع الجزء السادس من البحار[١].

(٢) تهفّ: أي تسرع في السير[٢].

---

١. بحار الأنوار ١٩: ١٢٣، تاريخ نبيّنا ﷺ، الباب ٧، ح ٩. راجع أيضاً مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٦.

٢. لسان العرب ٩: ٣٤٨، «هـ. ف. ف».

وروي بسند معتبر: أنّ أباأيّوب أتى بشاة إلى رسول الله ﷺ في عرس فاطمة عليها السلام فنهاه جبرائيل عن ذبحها، فشقّ ذلك على أبي أيّوب، ثمّ أمر بذبحها، فذبحها ابن جبير الأنصاري بعد يومين، فلمّا طبخت أمر رسول الله أن لا تأكلوا إلّا باسم الله، ثمّ قال ﷺ: «إنّ أباأيّوب رجل فقير، إلهي أنت خلقتها وأنت أمتّها، وإنّك قادر على إعادتها فأحيِها يا حيّ لا إله إلّا أنت».

فأحياها الله تعالى، وجعل فيها بركة لأبي أيّوب، وشفاء المرضى في لبنها، وسمّاها أهل المدينة: المبعوثة.

وفيها قال عبد الرحمن بن عوف:

ألم يبصروا شاة ابن زيد وحالها   وفي أمرها للطالبين مزيدُ
وقد ذبحت ثمّ استجز إها بها   وفضلها فيما هناك يزيدُ
فأرجعها ذو العرش والله قادر   فعادت بحال ما يشاء يعودُ[1]

وفي خبر سلمان رضي الله عنه: أنّه ﷺ لمّا نزل دار أبي أيّوب، لم يكن له سوى جدي وصاع من شعير، فذبح له الجدي وشواه، وطحن الشعير وعجنه وخبزه، وقدّمه بين يدي النبيّ ﷺ، فأمر ﷺ بأن ينادى: «من أراد الزاد فليأتِ إلى دار أبي أيّوب» فجعل أبوأيّوب ينادي والناس يهرعون إلى داره حتّى امتلأت الدار، فأكل الناس بأجمعهم والطعام باقٍ، فضجّ الناس بالشهادتين[2].

وعن عليّ بن إبراهيم: ما زال أبوكرز الخزاعي يقفو أثر النبيّ ﷺ يوم خروجه إلى الغار حتّى وقف على بابه وقال: هذه قدم محمّد، وهذه قدم ابن أبي قحافة ما جاوزا هذا المكان.

١. مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٤؛ بحارالأنوار ١٨: ٢٠، تاريخ نبيّنا ﷺ، الباب ٦، ح ٤٦.
٢. مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٣ ـ ١٧٤؛ بحار الأنوار ١٨: ٢١، تاريخ نبيّنا ﷺ، الباب ٦.

وجاء فارس من الملائكة في صورة الإنس، فوقف على باب الغار وهو يقول: «اطلبوه في هذه الشعاب فليس ها هنا». وتبعه القوم وكانوا دهاة العرب، وأمر الله شجرة فنبتت في وجه الغار، وأمر العنكبوت فنسجت، وأمر حمامتين بفم الغار.

ولمّا قربوا منه تقدّم بعضهم لينظر، ثمّ رجع فقال: رأيت حمامتين بفم الغار فعلمت أنّه ليس فيه أحد[1].

وفي نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة القاصعة: «أنّ النبيّ ﷺ قال: أيّتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر [وتعلمين أنّي رسول الله] فانقلِعي بعروقك حتّى تَقِفي بين يديّ. فوالذي بعثه بالحقّ لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دويٌّ شديد وقصفٌ كقصف أجنحة الطير، حتّى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مُرَفْرِفةً، وألقت بغُصنها الأعلى على رسول الله ﷺ، وببعض أغصانها على منكبه، وكنت عن يمينه، فلمّا نظر القوم إلى ذلك، قالوا ـ علوّاً واستكباراً ـ: فَمُرها فليأتك نصفها.

فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دَويّاً، وكادت تلتفّ برسول الله ﷺ، فقالوا ـ كفراً وعتوّاً ـ: فمُر هذا النصف فليرجع إلى نصفه، فأمره فرجع»[2].

لحا الله أهل العناد، كم رأوا من رسول الله ﷺ أمثال ذلك فلم يقلعوا عن عنادهم، وكم له عليهم من نعمة جعلوا جزاءها قتل ذرّيّته، وسبي عترته.

ولقد وقف الحسين عليه السلام متّكئاً على سيفه ووعظهم فلم يتّعظوا، وذكّرهم فضل جدّه وأبيه عليهما السلام فلم يذّكّروا، فكان من جملة كلامه يومئذٍ: «أنشدكم الله هل تعلمون

١. مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٠.

٢. نهج البلاغة: ٤٠٧، الخطبة ١٩٢.

أنّ جدّي رسول الله ﷺ ؟ » قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؟ ».

قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ أُمّي فاطمة الزهراء بنت محمّد المصطفى ؟».

قالوا: اللهمّ نعم.

إلى أن قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله ﷺ أنا متقلّده ؟».

قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله ﷺ أنا لابسها ؟ ».

قالوا: اللهمّ نعم.

قال: «فبِمَ تستحلّون دمي وأبي الذائد عن الحوض، ولواء الحمد بين يديّ يوم القيامة ؟».

قالوا: قد علمنا ذلك ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً.

فلمّا سمع بناته وأخواته ذلك بكين وندبن ولطمن وارتفعت أصواتهنّ، فوجّه إليهنّ أخاه العبّاس وابنه عليّاً وقال: سكّتاهنّ فلعمري ليكثر بكاؤهنّ.

ولمّا رأى الحسين عليه السلام حرص القوم على القتال قال لأخيه العبّاس: «إن استطعت يا أخي أن تصرفهم عنّا هذه الليلة، فلعلّنا نصلّي لربّنا فإنّه يعلم أنّي أُحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه».

فسألهم العبّاس ذلك فتوقّف ابن سعد. فقال له ابن الحجّاج: والله لو أنّهم من الديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آل محمّد ﷺ ؟ فأجابوهم إلى ذلك.

وجلس الحسين عليه السلام فخفق برأسه ثمّ استيقظ، فقال: «يا أُختاه، إنّي رأيت الساعة جدّي وأبي وأُمّي وأخي وهم يقولون: يا حسين إنّك رائح إلينا عن قريب».

فلطمت زينب وجهها وبكت وصاحت: وا ثكلاه، يا جدّاه، يا رسول الله، واأخاه، وا حسيناه! أُشاهد مصرعك وأُبتلى برعاية هذه المذاعير، وأُغمي عليها.

فقال لها الحسين عليه السلام: «مهلاً لا تشمت القوم»[١].

وبات الحسين عليه السلام تلك الليلة وأصحابه، ولهم دويّ كدويّ النحل ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد[٢].

سمة العبيد من الخشوع عليهم ... لله إن ضمّتهم الأسحارُ

وإذا ترجّلت الضحى شهدت لهم ... بيض القواضب أنّهم أحرارُ[٣]

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٤٥ ـ ١٥١.

٢. المصدر: ٤١.

٣. لواعج الأشجان للسيّد محسن الأمين: ١٢٠.

المجلس العشرون

عن أنس بن مالك قال: كان إذا فقد رسول الله ﷺ الرجل سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده[1].

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: بينا أنا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته إذ أعيا ناضحي تحت الليل، وكان رسول الله ﷺ في أُخريات الناس يلاحظ الضعيف، فانتهى إليّ وأنا أقول: يا لهف أُمّاه ما زال الناضح بسوء.

فقال: «من هذا؟» فقلت: أنا جابر ـ بأبي أنت وأُمّي ـ يا رسول الله.

قال: «ما شأنك؟» قلت: أعيا ناضحي.

فقال: «أمعك عصا؟» قلت: نعم.

فضربه ﷺ ثمّ بعثه، ثمّ أناخه، ووطئ على ذراعه، وقال: «اركب»، فركبت وسايرته فجعل جملي يسبق جمله، فاستغفر لي تلك الليلة خمساً وعشرين مرّة.

فقال لي: «ما ترك عبدالله من الولد؟» يعني أباه. قلت: سبع نسوة.

قال: «أبوك عليه دين؟» قلت: نعم.

---

١. مكارم الأخلاق ١: ٥٥، ح ٣٤.

قال: «فإذا قدمت المدينة وحضر جذاذ النخل فآذنّي. [وقال:] هل تزوّجت؟» قلت: نعم.

قال: «بمن؟» قلت: بفلانة ابنة فلان، بأَيم كانت بالمدينة.

فقال: «يا جابر هلّا فتاة تلاعبها وتلاعبك؟».

قلت: يا رسول الله، كنّ عندي نسوة خرق ـ يعني أخواته ـ فكرهت [أن] آتيهنّ بامرأة خرقاء، فقلت: هذه أجمع لأمري.

قال ﷺ: «أصبت ورشدت. بكم اشتريت جملك؟» قلت: بكذا وكذا، بخمس أواقٍ من ذهب.

قال: «بعنيه ولك ظهره إلى المدينة».

فلمّا قدم المدينة أتيته بالجمل، فقال: «يا بلال أعطه خمس أواقٍ ثمنه، وزده ثلاثاً، وردَّ عليه جمله».

قال جابر: فلمّا حضر جذاذ النخل أعلمت رسول الله ﷺ فجاء فدعا لنا فجذذنا، فاستوفى كلّ غريم ما كان يطلب تمراً، وبقي لنا مثل ما كنّا نجذّ وأكثر.

فقال ﷺ: «ارفعوا ولا تكيلوا» فرفعناه وأكلنا منه زماناً[1].

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر: أنّ جابر بن عبدالله الأنصاري، قال للإمام الباقر عليه السلام ـ وهو صغير: ـ إنّ رسول الله ﷺ يسلّم عليك.

فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت جالساً عنده والحسين في حجره وهو يقبّله فقال: «يا جابر يولد للحسين مولود اسمه عليّ، وإذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ: ليقم زين العابدين، فيقوم عليّ بن الحسين عليهما السلام، ثمّ يولد لعليّ ولد اسمه محمّد عليه السلام فإذا أدركته يا جابر فاقرأه منّي السلام»[2].

---

١. مكارم الأخلاق ١: ٥٥ـ٥٦، ح ٣٥.

٢. الصواعق المحرقة: ٢٠١، الباب ١١، الفصل ٣.

وكان جابر هذا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين. وأدرك الإمام محمّد الباقر عليه السلام، ولم يشهد وقعة الطفّ؛ لكونه إذ ذاك مكفوفاً، لكنّه أوّل من زار الحسين عليه السلام.

قال السيّد [ابن طاووس]:

ولمّا رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل: مرّ بنا على طريق كربلاء، فوجدوا جابر بن عبدالله الأنصاري رحمه الله وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله فتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد.

قال أبوحباب الكلبي: حدّثنا الجصّاصون، قالوا: كنّا نسمع الجنّ ينوحون عليه فيقولون:

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدودْ
أبواه من عَليا قريش وجدّه خير الجدودْ

ثمّ انفصلوا من كربلاء فلمّا قربوا من المدينة، قال الإمام زين العابدين: «يا بشير، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟».

فقال: بلى يابن رسول‌الله.

فقال: ادخل المدينة وانعَ أباعبدالله عليه السلام.

قال بشير: فركبت فرسي فلمّا بلغت المسجد، رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فادمعي مدرارُ
الجسم منه بكربلاء مضرّج والرأس منه على القناة يدارُ

ثمّ قلت: هذا عليّ بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم، ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم.

قال: فما بقيت بالمدينة مخدّرة ولا محجّبة إلّا برزن من خدورهنّ، مخمّشات وجوههنّ، ضاربات خدودهنّ، يدعون بالويل والثبور، فلم أرَ باكياً أكثر من

ذلك اليوم، ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه، وسمعت جارية تنوح على الحسين وتقول:

نعى سيّدي ناعٍ نعاه فأوجعا وأمرضني ناعٍ نعاه فأوجعا
فعينيَّ جودا بالدموع واسكبا وجودا بدمٍ بعد دمعكما معا
على من وهى عرش الجليل فزعزعا فأصبح هذا المجد والدين أجدعا
على ابن نبيّ الله وابن وصيّه وإن كان عنّا شاحط الدار أشسعا

قال بشير: فضربت فرسي ورجعت فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فقربت من باب الفسطاط، وكان زين العابدين عليه السلام داخلاً فخرج ومعه خرقة يمسح فيها دموعه، وخلفه خادم ومعه كرسيّ فوضعها له فجلس عليها وهو لا يتمالك من البكاء، وارتفعت أصوات الناس، وضجّت النساء بالحنين والصراخ، فضجّت تلك البقعة ضجّة شديدة[1].

ثمّ خطب الناس خطبة لم يسمع أبلغ منها، ثمّ رحل إلى المدينة، فنظر إلى تلك المنازل تنوح بلسان حالها، وتبكي لفقد حماتها ورجالها، وتهيج أحزانه على مصارع قتلاه، وتنادي لأجلهم: وا ثكلاه، وا ذلّاه.

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ومنزل وحي مقفر العرصاتِ[2]
ما ذنب أهل البيت حتّى منهمُ أخلوا ربوعهْ
تركوهم شتّى مصا رعهم وأجمعها فظيعهْ

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٥ ـ ٢٢٨. راجع أيضاً عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ٤٤٧.
٢. ديوان دعبل بن عليّ الخزاعي: ١٣١؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٢٦٣؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٦٦.

المجلس الحادي والعشرون

كانت وقعة بدر ـ التي أظهر الله بها الدين، وكسر فيها سورة المشركين ـ صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة [1]. وكان خروج النبيّ ﷺ من المدينة المنوّرة ثالث الشهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم سبعة وسبعون من المهاجرين، والباقون من الأنصار، ولم يكن معهم إلّا فرسان أحدهما للمقداد، وكانت الإبل سبعة عشر يتعاقبون عليها [2].

وأقبلت قريش بخيلائها وخيلها، وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً؛ وقيل: كانوا ألفاً ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير [3].

وعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه، وكانت رايته بيد أمير المؤمنين عليه السلام.

وتقارب الفيلقان، فبرز من المشركين عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة، وابنه الوليد، وكانوا عظماء قريش، فأمر رسول الله ﷺ عليّاً بالبروز إليهم، وأرسل

---

١. تاريخ اليعقوبي ١: ٣٦٣؛ الطبقات الكبرى ٢: ١٩ و ٢٠؛ تاريخ الطبري ٢: ٤٤٦، حوادث سنة ٢؛ مروج الذهب ٢: ٢٩٥؛ الكامل في التاريخ ٢: ١١٨، حوادث سنة ٢؛ البداية والنهاية ٣: ٣٢٦، حوادث سنة ٢.

٢. راجع: الطبقات الكبرى ٢: ٢٠ و ٢٤؛ تاريخ الطبري ٢: ٤٣١ ـ ٤٣٣، حوادث سنة ٢؛ الكامل في التاريخ ٢: ١١٨، حوادث سنة ٢، فيها: «سبعين بعيراً».

٣. تاريخ الطبري ٢: ٤٧٧، حوادث سنة ٢.

معه عمّه الحمزة، وعبيدة بن الحارث.

فشدّ أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد فقتله، وشدّ الحمزة على عتبة فقتله، وبارز عبيدة شيبة فاختلف بينهما ضربتان قطعت ضربة شيبة فخذ عبيدة رحمه الله تعالى، فكرّ أمير المؤمنين وحمزة على شيبة فقتلاه، فكان قتل هؤلاء الثلاثة أوّل وهن لحق المشركين وذلّ دخل عليهم.

ثمّ بارز أمير المؤمنين عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص ـ بعد أن أحجم عنه سواه ـ فقتله، وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله، وبرز إليه طعيمة بن عديّ ـ وكان من رؤوس الضلال ـ فقتله، وقتل بعده نوفل بن خويلد، وكان من شياطين قريش، وكانت قريش تقدّمه وتعظّمه، وهو الذي قرن أبابكر وطلحة قبل الهجرة وعذّبهما يوماً إلى الليل، وبرز زمعة بن الأسود والحارث بن زمعة وكانا من أشدّ المشركين وطأة على المسلمين فقتلهما، وقتل بعدهما عمير بن عثمان بن كعب بن تيم، وهو عمّ طلحة بن عبيدالله، وبرز بعد عمير ابنا أخيه، وهما: عثمان ومالك ابنا عبيدالله ـ وكانا أخوي طلحة ـ فقتلهما أميرالمؤمنين عليه السلام.

وصمد إلى صناديد قريش يقتل كلّ من برز إليه، حتّى أتى على نصف المقتولين من المشركين، وكانوا سبعين رجلاً، تولّى جميع من حضر بدراً من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسوّمين قتل النصف منهم، وتولّى أمير المؤمنين قتل النصف الآخر وحده بمعونة الله عزّ وجلّ، وكان الفتح على يده.

وختم الأمر بكفّ من تراب تناوله النبيّ ﷺ فرمى به وجوه المشركين قائلاً: شاهت الوجوه[1].

---

١. راجع: تاريخ الطبري ٢: ٤٢١ ـ ٤٧٩، حوادث سنة ٢؛ الكامل في التاريخ ٢: ١١٦ ـ ١٣٦، حوادث سنة ٢؛ عيون الأثر لابن سيّدان ١: ٣٧٨ ـ ٤٣٥؛ المغازي للواقدي ١: ١٩ ـ ١٥٢؛ البداية والنهاية ٣: ٣١٣ ـ ٣٩٩، حوادث سنة ٢؛ السيرة الحلبيّة ٢: ٣٧٤ ـ ٤٧٠.

فلم يبق أحد منهم إلّا ولّى منهزماً، ونصر الله عبده، وأنجز وعده، فغنم المسلمون أموال المشركين، وأسروا سبعين من رجالهم، فكان العبّاس ممّن أُسر يومئذٍ وجيء به مكتوفاً، فبات رسول الله ﷺ تلك الليلة ساهراً، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما لك لا تنام؟

فقال: «سمعت تضوّر العبّاس في وثاقه فمنعني من النوم».

فقاموا إليه فأطلقوه، فنام رسول الله ﷺ [١].

بأبي أنت وأُمّي يا نبيّ الرحمة أخذك الأرق، واعتراك القلق، بوثاق عمّك وقد كان مع المحاربين لك، على أنّه لم يكن عليلاً ولا ظمآناً، ولا أضرّه الوثاق، ولا كان مفجوعاً بأبيه، ولا مرزوءاً بجميع أهليه، ولا كان رأس أبيه في أعلى السنان، ولا طافوا به وبنسائه سبايا في البلدان، فكيف بك يا رسول الله لو رأيت مريضك العليل والجامعة في عنقه، والغلّ في يديه، والقيد في ساقيه، وليتك تراهم وقد اجتمعوا عليه يريدون قتله، فقلبوه عن نطع مسجّى عليه، وتركوه على الرمضاء، وحرارة العطش، وحرّ المصيبة، وألم السقم، يرى خياماً منهوبة، ونساءً مسلوبة، ورؤوساً على الرماح مرفوعة، وجثثاً تحت سنابك الخيل مرضوضة؟ يعزّ عليك يا نبيّ الله إذ ساقوا ثقلك وحرائرك حتّى أدخلوهم على يزيد بن معاوية ـ لعنهما الله ـ وهم مقرونون بالحبال.

فلمّا وقفوا بين يديه، قال له سبطك عليّ بن الحسين عليه السلام: «أنشدك الله يا يزيد ما ظنّك برسول الله ﷺ لو رآنا على هذه الصفة؟». فأمر اللعين بالحبال فقطعت، ثمّ وضع رأس ريحانتك بين يديه، وأجلس النساء خلفه لئلّا ينظرن إليه، فرأته أُمّ المصائب زينب عليها السلام فأهوت إلى جيبها فشقّته، ثمّ نادت بصوت حزين يقرح

---

١. السيرة النبويّة لابن هشام ٢: ٢٥٥؛ تاريخ الطبري ٢: ٤٦٣، حوادث سنة ٢.

القلوب: يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يابن مكّة ومنى، يابن فاطمة الزهراء سيّدة النساء، يابن بنت المصطفى. فأبكت والله كلّ من كان حاضراً[1].

يا ليت عين المصطفى نظرت إلى ... أُمّ المصائب حولها أيتامُها
ما بين نائحةٍ وصارخةٍ غدت ... ترثي كما يرثي الفراخ حمامُها
لهفي لهاتيك الحرائر أصبحت ... يقتاد قسراً للّئيم زمامُها

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٣ ـ ٢١٤.

المجلس الثاني والعشرون

خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد يوم الجمعة في شوّال سنة ثلاث من الهجرة في ألف مقاتل[1]، فرجع منهم قبل الوصول إلى أُحد ثلاثمائة من المنافقين، وبقي سبعمائة، فيهم مائة دارع، ولم يكن معهم إلّا فرسان[2]، وكان المشركون ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائة فرس، وثلاثة آلاف جمل، وخمسة عشر امرأة[3]، وقائدهم أبوسفيان، خرج لحرب الله ومعه ولده معاوية وزوجته هند، وخرج عمرو بن العاص بزوجته ريطة بنت منبّه، والتقوا يوم السبت، وعلى ميمنة المشركين خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل.

ونزل رسول الله ﷺ الشعب من أُحد وتركه خلفه، وجعل الرماة ـ وهم خمسون ـ وراءه ليحموا ظهور المسلمين، وأمرهم أن لا يفارقوا مراكزهم على كلّ حال.

وأعطى رايته عليّاً عليه السلام، وسأل عن لواء المشركين فقيل: مع بني عبد الدار،

---

١. تاريخ اليعقوبي ١: ٣٦٥؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٤٨ ـ ١٥١، حوادث سنة ٣.

٢. تاريخ الطبري ٢: ٥٠٤ ـ ٥٠٥، حوادث سنة ٣.

٣. المغازي للواقدي ١: ٢٠٣ ـ ٢٠٤؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٥١، حوادث سنة ٣.

فأعطى لواءه مصعب بن عمير؛ لأنّه منهم.

فلمّا استشهد أخذ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في يده الراية واللواء جميعاً، وحمى الوطيس فشدّ أمير المؤمنين على صاحب اللواء وهو طلحة بن أبي طلحة وكان أشجع القوم، ويعرف بكبش الكتيبة، فضربه على رأسه ضربة بدرت بها عيناه، فصاح صيحة منكرة وأسقط اللواء، فكبّر رسول الله ﷺ تكبيراً عالياً، وكبّر المسلمون بأجمعهم، وتضعضع عسكر الشرك بمقتله، ولم يزل يقتل كلّ من حمل اللواء من بني عبد الدار حتّى تفانوا عليه، فحمله عبد لهم يقال له: صواب، وكان من أشدّ الناس فقطع أمير المؤمنين عليه السلام يديه، ثمّ ضربه على أُمّ رأسه فسقط صريعاً، وانهزم المشركون، وأكبّ المسلمون على الغنائم فطمعت الرماة في الغنيمة، وفارقوا الشعب الذي أمرهم النبيّ ﷺ بملازمته.

فأتى خالد بن الوليد في خيل المشركين من ورائهم وهم غافلون فكان البلاء، وقتل حمزة في سبعين رجلاً، وفرّ الباقون، وثبت عليّ وأبودجانة وسهل بن حنيف.

وقاتل رسول الله ﷺ قتالاً شديداً، وكسرت يومئذٍ رباعيته، وشقّت شفته، وكُلِم في وجهه الشريف، ودخل من حلق المغفر في جبهته الشريفة، وعلاه ابن قمأة ـ لعنه الله ـ بالسيف، فسقط ـ بأبي وأُمّي ـ إلى الأرض، وصاح المشركون: قُتل محمّد، فأوغل المسلمون للهرب، وكسر عليّ غمد سيفه، وشدّ على جموع المشركين شدّة ما سمع السامعون بمثلها، فكشفهم عن النبيّ ﷺ فوجده على الأرض، والدماء تسيل على وجهه الشريف، وأبصر النبيّ ﷺ جماعة من المشركين فقال: «اكفنيهم يا عليّ» فحمل عليهم وقتل عميدهم وتفرّقوا، ثمّ جاءت كتيبة أُخرى فقال ﷺ: «احمل عليهم يا عليّ» فشدّ على عميدهم فقتله وفرّقهم، فقال جبرائيل عليه السلام: هذه المواساة، فقال النبيّ ﷺ: «إنّه منّي وأنا منه» فقال

جبرائيل عليه السلام: وأنا منكما، ونادى في تلك الحال:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ[1]

وجعل عليّ عليه السلام ينقل الماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في درقته من المهراس ليغسل الدم عن وجهه[2]، ومنع الله نبيّه صلى الله عليه وآله يومئذٍ بأخيه، وبجماعة من المنهزمين ثابوا إليه، فذهبوا به إلى الجبل فحاصروا وارتفع القتال.

بأبي أنت وأُمّي يا غريب، أين كان أخوك المواسي، ليمنعك من الأعداء حين سقطت شلواً مبضعاً، كما منع المشركين عن رسول الله صلى الله عليه وآله أخوه المواسي له؟

أم أين كان قمر بني هاشم وأنت مطروح على الرمضاء تخور بدمك، وتلوك لسانك من العطش لينقل الماء إليك من الفرات، كما نقله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أخوه المواسي له من المهراس؟ لكنّه سقط رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أخوه سالم المهجة، سالم الهامة، سالم الساعدين، وكان أخوك إذ سقطت يا قرّة عين الزهراء مرضوخ الهامة، محسوم الزندين، مشحوطاً بالدماء، مبدّد الأعضاء.

وأين عنك يا سيّدي صحبك الذين ما فرّوا، ولا تخطّوا حتّى تفانوا دونك ليمنعوك كما منع رسول الله أصحابه؟ ومن أين لهم أن يمنعوك وهم صرعى في هجير الشمس، قد وزّعت أشلاءهم ظبات السيوف، وطحنتهم سنابك الخيل، وابتلّت بدمائهم أرض الطفوف؟

ولقد يعزّ عليهم والله وقوفك بين الأعداء وحيداً فريداً وأنت تنادي:

---

١. تاريخ الطبري ٢: ٥٢٤، حوادث سنة ٣. حكاه مع زيادة؛ الإرشاد للمفيد ١: ٧٨ ـ ٨٧؛ المغازي للواقدي ١: ٢٣٤ ـ ٢٤٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٥٠.

٢. السيرة النبويّة لابن هشام ٣: ٦٣؛ الطبقات الكبرى ٢: ٤٨؛ تاريخ الطبري ٢: ٥١٩، حوادث سنة ٢؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٥٧، حوادث سنة ٣.

«هل من مغيث يغيثنا؟ هل من موحّدٍ يخاف الله فينا؟ هل من معينٍ يرجو الله في إعانتنا؟»[١].

فأجابك ـ يا داعي الله ـ مالك بن النسر ـ لعنه الله ـ بالسيف على رأسك الشريف، وطارح بن وهب بالرمح في خاصرتك، ولبّاك ابن شريك بالسيف على كتفك اليسرى، وأجابك آخر بضربة على عاتقك المقدّس فكببت بها لوجهك.

وجاء سنان طاعن بسنانه يرى أنّه كان الهزبر المشجعا
وأقبل شمر يعلن العجب إذ سطا على الليث مذ أمسى له الحتف مضجعا
وراح بأعلى الرمح يزهو كريمه كبدر الدجى قد تمَّ عشراً وأربعا

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٩.

المجلس الثالث والعشرون

نقل ابن أبي الحديد ـ في أواخر الجزء الرابع عشر من شرح النهج[1] ـ عن جماعة من المحدّثين والمؤرّخين:

أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا فرّ أصحابه عنه يوم أُحد، كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة من بني عبد مناف ابن كنانة، وفيها بنو سفيان بن عويف، وهم: خالد، وأبو الشعثاء، وغراب وأبو الحمراء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ اكفِني هذه الكتيبة». فحمل عليها ـ وإنّها لتقارب خمسين فارساً ـ وهو [عليه السلام] راجل، فما زال يضربها حتّى تفرّقت عنه، ثمّ تجتمع عليه هكذا مراراً حتّى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة وتمام العشرة، فقال جبرائيل عليه السلام: يا محمّد إنّ هذه لهي المواساة، وقد تعجّبت ملائكة السماء من هذا الفتى. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وما يمنعه؟ وهو منّي وأنا منه». فقال جبرائيل عليه السلام: «وأنا منكما».

ـ قال: ـ وسمع في ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يُرى شخص الصارخ به ينادي مراراً:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هذا جبرائيل».

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٥٠ ـ ٢٥١. راجع أيضاً: تاريخ الطبري ٢: ٥١٤، حوادث سنة ٢؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٥٤، حوادث سنة ٢.

وكان بأبي هو وأمّي قد جُرح فجعل عليّ عليه السلام ينقل الماء في درقته من المهراس ويغسل جرح النبيّ فلم ينقطع دمه، فأتت فاطمة عليها السلام فجعلت تعانقه وتبكي، وأحرقت حصيراً وجعلت من رماده على الجرح فانقطع الدم.

ذكرت من بكاء سيّدة النساء حين عانقت أباها ﷺ وهو مجروح، ما حال سكينة لمّا استوقفت أباها وقد أُثخن بالجراح، وبقي من كثرة رشق النبال كالقنفذ، فقالت: يا أبتاه قف لي هنيئة لأتزوّد منك، فهذا وداع لا تلاقي بعده، وانكبّت على يديه ورجليه تقبّلهما وتبكي، فبكى الحسين عليه السلام رحمةً لها، ثمّ مسح دموعها بكمّه، وأخذها فتركها في حجره، ومسح دموعها بكفّه وأنشأ مخاطباً لها:

«سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي   منك البكاء إذا الحمام دهاني

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرةً   ما دام منّي الروح في جثماني

فإذا قتلت فأنت أولى بالذي   تأتينه يا خيرة النسوانِ»[1]

واعتنقت أباها يوم الحادي عشر من المحرّم كما اعتنقت جدّتها الزهراء أباها يوم أُحد، لكن شتّان بين من اعتنقت أباها وهو حيّ جالس، وبين من اعتنقته وهو مطروح على الرمضاء بحرارة الشمس، عاري اللباس، قطيع الرأس، منخمد الأنفاس، في جندل كالجمر مضطرم.

ثوى ثلاث ليالٍ بالعراء بلا   غسلٍ ولا كفن لله من حكمِ

ورجع رسول‌الله ﷺ من أُحد يوم الوقعة فمرّ بامرأة من الأنصار أُصيب أبوها وزوجها، فلمّا نُعيا إليها قالت: ما فُعل برسول الله ﷺ؟ قالوا: هو بحمد الله كما تحبّين. قالت: أرونيه، فلمّا نظرت إليه، قالت: كلّ مصيبة بعدك جَللٌ[2].

---

١. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ١٣٢؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١١٩.

٢. السيرة النبويّة لابن هشام ٣: ٦٣؛ الطبقات الكبرى ٢: ٤٨؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٥٧ ـ ١٥٨، حوادث سنة ٢.

ولقيته حمنة بنت جحش فنعى إليها أخاها عبدالله فاسترجعت، ثمّ نعى إليها أخاها حمزة فاستغفرت له، ثمّ نعى لها زوجها مصعب بن عمير فولولت وصاحت[١].

ولكن لا كالرباب زوجة أبي عبدالله فإنّها بقيت بعده لا تستظلّ تحت سقف بيت حتّى ماتت كمداً، وكانت تجلس في هجير الشمس من أوّل النهار إلى آخره، وتقابلها ابنتها سكينة بالنوح واللطم، وكانت زينب مع حزنها ترقّ لها وهي تندب الحسين أشجى ندبة، فتقول لها: أُخيّة يا رباب قومي إلى الظلّ.

فتقول لها: يا سيّدتي لا تلوميني فإنّي تركت سيّدي ومولاي عارياً بالعراء، مطروحاً على الرمضاء بحرارة الشمس.

وكانت تقول في ندبتها: وا حبيب المصطفى، وا ذبيحاً من قفا، وا قتيلاً بالظما.

ثمّ لا تزال تنادي: وا سيّداه، وا حسيناه، حتّى تتفطّر لها القلوب، ويتصدّع لها الصخر الأصمّ.

نادت فقطّعت القلوب بشجوها لكأنّما انتظم البيان فريدا
إن تنع أعطت كلّ قلب حسرة أو تدع صدّعت الجبال الميدا
تدعو بلهفة ثاكلٍ لعب الأسى بفؤاده حتّى انطوى مفؤودا

---

١. السيرة النبويّة لابن هشام ٣: ٦٢؛ تاريخ الطبري ٢: ٥٣٢، حوادث سنة ٣؛ المغازي للواقدي ١: ٢٩٢؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٦٣، حوادث سنة ٢.

المجلس الرابع والعشرون

ذكر المؤرّخون: أنّ وحشيّ بن حرب كان عبداً حبشيّاً لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ـ وقيل: كان لجبير بن مطعم بن عديّ بن نوفل ـ فقالت له ابنة الحارث: إنّ أبي قتل يوم بدر، فإن أنت قتلت أحد الثلاثة: محمّداً، أو عليّاً، أو حمزة فأنت حرّ، فإنّي لا أدري في القوم كفواً لأبي غيرهم.

فقال: أمّا محمّد فإنّ أصحابه لن يسلموه، وأمّا حمزة فوالله لو وجدته نائماً ما أيقظته، وأمّا عليّ فألتمسه.

قال وحشيّ: فكنت يوم أُحد ألتمسه فبينا أنا في طلبه إذ طلع عَلِيٌّ فطلع رجل حَذِرٌ مَرِسٌ كثير الالتفات، فقلت: ما هذا بصاحبي، فبينا أنا كذلك إذ رأيت حمزة يفري الناس فرياً، فكمنت إلى صخرة وهو مُكبِّس له كتيب، فاعترض له سباع بن أُمّ نيار، فقال له حمزة: وأنت يابن مُقطِّعة البُظُور ممّن يكثّر علينا! فاحتمله حتّى إذا برقت قدماه رمى به فبرك عليه فشحطه شحط الشاة، ثمّ أقبل عليَّ مكبّاً حين رآني، فلمّا بلغ المسيل وطئ على جُرف فزلّت قدمه، فهززت حربتي حتّى رضيت منها، ثمّ ضربت بها في خاصرته حتّى خرجت من مثانته، وكرّت عليه طائفة من أصحابه فأسمعهم ينادونه: أباعمارة، فلا يجيب، فقلت: والله مات الرجل. وذكرت هنداً وعداوتها لبني هاشم فأتيتها فقلت: ماذا لي إذا قتلت قاتل أبيك؟ قالت: سَلَبي.

فأخبرتها الخبر، فنزعت ثيابها وحليّها فأعطتنيه وقالت: إذا جئت مكّة فلك عشرة دنانير. ثمّ قالت: أرني مصرعه، فدللتها عليه فبقرت بطنه، وأخرجت كبده فمضغتها ثمّ لفظتها، وقطعت مذاكيره، وجدعت أنفه، وقصّت أُذنيه، ثمّ جعلت ذلك خلخالين ودملجين حتّى قدمت بذلك مكّة وقدمت بكبده معها[1].

قال محمّد بن إسحاق: ومن الشعر الذي ارتجزت به هند يوم أُحد:

شفيتُ من حمزة نفسي بأُحدْ حين بقرت بطنه عن الكبدْ
أذهب عنّي ذاك ما كنت أجدْ من لوعة الحزن الشديد المعتمدْ
والحرب تعلوكم بشُؤْبوب بَردٍ تُقدِم إقداماً عليكم كالأُسدْ[2]

وجاءت صفيّة فجلست عند رسول الله ﷺ فجعلت إذا بكت يبكي رسول الله، وإذا نشجت ينشج، وجعلت فاطمة تبكي على عمّها، فلمّا بكت بكى رسول الله ﷺ[3].

جعلت فداك يا رسول الله، يا نبيّ الرحمة، كيف بك لو رأيت عقائلك يوم عاشوراء وقد ذبح نصب أعينهنّ ثمانية عشر من حماتهنّ، وسبعون من أنصارهنّ؟ وليتك ترى كريمتكم زينب إذ وقفت على أخيها الحسين عليه السلام حافية حاسرة، ووجدته وهو ريحانتك مزمّلاً بالدماء، موزّع الأعضاء، عاري اللباس، مقطوع الرأس، مذبوحاً من القفا، مفطور القلب من الظما، فنادتك بصوت وقلب كئيب: يا جدّاه يا رسول الله، صلّى عليك مليك السماء، هذا حسينك بالعراء، مزمّلاً بالدما، مسلوب العمامة والرداء.

---

١. راجع: المغازي للواقدي ١: ٢٨٥ـ٢٨٦؛ الإرشاد للمفيد ١: ١٥٨ـ١٥٩.

٢. السيرة النبويّة لابن هشام ٣: ٥٥ حكاه الواقدي بنقيصة، وحكاه ابن أبي الحديد بتمامه عن ابن إسحاق في شرحه لنهج البلاغة ١٥: ١١ـ١٢.

٣. المغازي للواقدي ١: ٢٩٠.

ثمّ قالت: بأبي من لا غائب فيرتجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفدا، بأبي المهموم حتّى قضى، بأبي العطشان حتّى مضى، بأبي من شيبه يقطر بالدماء، بأبي من جدّه رسول إله السماء. فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق.

وشتّان ما بين صفيّة إذ قتل أخوها حمزة، وزينب إذ قتل أهلوها. أمّا صفيّة فبقي لها رسول الله وأمير المؤمنين، وأبطال بني عبد المطّلب، وليوث بني هاشم، وبقي عزّها، وسرادق مجدها، والمهاجرون والأنصار يتفانون دون خباها.

ويا لهف نفسي لزينب وبقيّة العقائل من آل الرسول ﷺ، إذ أصبحن بعد حماتهنّ غنيمة للقوم الظالمين، يضربونهنّ تارةً، ويسلبونهنّ أُخرى، ولقد كانت المرأة منهنّ تنازع ثوبها عن ظهرها حتّى تغلب عليه، ولم يبقَ لهنّ من يرتجينه لدفع الأعداء، إلّا عمر بن سعد لعنه الله، ولذا صحن في وجهه لمّا رأينه، وبكين شاكيات إليه، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هذه النسوة، ولا تتعرّضوا لهذا الغلام المريض، فسألته النسوة أن يسترجع ما أُخذ منهنّ من الملاحف ليستترن به، فقال: من أخذ منهنّ شيئاً فليردّه، فوالله ما ردّ أحد منهم شيئاً[1].

عجباً لمال الله أصبح مقسماً ... في رائح للظالمين وغادِ
عجباً لآل الله صاروا مغنماً ... لبني الطليق هدية وزيادِ
عجباً لذي الأفلاك لِم لا عطّلت ... والشهب لم تبرز بثوب حدادِ

١. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٣.

المجلس الخامس والعشرون*

كانت وقعة الخندق ـ وهي غزوة الأحزاب ـ سنة خمس للهجرة[1]. ومختصرها:

أنّ جماعة من اليهود أتوا أباسفيان؛ لعلمهم بعداوته لله ـ عزّ وجلّ ـ وتسرّعِه إلى قتال نبيّه ﷺ، فسألوه المعونةَ لهم على حربه، فرحّب بهم، وقال لهم: أنا لكم حيث تحبّون، فادعوا قريشاً إلى ذلك، وضمنوا لهم النصرة على محمّد ﷺ وأتباعه، فطافوا على وجوه قريش، وواثقوهم على الثبوت معهم حتّى يستأصلوه ﷺ أو يموتوا بأجمعهم.

وجاء أبوسفيان فقال: يا معشر قريش، هذا يومٌ ما بعده، إنّ الله قد أمكنكم من عدوّكم، وهذه اليهود تقاتله معكم، ولا تنفكّ حتّى تهلك بأجمعها، أو نستأصله ومن اتّبعه.

فقويت عزائم قريش في حرب النبيّ ﷺ، ثمّ خرج اليهود حتّى جاؤوا غطفان وقيس غيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وضمنوا لهم النصرة عليه،

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «حديث الخندق. قال مولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي دام ظلّه في مجالسه الفاخرة: ...».

1. للمزيد راجع: السيرة النبويّة لابن هشام ٣: ١٦٥ ـ ١٨٣؛ تاريخ الطبري ٢: ١٧٨ ـ ١٨٤، حوادث سنة ٥؛ الكامل في التاريخ ٢: ٥٦٤ ـ ٥٨٠، حوادث سنة ٥.

وأخبروهم باتّباع قريش لهم، فأجابوهم إلى ذلك. وخرجت قريش وقائدها أبوسفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عينة بن حصن والحرث بن عوف ووبرة بن طريف.

فلمّا سمع رسول الله ﷺ باجتماع الأحزاب عليه وقوّة عزيمتهم، استشار أصحابه، فأجمعوا على المقام بالمدينة وحرب القوم على أنقابها، وأشار سلمان الفارسي بالخندق، فأمر ﷺ بحفره، وعمل فيه بنفسه، وظهرت له معجزات باهرة، وأقبلت الأحزاب من فوق المسلمين ومن تحتهم، فهال المسلمين أمرهم، وارتاعوا من كثرتهم، كما حكم الله ـ عزّ وجلّ ـ إذ قال سبحانه في قصّتهم: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾[1].

وظهر في ذلك اليوم خَوْن المنافقين، وقالوا في رسول الله ما قالوا حتّى أنزل الله قرآناً يتلى آناء الليل وأطراف النهار: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[2] إلى آخر عشر آيات من سورة الأحزاب.

وأقام الأحزاب بمكانهم بضعاً وعشرين ليلة لم يكن منهم إلّا الرمي بالنبل والحصر.

ثمّ خرج عمرو بن عبد ودّ ـ وكان شجاع العرب لا ينازع في ذلك ـ وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن وهب، وضرار بن الخطّاب، ومرداس الفهري، حتّى مرّوا بمنازل كنانة، فقالوا: تهيّأوا يا بني كنانة للحرب، ثمّ أقبلوا تعنق بهم خيلهم، فاقتحموا الخندق، ثمّ جعلوا يجولون بين الخندق والمدينة، والمسلمون وقوف كأنّما على رؤوسهم الطير، حتّى همّ كثيرٌ منهم بالهَرَب، ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار، وكان عهد الله مسؤولاً ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ

---

١ و٢. الأحزاب (٣٣): ١٠ ـ ١٣.

الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلّا قَلِيلاً﴾[١] إلى آخر ما نزل يومئذٍ فيهم من سورة الأحزاب. وجعل عمرو بن عبد ودّ يدعو إلى البراز ويقول:

ولقد عجت من النداء لجمعكم هل من مبارز[٢]

ورسول الله ﷺ يقول: «من لهذا؟» فلم يجبه إلّا عليّ عليه السلام.

قال الإمام الشافعي ـ كما في مادّة «حيدرة» من حياة الحيوان[٣] ـ:

فقام عليّ ـ رضي الله عنه، وسلام الله عليه ـ وهو مقنّع بالحديد، فقال: «أنا له يا نبيّ الله» فقال له: «إنّه عمرو، اجلس».

قال الشافعي: فنادى عمرو: ألا رجل يبارز؟ ثمّ جعل يؤنّبهم ويقول: أين جنّتكم التي مَن قُتل منكم يدخلها؟ أين ناركم التي تزعمون أنّ مَن قُتل من عدوّكم يدخلها؟ فليبرز إليّ رجلٌ منكم لأُجهِّزه بسيفي إلى الجنّة، أو يجهّزني بسيفه إلى النار.

فقال رسول الله ﷺ: «من لهذا الكلب؟» فقام عليّ فقال: «أنا له يا رسول الله»

فقال رسول الله ﷺ: «إنّه عمرو» فنادى الثالثة، فقال عليّ: «أنا له يا رسول الله»

قال: «إنّه عمرو» فقال: «وإن كان عمرواً» فأذن له ﷺ.

وقال الإمام أبوجعفر الإسكافي:

فأدناه النبيّ ﷺ وقبّله، وعمّمه بعمامته، وخرج معه خطواتٍ كالمودّع له، القلقِ لحاله، المنتظر لما يكون منه، ثمّ لم يزل ﷺ رافعاً يديه إلى السماء، والمسلمون صموت حوله كأنّما على رؤوسهم الطير، وقد قال رسول الله ﷺ حينئذٍ: «برز الايمان كلّه إلى الشرك كلّه»[٤].

---

١. الأحزاب (٣٣): ١٦.

٢. راجع: المغازي للواقدي ١: ٤٧٠؛ الإرشاد للمفيد ١: ١٠٠؛ إعلام الورى ١: ٣٨٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٦٣.

٣. حياة الحيوان ١: ٣٩٠ بتفاوت.

٤. أُنظر المعيار والموازنة: ٩١.

ذكرتُ من إشفاق الرسول ﷺ على أميرالمؤمنين عليه السلام إذ برز إلى عمرو وإشفاق الحسين عليه السلام على ولده عليّ الأكبر إذ برز وهو ابن تسع عشرة سنة إلى ثلاثين[١]، وكان من أصبح الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، فاستأذن أباه في القتال فأذن له، ثمّ نظر إليه نظرة آيسٍ منه، وأرخى عينيه بالدموع وبكى، ثمّ قال: «اللهمّ اشهد، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إليه ـ فصاح وقال: ـ يابن سعد، قطع الله رحمك كما قطعت رحمي»[٢].

فتقدّم نحو القوم، وقاتل قتالاً شديداً، وقتل جمعاً كثيراً، ثمّ رجع إلى أبيه وقال: يا أبتِ العطش قد قتلني، وثقل الحديد أرهقني، فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوّى بها على الأعداء؟

فبكى الحسين وقال: «وا غوثاه يا بُنيّ من أين آتي لك بالماء؟ قاتِل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدّك محمّداً ﷺ فيسقيك بكأسه الأوفى شربةً لا تظمأ بعدها أبداً»[٣].

فرجع إلى موقف النزال، وقاتل أعظم القتال، فرماه منقذ بن مرّة العبدي فصرعه، فنادى: يا أبتاه عليك منّي السلام، ويقول لك: عجّل القدوم علينا.

فجاء الحسين حتّى وقف عليه، ووضع خدّه على خدّه وقال: «قتل الله قوماً قتلوك يا بُنيّ، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا»[٤].

---

١. للمزيد راجع: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٤؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١١٨؛ بحار الأنوار ٤٥: ٤٢، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٢. مثير الأحزان: ٦٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٦.

٣. مثير الأحزان: ٦٨ ـ ٦٩؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٦؛ بحار الأنوار ٤٥: ٤٣، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧، ذيل الحديث ٢.

٤. تاريخ الطبري ٥: ٤٤٦ ـ ٤٤٧، حوادث سنة ٦١؛ إعلام الورى ١: ٤٦٤ ـ ٤٦٥؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٧.

وخرجت زينب بنت عليّ تنادي: يا حبيباه، يا ابن أخاه، وجاءت فانكبّت عليه، فجاء الحسين فأخذها وردّها إلى النساء[1].

وعليها السياط لمّا تلوّت خلفتها أساور وعقود
ووراها كما غرّد الركب حدواً للثرى فيك أيّها الغريد
أتجدّ السرى وهنّ نساء ليس يردين ما السرى والبيد
عجباً لم تلن قلوب الأعادي لحنين يليّن منه الحديد
وقسوا حيث لم يعضّوا بنانا لعليل عضّت عليه القيود
وله حنّة الفصيل ولكن هيمته أُمية لا ثمود
ينظر الروس حوله زاهرات تنثني بها الرماح الميد[2]

١. تاريخ الطبري ٥: ٤٤٦ ـ ٤٤٧، حوادث سنة ٦١؛ إعلام الورى ١: ٤٦٤ ـ ٤٦٥؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٧.
٢. سحر بابل وسجع البلابل: ١٧٣ ـ ١٧٤.

المجلس السادس والعشرون*

قال الإمام الشافعي ـ كما في مادّة «حيدرة» من حياة الحيوان[1] ـ:

لمّا أذن النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام بمبارزة عمرو، مشى إليه حتّى أتاه، فقال له عمرو: مَن أنت؟ قال: «أنا عليّ بن أبي طالب».

قال: يابن أخي أُريد من أعمامك من هو أسنّ منك، فإنّي أكره أن أُهرق دمك.

فقال له عليّ ـ رضي الله عنه وسلام الله عليه ـ: «لكنّي والله لا أكره أن أُهرق دمك».

فغضب ونزل عن فرسه، وسلّ سيفه كأنّه شعلة نارٍ، ثمّ أقبل على عليّ عليه السلام مُغضَباً، فاستقبله عليّ بدَرَقته، فضربه عمرو في الدرقة فقدّها وأثبت فيها السيف، وأصاب رأس عليّ عليه السلام فشجّه.

قال: وضربه عليّ على حبل عاتقه، فسقط قتيلاً وثار العجاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير من تحت العجاج فعرف أنّ عليّاً قتله.

وجاء في بعض الروايات[2] ـ كما في مادّة «حيدرة» من حياة الحيوان[3] ـ أنّ عليّاً

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة للإمام الحجّة المعتمد السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي دام ظلّه. قال نفعنا الله به:».

١. حياة الحيوان الكبرى ١: ٣٩٠.

٢. راجع: كنز الفوائد ١: ٢٩٧؛ شواهد التنزيل ٢: ٥ ـ ٦، ح ٦٣٤؛ ينابيع المودّة ١: ٢٨٣ ـ ٢٨٤، الباب ٢٣، ح ٧؛ بحار الأنوار ٢٠: ٢١٥ و ٢٥٠، تاريخ نبيّنا ﷺ، الباب ١٧.

٣. حياة الحيوان الكبرى ١: ٣٩٠.

لمّا بارز عمراً، قال رسول الله ﷺ: «برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه».

ولمّا قتل عمراً انكشف أصحابه حتّى ضفزوا الخندق، وتبادر المسلمون حتّى سمعوا التكبير، فوجدوا نوفل بن عبدالله في جوف الخندق لم ينهض به فرسه، فجعلوا يرمونه بالحجارة، فقال: قِتلةً أجمل من هذه [ينزل إليّ بعضكم أُقاتله]، فنزل إليه أميرالمؤمنين عليه السلام فقتلهُ وأراد قتل هبيرة وعكرمة وضرار فلم يدركهم.

وأرسل الله بريح الصبا على قريش فأكفأت قدورهم، ورمت خيامهم، فولّوا منصرفين، وقد انخلعت قلوبهم بقتل عمرو، فبلغ اليهود وغطفان وقيس غيلان ذلك فهربوا يجبِّن بعضهم بعضاً، وردّ الله الذين كفروا بغيضهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ، وكان الله قويّاً عزيزاً.

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري: ما شبّهتُ قتل عمرو إلّا بما قصّ الله تعالى من قصّة داود وجالوت، يقول ـ جلّ شأنه ـ: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ * وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾[1].

وأقبل عليّ عليه السلام بعد قتله عمراً نحو رسول الله ﷺ ـ ووجهه يتهلّل ـ فقبّل رسول الله ﷺ وجهه، وقام أكابر الصحابة فقبّلوا أقدامه، كما في غزوة الأحزاب من المجلّد الثاني من إرشاد القلوب[2].

وقال له عمر بن الخطّاب ـ فيما رواه محمّد بن إسحاق وغيره ـ: هلّا سلبته يا عليّ درعه؛ فإنّه ليس في العرب درع مثلها؟ فقال عليه السلام: «استحييت أن أكشف عن سوأة ابن عمّي»[3].

لعن الله ابن سعد، بأيّ عين سلب درع الحسين، وأذن لأصحابه بسلب، فأخذ إسحاق بن حويّة قميصه، وأخذ ابن كعب سراويله، وأخذ قيس بن الأشعث ثوبه،

---

١. كشف الغمّة ١: ٢٠٤ ـ ٢٠٥؛ إعلام الورى ١: ٣٨٢، والآية في سورة البقرة (٢): ٢٥١.

٢. إرشاد القلوب ٢: ٦٤.

٣. الإرشاد للمفيد ١: ١٠٤؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٣: ٤٣٩؛ البداية والنهاية ٤: ١٢٢، حوادث سنة ٥.

وأخذ أبجُر بن كعب سراويله، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته، وأخذ الأخنس عمامته، وأخذ الأسود بن خالد نعليه، وأخذ جُمَيع بن الخلق سيفه، وأخذ بجدل الكلبي خاتمه، وقطع إصبعه مع الخاتم[1].

وتركوه عارياً بالعراء لوحوش الأرض وطير السماء، ومالوا على الفرش والحلل والإبل والخيل فانتهبوها، وانتهبوا رحله وثقله[2].

وسلبوا النساء وهنّ ينادين: وا محمّداه، وا عليّاه، فما انتصر لهنّ إلّا امرأة من بني بكر كانت مع زوجها في عسكر ابن سعد، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا عليهنّ يسلبونهنّ، أخذت سيفاً وأقبلت تنادي: يا آل بكر بن وائل، أتسلب بنات رسول الله؟! لا حكم إلّا لله يا لثارات رسول الله[3].

وانتهوا إلى الإمام عليّ بن الحسين وهو مسجّى على نطع من الأديم، وهو شديد المرض، فأراد الشمر قتله، فقال له حُمَيد بن مسلم: إنّه لِما به، ولم يزل حتّى دفعه عنه، فأخلوا النطع من تحته، وتركوه على الرمضاء يعالج حرّ المصيبة، وحرّ العطش، وحرّ الشمس، وحرارة الرمضاء، وآلام السقم[4].

قلبوه عن نضع مسجّاً فوقه   فبكت له أملاك سبع شداد

---

١. راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ١١٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٨ ـ ١٧٩؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٧ ـ ٥٨، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧؛ إعلام الورى ١: ٤٦٩.

٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٨ ـ ١٧٩؛ بحار الأنوار ٤٥: ٦٠ ـ ٦١، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٣. مثير الأحزان: ٧٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٨، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٤. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٢ ـ ١١٣.

المجلس السابع والعشرون

سار رسول الله ﷺ إلى خيبر في المحرّم الحرام سنة سبع للهجرة في ألف وأربعمائة مقاتل، ومعهم مائتا فرس[1]، وكانت الوقعة في صفر، والفتح فيها لأميرالمؤمنين عليه السلام بلا ارتياب، وظهر من فضله في هذه الغزوة ما أجمع على نقله المسلمون، واختصّ فيها من المناقب بما لم يشاركه فيه أحد من العالمين.

وذلك أنّه قد اتّفقت كلمة أهل الأخبار على أنّ رسول الله ﷺ أعطى الراية فيها أبابكر أوّلاً فرجع، ثمّ أعطاها عمر ثانياً فرجع ولم يكن فتح. فقال رسول الله ﷺ ـ كما في غزوة خيبر من صحيح البخاري[2] ـ: «لأُعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله».

قال: فبات الناس يَدُوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلمّا أصبح الناس غَدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن يُعطاها. فقال: «أين عليّ بن أبي طالب؟» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه.

---

١. راجع الكامل في التاريخ ٢: ٢١٦، حوادث سنة ٧.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٣٥٧، ح ٣٤٩٨. راجع أيضاً: مسند أحمد ١: ٢١٤، ح ٧٧٨؛ ٥: ٥٥٧ ـ ٥٥٨، ح ١٦٥٣٨؛ ٨: ٤٣٠، ح ٢٢٨٨٤؛ ٩: ٢٨، ح ٢٣٠٩٣؛ المعجم الكبير ٧: ٣٥، ح ٦٣٠٣، و٦: ١٥٢، ح ٥٨١٨؛ حلية الأولياء ١: ٦٢، الرقم ٤.

قال: فأرسلوا إليه، فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرئ حتّى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. إلى آخر الحديث(١).

في تاريخ ابن الأثير:

أنّ عليّاً نهض بالراية وعليه حلّة حمراء فأتى خيبر، فأشرف عليه رجل من اليهود فقال: من أنت؟ قال: «أنا عليّ بن أبي طالب» فقال اليهودي: غُلبتم يا معشر اليهود.

ـ قال: ـ وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني قد نقبه مثل البيضة وهو يقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحب شاكي السلاح بطل مجرّب

فقال عليّ عليه السلام:

«أنا الذي سمّتني أُمّي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

أكيلهم بالسيف كيل السندرة»

فاختلفا بضربتين، فبدره عليّ عليه السلام فقدّ الجحفة والمغفر ورأسه حتّى وقع في الأرض، وأخذ المدينة.

ونقل ابن الأثير عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال:

خرجت مع عليّ عليه السلام حين بعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه يهودي فوقع ترسه من يده، فتناول عليّ باباً كان عند الحصن فتترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتّى فتح الله على يديه، ثمّ ألقاه من يده، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجتهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه.

---

(١) وقد أخرجه مسلم بهذه الألفاظ أيضاً في باب فضائل عليّ عليه السلام من صحيحه ١.

---

١. صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢، كتاب فضائل الصحابة، ح ٢٤. وراجع: المناقب للخوارزمي: ١٧٠، ح ٢٠٣؛ كنز العمّال ١٣: ١٢٣، ح ٣٦٣٩٣.

ـ قال ابن الأثير: ـ فلمّا فتحت خيبر، جاء بلال بصفيّة وأُخرى معها على قتلى اليهود، فلمّا رأتهم التي مع صفيّة صرخت وصكّت وجهها، وحثت التراب على رأسها، فقال النبيّ ﷺ لبلال: «أنُزعت منك الرحمة، جئت بهما على قتلاهما؟!»[1].

بأبي أنت وأُمّي يا نبيّ الرحمة، لم ترضَ من بلال حين مرّ بيهوديّتين على قتلاهما الكفرة الفجرة، المحاربين لله ولرسوله، فكيف بك لو ترى العقائل من خفراتك والكريمات من بناتك، وهنّ على أقتاب الجمال بغير وطاء ولا غطاء، مكشّفات الوجوه بين الأعداء، يساقوهنّ كما تساق الزنوج والديلم، فمرّوا بهنّ على مصارع قتلاهنّ، وفيهم حجّة الله، ونجوم الأرض من آلك الطاهرين، فوجدنهم على الرمضاء، وقد أُسري برؤوسهم إلى الكوفة، فنادت حينئذٍ عزيزتك بضعة الزهراء عقيلتكم زينب: وا محمّداه، بناتك سبايا، وذرّيّتك مقتّلة، تسفى عليهم ريح الصبا، وهذا حسينك بالعراء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء[2].

وفي بعض المجموعات:

أرادت أن ترمي بنفسها عليه، فناداها الإمام زين العابدين بصوت أضعفته العلّة: «عمّتاه، ارحمي ضعف بدني، ارحمي الجامعة في عنقي، ودّعي أخاكِ وأنتِ على ظهر الناقة».

فجعلت تقول: ودّعتك السميع العليم يابن أُمّي، والله لو خيّرت المقام عندك والرحيل، لاخترت المقام عندك، ولو أنّ السباع أكلت لحمي.

واعتنقت سكينة جسد أبيها فاجتمعت عليها عدّة من الأعراب حتّى جرّوها عنه[3].

---

١. الكامل في التاريخ ٢: ٢٢٠ ـ ٢٢١، حوادث سنة ٧.

٢ و٣. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠ ـ ١٨١ بتفاوت في بعض الألفاظ.

فوا حرّ قلباه، كيف عانقته ونحره منحور، وصدره مكسور، ورأسه على القنا مشهور، ويا لهف نفسي، كيف رأته عاري الثياب، معفّراً بالتراب، أم كيف فارقته مطروحاً بالعراء، لوحوش الأرض وطير السماء، لا مغسّلاً ولا مكفّناً ولا مدفوناً، بلى يا رسول الله كان دمه غسله، والتراب كافوره، والقنا الخطي نعشه، وفي قلب من والاه قبره.

لهفي له وحريمه من حول مصرعه نوادبْ
يندبنه بمدامع من حرّ أجفان سواكبْ
أحسين بعدك لا هنا عيشٌ ولا لذّت مشاربْ
والجسم منك مجدّلٌ في الترب منعفر الترائبْ
ها نحن بعدك يا غريب الدار أمسينا غرائبْ

المجلس الثامن والعشرون*

ذكر أهل السِيَر والأخبار أنّ رسول الله ﷺ أرسل في ربيع الثاني سنة تسع للهجرة أميرالمؤمنين عليه السلام إلى بلاد طيّء[1]، ففتحها عنوةً ورجع ظافراً عليه السلام بالغنائم، وأسر من وجوه طيّء جماعة، وفرّ يومئذٍ عديّ بن حاتم ـ وهو أميرهم ـ إلى الشام، وكان حينئذٍ على دين النصارى، وجيء بأُخته من جملة من جيء بهم إلى المدينة من طيّء، فجعلت في حضيرة بباب المسجد، فمرّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه ـ وكانت امرأة جزلة ـ فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك.

قال: «ومن وافدك؟». قالت: عديّ بن حاتم.

قال: «الفارّ من الله ورسوله».

قالت: ثمّ مضى رسول الله ﷺ حتّى إذا كان الغد مرّ بي وقد آيست، فأشار إليَّ

---

* . هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «من المجالس الفاخرة سماحة سيّدنا ومولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي دام ظلّه. قال نفعنا الله به: ...».

١. راجع: الطبقات الكبرى ١: ٣٢١ ـ ٣٢٢؛ تاريخ الطبري ٣: ١١١ ـ ١١٥، حوادث سنة ٩؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، حوادث سنة ٩؛ السيرة الحلبيّة ٣: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

رجل من ورائه أن قومي إليه فكلّميه. قالت: فقمت إليه وقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك.

فقال: «قد فعلت، فلا تعجلي حتّى تجدي من قومكِ مَن يكون لك ثقة حتّى يبلغك إلى بلادك».

قالت: فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن كلّميه، فقيل: هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قالت: وأقمت حتّى قدم ركب من قضاعة، وإنّما أُريد أن آتي أخي بالشام، جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ـ صلّى الله عليك وآلك ـ قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ ـ قالت: ـ فكساني رسول الله ﷺ وحمّلني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتّى قدمت الشام[1].

لعن الله ابن مرجانة وابن آكلة الأكباد، هلّا فعلا بسبايا آل محمّد بعض ما فعله ﷺ بأُخت عديّ بن حاتم؛ إذ أرسلها إلى أخيها بتمام العزّ والإكرام، وأدخل نساء الحسين وصبيانه على ابن مرجانة، وكانت زينب عليها السلام قد لبست أرثّ[2] ثيابها وتنكّرت، فمضت حتّى جلست ناحية من القصر وحفّ بها إماؤها.

فقال ابن زياد: من هذه؟ فلم تجبه، فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

فأقبل عليهم ابن زياد فقال لها: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت زينب: الحمد الله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد ﷺ، وطهّرنا من الرجس

---

١. الطبقات الكبرى ١: ٣٢٢؛ السيرة الحلبيّة ٣: ٢٢٣ ـ ٢٢٤؛ تاريخ الطبري ٣: ١١٢ ـ ١١٤، حوادث سنة ٩؛ أُسد الغابة ٤: ١٠ ـ ١١، الرقم ٣٦٠٤؛ ٧: ١٥٧، الرقم ٦٩٨٩؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، حوادث سنة ٩.

٢. الأرثّ: البالي. المعجم الوسيط: ٣٢٨، «ر. ث. ث».

تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا.

فقال: كيف رأيت فعل الله بأخيك وأهل بيتك؟

فقالت: ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج[1] يومئذٍ، ثكلتك أُمّك يابن مرجانة.

فغضب اللعين من كلامها واستشاط حتّى همّ أن يضربها، فقال له ابن حريث: أيّها الأمير إنّها امرأة والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها.

فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعتاة المردة من أهل بيتك.

فرقّت عليها السلام وبكت وقالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، فإن كان هذا شفاك، فقد اشتفيت.

فقال اللعين: هذه سجّاعة[2] ولعمري كان أبوها سجّاعاً شاعراً[3].

وأفضع من هذا وقوف أهل البيت شباباً على درج الجامع في دمشق، حيث يقام جواري السبي، ودخولُهم مربّقين بالحبال على يزيد بن معاوية، وقد جلس للناس مجلساً عامّاً، وحفّ به وزراؤه، وعنده اليهود والنصارى، فقام رجل من أهل الشام حين نظر إلى فاطمة بنت الحسين، فقال: يا أميرالمؤمنين، أُريد منك أن تهب لي هذه الجارية.

فقالت فاطمة لعمّتها زينب ـ وقد ارتاعت ولاذت بها ـ: يا عمّتاه، أُوتمت على

---

١. الفَلْجُ: الظفَر والفَوْز. لسان العرب ٢: ٣٤٧، «ف. ل. ج».

٢. السجع: ... كلام له فواصِل كفواصِل الشعر من غير وزن، وصاحبه سجّاعة. لسان العرب ٨: ١٥٠، «س. ج. ع».

٣. راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ١١٥ ـ ١١٦؛ الكامل في التاريخ ٤: ٨١ ـ ٨٢، حوادث سنة ٦١؛ مثير الأحزان: ٩٠ ـ ٩١؛ إعلام الورى ١: ٤٧١ ـ ٤٧٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠١.

صغر سنّي وأُستخدم، فقالت: لا، ولا كرامة لهذا الفاسق.

فقال الشامي: من هذه الجارية؟

فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين.

فقال الشامي: الحسين بن فاطمة؟ قال: نعم.

فقال الشامي: لعنك الله أتقتل عترة نبيّك وتسبي ذرّيّته؟! والله ما توهّمت إلّا أنّهم سبي الروم.

فقال يزيد: والله لأُلحقك بهم، ثمّ أمر به، فضربت عنقه[1].

فيا غيرة الإسلام هبّي لمعضلٍ　　به الملّة البيضاء أدمعها حمرُ

أتغدوا مقاصير النبيّ حواسراً　　وآكلة الأكباد يحجبها قصرُ

---

١. الاحتجاج: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، احتجاج عليّ بن الحسين بالشام؛ مثير الأحزان: ١٠٠ ـ ١٠١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٨ ـ ٢١٩؛ بحار الأنوار ٤٥: ١٣٦ ـ ١٣٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٩.

المجلس التاسع والعشرون*

وردت بنت حاتم[1] على أخيها عديّ وهو في الشام، فقال لها ـ وكانت امرأة حازمة[2] ـ: ماذا ترين في أمر هذا الرجل، يعني رسول الله ﷺ؟

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبيّاً، فالسابق إليه فضيلة، وإن يكن مليكاً، فلن تذلّ عنده وأنت أنت.

قال عديّ: فخرجت حتّى أُقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده، فسلّمت عليه، فقال: «من الرجل؟» فقلت: عديّ بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنّه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بمَلِكٍ.

ثمّ مضى رسول الله ﷺ حتّى دخل بيته، فتناول وسادة فقذفها لي، فقال لي:

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة للإمام الفاضل مولانا حجّة الإسلام والمسلمين السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه:».

١. اسمها «سَفَّانَة» كما صرّح به ابن الأثير الجزري في أُسد الغابة ٧: ١٥٦، الرقم ٦٩٨٩، وابن حجر العسقلاني في الإصابة ٨: ١٨٠، الرقم ١١٣٠٣.

٢. رجل حازم: هو العاقل المميّز، ذو الحُنكة. لسان العرب ١٢: ١٣١، «ح. ز. م».

«اجلس على هذه». قال: قلت: لا، بل أنت فاجلس عليها، قال: «لا، بل أنت» فجلست عليها وجلس رسول الله ﷺ على الأرض[1]. وإنّما فعل هذا؛ لأنّ عديّاً رجل كريم.

لعن الله ابن آكلة الأكباد، ما أقلّ حياءه، أيّ رجل أكرم من زين العابدين وسيّد الساجدين؟ فكيف أوقفه عدوّ الله بين يديه مكشوف الرأس، حافي القدمين، والجامعة في عنقه، والغلّ في يديه، والقيد في رِجليه، وعمّاته وأخواته مرتّعاتٌ بالحبال نصب عينيه، وهو ينكث ثنايا الحسين بمخصرته، مستبشراً بأخذ الثار، واستئصال العترة الأطهار، مترنّماً بقوله:

لعبت هاشم بالملك، فلا		خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[2]

وكيف أقام عترة محمّد وذرّيّته على درج المسجد، يقام جواري السبي والناس تنظر إليهم، حتّى أتاهم شيخ من أهل الشام فقال لهم: الحمد لله الذي أهلككم وقتلكم، وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أميرالمؤمنين منكم.

فقال له الإمام زين العابدين: «يا شيخ هل قرأت القرآن؟». قال: نعم.

قال: «فهل قرأت: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾[3]؟».

قال: قرأت ذلك.

فقال له الإمام: «فنحن القربى، يا شيخ، فهل قرأت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّهُ﴾[4]؟».

فقال: نعم.

---

١. السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ٢٢٠ ـ ٢٢٣؛ الطبقات الكبرى ١: ٣٢٢؛ تاريخ الطبري ٣: ١١٤، حوادث سنة ٩؛ إعلام الورى ١: ٤٧١ ـ ٤٧٢؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، حوادث سنة ٩.

٢. حكاه الطبرسي في الاحتجاج: ٣٠٧، احتجاج زينب بنت عليّ بن أبي طالب...، وابن طاوس في الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٥، وابن الفتال في روضة الواعظين ١: ٤٣٣.

٣. الشورى (٤٢): ٢٣.

٤. الإسراء (١٧): ٢٦.

فقال الإمام: «فنحن القربى، وهل قرأت ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبىٰ﴾[1]؟».

قال: نعم.

فقال له الإمام: «فنحن القربى، يا شيخ، هل قرأت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2]؟».

قال: قرأت ذلك. فقال الإمام: «فنحن هم».

فبقي الشيخ ساكتاً ثمّ قال: بالله إنّكم هم؟

فقال الإمام: «بالله إنّا لنحن من غير شكّ، وحقّ جدّنا رسول الله».

فبكى الشيخ ورمى عمامته وبرئ من أعداء آل محمّد، فأمر يزيد به، فقتل بعد أن حسنت توبته[3].

فــليبكِ ديــن الله مــمّا نــابه ... وليــنثني الإســلام يــقرع نــابا

هـذا ابـن هـند وهـو شـرّ أُمـيّة ... مــن آل مـحمّد يستذلّ رقـابا

ويــصون نسـوته ويـبدو زيـنباً ... مــن خــدرها وسكـينة وربـابا

سلبت حقّاً مقانعها وما أبقت لها ... حاشى المهابة والجـلال حـجابا

---

١. الأنفال (٨): ٤١.

٢. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٣. الأمـالي للـصدوق: ١٤١، المـجلس ٣١، ح ٣؛ الاحـتجاج: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، احـتجاج عـليّ بـن الحسـين عليه السلام بالشام...؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١١ ـ ٢١٢.

المجلس الثلاثون*

كانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع من الهجرة[1]، أوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ إلى نبيّه ﷺ أن يسير إليها بنفسه، ويستنفر الناس للخروج معه، وأعلمه أنّه لا يحتاج فيها إلى حرب، ولا يمنى بقتال عدوّ، وأنّ الأُمور تنقاد إليه بغير سيف، وتعمّد بامتحان أصحابه بالخروج معه؛ ليتميّزوا بذلك، وتظهر به سرائرهم، وقد أينعت ثمارهم، واشتدّ القيظ عليهم، فأبطأ أكثرهم؛ رغبةً في العاجل، وحرصاً على المعيشة وإصلاحِها، وخوفاً من شدّة القيظ وبُعد المسافة ولقاء العدوّ.

واستخلف أميرالمؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومُهاجرِه، وقال له: «يا عليّ، إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي وبك»[2].

وذلك أنّه ﷺ علم من خبث نيّات الأعراب، وكثير من أهل مكّة ومَن حولها من غواهم وسفك دمائهم، فأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه عنها؛ إذ لم يكن فيها

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة مولانا السيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه. قال نفعنا الله به: ...».

١. للمزيد راجع: تاريخ الطبري ٣: ١٠٠ ـ ١١١، حوادث سنة ٩؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٧٦ ـ ٢٨٢، حوادث سنة ٩.

٢. الإرشاد للمفيد ١: ١٥٦؛ مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٨٤ ـ ٨٥، ح ٤٩؛ كنز العمّال ١١: ٦٠٧، ح ٣٢٩٣٤.

مَن يقوم مقامه في إرهاب العدوّ، وحراسة دار الهجرة، وحياطة من فيها، إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام.

فاستخلفه استخلافاً ظاهراً، ونصّ عليه بالإمامة من بعده نصّاً جليّاً، وذلك فيما تظاهرت فيه الرواية أنّ أهل النفاق لمّا علموا باستخلاف عليّ على المدينة حسدوه لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها، وعلموا أنّها تحترس به، وكانوا يؤثرون خروجه مع النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لما يرجونه من وقوع الفساد عند نأيهما عن المدينة، وحسدوه على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلّف من خرج منهم المشاقّ بالسفر والخطر، فأرجفوا به عليه السلام وقالوا: لم يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا استثقالاً له.

فلمّا بلغ أميرالمؤمنين عليه السلام إرجافهم، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «يا رسول الله، إنّ المنافقين يزعمون أنّك إنّما أخلفتني استثقالاً ومقتاً».

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «ارجع يا أخي إلى مكانك؛ فإن المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟»[١].

فتضمّن هذا القول نصّاً عليه بالإمامة، ودلّ على فضلٍ لم يشاركه فيه أحد، وأوجب له جميع منازل هارون من موسى إلّا ما خصّه العرف من الأُخوّة، واستثناه الرسول من النبوّة، وقد علم كلّ الناس أنّ هارون كان أخا موسى لأبيه وأُمّه، وشريكه في أمره، ووزيره على نبوّته، وأنّ الله سبحانه شدّ به أزره، وأنّه كان خليفته على قومه، وأنّه كان له فرض الطاعة عليهم، وكان أحبّ قومه إليه وأفضلهم لديه.

---

١. راجع: خصائص أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٩٠ ـ ٩١؛ تاريخ الطبري ٣: ١٠٠ ـ ١١١، حوادث سنة ٩؛ الإرشاد للمفيد: ١٥٦؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٧٦ ـ ٢٨٢، حوادث سنة ٩. للمزيد راجع الموسوعة ج ١، المراجعات، المراجعة ٢٨.

فلمّا جعل رسول الله ﷺ عليّاً بمنزلة هارون من موسى، أوجب له بذلك جميع ما عناه، إلّا ما خصّه العرف من الأُخوّة واستثناه الرسول من النبوّة.

وهذه فضيلة لم يبشّر له فيها أحد من العالمين، ولو علم الله ـ عزّ وجلّ ـ أنّ للمسلمين حاجةً في هذه الغزوة إلى الحرب، لما أذن في تخلّف أميرالمؤمنين عنها، بل علم أنّ المصلحة في استخلافه، فاستخلفه النبيّ ﷺ وخرج في ثلاثين ألفاً فيهم عشرة آلاف فارس[١]، ووجدوا في الطريق شدّةً من العطش، ووصل إلى تبوك فأقام بضع عشرة ليلة ـ وقيل: عشرين يوماً[٢] ـ قدم عليه يُحَنّة [بن رُؤبة] صاحب أيْلَة[٣]، فصالحه على الخير له، وصالح أهل أذرح[٤] وجَرباء[٥] عليها أيضاً.

وأُتي بـ«أُكَيْدر بن عبد الملك» أسيراً، وكان ملكاً على دومة [الجندل]، وكان نصرانيّاً، فحقن له دَمه، وصالحه على مال راتب في كلّ سنة، ورجع إلى قومه عزيزاً[٦].

لعن الله ابن مرجانة وابن آكلة الأكباد، هلّا فعلا بأسراء أهل البيت ما فعله رسول الله بأُكيدر إذ جاءه أسيراً، فأرجعه إلى قومه بدعة وأمان، لم يُسلَب منه عزّ ولا سلطان، وجيء بعبد الله بن يقطر أو قيس بن مسهر[٧] أسيراً إلى ابن مرجانة،

---

١. صرّح به الطبري في تاريخه ٣: ١٠٩، حوادث سنة ٩، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢: ٢٨١، حوادث سنة ٩.

٢. حكاه الحلبي عن الدمياطي في السيرة الحلبيّة ٣: ١١٩.

٣. هي مدينة على شاطئ البحر في مَنْصف ما بين مصر ومكّة. معجم البلدان ١: ٢٩٢؛ معجم ما استعجم ١: ٢١٦.

٤. أذْرُح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة ثمّ من نواحي البلقاء وعمّان مجاورة لأرض الحجاز. معجم البلدان ١: ١٢٨؛ معجم ما استعجم ١: ١٣٠.

٥. جرباء: هي قرية من أذرح بالشام. معجم البلدان ٢: ١١٨؛ معجم ما استعجم ١: ٣٧٤.

٦. راجع: السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ١٦٦ ـ ١٦٧؛ تاريخ الطبري ٣: ١٠٨، حوادث سنة ٩؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٨٠ ـ ٢٨١، حوادث سنة ٩؛ البداية والنهاية ٥: ٢١ ـ ٢٣، حوادث سنة ٩.

٧. راجع روضة الواعظين ١: ٤٠٥. فيه قال ابن الفتّال: «... بعث قيس بن مُسهر الصيداوي، ويقال بعث أخاه من الرضاعة عبدالله بن يَقْطُر ...».

فشتمه وعتا عليه عتوّاً كبيراً، وأمره أن يصعد المنبر فيسبّ الحسين وأباه وأخاه أو يقطعه إرباً إرباً. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ، وأكثر من الترحّم على عليّ عليه السلام والحسن والحسين، ولعن عبيدالله بن زياد وأباه وعُتاة بني أُميّة عن آخرهم. ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ هذا الحسين بن عليّ خير خلق الله وأنا رسوله إليكم، وقد خلّفته بالحاجز فأجيبوه.

فأمر ابن زياد به فرمي ـ وهو يسبّح الله ويقدّسه ـ من أعلى القصر فتقطّع[1].

فبلغ الحسين عليه السلام قتله، فاسترجع واستعبر بالبكاء، ثمّ قرأ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[2]. ثمّ قال: «جعل الله الجنّة ثواباً، اللهمّ اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً في مستقرٍّ من رحمتك، ورغائب من خور ثوابك، إنّك على كلّ شيءٍ قدير»[3].

وجيء بمسلم بن عقيل أسيراً إلى ابن مرجانة أيضاً، فشتمه وشتم عليّاً والحسن والحسين وعقيلاً، وقال له: قتلني الله إن لم أقتلك قِتلةً لم يُقْتَلها أحد في الإسلام.

فقال له مسلم: أما إنّك حقيق بأن تحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنّك لا تدع سوء القِتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك.

فأمر اللعين بكر بن حمران فقال له: اصعد واضرب عنقه، فصعد به وهو يكبّر الله ويستغفره، ويصلّي على رسوله، ويقول: اللهمّ احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. فضرب عنقه، وأتبع رأسَه جثّتَه.

---

١. الإرشاد للمفيد ٢: ٧٠؛ روضة الواعظين ١: ٤٠٥؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٥ ـ ١٣٦؛ وقعة الطفّ: ١٦٣؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٠، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٢. الأحزاب (٣٣): ٢٣.

٣. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٦؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٤، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

وبعث ابن زياد ـ لعنه الله ـ برأسه ورأس هاني بن عروة إلى يزيد، وصلب جثّتيهما بالكناسة بعد أن جرّوهما بالأسواق[1].

وما ينسى فلا ينسى وقوف عليّ بن الحسين عليه السلام أسيراً بين يدي هذا الزنيم، فقال له: من أنت؟. قال: «أنا عليّ بن الحسين».

فقال: أليس قتل الله عليّ بن الحسين؟

فقال الإمام عليه السلام: «كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله الناس».

فقال له: الله قتله!! فقال الإمام: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها﴾[2].

فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة على جوابي، وفيك بقيّة للردّ عليّ، اذهبوا به فاضربوا عنقه.

فتعلّقت به عمّته زينب وقالت: يابن زياد حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: لا والله، لا أُفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه.

فنظر ابن زياد ـ لعنه الله ـ إليها وإليه ساعة، ثمّ قال: عجباً للرحم إنّي لأظنّها ودّت إنّي قتلتها معه[3].

وأفجع من هذا وأمظّ دخول الإمام عليّ بن الحسين وعمّاته وأخواته على يزيد بن معاوية وهم مقرنون في الحبال، فلمّا وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال قال له عليّ بن الحسين: «أُنشدك الله يا يزيد، ما ظنّك برسول الله ﷺ لو رآنا على هذه الصفة؟» فأمر يزيد بالحبال فقطعت.

---

١. راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ٦٢ ـ ٦٣؛ مثير الأحزان: ٣٦ ـ ٣٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢١ ـ ١٢٢؛ وقعة الطفّ لأبي مخنف: ١٣٩ ـ ١٤١.

٢. الزمر (٣٩): ٤٢.

٣. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٦ ـ ١١٧؛ إعلام الورى ١: ٤٧٢ ـ ٤٧٣؛ مثير الأحزان: ٩١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠٢؛ الدرّ النظيم: ٥٦١؛ وقعة الطفّ لأبي مخنف: ٢٦٣.

ثمّ وضع رأس الحسين بين يديه، فلمّا رأته زينب، أهوت إلى جيبها فشقّته، ثمّ نادت بصوتٍ حزين يقرح القلوب: يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يابن مكّة ومنى، يابن فاطمة الزهراء سيّدة النساء، يابن بنت المصطفى، فأبكت والله كلّ من في المجلس.

ثمّ جعلت امرأة من بني هاشم تندب الحسين وتنادي: يا حبيباه، يا سيّدا أهل بيتاه، يابن محمّداه، يا ربيع الأرامل واليتامى، يا قتيل أولاد الأدعياء، فأبكت والله كلّ من سمعها[1].

وتهتف شجواً بالحماة كأنّما   تعلمن منها هاتفات الحمائم
وتذري دموعاً كالعقيق سوافحاً   عليهم ونار الوجد ملئ الحيازم
ومن بلد تسبى إلى شرّ بلدة   ومن ظالم تهتدى إلى شرّ ظالم

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٣؛ بحار الأنوار ٤٥: ١٣٢، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٩، ذيل الحديث ١.

المجلس الحادي والثلاثون

لمّا جهّز رسول الله ﷺ جيش مؤتة، جعل الأمير يومئذٍ ابن عمّه جعفر بن أبي طالب، وقال ﷺ: «إن أُصيب جعفر، فزيد بن حارثة، فإن أُصيب زيد، فعبد الله بن رواحة»[1].

وقيل: إنّه قدّم زيداً، فقال جعفر: ما كنت أرهب أن تستعمل عليَّ زيداً. فقال ﷺ: «امضِ فإنّك لا تدري أيّ ذلك خير»[2].

قال ابن الأثير:

ثمّ ساروا، فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها: «مشارف» وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: «مؤتة» فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقاتل زيد براية رسول الله ﷺ حتّى شاط في رماح القوم، ثمّ أخذها جعفر فقاتل وهو يقول:

---

١. الأمالي للطوسي: ١٤٠ ـ ١٤٢، المجلس ٥، ح ٤٣. فيه: لمّا قدم جعفر بن أبي طالب من بلاد الحبشة بعثه رسول الله ﷺ إلى مؤتة و... ولكن في أكثر مصادر أهل السنة: استعمل رسول الله ﷺ عليهم زيد بن حارثة وقال: «إن أُصيب زيد بن حارثة فجعفر ....

حكى اليعقوبي هذا الاختلاف في تاريخه ١: ٣٨٣ ـ ٣٨٤. للمزيد راجع أيضاً: السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ١١؛ تاريخ الطبري ٣: ٣٦، حوادث سنة ٨؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٤: ٣٥٨ ـ ٣٧١؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٣٤، حوادث سنة ٨؛ عيون الأثر لابن سيّدان ٢: ٢٠٨.

٢. رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٨: ٣٦٥، ح ٢٢٦١٤، والبيهقي في دلائل النبوّة ٤: ٣٦٧.

يا حبّذا الجنّة واقترابُها طيّبة وباردٌ شرابُها
والروم روم قد دنى عذابُها كافرة بعيدة أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتها ضرابُها

فلمّا اشتدّ القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثمّ قاتل القوم حتّى قتل ـ وكان أوّل من عقر فرسه في الإسلام ـ فوجد به بضع وثمانون جرحاً، ما بين ضربة ورمية وطعنة.

بأبي أنت وأُمّي يا أباعبدالله. بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله، لئن وجدوا في جسد عمّك بضعاً وثمانين جرحاً، فلقد أُصبت يوم الطفّ بألف وتسعمائة، ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورضخة بحجر[1].

رماك الدارمي يا ريحانة المصطفى بسهم فأثبته في حنكك الشريف. وضربك ابن النسر الكندي على رأسك بالسيف يا حشاشة الزهراء حتّى امتلأ برنسك دماً، فاستدعيت بخرقة شددت بها رأسك تحت العمامة. ووقفت يا سيّدي لتستريح ساعة وقد ضعفت عن القتال، فأتاك حجر في جبهتك المباركة، فأخذت الثوب لتمسح الدم عن وجهك، فأتاك سهم مسدّد مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبك الطاهر، فأخرجته من ظهرك، فانبعث الدم كأنّه ميزاب[2].

سهم رمى أحشاك يابن المصطفى سهم به كبد الهداية قد رمي
يا أرض ميدي، يا سماء تفطّري يا شمس غيبي، يا جبال تقسّمي

---

١. حكاه ابن شهر آشوب بلفظ «قيل». راجع أيضاً: مناقب آل أبي طالب ٤: ١٢٠. ولكن في مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٢؛ مثير الأحزان: ٧٦؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٨ روي: أنّه وجد في قميصه مائة وبضع عشرة مابين رمية وضربة وطعنة. قال الصادق عليه السلام: «وجد بالحسين عليه السلام ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة».

٢. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٩؛ مثير الأحزان: ٧٣؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٢.

قال ابن الأثير:

فلمّا قتل جعفر أخذ الراية عبدالله بن رواحة، فتردّد بعض التردّد، ثمّ قال يخاطب نفسه:

أقسمت يا نفس لتنزلنّهْ طائعة أو لا لتكرهنّهْ

إن أجلب الناس وشدّوا الرنّهْ ما لي أراكِ تكرهين الجنّهْ

قد طال ما قد كنت مطمئنّهْ هل كنتِ إلّا نطفة في شنّهْ

وقال أيضاً:

يا نفس إن لم تقتلي تموتي هذا حِمام الموت قد صليتي

وما تمنّيتِ فقد أُعطيتِ إن تفعلي فعلهما هديتِ

وتقدّم فقاتل حتّى قُتل.

ثمّ إنّ الخبر جاء من السماء في ساعته إلى النبيّ ﷺ فصعد المنبر وأمر فنودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: «ثار خبر ـ ثلاثاً ـ عن جيشكم هذا الغازي، إنّهم لقوا العدوّ، ثمّ نعى لهم زيداً وجعفراً وعبدالله».

وقال ﷺ ـ بعدها بليلة ـ: «مرّ بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة، له جناحان مخضّب القوادم بالدم»[1].

وفي ترجمة جعفر من كتاب الاستيعاب:

بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأُولى سنة ثمان من الهجرة، فقاتل فيها جعفر حتّى قطعت يداه جميعاً، ثمّ قتل، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنّة حيث يشاء»[2].

وقد لحقه في هذه الفضيلة شبل أخيه قمر بني هاشم فإنّه قطعت يداه في سبيل الله تعالى، وضرب على هامته بعمود من حديد.

---

١. الكامل في التاريخ ٢: ٢٣٤ ـ ٢٣٨، حوادث سنة ٨. راجع أيضاً: السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ٢٠؛ تاريخ الطبري ٣: ٣٦ ـ ٤٢، حوادث سنة ٨.

٢. الاستيعاب ١: ٢٤٢، الرقم ٣٢٧.

ولئن أُصيب ذو الجناحين ببضع وثمانين جراحة، فلقد روي في حديث بني أسد: أنّه لمّا دفنوا العبّاس عليه السلام، كانوا كلّما رفعوا منه جانباً سقط الآخر؛ لكثرة ضرب السيوف وطعن الرماح.

وامتاز العبّاس بعظيم المواساة، فإنّه لمّا اقتحم المشرعة قال: لا أشرب الماء وأبوعبدالله عطشان.

وهل سمعت بأحد من الأوّلين والآخرين فدى قربة من الماء رجاء أن يشربها أخوه وعياله وأطفاله بنفسه، ووقاها حرصاً على إيصالها إليهم بمهجته؟

وليتك يا ساقي عطاشى كربلاء أرويت كبدك الحرّى بجرعة منها قبل مقتلك، وليتهم إذ قتلوك أبقوا ماءها لغسلك، وبالعزيز على سكينة عزيزة أخيك أن تراك ذبيحاً دون يسير من الماء توصله إليها، ويعزّ على عقيلتكم زينب أن تراك مقطّعاً نصب عينيها، وليتك ترى أخاك الوحيد واقفاً عليك وهو ينادي: الآن انكسر ظهري، الآن تبدّد عسكري وقلّت حيلتي، ثمّ بكى بكاءً شديداً.

أحقّ الناس أن يبكى عليه ... فتى أبكى الحسين بكربلاءِ
أخوه وابن والده عليّ ... أبوالفضل المضرّج بالدماءِ
ومن واساه لا يثنيه شيء ... وجاد له على عطش بماءِ[1]

ونقل ابن الأثير عن أسماء زوجة جعفر ذي الجناحين ـ رضي الله عنها ـ قالت:

أتاني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد غسلت أولاد جعفر ودهنتهم، فأخذهم وشمّهم ودمعت عيناه، فقلت: يا رسول الله، أبلغك عن جعفر شيء؟

قال: «نعم أُصيب هذا اليوم» ثمّ أمر أهله أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً، فهو أوّل طعام عُمل في الإسلام[2].

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٠؛ مقاتل الطالبيّين: ٥٥.

٢. الكامل في التاريخ ٢: ١١٥.

بأبي أنت وأُمّي يا نبيّ الرحمة، دمعت عيناك إذ رأيت يتامى ابن عمّك جعفر، مع أنّهم كانوا في هيئة حسنة، وزيّ بهيج، وأمرت لهم بطعام، مع أنّهم لم يكونوا جياعاً، رأفة منك ورحمة.

فكيف بك لو رأيت يتاماكم يوم عاشوراء جياعاً عطاشى، حفاة عراة، مدهوشين والهين، مربقين بالحبال، يخافون أن يتخطّفهم الناس من حولهم، هذا يضربهم، وهذا يسلبهم، وذاك يضرم النار في خيامهم، وآخر ينتزع الملاحف عن ظهورهم، وظهور أُمّهاتهم وعمّاتهم؟ وليتك يا نبيّ الرحمة تراهم ليلة الحادي عشر من المحرّم وقد أحاطت بهم الأعداء، وهم يرون ثمانية عشر من حماتهم، واثنين وسبعين من شيعتهم جثثاً على الرمضاء، ورؤوسهم على أطراف الرماح.

يا رسول الله لو عاينتهم ... وهم ما بين قتلٍ وسبا

من رميض يمنع الظلّ ومن ... عاطش يسقى أنابيب القنا

ومسوق عاثر يسعى به ... خلف محمول على غير وطا

لرأت عيناك منهم منظراً ... للحشا شجواً وللعين قذى[1]

---

١. ديوان الشريف الرضي ١: ٤٤ ـ ٤٥؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٣١؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ٤٥٤.

المجلس الثاني والثلاثون*

روى الإمام محبّ الدين أبوجعفر أحمد بن عبدالله بن محمّد بن أبي بكر بن محمّد بن إبراهيم الآملي المكّي الشافعي إمام الحرم بمكّة شرّفها الله، في كتابه ذخائر العقبى: أنّ النبيّ ﷺ قال: «أنا وأهل بيتي كشجرة في الجنّة وأغصانها في الدنيا، فمن شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً فليحبّنا»[1].

وقال النبيّ ﷺ: «في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من توفدون»[2].

أخرجه الملّاء في سيرته، وابن حجر في صواعقه[3].

---

* . هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة سيّدنا ومولانا الحجّة السيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه. قال نفعنا الله به: ...».

١. ذخائر العقبى: ١٦. راجع أيضاً: ينابيع المودّة ٢: ١١٣، الباب ٥٦، ح ٣٧؛ الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١.

٢. ذخائر العقبى: ١٧.

٣. راجع: الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١؛ ينابيع المودّة ٢: ١١٣ ـ ١١٤، الباب ٥٦، ح ٣١٨.

وقال ﷺ: «أهل بيتي أمان لأُمّتي»[١].

وقال: «النجوم أمانٌ لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء. وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المناقب[٢].

وقال ﷺ: «استوصوا بأهل بيتي خيراً، فإنّي أُخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دخل النار»[٣].

وقال ﷺ: «أربعة أنا لهم شفيع: المكرم لذرّيّتي، والقاضي حوائجهم، والساعي في أمرهم، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه»[٤].

«ولو أنّ رجلاً صفَّ بين الركن والمقام، وصلّى وصام ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيتي، دخل النار»[٥].

وقال الحسين بن عليّ: «من دمعت عيناه فينا دمعة بقطرة، أعطاه الله الجنّة»[٦].

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٠، الباب ٣١، ح ١٤؛ المستدرك على الصحيحين ٣: ٢٤١، ح ٣٧٢٨؛ المعجم الكبير ٧: ٢٢، ح ٦٢٦؛ نوادر الأُصول ٣: ٦١، الأصل ٢٢٢؛ مسند أبي يعلى ١٣: ٢٦٠، ح ٧٢٧٦؛ ذخائر العقبى: ١٧؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٧٧، ح ١٥٠٢٥؛ كنز العمّال ١٢: ١٠٢، ح ٣٤١٨٨.

٢. حكاه عنه محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى: ١٧، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ١١٤، الباب ٥٦، ح ٣٢٠. للمزيد راجع أيضاً: المستدرك على الصحيحين ٣: ٢٤١، ح ٣٧٢٨؛ فرائد السمطين ٢: ٢٥٢ ـ ٢٥٣، ح ٥٢٢.

٣. ذخائر العقبى: ١٨؛ الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١؛ ينابيع المودّة ٢: ١١٥، الباب ٥٦، ح ٣٢٤.

٤. مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٣٠؛ بشارة المصطفى: ٦٩ ـ ٧٠، الجزء الثاني، ح ١؛ ذخائر العقبى: ١٨؛ كنز العمّال ١٢: ١٠٠، ح ٣٤١٨٠؛ ينابيع المودّة ٢: ١١٥، الباب ٥٦، ح ٣٢٤.

٥. المعجم الكبير ١١: ١٤٢، ح ١١٤١٢؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٠، ح ٤٧٦٦؛ ذخائر العقبى: ١٥؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٧٢، ح ١٥٠٠٦.

٦. ذخائر العقبى: ١٩؛ ينابيع المودّة ٢: ١١٧، الباب ٥٦، ح ٣٣٧؛ عيون صحاح الأخبار: ٣٩٥ ـ ٣٩٦، ح ٧٩٤؛ بشارة المصطفى: ١٠٨، الجزء الثاني، ح ٤٦، بتفاوت في الألفاظ.

وقال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تعلّق بها فاز، ومن تخلّف عنها زجّ في النار»[١].

وقال ﷺ: «يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبّهم من أُمّتي كهاتين السبّابتين»[٢].

وقال ﷺ: «من صنع إلى أحدٍ من أهل بيتي يداً كافَيتُه عنه يوم القيامة»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة، أنت وأنا وهذين ـ حسناً وحسيناً ـ وهذا الراقد ـ يعني عليّاً ـ في مكان واحد يوم القيامة».

أخرجه الإمام أحمد[٤].

وأخرج الترمذي وأبوحاتم عن زيد بن أرقم، أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ وفاطمة وحسن وحسين: «أنا حربٌ لمن حاربتم، وسلمٌ لمن سالمتم»[٥].

ولمّا نزلت: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٦] قالوا: يا رسول الله، مَن هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال ﷺ: «عليٌّ وفاطمة وابناهما»[٧].

---

١. ذخائر العقبى: ٢٠. رواه أيضاً: الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٤٥ ـ ٤٦، ح ٢٦٣٦ ـ ٢٦٣٨، والصدوق بألفاظ أُخر في عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٠، الباب ٣١، ح ١٠، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٥، ح ١٤٩٧٨ ـ ١٤٩٨١.

٢. مقاتل الطالبيّين: ٤٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٤٥؛ ذخائر العقبى: ١٨؛ الصواعق المحرقة: ١٥٣، الباب ١١، الفصل ١؛ ينابيع المودّة ٢: ١١٦، الباب ٥٦، ح ٣٢١.

٣. من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٥، ح ١٧٣٧؛ الكافي ٤: ٦٠، باب الصدقة لبني هاشم و...، ح ٨؛ ذخائر العقبى: ١٨؛ ينابيع المودّة ٢: ٣٧٩، الباب ٥٦، ح ٧٦.

٤. مسند أحمد ١: ٢١٧، ح ٧٩٢ بتفاوت. رواه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٤٠ ـ ٤١، ح ٢٦٢٢، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٨ ـ ٢٦٩، ح ١٤٩٩١.

٥. الجامع الصحيح ٥: ٦٩٩، ح ٣٨٧٠؛ الكامل في ضعفاء الرجال ٢: ٨٦ـ٨٧، الرقم ١٠٣٠٧. للمزيد راجع أيضاً: المعجم الكبير ٣: ٤٠، ح ٢٦١٩ ـ ٢٦٢٠؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٠، ح ٤٧٦٨؛ ذخائر العقبى: ٢٥.

٦. الشورى (٤٢): ٢٣.

٧. المعجم الكبير ٣: ٤٧، ح ٢٦٤١؛ شواهد التنزيل ٢: ١٣٠ ـ ١٣٤، ح ٨٢٢ ـ ٨٢٨؛ ذخائر العقبى: ٢٥؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٦، ح ١٤٩٨٢.

و «إنّ الله تعالى جعل أجري عليكم المودّة لأهل بيتي، وإنّي سائلكم عنهم غداً»[١].

وقال سعد بن أبي وقّاص: إنّ لعليّ ثلاثاً لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت النبيّ يقول له: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟». وسمعته يقول يوم خيبر: «لأُعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه» فأعطاها عليّاً. ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[٢] دعا عليّاً وفاطمة وحسناً وقال: «اللهمّ هؤلاء أهلي».

أخرجه مسلم والترمذي[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ أهل بيتي سيلقون بعدي أثرةً وشدّةً وتطريداً في البلاد»[٤].

فكان الأمر كما قال؛ إذ أوثر يزيد بن هند صاحب الخمور والفجور والفهود على سبطه وريحانته سيّد شباب أهل الجنّة أبي عبدالله عليه السلام، ولاقى من الشدّة الشديدة والضنك والضيق ما أوجب له الهرب من حرم جدّه إلى مكّة حرم الله، ثمّ هرب منها إلى العراق بأصحابه وأهل بيته وعياله وأطفاله، فتعلّق بهم ما لا يفعل بالشراة والخوارج، وقابلوهم بما لا يقابلون به أهل الخنا والريب حتّى سبوا عياله وذبحوا أطفاله، هبوا أنّكم قاتلتموا فقتلتم فما ذنب أطفال يقاسي نبالها؟

يا لله، يا للمسلمين، ما ذنب عبدالله الرضيع حين أخذه أبوه ليودّعه فجعل يقبّله

---

١. ذخائر العقبى: ٢٦؛ ينابيع المودّة ١: ٣١٦، الباب ٣٢، ح ٤.

٢. آل عمران (٣): ٦١.

٣. صحيح مسلم ٤: ١٨٧١، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٢؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٣٨، ح ٣٧٢٤. رواه أيضاً النسائي في خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: ٨٥، ح ٥٤، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤: ٧١، ح ٤٦٣٢.

٤. ذكر أخبار أصبهان ٢: ١٢؛ ذخائر العقبى: ١٧؛ ميزان الاعتدال ٤: ٤٢٣، الرقم ٩٦٩٥.

ويبكي ويقول: «ويل لهؤلاء القوم إذا كان جدّك محمّد المصطفى خصمهم»[١] فرماه حرملة بن كاهل بسهم فوقع في نحره فذبحه، فقال لزينب: «خذيه» ثمّ تلقّى الدم بكفّيه، فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء وقال: «هوّنَ عليّ ما نزل [بي] أنّه بعين الله».

قال الباقر عليه السلام: «فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض»[٢].

قال: واشتدّ العطش بالحسين فركب المسنّاة يريد الفرات والعبّاس أخوه بين يديه، فاعترضه خيل ابن زياد، فرمى رجل من بني دارم الحسين بسهم، فأثبته في حنكه الشريف، فانتزع ـ صلوات الله عليه ـ السهم وبسط يديه تحت حنكه حتّى امتلأت راحتاه من الدم ثمّ رمى به وقال: «اللهمّ إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيّك»[٣].

ثمّ اقتطعوا العبّاس عنه فجعل يحمل عليهم ويحملون عليه وهو في ذلك يطلب شربة من ماء فلا يجد حتّى أصابه اثنان وسبعون جراحة، فوقف يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال، فبينا هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته الشريفة، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن جبهته فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبه، فقال: «بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله»[٤]. ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: «إلهي أنت تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيره»[٥]. ثمّ أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كأنّه ميزاب، فضعف عن القتال

---

١. حكاه الخوارزمي في مقتله ٢: ٣٧، ولكن في الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٨، ومثير الأحزان: ٦٩، والملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٩ روي عنه عليه السلام في شهادة القاسم بن الحسن، ووقعة الطفّ لأبي مخنف: ٣٤٤.

٢. مثير الأحزان: ٧٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٩؛ بحار الأنوار ٤٥: ٤٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٣. الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٩؛ مثير الأحزان: ٧٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٠.

٤. مثير الأحزان: ٧٣؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٢.

٥. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٢. روي أيضاً بنقيصة في الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٩، ومثير الأحزان: ٧٣، وبحار الأنوار ٤٥: ٥٠، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

ووقف، وكلّما أتاه رجل انصرف عنه؛ كراهة أن يلقى الله بدمه، حتّى جاءه رجل من كندة يقال له: مالك بن النسر، فشتم الحسين عليه السلام وضربه على رأسه الشريف بالسيف فقطع البرنس ووصل السيف إلى رأسه فامتلأ البرنس دماً، ثمّ استدعى الحسين بخرقة فشدّ بها رأسه، واستدعى بقلنسوة فلبسها واعتمّ عليها.

فلبثوا هنيئة، ثمّ عادوا إليه وأحاطوا به، فخرج عبدالله بن الحسن فلحقته زينب لتحبسه، فأبى وامتنع امتناعاً شديداً، فقال: والله لا أُفارق عمّي الحسين. فأهوى بحر بن كعب ـ وقيل: حرملة بن كاهل ـ إلى الحسين بالسيف، فقال له الغلام: ويلك يابن الخبيثة أتقتل عمّي؟ فضربه بالسيف فاتّقاها الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة، فنادى الغلام: يا عمّاه ـ وقيل: نادى: يا أُمّاه[1] ـ فأخذه الحسين فضمّه إليه وقال: «يابن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين»[2].

يا غيرة الله غار الصبر فانهتكي	هتك النساء لما في كربلاء كانا
هبي الرجال بما تأتي به قتلت	وإن يكن قتلت ظلماً وعدوانا
ما بال أطفالها صرعى ونسوتها	أسرى يجاب بها سهلاً وأحزانا
تهدى وهنّ كريمات النبيّ إلى	من أعظمها لله كفرانا
والمسلمون بمرأى لا ترى أحداً	لله ولرسول الله غضبانا

١. قال به المفيد في الإرشاد ٢: ١١٠، وابن حاتم الشامي في الدرّ النظيم: ٥٥٧، وأبومخنف في وقعة الطفّ: ٢٥٤.

٢. إعلام الورى ١: ٤٦٨؛ مثير الأحزان: ٧٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٣؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٣ ـ ٥٤، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

المجلس الثالث والثلاثون*

لمّا اشتدّ غضب الرشيد على العلويّين جعل يتربّص بهم الدوائر، منهم من قتله قتلاً، ومنهم من صلبه صلباً، فتفرّقوا عنه في البلدان.

وكان من جملة من مضى القاسم بنُ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام[1]، فخرج من المدينة متخفّياً حتّى أتى «حيّ أبي حمزة» فبينا هو في حيرة شديدة، إذ وفد عليه بنتان صغيرتان تلعبان تقول إحداهما للأُخرى: لا، وحقّ المنتجب بالوصيّة، والحكم بالرعيّة، والفاصل بالقضيّة، وصاحب بيعة الغدير، ما كان الأمر كذا وكذا.

فلمّا سمع ذلك منهما، تهلّل وجهه بشراً، ثمّ قال لإحداهما: يا بنيّة، ولمن تعنين؟ قالت: أعني به سيف الله المسلول، وزوج البتول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

---

* . هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت.

١. هو أخو الإمام عليّ بن موسى من أُمّه، وكان أبوه يعظّمه ويحبّه حبّاً شديداً، كما يظهر من قوله عليه السلام: «لو كان الأمر إليّ لجعلته في القاسم ابني؛ لحبّي إيّاه ورأفتي عليه ...».

وفيه أيضاً رواية أُخرى تدلّ على اهتمام أبيه فيه، حيث قال عليه السلام مخاطباً له: «قم يا بنيّ فاقرأ عند رأس أخيك ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ حتّى تستمّها، فقرأ، فلمّا بلغ ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمَّنْ خَلَقْنَا﴾ قضى الفتى ...».

قبره قريب من مدينة الحلّة في العراق بحوالي ثلاث فراسخ و يزار من قِبَل عامّة الناس.

للمزيد راجع: الكافي ١: ٣١٤، باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن الرضا عليه السلام، ح ١٤، و ٣: ١٢٦، باب إذا عسر على الميّت الموت و...، ح ٥؛ منتهى الآمال ٢: ٣٦٢؛ معجم رجال الحديث ١٤: ٦٠ـ ٦١، الرقم ٩٥٥٥.

فقال: يا جارية، اهديني على رئيس هذا الحيّ.

قالت: هو أبي وأنا ابنته.

فجاء القاسم حتّى دخل عليه، فأكرمه غاية الإكرام، وأقام في خدمته ثلاثة أيّام، فلمّا قضيت الثلاثة أيّام قال القاسم لصاحب الحيّ: إنّي سمعت ممّن سمع من رسول الله ﷺ: «إنّ الضيف إلى ثلاثة أيّام، ومن بعدها فليأكل الصدقات»[1]. فأُحبّ منك أن تجعل لي بعض الأشغال حتّى لا يكون زادي صدقة. فجعله سقّاً كما أراد القاسم.

وبقي القاسم مدّةً في حيّ أبي حمزة، لا يعرفه أحد من القوم، فانتبه الشيخ ليلة فرأى القاسم قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، فقال: ويلك يا شيخ، هذا وليّ من أولياء الله، اللهمّ اغفر لي بما قصّرت في حقّه؟ وقرّبه إليه حتّى صار له عنده منزلة، فزوّجه ابنته وأقامه في داره إلى أن رزقه الله ابنة واحدة.

وبقي القاسم عندهم وقد أينعت بلادهم، وأخصبت وأثمرت أشجارهم، ونمت وكثر عليهم النماة والبركة، كلّ ذلك ببركة القاسم بن الإمام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هذا وهم لم يعرفوا أنّه ابن الإمام موسى بن جعفر، ولم يزل قائماً بينهم إلى أن مرض المرض الذي توفّي فيه، وكان الشيخ يزوره، فأقبل الشيخ يوماً على عادته لزيارة القاسم، فرآه يعالج سكرات الموت، فأخذ برأسه وجرّه إليه وقال: يا قاسم قل: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله ﷺ، عليّ وليّ الله، فقال القاسم فوق ما قال عمّه.

فقال له عمّه: يا قرّة عيني من أنت؟ ولمن تنتسب؟ فإنّي أرى لك نوراً ما أراه لأحد في هذا الحيّ لغريب أو قريب، فدمعت عين القاسم فمسح الشيخ دموعه

---

١. راجع كنز العمّال ٩: ٢٤٦، ح ٢٥٨٦٣، و ٢٥٣، ح ٢٥٩٠٨ ـ ٢٥٩٠٩.

وبكى لبكائه، ثمّ قال له: يا عمّ أخاف أن يطفح عليك ممّا أُخبرك به.

فبكى الشيخ وقال: الله أكبر يا عمّ لعلّك علويّ؟

قال: نعم يا عمّ، ولولا أن تسألني ما أخبرتك؛ لأنّ الرشيد ما أبقى من أهل هذا البيت أحداً إلّا قتله، أو صلبه، أو بدّده حتّى شرّدهم عن خيرهم.

فقال الشيخ: يا عمّاه أنت ابن مَن؟

فقال: ابن الإمام موسى بن جعفر.

فلمّا سمع الشيخ، جعل يلطم على رأسه ويقول: وا حيائي من أبيك، لقد استخدمناك، فاجعلني يا سيّدي في حِلّ ممّا قصّرت في أمرك.

فقال القاسم: يا عمّ لا بأس عليك غفر الله لك.

ثمّ قال الشيخ: يا قرّة عيني أوصني بما شئت فإنّي فاعل إن شاء الله.

فقال: يا عمّ، إذا أنا قضيت نحبي فغمّضني، وشدّ لحيتي، وغسّلني وكفّنّي وادفنّي في مكاني، ونوّه باسمي على قبري، وإذا خرجت إلى مكّة فاجعل طريقك على مدينة جدّي رسول الله ﷺ، وخذ ابنتي وزوجتي معك، فإذا دخلت المدينة فأطلق ابنتي هذه، فإنّها ستأتي إلى محلّة بني هاشم، وتأتي داراً عالية وإنّ تلك الدار هي لنا ليس فيها رجال إلّا أرامل وأيتام؛ لأنّ الرشيد لم يدع لنا فيها أحداً، ثمّ قضى نحبه صابراً محتسباً.

فقام الشيخ وهو ينادي: وا قاسماه، وا غريباه، وا ابن إماماه. ثمّ قام في تجهيزه وتكفينه ودفنه، فلمّا كان الموسم مضى للحجّ وأخذ معه ابنته وابنة القاسم، فقضى حجّه ومناسكه وأتى المدينة المنوّرة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والتحيّة ـ ثمّ قال لابنته: الآن يستبين لك البرهان، فجعلت البنت تمشي على هدوء ووقار حتّى أتت داراً عالية، فدخلت البنت، فما مضى قليلاً إلّا وقد علا البكاء والصراخ من داخل الدار، وارتفع الضجيج، وبكت أُمّ القاسم ونادت: وا ولداه، وا قاسماه، وا مهجة قلباه.

فصاح الشيخ من خارج الدار: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، ومهبط العلم والتوحيد، خذوا ابنتكم عظّم الله أجركم، والله ما عرفنا عن عزيزكم القاسم حتّى أدركته الوفاة.

لا تأمن الدهر إنّ الدهر ذو غِيَرٍ   وذو لسانين في الدنيا ووجهين

أخنى على عترة الهادي فشتّتهم   فلا ترى جامعاً منهم بشخصين

هذا القاسم بن الإمام موسى بن جعفر وإن كان مات غريباً وحيداً، لكنّه وفد على قوم حفظوه وأكرموه وزوّجوه، وأقام بينهم على كلّ كرام حتّى توفّاه الله، فغسّل وكفّن ودفّن ورأسه معه.

لكنّ القاسم بن الحسن لمّا ورد مع عمّه الحسين إلى كربلاء، وكان ما كان من أمر ابن زياد وابن سعد، وضيّقوا على الحسين ومنعوه وأهل بيته من شرب الماء، وقتل من قتل من أصحابه وأهل بيته.

جاء القاسم يطلب الرخصة من عمّه الحسين ويقال: أنّه قال: «يابن أخي أنت العلامة من أخي الحسن، دعني أتسلّى بك».

فقال: يا عمّ إنّي لا أُحبّ الحياة بعد هذه الفترة.

بينما هو يخاطبه إذ خرجت امرأة من بين الخيام تقوم مرّة وتقعد أُخرى، فقال عليه السلام لأُخته زينب: «يا أُختاه أوَ ليست هذه أُمّ القاسم؟».

قالت: بلى يا أخاه.

فقال: «يا بنيّ ارجع إلى أُمّك لتتسلّى بك».

قال: يا عمّ ستنظر أُمّي ما تقول.

فلمّا وصلت إلى الحسين سلّمت عليه والتفتت نحو القاسم، وقالت: يا قاسم إنّي حملتك في بطني تسعة أشهر، وساهرتك الليالي، والآن لم أكن أرضى منك إلّا أن تجتهد في نصرة عمّك الحسين.

قال: يا أُمّاه لأنعمنّكِ عيناً، فهذي وصيّتك لي وعندي لكِ وصيّة.

فقالت: قل يا نور عيني.

قال: يا أُمّاه إذا تشربين بارد الماء فاذكري عطشي، وإذا رأيت عروساً قد زفّت إلى زوجها فاذكري أيّام تزويجي، وإذا رأيت شابّاً قد صارت أثواب عرسه أكفانه فاذكري شبابي. ويقال: إنّ القاسم لمّا استأذن عمّه بالبراز، بكيا حتّى غشي عليهما[1].

مصائب لا أُنادي الصبر فيها وأدعو الإله ولا أُجيب

١. للمزيد راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٨؛ مقاتل الطالبيّين: ٥٨؛ مثير الأحزان: ٦٩؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٧ ـ ١٦٨؛ الدرّ النظيم: ٥٥٦؛ بحار الأنوار ٤٥: ٣٤ ـ ٣٥، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه السلام، الباب ٣٧؛ وقعة الطفّ لأبي مخنف: ٢٤٣ ـ ٢٤٤. فيها لم تذكر الواقعة بالتفصيل الذي ذكره المؤلّف رحمه الله.

المجلس الرابع والثلاثون*

روى الواقدي: أنّ عبدالله بن جعفر فاخر يزيد بن معاوية [بين يدي معاوية] فقال له: بأيّ آبائك تفاخرني، أبحَرْبٍ الذي أجرناه، أم بأُميّةَ الذي مَلكناه، أم بعبد شمس الذي كفَلْناه؟

فقال معاوية: لحرب يقال هذا؟ ما كنت أحسب أنّ أحداً في عصر حَرْب يزعم أنّه أشرف من حَرْب.

فقال عبدالله: بل أشرف من حَرْب من كفأ عليه إناءه وجلّله بردائه.

فقال معاوية ليزيد: يا بنيّ إنّ عبدالله يفخر عليك بك؛ لأنّك منه وهو منك.

فاستحيا عبدالله وقال: يدان انتشطتا وأخوان اصطرعا.

فلمّا قام عبدالله قال معاوية ليزيد: يا بنيّ إيّاك ومفاخرة بني هاشم؛ فإنّهم لا يجهلون ما علموا، ولا يجد مبغضهم لهم سبّا.

أمّا قوله: «أبحَرْبٍ الذي أجرناه» فإنّ قريشاً كانت إذا سافرت فصارت على العَقَبة لم يتجاوزها أحد حتّى تمرّ قريش، فخرج حرب بن أُميّة ليلة، فلمّا صار على العقبة، لقيه رجل من بني حاجب بن زُرارة، فتنحنح حَرْب وقال: أنا ابن أُميّة،

---

* . هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة مولانا الحجّة السيّد عبد الحسين شرف الدين المعظّم دام ظلّه:...».

فتنحنح الرجل وقال: أنا ابن حاجب بن زرارة، ثمّ سبق فجاز العَقَبة، فغضب حَرْب وقال: لاها الله، لا تدخل بعدها مكّة وأنا حيّ، فمكث الرجل حيناً لا يدخل مكّة، وكان مَتْجَره بمكّة، فاستشار بمن يستجير، فأُشير عليه بـ[عبد المطّلب أو بـابنه] الزبير بن عبد المطّلب.

فدخل مكّة ليلاً وأناخ ناقته بباب الزبير عمّ النبيّ ﷺ، فرغت الناقة، فقام إليه الزبير فقال: أمستجير فتجار؟ فقال:

لاقيتُ حرباً بالثنيّة مُقبلاً ... والليل أبلج[1] نوره للساري

فعلى بصوتٍ واكتنى ليروعني ... ودعا بدعوة معلنٍ وشعارِ

فتركته خَلْفي وجُزْتُ أمامه ... وكذاك كنتُ أكون في الأسفارِ

فمضى يهدّدني ويمنع مكّة ... إلّا أحلّ بها بدار قرارِ

فتركته كالكلب ينبح وحده ... وأتيتُ قَرْم[2] مكارم وفخارِ

ليثاً هِزبَراً[3] يستجار بقربه ... رَحْب المباءة[4] مكرماً للجارِ

وحلفت بالبيت العتيق وحجبه ... وبزمزم والحِجر والأستارِ

إنّ الزُبَير لمانعي بمهنّدٍ ... صافي الحديد صارمٍ بتّارِ

فقال الزبير: اذهب فقد أجرتك، فلمّا أصبح نادى الزبير أخاه الغَيْداق فخرجا متقلّدين سيفيهما، وخرج الرجل معهما، فقالا له: امْشِ أمامنا لتَرمُقك أبصارنا، فجعل يشقّ مكّة حتّى دخل المسجد، فلمّا بصر به حرب قال: وإنّك لها هنا ولطمه، فصاح الزبير وقال: أتلطمه وقد أجرته؟! ثمّ انتضى الزبير سيفه وحمل على حرب

---

١. بلج الصبح ...: أسفر وأضاء. لسان العرب ٢: ٢١٥، «ب. ل. ج».

٢. القرم من الرجال: السيّد المعظّم. لسان العرب ١٢: ٤٧٣، «ق. ر. م».

٣. الهزبر: من أسماء الأسد. لسان العرب ٥: ٢٦٣، «هـ. ز. ب. ر».

٤. المباءة: ... أي نزلت من الكرم في صميم النسب. لسان العرب ١: ٣٩، «ب. و. أ».

ففرّ من يديه، وسعى الزبير خلفه فلم يرجع عنه حتّى هجم حرب على عبد المطّلب داره، فقال: ما شأنك؟ فقال: ابنك الزبير يريد قتلي، قال: اجلس، وكفأ عليه إناء كان هاشم يهشم فيه الثَريد، واجتمع الناس وانضمّ بنو عبد المطّلب إلى الزبير ووقفوا على باب أبيهم وبأيديهم سيوفهم، فأزّر عبد المطّلب حرباً بإزار كان له، [وردّاه برداء له] طرفان وأخرجه إليهم، فعلموا أنّ أباهم قد أجاره فتركوه.

وأمّا معنى قوله: «أم بأُميّة الذي ملكناه» فإنّ عبد المطّلب راهَن أُميّة على فرسخين، وجعل الخطر[1] لمن سبقت فرسه مائةً من الإبل، وعشرة أعبُد، وعشر إماء، واستعباد سنة، وجزّ الناصية. فسبق فرس عبد المطّلب فأخذ الخطر فقسّمه في قريش، وأراد جزّ ناصية أُميّة، فقال: أفتدي باستعباد عشر سنين، فكان أُميّة يعدّ في مماليك عبد المطّلب.

وأمّا قوله: «بعبد شمس الذي كَفلْناه» فإنّ عبد شمس كان مُمْلقاً وكان أخوه هاشم يكفله إلى أن مات هاشم[2].

أقول: ولم يزل لبني هاشم الفضل على بني أُميّة في الجاهليّة، وكفاك من فضلهم في الإسلام أنّ رسول الله ﷺ بعد أن قاتله بنو أُميّة في بدرٍ وأُحد والأحزاب، وبذلوا جهدهم في إطفاء نوره قبل الهجرة وبعدها، وقتلوا ابن عمّه عبيدة وعمّه حمزة وأكلوا كبده ومثّلوا به، ثمّ لمّا أظفره الله بهم يوم الفتح نادى مناديه: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[3].

---

١. الخَطَر: الذي يوضع في النضال والرهان. لسان العرب ٤: ٢٥١، «خ. ط. ر».

٢. حكاه عن ابن عساكر عن الشعبي في تاريخ مدينة دمشق ٢٧: ٢٦٥ ـ ٢٦٧، الرقم ٣٢٢٢، والواقدي ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٥: ٢٢٩ ـ ٢٣١.

٣. تهذيب الأحكام ٦: ١٣٧، ح ٢٣٠؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٢٦٠؛ بحار الأنوار ٩٨: ١٧، كتاب الجهاد والمرابطة، الباب ٢، ح ١.

فكان جزاء رسول الله ﷺ من آل أبي سفيان أنّهم لمّا ظفروا بعترته فعلوا بهم ما يقرح القلوب، ونادى مناديهم: أحرقوا بيوت الظالمين، فأخرجوا نساءه من الخيم ينادين بالويل والثبور: وا جدّاه، وا رسول الله، ثمّ أضرموا النار فيها. وحملوا آل رسول الله ﷺ وودائع النبوّة على أقتاب الجمال، وساقوهنّ كما يساق سبي الديلم[1].

واقتسمت القبائل رؤوس الشهداء ـ وكانت ثمانية وسبعين رأساً[2] ـ لتتقرّب إلى بني أُميّة، فجاءت هوازن باثني عشر رأساً، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستّة عشر رأساً[3]. وتركوا أجسادهم بالعراء لوحوش الأرض وطير السماء، تصهرهم الشمس مرمّلين بالدماء، تسفي عليهم ريح الصبا وأعضاؤهم مرضرضة من حوافر خيل الأعداء، وبالعزيز عليك يا رسول الله أن ترى حبيبك وريحانتك مفصوم[4] العرى.

بأبي من أوجب الله على الناس ولاه ... بأبي من لم يدع من فلك إلّا سماه

بأبي أفدي قتيلاً رضّت الخيل قراه ... عقرت ما وطئت إلّا لقرآن مجيده

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠ ـ ١٨١؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٨ ـ ٦١، تاريخ الحسين بن علي سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٣؛ الدرّ النظيم: ٥٥٩، وفيهما: «كانت اثنين وسبعين رأساً».

٣. راجع: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٠.

٤. الفصم: الكسر من غير بينونة. لسان العرب ١٢: ٤٥٣، «ف. ص. م».

المجلس الخامس والثلاثون*

روى الزمخشري بإسناده، قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة مهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمّة مِن ولدها أُمناء ربّي، وحبلٌ ممدود بينه وبين خلقه، مَن اعتصم بهم نجا، ومن تخلّف عنهم هلك»[1].

وروى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[2] بأسانيدَ متعدّدةٍ عن رسول الله ﷺ قال: «يا أيّها الناس، تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخَذتم بهما لن تضلّوا بعدي: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين السماء والأرض؛ وعترتي أهل بيتي، [ألا] وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوضَ»[3].

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة مولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه. قال أيّده الله: ...».

١. مائة منقبة من مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام: ٧٦ ـ ٧٧، المنقبة ٤٤؛ مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٩٩، الفصل ٥، ح ٢١؛ نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٢٧، ح ٢٥؛ فرائد السمطين ٢: ٦٦، ح ٣٩٠.

٢. آل عمران (٣): ١٠٣.

٣. حكاه عنه ابن طاوس في الطرائف ١: ١٢١ ـ ١٢٢، ح ١٨٥، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٢٥٣، الباب ٥٦، ح ٧١١.

وفي الجمع بين الصحيحين[١] ما يقرب من هذا.

وفي الجمع بين الصحاح الستّة قال رسول الله ﷺ: «رحم الله عليّاً، اللهمّ أدرِ الحقّ معه حيثُ دار»[٢].

وقال ﷺ لعمّار: «سيكون في أُمّتي بعدي هنات[٣] واختلاف، حتّى يختلف السيف بينهم، وحتّى يقتل بعضهم بعضاً، ويتبرّأ بعضهم من بعض.

يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، إنّ عليّاً لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى.

يا عمّار، من تقلّد سيفاً أعان به عليّاً على عدوّه، قلّده الله وشاحَيْن من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان عدوّه، قلّده الله يوم القيامة وشاحَيْن من نار، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الذي عن يميني، وإن سلك الناس كلّهم وادياً، فاسلك وادياً سلكه عليّ، وخلّ الناس طرّاً.

يا عمّار، إنّ طاعة عليّ طاعتي، وطاعتي من طاعة الله»[٤].

وروى أحمد بن موسى بن مردويه من عدّة طرقٍ عن أُمّ المؤمنين عائشة أنّ رسول الله ﷺ قال: «الحقّ مع عليّ، وعليّ مع الحقّ، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٥].

---

١. الجمع بين الصحيحين للإشبيلي ٣: ٥٥٠ ـ ٥٥١، ح ٤٢٤٧. روي أيضاً ـ بتفاوت في بعض الألفاظ ـ في مسند أحمد ٤: ٣٠، ح ١١١٠٤؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣، ح ٣٧٨٨؛ المعجم الكبير ٥: ١٥٣ ـ ١٥٤، ح ٤٩٢١ ـ ٤٩٢٣؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٥٦، ح ١٤٩٥٧.

٢. حكاه عنه ابن طاوس في الطرائف: ١٠٢، ح ١٤٩. ورواه الترمذي أيضاً في الجامع الصحيح ٥: ٦٣٣، ح ٣٧١٤، وابن مردويه في مناقبه: ١١٤، ح ١٣٥.

٣. هَناتٌ أي شدائدُ وأُمور عظام. لسان العرب ١٥: ٣٦٧، «هـ. ن. أ».

٤. تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٧٢ ـ ٤٧٣، الرقم ٤٩٣٣؛ الطرائف ١: ١٠١ ـ ١٠٢، ح ١٤٨؛ كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين: ٢٣٤؛ البداية والنهاية ٧: ٣٤٠، حوادث سنة ٦٩.

٥. مناقب عليّ بن أبي طالب لابن مردويه: ١١٥ ـ ١١٦، ح ١٤٠.

وفي مسند أحمد بن حنبل من عدّة طرق، وفي الجمع بين الصحاح الستّة عن أُمّ سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي فأتت فاطمة، فقال: «ادعي زوجك وابنيك» وكان تحت كساء خيبري، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] فأخذ فضل الكساء وكساهم به، ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، اللهمّ أذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً»[2].

صلّى الله عليك يا رسول الله، وعلى أهل بيتك الطاهرين المظلومين، أحيى الله لك العزاء بآلك الأصفياء.

أمّا النبيّ فقد قضى وبُلبه ... من فعلهم قبسات وجدٍ مكمنِ
والمرتضى أردوه في محرابه ... بيمين أشقى العالمين وألعنِ
والبضعة الزهراء ماتت بعدما ... ألقت بضرب سياطهم للمحسنِ
وبشربة السمّ النقيع عداوة ... من كفّ جعدة قد قضى الحسنِ
وإليك عنّي لا تقل حدّث بما ... لاقى الحسين فرزئة قد شفّني
حيث المصائب جمّة لا أدري ... ما منها أقصّ عليك إذ كلّفتني

نعم، أقصّ عليك مصيبته بأطفاله:

فعن أبي الفرج الإصفهاني:

إنّه كان في مخيّم الحسين ستّ أطفال وقفوا ـ وقد أضرّ بهم العطش ـ في باب الخيمة فأتلعوا برقابهم[3] ينظرون إلى الفرات كأنّه بطون الحيتان، فجاءتهم السهام

---

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. رواه ابن طاوس في الطرائف ١: ١٠٢ ـ ١٠٣، ح ١٥٠، والعلّامة في نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٢٥، ح ٢٤، والبياضي عن أحمد البياضي في الصراط المستقيم ١: ٢٧٤، الباب ٨. ورواه الحسكاني أيضاً في شواهد التنزيل ٢: ٨٣ ـ ٨٤، ح ٧٥٨ و ٧٥٩.

٣. أتلعوا أعناقهم ... أي رَفعوها. لسان العرب ٨: ٣٦.

فذبحتهم عن آخرهم، وكان الحسين قد تناول الرضيع ليودّعه، فلمّا أومأ إليه ليقبّله، رماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه، فتلقّى الحسين عليه السلام دمه بكفّيه، فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء، فلم يسقط منه قطرة إلى الأرض، ثمّ قال: «هوّن عليّ ما نزل بك بعين الله»[١].

وقيل: إنّ الطفل كان مغمى عليه من شدّة العطش، فلمّا أحسّ بحرارة السهم، أخرج يديه من القماط واحتضن أباه[٢].

ولمّا سقط الحسين عن ظهر جواده، خرج عبدالله بن الحسن ـ وهو غلام لم يراهق ـ واشتدّ حتّى وقف إلى جانب عمّه، فلحقته عمّته لتحبسه، فأبى وامتنع شديداً وقال: والله لا أُفارق عمّي الحسين، فأهوى بحر بن كعب لعنه الله ـ وقيل: اللعين حرملة بن كاهل[٣] ـ إلى الحسين بالسيف، فقال له: ويلك يا ابن الخبيثة، أتقتل عمّي الحسين؟ فضربه بالسيف فاتّقاها الطفل بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة، فنادى الغلام: يا عمّاه ـ وقيل: يا أُمّاه[٤] ـ فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إليه وقال: «يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير؛ فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين»[٥]. فرماه حرملة ـ لعنه الله ـ بسهمٍ فذبحه وهو في حجر عمّه.

هبوا أنّكم قاتلتموا فقتلتم   فما بال أطفال تقاسي نبالها

---

١. انظر مقاتل الطالبيّين: ٥٩ ـ ٦٠.

٢. لم نعثر على قائله.

٣. ممّن قال به أبوالفرج الإصفهاني في مقاتل الطالبيّين: ٥٨، والمفيد في الإرشاد ٢: ١١٠.

٤. قال به المفيد في الإرشاد ٢: ١١٠، وابن حاتم الشامي في الدرّ النظيم: ٥٥٧، وأبومخنف في وقعة الطفّ: ٢٥٤.

٥. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٠؛ إعلام الورى ١: ٤٦٨؛ مثير الأحزان: ٧٣ ـ ٧٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٣.

المجلس السادس والثلاثون

ذكر الزبير بن بكّار عن محمّد بن الحسن المخزومي، عن عبد الرحمن بن عبدالله، عن أبيه، عن أبي وَجزَة قال:

لمّا حضرت الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلميّة حرب القادسيّة، ومعها بنوها أربعة رجال، فقالت لهم من الليل:

يا بنيّ، إنّكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين. ووالله الذي لا إله إلّا هو إنّكم لبنو رجل واحد، كما إنّكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجّنت حسبكم، ولا غيّرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أنّ الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾[1]. فإذا أصبحتم غداً سالمين إن شاء الله تعالى فاغدوا إلى قتال عدوّكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها، وأضرمت لظى عن سياقها، وجلّلت على أرواقها، فتيمّموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة.

---

١. آل عمران (٣): ٢٠٠.

فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على قولها، فلمّا أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وأنشأ أوّلهم يقول:

يا إخوتي إنّ العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ رعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنّما تلقون عند الصائحة من آل ساسان الكلاب النائحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة وأنتم بين حياة صالحة
أو ميتةٍ تورث غنماً رابحة

وتقدّم فقاتل حتّى قتل رحمه الله تعالى.

ثمّ برز الثاني وهو يقول:

إنّ العجوز ذات حَزمٍ وجَلَدْ والنظر الأوفق والرأي السددْ
قد أمرتنا بالسداد والرَشدْ نصيحةً منها وبرّاً بالولدْ
فباكروا الحرب حُماةً في العددْ إمّا لفوزٍ باردٍ على الكبدْ
أو ميتةٍ تورثكم عزّ الأبدْ في جنّة الفردوس والعيش الرغدْ

فقاتل حتّى قتل رحمه الله تعالى.

ثمّ حمل الثالث وهو يقول:

والله لا نعصي العجوز حرفا قد أمرتنا حزناً وعطفا
نُصحاً وبرّاً صادقاً ولُطفا فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتّى تلاقوا آل كسرى لفّا أو يكشفوكم عن حماكم كشفا
إنّا نرى التقصير منكم ضعفا والقتل فيكم نجدةً وزلفى

فقاتل حتّى قُتل رحمه الله تعالى.

ثمّ برز الرابع وهو يقول:

لست للخنسا ولا للأخرمِ ولا لعمرو ذي السناء الأقدمِ

إن لم أُرد في الجيش جيش الأعجمِ ماضٍ على الحول خضمّ خضرمِ
إمّا لفوز عاجل أو مغنمِ أو لوفاة في السبيل الأكرمِ

ثمّ قاتل حتّى قتل رحمه الله تعالى.

فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم، وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته[١].

ذكرت من حال هذه المرأة الصالحة حال أُمّ وهب بن حباب الكلبي يوم عاشوراء حين برز إلى ثلاثين ألفاً فأحسن في الجلاد، وبالغ في الجهاد، وكانت معه امرأته ووالدته فرجع إليهما وقال: يا أُمّاه أرضيتِ أم لا؟ فقالت: يا بنيّ، ما رضيت حتّى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام.

وقالت امرأته: بالله عليك لا تفجعني بنفسك.

فقالت له أُمّه: يا بنيّ، أُغرب عن قولها وارجع، فقاتل بين يدي ابن بنت نبيّك تنل شفاعة جدّه يوم القيامة.

فرجع ولم يزل يقاتل حتّى قطعت يداه في سبيل الله تعالى، فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: قاتل فداك أبي وأُمّي يا وهب دون الطيّبين من حرم رسول الله ﷺ.

فقال لها: كيف كنتِ تنهينني عن القتال، والآن تأمرينني به؟

قالت: لا تلمني يا وهب، فإنّي سمعت من سيّدي ومولاي الحسين كلمة كسرت قلبي، سمعته يقول:

«أما من ناصر فينصرنا؟ أما من موحّد يخاف الله فينا؟ أما من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله؟».

---

١. راجع: الاستيعاب ٤: ١٨٢٧ ـ ١٨٢٩، الرقم ٣٣١٤؛ أُسد الغابة ٧: ٩٩ ـ ١٠٠، الرقم ٦٨٧٦؛ الإصابة ٨: ١١١، الرقم ١١١١٢.

فأقبل كي يردّها إلى النساء، فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود حتّى أموت معك.

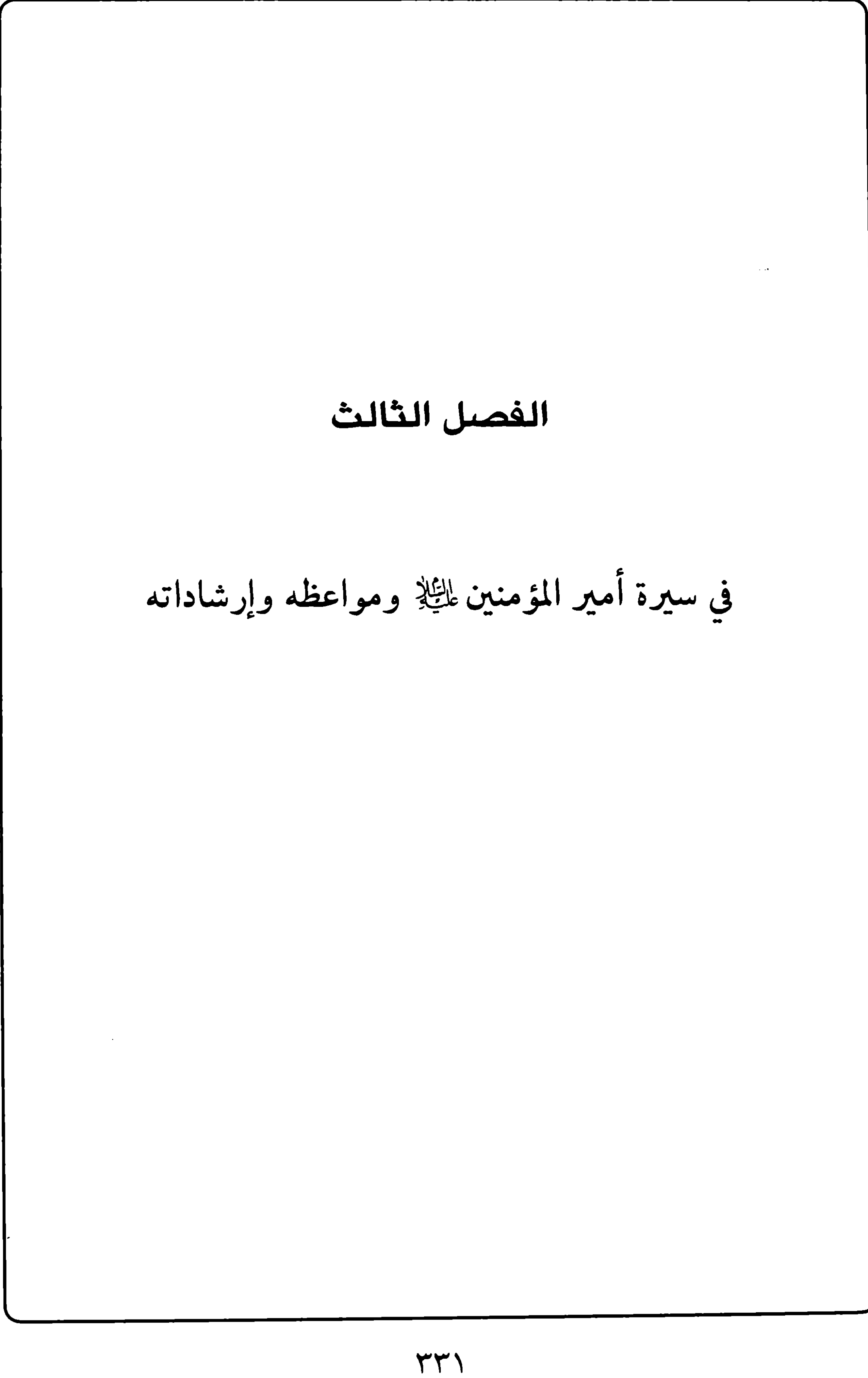
فقال الحسين عليه السلام: «جُزيتم عن أهل بيتي خيراً، ارجعي إلى النساء رحمك الله» فانصرفت إليهنّ[1].

ولم يزل يقاتل حتّى قتل رحمه الله تعالى.

رجال تواصوا حيث طابت أُصولهم وأنفسهم بالصبر حتّى قضوا صبرا
حماة حموا خدراً أبى الله هتكه فعظّمه شأناً وشرّفه قدرا

---

١. راجع: الفتوح لابن أعثم ٥: ١٨٩ ـ ١٩١؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٥ ـ ١٦، مثير الأحزان: ٧١ ـ ٧٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦١.



الفصل الثالث

في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه وإرشاداته

المجلس السابع والثلاثون*

كان أميرالمؤمنين عليه السلام أوّل من آمن بالله ورسوله، وأوّل ذَكرٍ دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الإسلام فأجاب، ولم يزل ينصر الدين، ويجاهد المشركين، ويذبّ عن الإيمان، ويقتل أهل الزيغ والطغيان، وينشر معالم السنّة والقرآن، ويحكم بالعدل، ويأمر بالإحسان سواه.

وكان مقامه مع الرسول صلى الله عليه وآله بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة بمكّة قبل الهجرة مشاركاً له أيّام حصارهم له في الشعب، وقبلها وبعدها متحمّلاً أكثر عنه أثقاله.

ولبث بعد الهجرة في خدمته عشر سنين بالمدينة، يكافح عنه المشركين، ويجاهد دونه الكافرين، ويقيه بنفسه من أعدائه في الدين إلى أن اختار الله لنبيّه صلى الله عليه وآله دار كرامته، ورفعه في علّيّين[1].

فمضى صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين يومئذٍ ثلاثون سنة، وكان قدعهد إليه بالإمامة، ونصّ على أنّه خليفته من بعده[2].

---

* . هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة مولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه: ...».

١. للمزيد راجع: الإرشاد للمفيد ١: ٦؛ روضة الواعظين ١: ٣١٧ـ٣١٨، ح ٣٢٨.

٢. للمزيد راجع الموسوعة ج ١، المراجعات، المراجعة ٢٠.

فكانت مدّة إمامته بعد النبيّ ﷺ ثلاثين سنة، منها أربع وعشرون سنة وستّة أشهر ممنوعاً فيها من التصرّف في أُمور المسلمين، ومنها خمس سنين وستّة أشهر مُمْتَحناً بجهاده الناكثين والقاسطين والمارقين، ومضطَهداً بفتنِ الضالّين[١].

كما كان رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة من نبوّته خائفاً مترقّباً محبوساً تارةً، ومطروداً مرّة، وهارباً أُخرى، لا يتمكّن من جهاد، ولا يقدر على دفاع، ثمّ هاجر ﷺ فأقام بعد الهجرة عشر سنين مجاهداً للمشركين، وممتحناً بالمنافقين، فما أشبه حال الوصيّ بحال النبيّ صلوات الله عليهما وآلهما، وما أجلّ رزاياهما، وأعظم غنائمهما[٢].

وكانت وفاة أميرالمؤمنين سنة أربعين، ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، شهيداً قتيلاً بسيف أشقاها[٣].

وكان ابن ملجم ـ لعنه الله ـ بايعه فيمن بايعه ثمّ أدبر عنه، فدعاه فتوثّق منه وتأكّد عليه أن لا يغدر ولا ينكث، ففعل ثمّ أدبر، فدعاه الثانية فتوثّق منه وتأكّد عليه أن لا يغدر ولا ينكث، ففعل، ثمّ أدبر، فدعاه فأخذ عليه العهد والميثاق المؤكّد بأن لا يغدر ولا ينكث. فقال ابن ملجم ـ لعنه الله ـ: والله يا أميرالمؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحدٍ غيري، فقال عليه السلام:

«أُريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

---

١. راجع الإرشاد للمفيد ١: ٩.

٢. للمزيد راجع: الإرشاد للمفيد ١: ٦؛ روضة الواعظين ١: ٣١٧ـ٣١٨، ح ٣٢٨.

٣. الطبقات الكبرى ٣: ٣٧؛ مقاتل الطالبيّين: ٢٥؛ المعجم الكبير ١: ١٠٥، ح ١٧٢؛ الاستيعاب ٣: ١١٢٧، الرقم ١٨٥٣؛ الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٧، حوادث سنة ٤٠؛ أُسد الغابة ٤: ١٣٠، الرقم ٣٧٨٣؛ روضة الواعظين ١: ٣٠٣، ح ٣١٣.

امضِ يابن ملجم فوالله ما أرى أن تفي بما قلت»[١].

وجاءه مرّة فقال: يا أميرالمؤمنين احملني، فنظر إليه ثمّ قال: «نعم أحملك يا غزوان احمله على الأشقر» فجاء بفرس أشقر فركبه، فلمّا ولّى قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«أُريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي»[٢]

قال المعلّى بن زياد: فلمّا كان من أمره ما كان وضرب أميرالمؤمنين عليه السلام قبض عليه فجيء به إليه، قال له: «والله لقد كنت أصنع بك ما أصنع من المعروف، وأنا أعلم أنّك قاتلي، ولكن كنت أفعل ذلك لأستظهر بالله عليك»[٣].

وكان عليه السلام يقول على المنبر ـ حين يسأم من أصحابه ـ: «ما يمنع أشقاها أن يخضّبها من فوقها بدم» ويضع يده على لحيته[٤].

وعن الأصبغ بن نباتة رحمه الله قال: خطبنا أميرالمؤمنين عليه السلام في الشهر الذي قتل فيه فقال: «أتاكم شهر رمضان، و[هو] سيّد الشهور، وأوّل السنة، وفيه تدور رحى السلطان، ألا وإنّكم حاجّوا العام صفّاً واحداً، وآية ذلك أنّي لست فيكم».

قال: فهو ينعى نفسه ونحن لا ندري[٥].

وكان يتعشّى في ذلك الشهر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند

---

١. مقاتل الطالبيّين: ١٨؛ الإرشاد للمفيد ١: ١٢؛ روضة الواعظين ١: ٣٠٣، ح ٣١٣؛ بحار الأنوار ٤٢: ١٩٢ ـ ١٩٣، تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ١٢٦، ح ٧.

٢. الإرشاد للمفيد ١: ١٢ ـ ١٣؛ بحار الأنوار ٤٢: ٣٠٨، تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ١٢٨، ح ٨. فيهما «جباءه» بدل «حياته».

٣. الإرشاد للمفيد ١: ١٣.

٤. الإرشاد للمفيد ١: ١٣؛ الاستيعاب ٣: ١١٢٦، الرقم ١٨٥٣؛ روضة الواعظين ١: ٣٠٩ ـ ٣١٠، ح ٣١٧؛ إعلام الورى ١: ٣١٠.

٥. الإرشاد للمفيد ١: ٣٢٠؛ إعلام الورى ١: ٣١٠؛ روضة الواعظين ١: ٣٠٩ ـ ٣١٠، ح ٣٠٧.

ابن عبّاس[١]، وكان لا يزيد على ثلاث لُقَم، فقيل له في ذلك: «فقال يأتيني أمر الله وأنا خميص، إنّما هي ليلة أو ليلتان»[٢].

وعن أُمّ موسى خادمتهم قالت: سمعت عليّاً عليه السلام يقول لابنته أُمّ كلثوم: «يا بنيّة، إنّي أراني قلّ ما أصحَبُكم».

قالت: وكيف ذلك يا أبتاه؟ قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول: يا عليّ، لا عليك قد قضيتَ ما عليك».

قالت: فما مكث إلّا ثلاثاً حتّى ضُرب تلك الضربة. فصاحت أُمّ كلثوم، فقال: «يا بنيّة لا تفعلي، فإنّي أرى رسول الله يشير إليّ بكفّه ويقول: هلمَّ إلينا، فإنّ ما عندنا هو خير لك»[٣].

وعن أبي صالح الحنفي قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: «رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في منامي فشكوت إليه ما لقيت من أُمّته من الأوَد[٤] واللَّدد[٥] [حتّى بكيت]، فقال: لا تبكِ والتفت، فالتفتُّ فإذا رجلان مُصفَّدان، وإذا جلاميد تُرضَخ بها رؤوسهما».

قال أبو صالح: فغدوتُ إليه كما كنت أغدو إليه كلّ يوم، حتّى إذا كنت أغدو لقيت الناس يقولون: قتل أمير المؤمنين[٦].

---

١. كذا في المصادر، ولكن في الإرشاد للمفيد ١: ١٤، والخرائج والجرائح ١: ٢٠١، ح ٤١ بدل عبدالله بن عبّاس «عبدالله بن جعفر». وابن طاووس في إعلام الورى ١: ٣٩ بعدما ذكر عبدالله بن عبّاس قال: «والأصحّ عندي عبدالله بن جعفر». للمزيد راجع أيضاً الصواعق المحرقة: ١٣٤، الباب ٩، الفصل ٥.

٢. الإرشاد للمفيد ١: ١٤ و ٣٢٠؛ روضة الواعظين ١: ٣١٠، ح ٣١٨؛ إعلام الورى ١: ٣٩.

٣. الإرشاد للمفيد ١: ١٤ ـ ١٥؛ المناقب للخوارزمي: ٣٨٧، ح ٤٠٢؛ مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٥٦.

٤. الأوَد: الدواهي العظام. لسان العرب ٣: ٧١، «أ. و. د».

٥. اللّدَد: الخصومة الشديدة. لسان العرب ٣: ٣٩١، «ل. د. د».

٦. الإرشاد للمفيد ١: ١٥ ـ ١٦؛ مسند أبي يعلى ١: ٣٩٨، ح ٥٢٠؛ شرح نهج البلاغة ٤: ١٠٨ ـ ١٠٩؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ١٩٠، ح ١٤٧٨٨.

وروي: أنّه أقام تلك الليلة التي ضرب في صبيحتها ساهراً بالعبادة، فقالت له أُمّ كلثوم: ما هذا الذي أسهرك يا أبتاه؟ فقال: «إنّي مقتول لو قد أصبحت».

وأتاه ابن النبّاح فآذنه بالصلاة، فمشى غير بعيد ثمّ رجع، فقالت له أُمّ كلثوم: لو أمرتَ جَعْدَةَ أن يصلّي بالناس، قال: «نعم مُرُوا جَعْدَةَ ليصلّيَ» ثمّ قال: «لا مفرّ من الأجل» فخرج عليه السلام إلى المسجد وكان ـ بأبي هو وأُمّي ـ أكثر من الخروج تلك الليلة ومن النظر إلى السماء، وهو يقول: «والله ما كذِبْتُ ولا كُذِّبْتُ، وإنّها الليلة التي وعدتُ فيها»[1].

ولمّا خرج إلى المسجد، شدّ إزره وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت — فإنّ الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت — وإن حلّ بناديكا[2]
كما أضحكك الدهر — كذاك الدهر يبكيكا

فلمّا صار في صحن الدار استقبله الإوَزّ فصِحْنَ في وجهه، فقال: «دعوهنّ فإنّهنّ نوائح»[3].

وعن حبيب بن عمرو مرسلاً قال: دخلت على أميرالمؤمنين عليه السلام بعد أن عمّمه ابن ملجم ـ لعنه الله ـ بالسيف وعنده الوجوه من أشراف القبائل وشرطة الخميس، وقد نزف دمه، وأصفر وجهه، وهو يحلّ عصابة صفراء قد عصب بها رأسه، وما من أحد من الأشراف إلّا وماء عينيه يترقرق فوق سوادها؛ حزناً على أميرالمؤمنين،

---

١. الإرشاد للمفيد ١: ١٦؛ روضة الواعظين ١: ٣١١، ح ٣٢٠.

٢. الطبقات الكبرى ٣: ٣٣؛ مقاتل الطالبيّين: ١٨؛ المناقب للخوارزمي: ٣٩٣، ح ٤١٢؛ أُسد الغابة ٤: ١٢٧، الرقم ٣٧٨٣؛ الدرّ النظيم: ٤١٣.

٣. الإرشاد للمفيد ١: ١٦ ـ ١٧، و٣٢١؛ روضة الواعظين ١: ٣١١ ـ ٣١٢، ح ٣٢١؛ المناقب للخوارزمي: ٣٩٣، ح ٤١٢.

ونظرت إلى أولاده ومعهم من الهاشميّين يتململون تململ السليم، وقد أحدقوا بأميرالمؤمنين عليه‌السلام فما تنفّس منهم أحد إلّا وظننت شظايا قلبه تخرج من نفسه من الوجد والوله، والكلّ ساكت؛ رأفةً بأمير المؤمنين وهيبةً منه.

وقد أحضروا أثير بن عمرو الجرّاح فنظر إلى جرحه، فقال الناس: يا أثير كيف جرحُ أميرالمؤمنين؟ فخرس وتلجلج عن جوابهم فكأنّهم يئسوا منه، فاختنقوا بالبكاء ولم يرفعوا أصواتهم؛ مخافة أن تهيج النساء، ويضطرب أميرالمؤمنين لهيجانهم، فنشجوا نشيجاً خفيفاً، ووضعوا رؤوسهم بين ركبهم إلّا الأصبغ بن نباتة ـ عليه رحمته ـ فإنّه لم يملك نفسه أن شرق بعبرته وبكائه عالياً، ففتح أميرالمؤمنين عينيه وكان مغشيّاً عليه، فقال: «لا تبكِ يا أصبغ؛ فإنّها والله الجنّة». فقال: والله يا أميرالمؤمنين أنا أعلم أنّك تصير إلى الجنّة وإنّما أبكي لفقدك يا أميرالمؤمنين.

قال حبيب: فما أحببت أن يقول الأصبغ هذا الكلام في وجه أميرالمؤمنين، فأردت رفع ما وقع من الرقّة من كلام الأصبغ؛ فدنوت منه وقلت: لا بأس عليك يا أميرالمؤمنين من هذا فإنّه غير ضائر، وما هو بأعظم من ضربة عمرو بن عبد ودّ، فلا يهولك ما ترى؛ فإنّ البرد لا يزلزل الجبل الأصمّ، ولفحة الهجير لا تجفّف البحر الخطم[1]، والليث يضري إذا خدش، والصلّ[2] يقوى إذا ارتعش.

قال: فنظر إليه أميرالمؤمنين عليه‌السلام نظرة رأفة ورحمة وقال: «هيهات هيهات يابن عمرو، نفذ القضاء، وأُبرم القدر المحتوم، وجرى القلم بما فيه، وإنّي مفارقك الليلة».

---

١. الخَطْمُ والخطمة: أنف الجبل. لسان العرب ١٢: ١٤٠، «خ. ط. م».

٢. الصلّ: الحيّة التي تقتلُ إذا نَهَشَتْ من ساعتها. لسان العرب ١١: ٣٨٤، «ص. ل. ل».

وكانت أُمّ كلثوم واقفة خلف الستر، تسمع كلام أبيها، فاختنقت بعبرتها، فرقّ لها أميرالمؤمنين، وقال لها بضعف وانكسار: «ما يبكيك يا بنيّة؟».

فقالت: يا أبتاه أنت قمر الهاشميّين وشمس الطالبيين، عَضبُها[1] اليمانيُّ إذا كهمت[2] الوغى سيوفها، ونجمها الشعشعاني إذا أسدلت الظلماء سجونها، عزّنا إذا شاهت الوجوه ذلاًّ، وجمعنا إذا الموكب الكثير قلا، فكيف لا أبكي وأنت على هذه الحال؟

فقال: «يا بنيّة لو رأيت الذي رأيتُ ما جزعت، رأيت رسول الله ﷺ في كتيبة من الأنبياء، ورعيل من الملائكة، لكأنّي أنظر إليهم على نجيب من نُجُب الجنّة وبأيديهم ألوية التسبيح والتقديس، ليزفّوا روح أبيك إلى الجنّة».

فعند ذلك يئست أُمّ كلثوم من أبيها سيّد الأوصياء، كما يئست زينب يوم الطفّ من أخيها سيّد الشهداء حين سمعته يقول:

يا دهر أُفٍّ لك من خليلِ　　كم لك بالإشراقِ والأصيلِ
من طالبٍ وصاحبٍ قتيل　　والدهر لا يقنع بالبديلِ
وكلّ حيّ سالك سبيل　　ما أقرب الوعد من الرحيلِ
إنّما الأمر إلى الجليلِ[3]

فلم تملك نفسها أن وثبت، تجرّ ثوبها حتّى انتهت إليه، وقالت: وا ثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أُمّي فاطمة، وأبي عليّ، وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وثمال الباقين.

---

١. العَضْبُ: السيف القاطع. لسان العرب ١: ٦٠٩، «ع. ض. ب».
٢. كَهُمَ الرجل...: بَطُؤ عن النصرة والحرب. لسان العرب ١٢: ٥٢٩، «ك. م. م».
٣. الإرشاد للمفيد ٢: ٩٣؛ إعلام الورى ١: ٤٥٦ بتفاوت يسير؛ مثير الأحزان: ٤٩؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٤٠.

فنظر إليها الحسين وقد تَرَقْرَقَت عيناه بالدموع وقال: «يا أُختاه لا يذهبنّ حلمكِ الشيطان». وقال: «لو تُرك القَطا لَنام».

فقالت: يا ويلتاه أفتُغتصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرحُ لقلبي، وخرّت مغشيّاً عليها، فقام الحسين فصبّ على وجهها الماء[1].

نادت فقطّعت القلوب بشجوها لكن ما انتظم البيان فريدا
إنسان عيني يا حسين أخي يا أملي وعقد جماني المنضودا

١. تاريخ الطبري ٥: ٤٢٠، حوادث سنة ٦١؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٩٣ ـ ٩٤؛ مقاتل الطالبيّين: ٧٥؛ مقتل الحسين للخوارزمي: ٣٣٨ ـ ٣٣٩، الفصل ١١؛ وقعة الطفّ لأبي مخنف: ٢٠٠ ـ ٢٠١.

المجلس الثامن والثلاثون*

روى قيس بن الربيع قال: حدّثنا أبوهارون العبدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت: يا أباعبدالله، إنّا لنتحدّث عن عليّ عليه السلام ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: لا تفرطون في عليّ، فهل تحدّثني عنه بحديث؟

فقال حذيفة: يا ربيعة، وما تسألني عن عليّ، فوالذي نفسي بيده لو وُضع أعمال أصحاب محمّد في كفّة الميزان منذ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله إلى يوم الناس، ووُضع عمل عليّ في الكفّة الأُخرى، لرَجح عمل عليّ على جميع أعمالهم.

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يُقعد.

فقال حذيفة: يا لكع، أين كان أبوبكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله يوم عمرو بن عبد ودّ وقد دعى إلى المبارزة، فأحجم الناس كلّهم ما خلا عليّ عليه السلام، فإنّه برز إليه وقتله الله على يديه؟ والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليومَ أعظم أجراً من عمل أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة[1].

---

* . هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لمولانا الحجّة المعتمد سيادة السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي دام ظلّه. قال أيّده الله:».

١. الإرشاد للمفيد ١: ١٠٣؛ إعلام الورى ١: ٣٧٩ ـ ٣٨٠؛ شرح نهج البلاغة ١٩: ٦٠ ـ ٦١؛ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ١٣٤ ـ ١٣٥.

وفيه أنزل الله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلّا غُرُوراً﴾ إلى قوله: ﴿وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[١].

وقد توجّه العتب عليهم والتوبيخ والتقريع والخطاب ولم ينج من ذلك أحد بالاتّفاق إلّا أميرالمؤمنين؛ إذ كان الفتح له وعلى يديه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وكان قتله عمراً ـ سيّدَ بني عامر ـ سببَ هزيمة المشركين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذٍ: «نغزوهم ولا يغزوننا»[٢].

ولمّا انهزم الأحزاب وولّوا الدبر، وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ عليه السلام، عمد رسول الله صلى الله عليه وآله على قصد بني قُريظة، فانفكّ أميرالمؤمنين عليه السلام إليهم في ثلاثين من الخزرج، فقال له: «سِرْ على بركة الله تعالى» فسار حتّى ركز الراية في أصل الحصن.

قال عليّ عليه السلام: «لمّا دنوت من سورهم أشرفوا عليّ فرأوني، فصاح صائح منهم: جاءكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب.

ـ قال: ـ وسمعت راجزاً يرتجز ويقول:

قتل عليٌّ عَمرا ... صاد عليٌّ صَقْرا

قَصم عليٌّ ظهرا ... أبرم عليٌّ أمرا

هَتَك عليٌّ سِترا

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام، وقَمَع الشرك.

واستقبلوني من صياحهم يسبّون رسول الله، فكرهت أن يسمع صلى الله عليه وآله ذلك، فعملت

---

١. الأحزاب (٣٣): ١٠ ـ ٢٥.

٢. مسند أحمد ٦: ٣٦٢، ح ١٨٣٣٦ و ١٨٣٣٧؛ صحيح البخاري ٤: ١٥٠٨، ح ٣٨٨٣؛ الإرشاد للمفيد ١: ١٠٥ ـ ١٠٦؛ إعلام الورى ١: ٣٨٢.

على الرجوع إليه، فإذا به قد طلع وسمع سبّهم، فناداهم: يا إخوة القردة والخنازير.

فقالوا له: يا أباالقاسم، ما كنت جهولاً ولا سبّاباً. فاستحى رسول الله صلّى الله عليه وآله ورجع القهقرى».

ثمّ أمر فضربت خيمته بإزاء حصونهم، فحاصروهم خمساً وعشرين ليلة حتّى سألوا النزول على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة.

وأمر النبيّ بإنزال الرجال منهم ـ وكانوا تسعمائة رجل ـ فجيء بهم إلى المدينة، فأنفذ فيهم حكم سعد رضي الله عنه.

وكان فيهم حُيَيُّ بن أخطب وكعب بن أسد وهما رأسيا القوم، وقد قال حُيَيُّ ـ حين أراد أميرالمؤمنين عليه السلام قتله ـ: قِتلةَ شريفٍ بيد شريف.

فقال [له] أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّ خيار الناس يقتلون شرارهم، وشرارهم يقتلون خيارهم، فالويل لمَن قتله الأخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأراذل».

فقال: صدقت، لا تسلُبني حُلّتي.

فقال: «هي أهون عليَّ من ذلك».

فقال حُيَيُّ بن أخْطَب: سترتني سترك الله، فضرب أميرالمؤمنين عنقه، ولم يسلبه وهو العدوّ الألدّ[1].

قتل الله عمر بن سعد وأصحابه إذ أقبلوا بعد قتل الحسين ـ روحي فداه ـ على سَلَبه، فأخذ ابن سعد درعه، وأخذ إسحاق بن حويّة الحضرمي قميصه، وأخذ الأخنس بن مرثد عمامته، وأخذ رجل من بني دارم سيفه[2].

---

١. الإرشاد للمفيد ١: ١٠٩ ـ ١١١؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٢٥١ ـ ٢٥٢؛ كشف الغمّة ١: ٢٠٧ ـ ٢٠٩؛ بحار الأنوار ٢٠: ٢١٠ ـ ٢١٢، تاريخ نبيّنا صلّى الله عليه وآله، الباب ١٧.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٨ ـ ١٧٩؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٧ ـ ٥٨، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧؛ إعلام الورى ١: ٤٦٩.

وكان الحسين ـ بأبي هو وأُمّي ـ حين أيقن بالقتل، دعا بسراويلَ يمانيّة، ففزرها ثمّ لبسها تحت ثيابه؛ لكي لا يسلبها بعد قتله، فلمّا قُتل، عمد أبجر بن كعب إليه فسلبه السراويل المفزّرة وتركه مجرّداً، وكانت يدا أبجر تيبسان في الصيف حتّى كأنّهما عودان، وتترطّبان في الشتاء فتنضحان دماً وقيحاً[١].

وانتهبوا رحله ـ بأبي هو وأُمّي ـ وأبكروا ثقاله، وسلبوا نساءه، وكانت المرأة من أخواته وبناتها، تنازع ثوبها عن ظهرها حتّى تغلب عليه.

وقد انتهوا إلى عليّ بن الحسين عليه السلام وهو منبسط على فراش، وهو شديد المرض، فقالوا لشمر ـ وهو واقف عليه ـ: ألا نقتل هذا العليل؟ فقال حميد بن مسلم: إنّه لِما به ـ قال: ـ فلم أزل حتّى دفعتهم عنه.

وجاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه وبكين إليه، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هذه النسوة، ولا تتعرّضوا لهذا المريض[٢].

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد:

> وسألته النسوة ليسترجع ما أُخذ منهم ليسترن به. فقال: مَن أخذ من متاعهنّ شيئاً فليردّه، فوالله ما ردّ أحد منهم[٣].

فتنازعت أحشاؤها حرق لجوى	وتجاذبت أيدي العدوّ رداءها
وترى من الزفرات تجمع قلبها	بيد وتدفع في يدِ أعدائها
عجباً لحلم الله وهي بعينه	برزت تطيل عويلها وبكاءها

١. الإرشاد للمفيد ٢: ١١١؛ إعلام الورى ١: ٤٦٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٤؛ بحار الأنوار ٤٥: ٣٠١ـ ٣٠٢، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٤٦، ذيل الحديث ٢.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٢ـ ١١٣؛ إعلام الورى ١: ٤٦٩.

٣. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٣.

المجلس التاسع والثلاثون*

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «إنّ فيك مثلاً من عيسى، أبغضه اليهود حتّى بَهتوا أُمّه، وأحبّه النصارى حتّى أنزلوه المنزل الذي ليس له»[1].

وروى في مسنده أيضاً، وفي الجمع بين الصحاح الستّة: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق»[2].

وروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده أيضاً: أنّ رسول الله النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»[3].

قال أبوبكر الصدّيق: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: «لا».

فقال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: «لا، ولكنّه خاصف النعل». وكان عليّ

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة مولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه وكان هذا المجلس المحترم أوّل مجلس ألّفه سنة تشريفه لجبل عامل، قال أيّده الله وأدام ظلّه: ...».

١. مسند أحمد ١: ٣٣٦، ح ١٣٧٦. روي أيضاً في المستدرك على الصحيحين ٤: ٩٠ ـ ٩١، ح ٤٦٨٠؛ مسند أبي يعلى ١: ٤٠٧، ح ٥٣٤؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٩٣، الرقم ٤٩٣٣.

٢ و٣. مسند أحمد ١: ٢٠٤، ح ٧٣١، و ٢٧٢، ح ١٠٦٢. روي أيضاً في الأمالي للصدوق: ١١٦، المجلس ٢٨، ح ٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٨٣، وكنز العمّال ١١: ٦٢٢، ح ٣٣٠٢٨.

يخصف نعل رسول الله النبيّ ﷺ في الحجرة عند فاطمة[١].

وفي الجمع بين الصحاح الستّة: قال رسول الله ﷺ: «لتنتهنّ معشر قريش، أو ليبعثنّ عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان، يضرب رقابكم على الدين» قيل: يا رسول الله، أبوبكر؟قال: «لا» قيل: عمر؟قال: «لا»، ثمّ قال: «ولكنّه خاصف النعل»[٢].

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل و الجمع بين الصحاح الستّة عن أنس بن مالك قال: كان عند النبيّ ﷺ طائر قد طبخ فقال ﷺ: «اللهمّ ائتني بأحبّ الناس إليك يأكلْ معي» فجاء عليّ عليه السلام فأكل معه[٣].

ومن مسند أحمد بن حنبل أيضاً عن ابن عبّاس رضي الله عنه: أنّه لمّا حضرته الوفاة قال: «اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بولاية عليّ بن أبي طالب»[٤].

وذكر الإمام الحنبلي أيضاً، ومسلم في صحيحه، قالا: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله قال سلوني، إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام [٥].

---

١. مسند أحمد ٤: ٦٧ ـ ٦٨، ح ١١٢٨٩. للمزيد راجع أيضاً: المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٧٠، ح ٣٢٠٧٣؛ خصائص أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب: ٢١٧، ح ١٥٦؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٩٠، ح ٤٦٧٩؛ الإرشاد للمفيد ١: ١٢٢؛ مسند أبي يعلى الموصلي ٢: ٣٤١، ح ١٠٨٦.

٢. راجع: تاريخ بغداد ٨: ٤٣٣، الرقم ٤٥٤٠؛ المناقب للخوارزمي: ١٤٢، ح ١٦١؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٤٢، الرقم ٤٩٣٣؛ أُسد الغابة ٤: ١١٤، الرقم ٣٧٨٣؛ كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام: ١٠٦ـ١٠٧؛ كنز العمّال ١٣: ١١٥، ح ٣٦٣٧٣.

٣. راجع: الجامع الصحيح ٥: ٦٣٦ ـ ٦٣٧، ح ٣٧٢١؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٠٢ ـ ١٠٣، ح ٤٧٠٦؛ مسند أبي يعلى ٧: ١٠٥ ـ ١٠٦، ح ٤٠٤٧؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٥٠، الرقم ٤٩٣٣؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ١٦٨ ـ ١٦٩، ح ١٤٧٢٦.

٤. مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٣٢؛ بشارة المصطفى: ٣٦٥، ح ٥٧؛ بحار الأنوار ٤٠: ٦٧ ـ ٦٨، تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ٩١، ح ١٠١.

٥. للمزيد راجع: الأمالي للصدوق: ١١٥، المجلس ٢٨، ح ١؛ إكمال الدين وتمام النعمة: ٥٢٥، الباب ٤٧، ح ١؛ ينابيع المودّة ٢: ١٧٣، الباب ٥٦، ح ٤٩٢، و ٤٠٥، الباب ٥٩، ح ٦٦؛ ٣: ١٤٤، الباب ٦٥، و ٢٠٨، الباب ٦٨.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[١].

وفي مسند أحمدبن حنبل من عدّة طرق: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «من آذى عليّاً فقد آذاني»[٢].

[وقال صلى الله عليه وآله:] «أيّها الناس من آذى عليّاً بعث يوم القيامة يهوديّاً أو نصرانيّاً»[٣].

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل أيضاً: أنّ أبابكر وعمر خطبا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله [فاطمة] فقال: «إنّها صغيرة» فخطبها عليّ عليه السلام فزوّجها منه[٤].

وفي الجمع بين الصحيحين: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة وقبّل رأسها ونحرها وقال: «أين ابن عمّك؟» قالت: «في المسجد» فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: «اجلس يا أباتراب» مرّتين[٥].

وروى المحدّثون من عدّة طرق: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حمل عليّاً عليه السلام حتّى كسر الأصنام من فوق الكعبة[٦].

---

١. المعجم الكبير ١١: ٥٥، ح ١١٠٦١؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٩٦ ـ ٩٧، ح ٤٦٩٣ ـ ٤٦٩٤؛ الجامع الصغير: ١٦١، ح ٢٧٠٥؛ مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ١١٥ ـ ١١٩، ح ١٢٠ ـ ١٢٦.

٢. مسند أحمد ٥: ٤٠٤ ـ ٤٠٥، ح ١٥٩٦٠. روى أيضاً في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٩٧، ح ٧٦؛ عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٨٢، ح ٤٥٩؛ كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام: ٢٩٥؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ١٧٥، ح ١٤٧٣٨؛ الصواعق المحرقة: ١٧٢.

٣. مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٩٧، ح ٧٦؛ كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام: ٢٩٥؛ عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٨٢، ح ٤٥٩.

٤. خصائص أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب: ١٦٧، ح ١٢٣؛ المستدرك على الصحيحين ٢: ٥١٨، ح ٢٧٥٣؛ مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٩٣.

٥. الجمع بين الصحيحين ٣: ٥٤٩، ح ٤٢٤٣. روي أيضاً في صحيح البخاري ٣: ١٣٥٨، ح ٣٥٠٠؛ أدب المفرد: ٢٨٧، ح ٨٥٥؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤ ـ ١٨٧٥، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٨؛ المعجم الكبير ٦: ١٤٨، ح ٥٨٧.

٦. راجع: مسند أحمد ١: ١٨٣، ح ٦٤٤؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٠٤، ح ٣٦٨٩٦؛ تاريخ بغداد ١٣: ٣٠٢، الرقم ٧٢٨٢؛ الأمالي للطوسي: ٥٥٠، ح ١١٦٨.

وأنّه لا يجوز على الصراط إلّا من كان معه كتاب بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام [١].

وأنّه ردّ الشمس عليه بعد ما غابت؛ حيث كان النبيّ صلى الله عليه وآله نائماً على حِجره ودعى له، فردّها؛ ليصلّي عليّ العصر، فردّت له [٢].

وأنّه أنزل الله بسطل عليه منديل وخير ماء، فتوضّأ للصلاة ولحِق بصلاة النبيّ صلى الله عليه وآله [٣].

وأتى منادياً من السماء نادى يوم أُحد: «لا سيف إلّا ذو الفقار، لا فتى إلّا عليّ صلوات الله وسلامه عليه» [٤].

وقد أنشد حسّان بن ثابت في ذلك اليوم:

بأعلى صوته جبريل معلنا ... والنقع ليس ينجلي
والخيل تعثر بالجماجم ... والوشيج الذبلِ
هذا النداء لمن له ... الزهراء ربّة منزلِ
لا سيف إلّا ذو الفقار ... ولا فتى إلّا عليّ [٥]

وقال بعض التابعين:

وله بلاء يوم أُحد صالح ... والمشرفيّة تأخذ الأدبارا
لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى ... إلّا عليّ إن عددت فخارا [٦]

---

١. المناقب للخوارزمي: ٣١٩ ـ ٣٢٠، ح ٣٢٤؛ ذخائر العقبى: ٧١؛ فرائد السمطين ١: ٢٨٩، ح ٢٢٨؛ ينابيع المودّة ١: ٣٣٥ و ٣٣٧، الباب ٣٧، ح ١٤ و ١٩.

٢. الإرشاد للمفيد ١: ٣٤٦؛ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ١١١ ـ ١١٢.

٣. الأمالي للصدوق: ١٨٧ ـ ١٨٨، المجلس ٤٠، ح ٤؛ مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب: ١٢٥، ح ١٣٩؛ المناقب للخوارزمي: ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ح ٣٠٠؛ الطرائف ١: ٨٥ ـ ٨٧، ح ١٢٠؛ ينابيع المودّة ١: ٤٢٨ ـ ٤٢٩، الباب ٤٩، ح ٦.

٤. تاريخ الطبري ٢: ٥١٤، حوادث سنة ٣؛ الكافي ٨: ٩٥، ح ٩٠؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٧١، الرقم ٤٩٣٣؛ الأمالي للطوسي: ١٤٣، المجلس ٥، ح ٤٦؛ ينابيع المودّة ٢: ٢٩١، الباب ٥٦، ح ٨٣٤.

٥. مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٤٢، ولم ينسبه إلى حسّان بن ثابت.

٦. حكاه ابن شهرآشوب عن الحميري في مناقب آل أبي طالب ٣: ١٥٢.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين عليهما السلام وقال: «من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأُمّهما، كان معي في درجتي يوم القيامة»[١].

وفيه عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذات يوم بعرفات وعليّ تجاهه: «أُدن منّي يا عليّ، خلقت أنا وأنت من شجرة، فأنا أصلها [وأنت] فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغُصنٍ من أغصانها، أدخله الله الجنّة»[٢].

وفيه عن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتابَ الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوضَ»[٣].

وروى أحمد بن حنبل من عدّة طرق، وفي صحيح مسلم من موضعين عن زيد بن أرقم قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله بين مكّة والمدينة ثمّ قال بعد الوعظ:

«أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به».

فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي»[٤].

---

١. مسند أحمد ١: ١٦٨، ح ٥٧٦. روي أيضاً في الجامع الصحيح ٥: ٦٤١ ـ ٦٤٢، ح ٣٧٣٣، والذرّيّة الطاهرة: ١٦٧، ح ٢٢٥.

٢. راجع: الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ١٧٨، الرقم ١٣٣٦؛ شواهد التنزيل ١: ٢٨٨ ـ ٢٩١، ح ٣٩٥ ـ ٣٩٧؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٦٤، الرقم ٤٩٣٣؛ ينابيع المودّة ١: ٢٧، الباب ٢٠، ح ٥.

٣. مسند أحمد ٤: ١١٨، ح ١١٥٦١. روي أيضاً في مسند أبي يعلى ٢: ٢٩٧ ـ ٢٩٨، ح ١٠٢١؛ المعجم الكبير ٣: ٦٥، ح ٢٦٧٨؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٥٧، ح ١٤٩٦٢.

٤. مسند أحمد ٧: ٧٥، ح ١٩٢٨٥؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٦. روي أيضاً في السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢١٢، ح ٢٨٥٧؛ و٧: ٤٨، ح ١٣٢٣٨.

بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله عزيز عليك ما جرى على أهل بيتك من الرزايا والمصائب.

تـركوهم شـتّى مـصارعهم وأجـمعها فـظيعه
فـمغيّب كـالبدر تـرتقب الورى شـوقاً طـلوعه
ومكـابد للسـمّ قـد سُـقيت حُشـاشته نـقيعه
ومـضرّج بـالدم آثـر عـزّة وأبـى خـضوعه
ومـصفّدٌ لله سـلّم أمـرّ مـا قـاسى جـميعه
وسـبية بـاتت بأفـعى الهـمّ مـهجتها لسـيعه
وكـرائـمَ التـنزيل بـين أُمـيّة بـرزت مـروعه
تـدعو ومـن تـدعو وتلك كفات دعوتها صريعه[1]

تدعو ومن تدعو، وتشكو وإلى مَن تشكو، لعليّ بن الحسين الأكبر وهو مقطّع إرباً إرباً، أم للقاسم بن الحسن وهو جثّة بلا رأس، أم لقمر بني هاشم أبي الفضل العبّاس، مرضوخ الهامة بعمود من حديد، أم لسيّد الشهداء وقد فعلت به الأعداء ما يقرح القلوب، ويهيّج الأحزان والكروب، أم لمريض كربلاء زين العابدين وقد أنهكته العلّة، وأكلت الجامعة ساعديه والقيد رجليه.

قلبوه عن نطعٍ مسجّى فوقه فكبت له أملاك سبع شداد
غـلّوا يـديه وقـيّدوا رجـليه وازدحموا عليه وهو لا يتكلّم
قـيّدوه لحـلمه بـقيود ربّ حـلم يـقيّد الضرغاما

ولقد يعزّ عليك يا رسول الله أن ترى زين العابدين مغلول اليدين، مكشوف الرأس، حافي القديمن، وعدوّ الله يزيد بن معاوية ـ ابن آكلة الأكباد ـ على سرير

---

١. ديوان السيّد حيدر الحلّي: ٩٠ ـ ٩١.

الملك، رافلاً بالحرير والديباج، وعلى رأسه تاج السلطنة، وبين يديه رأس ريحانتك وقرّة عينك سيّد شباب أهل الجنّة، وهو ينكث ثناياه بمخصرته هاتفاً بأشياخه، مهنّياً لأسلافه بأخذ الثأر واستئصال الأئمّة الأبرار، وبناتك سبايا كأنّهنّ من الديلم ليس معهنّ من حماتك حميّ، ولا من ولاتهنّ وليّ.

يا رسول الله لو عاينْتَهم   وهم ما بين قتلى وَسِبا[1]
عظّم الله لك الأجر بمن   كظّ أحشاه الظما حتّى قضى
ضارب في كربلا خيمته   ثمّ ما خيّم حتّى قوّضا

بأبي هو من مخيَّم قوّض الأعداء خيامه، وذلك لمّا هجموا بخيولهم على مخيّمه وفيها ودائع النبوّة وحرائر الوحي، يلذن بعضهنّ ببعض، ينادين: وا جدّاه، وا رسول الله، ليت السماء أُطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل، ثمّ نادى المنادي بعد النهب والسلب: أحرقوا بيوت الظالمين جميعاً، فأضرموا النار بالخيم، ففرّت العيال والأطفال.

قال حميد بن مسلم ـ على ما روي مرسلاً ـ: نظرت إلى آل الرسول وقد فرّوا مذعورين هائمين مدهوشين لمّا استعرّت النار، ورأيت امرأة ـ عليها سيماء الجلالة والوقار ـ على باب الخيمة كالمتحيّرة، فتقدّمت نحوها وقلت لها: لِم لا تفرّ منّي؟ فقالت بانكسار: يا هذا إنّ لنا بالخيمة عليلاً.

فنازعت أحشاؤها حرق الجوى   وتجاذبت أيدي العدوّ رداءها
من أين تخجل أوجه أُمويّة   سكبت بلذّات الفجور حياءها[2]

---

١. ديوان الشريف الرضي ١: ٤٤.

٢. ديوان السيّد حيدر الحلّي: ٥٢ و ٥٤.

المجلس الأربعون

روى المنذر بن الجارود[1] فيما حدّث به أبوحنيفة، الفضل بن الحُباب الجمحي، عن ابن عائشة، عن مَعْن بن عيسى، عن المنذر بن الجارود قال:

لمّا قدم عليّ عليه السلام البصرة دخل ممّا يلي الطفّ فأتى الزاوية، فخرجت أنظر إليه، فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب، عليه قلنسوة وثياب بيض، متقلّداً سيفاً، معه راية، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدجّجين في الحديد والسلاح، فقلت: من هذا؟ فقيل: أبوأيّوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهؤلاء الأنصار غيرهم.

ثمّ تلاهم فارس آخر، عليه عمامة صفراء وثياب بيض، متقلّداً سيفاً، متنكّب قوساً، معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا خُزَيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين.

ثمّ مرّ بنا فارس آخر على فرس كُمَيتٍ، معتمّ بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة

---

(١) كما في ص ٢٤٢ من الجزء الثاني من مروج الذهب [1].

---

١. مروج الذهب ٢: ٣٦٦ ـ ٣٧١.

بيضاء، وعليه قباء أبيض مصقول، متقلّد سيفاً، متنكّب قوساً، في نحو ألف فارس من الناس ومعه راية، فقلت: من هذا؟ فقيل لي: أبوقَتَادة بن ربعي.

ثمّ مرّ بنا فارس آخر على فرس أشهب، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سَدَلها بين يديه ومن خلفه، شديد الأُدمة، عليه سكينة ووقار، رافع صوته بقراءة القرآن، متقلّد سيفاً، متنكّب قوساً، معه راية بيضاء في ألف فارس من الناس مختلفي التيجان، وحوله مشيخة وكهول وشباب، كأنّ قد أُوقفوا للحساب، أثر السجود قد أثّر في جباههم. فقلت: من هذا؟ فقيل: عمّار بن ياسر في عدّة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم.

ثمّ مرّ فارس على فرس أشقَرَ، عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء، متنكّب قوساً، متقلّداً سيفاً، تخطّ رجلاه في الأرض في ألف فارس من الناس، الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض، معه راية صفراء، قلت: من هذا؟ قيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة في الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان.

ثمّ مرّ بنا فارس على فرس أشهلَ ما رأينا أحسن منه، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سَدَلها بين يديه بلواء. قلت: من هذا؟ قيل: هو عبدالله بن العبّاس في عدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثمّ تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأوّلين. قلت: من هذا؟ قيل: قُثَم بن العبّاس، أو سعيد بن العاص.

ثمّ أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً واشتبكت الرماح.

ثمّ ورد موكب فيه خلق من الناس، عليهم السلاح والحديد مختلفوا الرايات، في أوّله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنّما كُسر وجُبر ـ قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، كذلك تخبر العرب في

وصفها إذا أخبرت عن الرجل: أنّه كسر وجبر ـ كأنّما على رؤوسهم الطير، وعن ميسرتهم شابّ حسن الوجه، قلت: من هؤلاء؟

قيل: هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله، وهذا محمّد بن الحنفيّة بين يديه معه الراية العُظمى، وهذا الذي خلفه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم، وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والأنصار.

فساروا حتّى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية، فصلّى أربع ركعات، وعفّر خدّيه على التربة وقد خالط ذلك دموعه، ثمّ رفع يديه يدعو: «اللهمّ ربّ السماوات وما أظلّت، والأرضين وما أقلّت، وربّ العرش العظيم، هذه البصرة أسألك خيرها، وأعوذ بك من شرّها. اللهمّ أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين. اللهمّ هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا عليَّ، ونكثوا بيعتي. اللهمّ احقن دماء المسلمين».

وبعث إليهم من يناشدهم الله في الدماء، وقال: «على مَ تقاتلونني؟» فأبوا إلّا الحرب.

فبعث رجلاً من أصحابه يقال له: مسلم، معه مصحف يدعو إلى الله، فرموه بسهم فقتلوه، فحمل إلى عليّ، وقالت أُمّه:

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهمْ ... يتلو كتاب الله لا يخشاهمْ
فخضّبوا من دمه لحاهمْ ... وأُمّه قائمة تراهمْ

وأمر عليّ عليه السلام أن يصافّوهم ولا يبدأوهم بقتال، ولا يرموهم بسهم، ولا يضربوهم، ولا يطعنوهم برمح، حتّى جاء عبدالله بن بديل بن ورقاء من الميمنة بأخ له مقتول، وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم فقتل.

فقال عليّ عليه السلام: «اللهمّ اشهد».

وتواتر عليه الرمي فقام عمّار بن ياسر فقال: ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين؟

فقام عليّ عليه السلام فقال: «أيّها الناس إذا هزمتموهم فلا تُجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، ولا تتّبعوا مولّياً، ولا تهتكوا ستراً، ولا تمثّلوا بقتيل، ولا تقربوا من أموالهم إلّا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع»[١].

ولقد يعزّ عليك يا أمير المؤمنين بما فعل القوم الظالمون يوم عاشوراء من تسابقهم على نهب بيوت آل الرسول وقرّة عين الزهراء البتول، يسلبونهنّ وينتزعون الملاحف عن ظهورهنّ، ثمّ يضرمون النار في خيامهنّ، فخرجن حواسر معوّلات حافيات باكيات، ينادين: وا محمّداه، وا عليّاه، بناتك سبايا، وذرّيّتك مقتّلة تسفى عليهم ريح الصبا، هذا حسينك محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي العطشان حتّى مضى، بأبي من جدّه المصطفى، بأبي من أبوه عليّ المرتضى[٢].

أُعزّيك فيهم أنّهم وردوا الردى بأفئدة ما بلّ غلّتها قطرُ
وثاوين في حرّ الهجيرة بالعرى عليهم سوافي الريح بالترب تنجرُّ

---

١. مروج الذهب ٢: ٣٦٦ـ ٣٧١.

٢. راجع: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٢ ـ ٤٣؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠ ـ ١٨١.

المجلس الحادي والأربعون

ومن كلام لأمير المؤمنين وسيّد الوصيّين صلوات الله وسلامه عليه:

«ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطِمريه، ومن طُعمه بقرصيه، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد، والله ما كنزت من دنياكم تِبراً، ولا ادّخرتُ من غنائمها وَفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طِمراً، ولا حُزت من أرضها شبراً، ولا أخذتُ منها إلّا كقوت أتانٍ دَبِرة، ولهي في عيني أوهى [وأهون] من عفصةٍ مَقِرة.

بلى كانت في أيدينا فدكٌ من كلّ ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين، ونعم الحَكَمُ الله، وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانّها في غدٍ جدثٌ، تنقطع في ظلمته آثارُها، وتغيب أخبارها... .

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مُصفًّى هذا العسل، ولُباب هذا القَمح، ونسائج هذا القزّ. ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويَقُودَني جَشَعي إلى تَخَيُّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهدَ له بالشبع، أو أبيت مِبطاناً وحولي بطونٌ غَرثَى، وأكبادُ حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك عاراً[1] أن تبيت ببطنةٍ وحولك أكباد تحنّ إلى القدِّ

---

١. في المصدر «داءاً» بدل «عاراً».

أأطمعُ[1] أن يقال أمير المؤمنين ولا أُشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أُسوةً لهم في جشوبة العيش، فما خُلقت ليشغلني أكل الطيّبات، كالبهيمة المربوطة همُّها علفها، والمرسلة شُغْلها تقمُّمها، تكترش من أعلافها، وتلهو عمّا يراد بها،...

وكأنّي بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشُجعان. ألا وإنّ الشجرة البرّيّة أصلب عوداً، والرواتع الخضرة أرقُّ جلوداً، والنابتات العذيَة أقوى وَقوداً وأبطأ خموداً. وأنا من رسول الله ﷺ كالضوء من الضوء، والذراع من العضد. والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها»[2].

بأبي أنت وأُمّي كم تظاهرت العرب على قتالك، فظهرت عليها ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[3] بعليّ أمير المؤمنين وسيّد المجاهدين.

وهل الجهاد لأحدٍ من الناس إلّا له؟ وهل قامت دعائم الدين، أو رست قواعد الشرع، أو علت كلمة التوحيد إلّا بجهاده؟

وهل شهد التنزيل لغيره بأنّه شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله؟

وهل باهى الله ـ عزّ وجلّ ـ ملائكة السماء ليلة المبيت على فراش النبيّ ﷺ بغيره؟

وهل تولّى خدمة النبيّ وجميع بني هاشم أيّام حصرهم في الشعب غيره؟

وهل قاسى الخطر ولاقى الأهوال في إيصال القوت إليهم يومئذٍ سواه؟

---

١. في المصدر: «أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا...» بدل «أأطمع أن يقال...».

٢. نهج البلاغة: ٥٧٣ ـ ٥٧٦، الكتاب ٤٥.

٣. الأحزاب (٣٣): ٢٥.

وهل نصر الله نبيّه في جميع المواطن إلّا به؟

وهل قتل عمراً ومرحباً، وجندل وعتبة وشيبة والوليد غيره؟

وهل أفنى بني عبد الدار، وقتل بني سفيان بن عوف الأربعة يوم أُحد سواه؟

وهل أذلّ عتاة الشرك وجبابرة الكفرة إلّا صارم سطوته؟

وهل فتح حصون خيبر ودحا بابها، وقلع الصخرة عن فم القليب، وسلب العزّة من جبابرة اليمن، ومهد أمرها إلّا ماضي عزمه؟

وهل قاتل الناكثين والمارقين والقاسطين غيره؟

وهل باهل باسم غيره جبرائيل:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ؟

ولقد ورث منه هذه الشجاعة شبله أبوالأئمّة، وشفيع الأُمّة أبوعبدالله الحسين عليه السلام حتّى قال بعض الرواة:

والله ما رأيت مكثوراً قطّ قتل ولده وأهل بيته وأنصاره أربط جأشاً من الحسين عليه السلام، وإن كانت الرَجّالةُ لتشدُّ عليه فيشدّ عليها فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب [١].

ولقد كان يحمل فيهم وقد تكمّلوا ثلاثين ألفاً فينهزمون بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» [٢] حتّى قتل منهم ألفاً وتسعمائة عدا المجروحين.

فناداهم ابن سعد لعنه الله: الويل لكم يا أهل الكوفة أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، فاحملوا عليه من كلّ جانب، وكانت الرماة

---

١. الإرشاد للمفيد ٢: ١١١؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٤؛ مثير الأحزان: ٧٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٠ ـ ١٧٢.

٢. راجع الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧١.

أربعة آلاف فرموه بالسهام، حتّى حالوا بينه وبين رحله.

فصاح بهم: «ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون»[١].

فناداه شمر ـ لعنه الله ـ: ما تقول يابن فاطمة؟

قال عليه السلام: «أنا أُقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم وجهّالكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً»[٢].

فقال الشمر ـ لعنه الله ـ: لك ذلك يابن فاطمة، ثمّ صاح: إليكم عن حرم الرجل واقصدوه بنفسه؛ فلعمري إنّه كفؤ كريم.

فقصده القوم بالقتال وهو مع ذلك يطلب شربة من الماء، وكلّما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه حتّى أجلوه عنه، فنادى: «هل من مغيث فيغيثنا؟ هل من ناصر فينصرنا؟»[٣].

ووقف على جثث أهل بيته وأصحابه فناداهم بأسمائهم، فاضطربت أجسامهم اضطراب السمكة في الماء، فناداهم:

«قوموا عجالاً فما العرى بدار ولا هذا المقام مقامُ
فماجت على وجه الصعيد جسومهم ولو أذن الله القيام لقاموا»

---

١ و٢. الفتوح لابن أعثم ٥: ٢١٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧١.

٣. انظر مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٧؛ مثير الأحزان: ٧٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٨.

المجلس الثاني والأربعون

ومن كلام له عليه السلام:

«والله لأن أبيتَ على حَسَكِ السعدان مُسهّداً، أو أُجَرَّ في الأغلال مصفَّداً، أحبُّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحُطام، وكيف أظلمُ أحداً لنفس يُسرِعُ إلى البِلى قُفُولها، ويطول في الثرى حُلولها.

والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق(١) حتّى استماحني من بُرّكم هذا صاعاً، ورأيت صبيانه شُعثَ الشُعور(٢) غُبرَ الألوان من فقرهم(٣) كأنّما سُوِّدت وجوههم

(١) أملق: افتقر أشدّ الفقر[1]. واستماحني: استعطاني[2].

(٢) الشعث: جمع أشعث، وهو من الشعر المتلبّد بالوسخ[3].

(٣) الغبر: جمع أغبر، وهو متغيّر اللون شاحبه[4].

١. لسان العرب ١٠: ٣٤٨، «م.ل.ق».

٢. المصدر ٢: ٤٨٩، «س.م.ح».

٣. المصدر ٢: ١٦٠، «ش.ع.ث».

٤. صحاح اللغة ٢: ٧٦٤؛ لسان العرب ٥: ٤، «غ.ب.ر».

بالعِظلم(١)، وعاودني مؤكّداً، وكرّر عليَّ القول مُردّداً، فأصغيتُ إليه سمعي، فظنّ أنّي أبيعه ديني، وأتّبع قيادَهُ مفارقاً طريقتي، فأحميت له حديدةً، ثمّ أدنيتُها من جسمه ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذي دَنَفٍ من ألمَها، وكاد أن يحترق من مِيسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئنّ من حديدةٍ أحماها إنسانها لِلعِبه، وتَجُرُّني إلى نار سجرها جبّارها لغضبه؟ أتئِنُّ من الأذى ولا أئنُّ من لَظى؟!!

وأعجب من ذلك طارقٌ طرقنا بملفوفةٍ في وعائها، ومعجونةٍ شَنئتها كأنّما عُجنت بريق حيّةٍ أو قَيئها، فقلت: أصلةٌ، أم زكاةٌ، أم صدقةٌ؟ فكلّ ذلك محرّم علينا أهل البيت»[١].

بأبي أنت وأُمّي يا أمير المؤمنين كيف بك لو رأيت أطفالك وأيتام ولدك أبي عبدالله وهم في أشرّ الذلّة ووثاق السبي، يساقون عطاشى جياعاً مربّطين بالحبال، وأهل الكوفة يتصدّقون عليهم وهم في المحامل مقرّنين بالأصفاد، فجعلت صبيتكم لشدّة جوعهم يتناولون بعض الخبز والتمر والجوز، فصاحت خفرتك وعقيلتك أُمّ كلثوم:

ويلكم يا أهل الكوفة إنّ الصدقة علينا حرام، وجعلت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وترمي به إلى الأرض، والناس يبكون على ما أصابهم، فأطلعت رأسها من المحمل وقالت لهم: مهْ يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم؟ فالحكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء[٢].

---

(١) العِظلِم كزبرج: سواد يصبغ به، قيل: هو النيلج[٣].

---

١. نهج البلاغة: ٤٧١ ـ ٤٧٣، الكلام ٢٢٤.

٢. راجع: مثير الأحزان: ٨٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٨؛ ينابيع المودّة ٣: ٨٧، الباب ١١.

٣. لاحظ لسان العرب ١٢: ٤١٢، «ع. ظ. م»، والقاموس المحيط ٤: ١٥٤.

فبينا هي تخاطبهم إذا بضجّة قد ارتفعت، وإذا هم بالرؤوس قد جاؤوا بها على الرماح، يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ولحيته كسواد السبج، قد نصل منها الخضاب ووجهه دائرة قمر طالع، والريح تلعب بكريمته الشريفة يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدّم المحمل حتّى سال الدم من تحت قناعها، وأومأت إليه بحرقة.

يا هلالاً لما استتمّ كمالا غاله خسفه فأبدى غروبا

ما توهّمت يا شقيق فؤادي كان هذا مقدّراً مكتوبا[1]

---

١. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ١٦١ بنقيصة.

المجلس الثالث والأربعون

ومن خطبة له عليه السلام:

«وكم أكلت الأرض من عزيز جسدٍ، وأنيق لونٍ، كان في الدنيا غَذيَّ تـرفٍ، وربيبَ شرفٍ! يتعلّلُ بالسرور في ساعة حـزنه، ويـفزعُ إلى السـلوَةِ إن مـصيبة نزلت به، ضنّاً بغضارة عَيشه، وشحاحة بلهوه ولعبه، فبينا هو يضحك إلى الدنـيا، وتضحك الدنيا إليه في ظلّ عيش غَفول، إذ وَطِـئَ الدهـر بـه حَسَكـه، ونَـقضَت الأيّامُ قُواه، ونظرت إليه الحُتُوف من كَـثَبٍ، فـخالطه بثٌّ لا يَـعرِفه، ونـجيُّ هَـمّ ما كان يجده، وتولّدت فيه فترات عِللٍ، آنس ما كان بصِحَّته، ففزع إلى مـا كـان عَوّدهُ الأطبّاء من تسكين الحارّ بالقارّ، وتحريك البارد بالحارّ، فلم يُطفئ ببارد إلّا ثَوَّر حرارةً، ولا حرّك بحارّ إلّا هيّج برودةً،... حتّى فتر مُعلِّله، وذهـل مُـمَرِّضه، وتعايا أهلُه بصفة دائه، وخَرِسوا عن جواب السائلين عنه، وتنازعوا دونه شَـجِيَّ خبر يكتمونه، فقائل يقول: هو لِما به، ومُمَنٍّ لهم إياب عافيته، ومُصَبّر لهم عـلى فقده، يُذكِّرهم أَسَى الماضين من قَبله، فبينا هو كذلك على جَناحٍ من فِراق الدنيا، وترك الأحبّة، إذ عرض له عارضٌ من غُصَصه، فتحيّرت نوافذُ فـطنته، ويـبِسَت رطوبة لسانه.

ـ إلى أن قال عليه السلام : ـ وإنّ للموت لغَمَرات، هي أفظَعُ من أن تُستغرق بصفةٍ، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا »[١].

وتالله لا يهوّن سكرات الموت إلّا ولاء آل رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ مواليهم ليبشّره ملك الموت ثمّ منكر ونكير بالجنّة، وإنّ الملائكة لتزفّ أرواح مواليهم إكراماً لهم حتّى تدخلها عليهم كما تزفّ العروس إلى زوجها. وأيم الله إنّ من تمام موالاتهم الحزن لحزنهم، والبكاء على ما أصابهم، فحدّثوا أنفسكم بمصارع هاتيك العترة، وتأسّفوا على ما فاتكم من الفوز بتلك النصرة، واذكروا واعية الحسين وحاله وهو بين ثلاثين ألفاً وحيداً فريداً، قد حال العطش بينه وبين السماء كالدخان، وقد نزف دمه، والحجارة والسهام تأتيه من كلّ جانب، وأهل بيته وأصحابه كالأضاحيّ حوله، ونساؤه نوائح ونوادب من خلفه، وهو تارةً يصبّرهم ويعزّيهم، وتارةً يعظ القوم وينذرهم، ومرّةً ينعى أصحابه ويرثيهم، وأُخرى يقف على جثثهم ويمسح الدماء عن وجوههم...

ولمّا وقف على ولده عليّ الأكبر وهو ابن تسع عشرة سنة[٢]، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً، فوجده مقطّعاً إرباً إرباً، نادى بأعلى صوته: «قتل الله قوماً قتلوك يا بني، ما أجرأهم على الله، وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا»[٣].

ولمّا وقف على ابن أخيه القاسم وهو ابن ثلاث عشرة سنة[٤] ووجده يفحص برجليه الأرض، قال: «عزّ على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا يغني عنك»[٥].

---

١. نهج البلاغة: ٤٦٢ ـ ٤٦٥، الخطبة ٢٢١.

٢. قال به ابن حاتم الشامي في الدرّ النظيم: ٥٥٥.

٣. الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٦؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٦؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٧.

٤. راجع مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣١، فيه: «هو غلام لم يبلغ الحلم».

٥. الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٨؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٨.

ثمّ وضع خدّه على خدّ الغلام واحتمله ورجلاه يخطّان الأرض، فـفتح الغـلام عينيه وتبسّم في وجه عمّه ثمّ فـاضت نـفسه الزكـيّة، فـوضعه بـين القـتلى مـن أهل بيته... .

ولمّا وقف على أخيه العبّاس وهو كبش كتيبته، وحامل لوائه، وموضع سـرّه، ووجده مرضوخ الهامة بعمود من حديد، مـقطوع السـاعدين، وضـع يـده عـلى خاصرته ونادى: «الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي، وشمت بي عدوّي»[1].

وهــوى عـليه مـا هـنالك قـائلاً ... الآن بــان عـن اليـمين حسـامها
الآن آل إلى التـــفرّق جـــمعنا ... الآن حــلّ مــن البـنود نـظامها
الآن نـــامت أعــين بك لم تــنم ... وتســهّدت أُخــرى فـعزّ مـنامها
أشقيق روحي هل تراك عـلمت إذ ... غــودرت وانـثالت عـليك لئـامها
مــن مــبلّغٌ أشــياخ مكّــة أنّـه ... قد قـلّ نـاصرها وغـاب هـمامها

---

١. مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي ٢: ٣٤؛ مثير الأحزان: ٨٤.

المجلس الرابع والأربعون

ومن خطبة له عليه السلام:

«أمّا بعد، فإنّي أُحذّركم الدنيا، فإنّها حُلوةٌ خَضرة، حُفّت بالشهوات، وتحبّبت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلّت بالآمال، وتزيّنت بالغرور، لا تدوم حبرتُها(1) ولا تؤمن فجعتها، غَرّارةٌ ضَرّارة، حائلة زائلة، نافدة بائدة، أكّالةٌ غوّالة، لا تَعدو إذا تناهت إلى أُمنيّة أهل الرغبة والرضاء بها أن تكون كما قال الله تعالى: ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾[1] لم يكن امرؤٌ منها في حَبرةٍ، إلّا أعقبتهُ بعدها عَبرَةً، ولم يلق من سرّائها بطناً، إلّا منحتهُ من ضرّائها ظهراً، ولم تطلّه فيها ديمةُ رخاء إلّا هتنت عليه مُزنة بلاءٍ، وحريٌّ إذا أصبحت له منتصرةً أن تُمسي له مُتنكّرة، وإن جانبُ منها اعذَوذَبَ واحلَولَى أمرَّ منها جانب

(1) حبرتها: بهجتها وسرورها[2].

1. الكهف (18): 45.

2. صحاح اللغة 2: 620، «ح.ب.ر».

فأوبى[(١)]، لا ينال امرؤٌ من غَضارتها رَغباً، إلّا أرهقتهُ من نوائبها تعباً، ولا يُمسي منها في جناح أمنٍ، إلّا أصبح منها على قوادم خوفٍ، غرّارَةٌ غرور ما فيها، فانية فانٍ من عليها، لا خير في شيء من أزوادها إلّا التقوى، من استقلّ منها استكثر ممّا يؤمنُهُ، ومن استكثر منها استكثر ممّا يوبقُه، وزال عمّا قليلٍ عنه، كم من واثقٍ بها قد فجعتهُ، وذي طمأنينةٍ إليها قد صرعتهُ، وذي أُبّهةٍ قد جعلته حقيراً، وذي نخوةٍ قد ردّته ذليلاً، سلطانُها دُوَّلٌ، وعيشها رَنقٌ[(٢)]، وعذبها أُجاج، وحلوها صَبِر، وغذاؤها سِمام، وأسبابها رِمام، حَيُّها بعرض موتٍ، وصحيحها بعرض سُقمٍ، ملكها مسلوبٌ، وعزيزها مغلوب»[١].

هذه أنبياء الله وأصفياؤه تغلّبت عليهم الجبابرة، وتحكّمت فيهم أعداء الله حتّى كان بنو إسرائيل، ربما يقتلون بين طلوعي الفجر والشمس سبعين نبيّاً، ثمّ يجلسون في أنديتهم كأنّهم لم يفعلوا شيئاً.

ولمّا بعث الله إسماعيل بن حزقيل إلى قومه سلخوا جلدة وجهه وفروة رأسه، فأتاه ملك من ربّه ـ عزّ وجلّ ـ يقرئه السلام ويقول له: «قد أمرني الله بطاعتك، فمرني بما شئت» فقال عليه السلام: «لي بالحسين أُسوة»[٢].

---

(١) فأوبى: أي كثر فيها الوباء[٣].

(٢) الرنق: الكدر[٤].

---

١. نهج البلاغة: ٢١٢ـ٢١٤، الخطبة ١١١.

٢. كامل الزيارات: ١٣٧ـ١٣٩، الباب ١٩، ح ١ـ٤؛ علل الشرائع ١: ٩٨، ح ٢ و٣؛ وسائل الشيعة ٣: ٢٦٥، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ١٩ و٢٠.

٣. لاحظ صحاح اللغة ١: ٧٩، «و.ب.أ».

٤. القاموس المحيط ٣: ٢٤٦، «ر.ن.ق».

بأبي أنت وأُمّي يا أباعبدالله. بأبي أنت وأُمّي يا من تأسّت به أنبياء الله، لئن سلخت جلدة وجه إسماعيل وفروة رأسه في سبيل الله. فلقد أصابك في إعلاء كلمةالله من ضرب السيوف ووخز الأسنّة، ورمي الأحجار، ورشق النبال، ووطء الخيل، وعسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ما هو أعظم من ذلك.

تأسّت بك أنبياء الله لكن لم يبلغوا شأوك، ولا أُصيبوا بما أُصبت، وهل مُني أحد من العالمين بما منيت به؟ فررت بدمك من حرم جدّك ﷺ إلى حرم الله عزّوجلّ حيث يأمن الوحش والطير، فلم تأمن فيه على نفسك، ففررت منهم لمّا خفتهم بعيالك وأطفالك وأهل بيتك، فلاقيت من أعداء الله ما رفع الله به قدرك، وعظّم به أمرك.

ولقد يعزّ على جدّك رسول الله ﷺ أن يراك بين ثلاثين ألفاً لا ناصر لك ولا معين، وأبناؤك وإخوتك وأهل بيتك والخيرة من شيعتك مجزّرين كالأضاحيّ نصب عينيك، ورضيعك يذبح وهو على يديك، وحرمك نوائح ونوادب من خلفك ينادين: وا غربتاه، وا ضيعتاه.

وبالعزيز على فاطمة الزهراء أن تراك يا عزيزها بين جموعهم وقد ضعفت عن القتال، ونزف دمك من كثرة الجراح، وحال العطش بينك وبين السماء كالدخان، وأنت تنادي: «أما من ناصر فينصرنا؟ أما من مغيث فيغيثنا؟»[١].

وليت رسول الله رآهم وقد افترقوا عليك أربعة فرق: فرقة بالسيوف، وفرقة بالرماح، وفرقة بالسهام، وفرقة بالحجارة، حتّى ذبحوك عطشاناً من القفا، وأنت تستغيث فلا تغاث.

ثمّ هجموا على ودائع النبوّة فسلبوهنّ ونهبوا خيامهنّ، وأشعلوا فيها النار

١. راجع: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٦ـ ٣٧؛ مثير الأحزان: ٧٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٨.

فخرجن حافيات حاسرات معولات مسلّبات ينادين: وا محمّداه، وا عليّاه.

وما اكتفوا بذلك حتّى أجالوا الخيل على جسدك الطاهر، ورفعوا رأسك على رمح طويل، وساقوا نساءك وهنّ عقائل الوحي سبايا كأنّهنّ من كوافر الديلم، حتّى أدخلوهنّ تارةً على ابن مرجانة، وأُخرى على ابن آكلة الأكباد.

وأعظم ما يشجي الغيور دخولها ... على مجلسٍ ما بارح اللهو والخمرا

يعارضها فيه الدعيّ مسبّةً ... ويصرف عنها وجهه معرضاً كبرا

المجلس الخامس والأربعون

ومن كلام له عليه السلام:

«الدنيا دارٌ مُنِيَ لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حُلوَةٌ خضراء، وقد عَجِلت للطالب، والتبست [بقلب الناظر]، فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتِكم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوقَ الكفاف، ولا تطلُبو منها أكثر من البلاغ»[1].

هذا الكلام كان من عليّ عليه السلام وفق فعله، فإنّه ما شبع من طعام قطّ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً.

قال عبيدالله بن أبي رافع: دخلت عليه يوم عيد فقدّم إليه جراب مختوم، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً فأكل منه، فقلت: يا أمير المؤمنين، كيف تختمه؟ قال: «خفت هذين الولدين أن يليناه بسمن أو زيت».

وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارةً، وبليف أُخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرابيس، فإذا وجد كمّه طويلاً قطعه، وكان يأتدم بخلّ أو ملح، فإن ترقّى فببعض نبات الأرض، فإن ارتفع فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلّا قليلاً، وقد طلّق الدنيا ثلاثاً، وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام

---

١. نهج البلاغة: ٨٣ ـ ٨٤، الخطبة ٤٥.

إلّا من الشام، فيفرّقها ثمّ يقول:

«هذا جنايَ وخيارُه فيهْ إذ كلّ جانٍ يده إلى فيهْ»[١]

ورآه عديّ بن حاتم وبين يديه ماء قراح، وكسيرات من خبز الشعير فقال: لا أرى لك يا أمير المؤمنين أن تظلّ نهارك صائماً مجاهداً، وبالليل ساهراً مكابداً ثمّ يكون هذا فطورك؟ فقال عليه السلام:

«علّل النفس بالقليل[٢] وإلّا طلبت منك فوق ما يكفيها»[٣]

ولم يزل هذا دأبه، وهذه سجيّته، حتّى ضربه أشقى الآخرين على رأسه في مسجد الكوفة صبيحة ليلة الأربعاء لتسعة عشر مضين من شهر رمضان المبارك[٤]، وهو ساجد لله في محرابه، فبلغ السيف موضع السجود من رأسه، فقال: «بسم الله وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملّة رسول الله، فزتُ وربّ الكعبة، لا يفوتنّكم ابن ملجم»[٥].

واصطفقت أبواب الجامع، وهبّت ريح سوداء مظلمة، ونادى جبرائيل بين السماء والأرض:

«تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست والله أعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قتل ابن عمّ المصطفى، قتل الإمام المجتبى، قتل عليّ المرتضى. وجعل الدم يجري على وجهه، فيخضب به لحيته الشريفة»[٦].

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦.

٢. في المصدر: «بالقنوع» بدل «بالقليل».

٣. مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٤؛ بحار الأنوار ٤٠: ٣٢٥، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، الباب ٩٨، ح ٧؛ مستدرك الوسائل ٧: ٣٦٥، الباب ٩ من أبواب آداب الصائم، ح ٣.

٤. راجع: تاريخ اليعقوبي ٢: ١١٩؛ تاريخ الطبري ٥: ١٤٣، حوادث سنة ٤٠؛ مروج الذهب ٢: ٤٢٦.

٥. بحار الأنوار ٤٢: ٢٨١، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، الباب ١٢٧، ذيل الحديث ٧٨.

٦. بحار الأنوار ٤٢: ٢٨٢، ٢٨٥، و٢٨٦، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، الباب ١٢٧، ذيل الحديث ٧٨.

واقتدى به ولده أبوعبدالله عليه السلام حيث رماه سنان ـ لعنه الله ـ بسهم فوقع في نحره فسقط عن جواده، وقرن كفّيه جميعاً فكلّما امتلأتا خضّب بهما رأسه ولحيته وهو يقول: «هكذا ألقى الله وأنا مخضّب بدمي، مغصوب حقّي»[١].

وخرجت زينب عليها السلام حينئذٍ من فسطاطها تنادي: وا أخاه، وا سيّداه، وا أهل بيتاه، ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل[٢].

وقال هلال بن نافع: وقفت على الحسين عليه السلام وإنّه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلاً مضمّخاً بدمائه أحسن منه وجهاً، ولا أنور منه، ولقد شغلني نور وجهه، وجمال هيئته عن الفكرة في قتله[٣].

ومجرّح ما غيّرت منه القنا ... حسناً ولا غيّرن منه جديدا

قد كان بدراً فاغتدى شمس الضحى ... مذ ألبسته يد الدماء لبودا

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٦.

٢. المصدر: ١٧٥.

٣. المصدر: ١٧٧.

المجلس السادس والأربعون

ومن كلام له عليه السلام بعد تلاوته ﴿أَلْهَاكُمُ التَكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾[1]:

«يا له مراماً ما أبعدَه، وزَوراً ما أغفله، وخطراً ما أفظعَهُ! لقد استخلَوا منهم أيَّ مُدّكرٍ، وتناوشوهم من مكان بعيد! أفبمصارعِ آبائهم يَفخَرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خَوَت، وحركات سكنت، ولأن يكونوا عِبَراً أحقُّ من أن يكونوا مفتَخراً، ولأن يهبطوا بهم جناب ذِلّة أحجى من أن يقوموا بهم مكان[2] عِزّة، لقد نظروا إليهم بأبصار العَشوة، وضربوا منهم في غَمرة جهالة، ولو استنطقوا عنهم عرصاتِ تلك الديار الخاوية والربوع الخالية، لقالت: ذهبوا في الأرض ضُلّالاً، وذهبتم في أعقابهم جُهّالاً تطَؤون في هامهم، وتستنبتون في أجسامهم[3]، وترتعون فيما لفظوا، وتسكنون فيما خرَّبوا، وإنّما الأيّام بينكم وبينهم بَواكٍ ونوائح عليكم.

أُولئكم سلفُ غايتكم، وفُرّاط مناهِلِكم، الذين كانت لهم مَقاوِم العِزّ، وحلبات الفخر، ملوكاً وَسوقاً، سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً، سُلّطت الأرض عليهم فيه،

---

١. التكاثر (١٠٢): ١ ـ ٢.

٢. في المصدر: «مقام» بدل «مكان».

٣. في المصدر: «أجسادهم» بدل «أجسامهم».

فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جَماداً لا يَنمون، وضِماراً لا يوجدون....

ولئن بليت[1] آثارهم، وانقطعت أخبارهم، لقد رجعت فيهم أبصار العِبر، وسمعت عنهم آذان العقول، وتكلّموا من غير جهات النُطق، فقالوا: كلحت الوجوه النواضِر، وخَوَت الأجسام النواعم، ولبسنا أهدام البِلى، وتكاءدنا ضيق المضجع، وتوارثنا الوحشة، وتهكّمت علينا الربوع الصُموت، فانمحت محاسن أجسادِنا، وتنكّرت معارف صورنا، وطالت في مساكن الوحشة إقامتُنا، ولم نجد من كرب فرجاً، ولا من ضيق مخرجاً[2]»[3].

وتالله لا يفرج الكرب، ولا يؤنس الوحشة إلّا شفاعة رسول الله ﷺ وأوصيائه عليهم السلام، وبالله لترونَّ أمير المؤمنين عليه السلام واقفاً على شفير قبوركم يعلّمكم جواب منكر ونكير، وليبدّلنّ الله وحشتكم بواسطته أُنساً، وخوفكم برؤيته أمناً، وليدخلنّ عليكم السرور في أجداثكم، ولتقومنّ يوم القيامة سيّدة نساء العالمين عليها السلام مقاماً تغبطون عليه وتدخلون به الجنّة... فحقيق علينا أن نشاركها في مصيبتها التي أرزأت جبرائيل، ونُواسيها في رزيّتها التي عظمت على الربّ الجليل.

فيا ليت لفاطمة وأبيها عيناً تنظر إلى بناتها وبنيها، وهم ما بين مسلوبٍ وجريح، ومأسور وذبيح، وبنات الوحي والنبوّة يطاف بهنّ من بلد إلى بلد حتّى وردوا بهنّ الشام، فلمّا قربوا من دمشق دنت أُمّ كلثوم من شمر ـ لعنه الله ـ فقالت له: لي إليك حاجة.

قال: ما حاجتكِ؟

---

١. في المصدر: «عميت» بدل «بليت».

٢. في المصدر: «متّسعاً» بدل «مخرجاً».

٣. نهج البلاغة: ٤٥٧ ـ ٤٦٢، الكلام ٢٢١.

قالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل نُظّاره، وتقدّم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحوها عنها، ونحن في هذه الحال.

فأمر اللعين في جواب سؤالها: أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً، ثمّ سلك بهم الطرق العامّة على تلك الصفة حتّى أتى بهم باب دمشق، فأوقفوهم على درج باب المسجد، حيث يقام السبي، وطافوا برأس الحسين عليه السلام سكك دمشق وشوارعها.

جاؤوا برأسك يابن بنت محمّد	متزمّلاً بدمائه تزميلا
قتلوك عطشاناً ولمّا يرقبوا	في قتلك التأويل والتنزيلا
ويكبّرون بأن قتلت وإنّما	قتلوا بك التكبير والتهليلا[1]

---

١. مناقب آل أبي طالب ٤: ١٢٧؛ روضة الواعظين ١: ٤٤١ ـ ٤٤٢، ذيل الحديث ٤٢٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٠ ـ ٢١١؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ٤٢٩.

المجلس السابع والأربعون

ومن خطبة له عليه السلام:

«ألستم في مساكن من كان قَبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالاً، وأعدَّ عديداً، وأكثفَ جُنوداً، تعبّدوا للدنيا أيَّ تعبُّد، وآثروها أيَّ إيثارٍ، ثمّ ظعنوا عنها بغير زاد مُبلِّغٍ، ولا ظهرٍ قاطع، فهل بلغكم أنّ الدنيا قد سخت لهم نفساً بفديةٍ، أو أعانتهم بمعونةٍ، أو أحسنت لهم صحبةً، بل أرهقتهم بالقوادح، وأوهقتهم بالقوارع، وضعضعتهم بالنوائب، وعفّرتهم للمناخِر، ووطأتهم بالمناسم، وأعانت عليهم ﴿رَيب المنون﴾[1] ...، أفهذه تؤثرون؟ أم إليها تطمئنّون؟ أم عليها تحرصون؟ فبئست الدارُ لمن لم يتّهمها، ولم يكن فيها على وَجَل منها، فاعلموا وأنتم تعلمون بأنّكم تاركوها، وظاعنون عنها، واتّعظوا فيها بالذين قالوا ﴿مَن أشدُّ مِنَّا قُوّةً﴾[2] حملوا إلى قبورهم فلا يُدعون ركباناً، وأُنزلوا فيها[3] فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان،

---

١. الطور (٥٢): ٣٠.

٢. فصّلت (٤١): ١٥.

٣. في المصدر: «وأُنزلوا الأجداث فلا...».

ومـن الرفـات جـيران، فـهم جـيرة لا يـجيبون داعـياً، ولا يـمنعون ضـيماً ...، إن جِـيدوا لم يـفرحـوا، وإن قُـحطوا لم يـقنَطوا ... قـد اسـتبدلوا بـظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضـيقاً، وبـالأهل غـربةً، وبـالنور ظـلمةً، فَـجاؤوها كـما فـارقوها، حُـفاةً عُـراة، قـد ظـعنوا عـنها بأعـمالهم إلى الحـياة الدائـمة، والدار الباقية»[1].

حيث لا ينفع الإنسان إلّا ما قدّمه من أعماله الصالحة، وما يرجوه من شفاعة الشافعين.

وإنّ أفـضل عـمل صـالح، وأقـوى سـبب لنـيل الشـفاعة لزوم سـنّته، واتّـباع عـترته صلى الله عليه وآله، فـإنّهم أحـد الثـقلين الذيـن لا يـضلّ مـن تـمسّك بـهما، ولا يهتدي إلى الله مـن صـدف عـنهما، وقـد قـال صلى الله عليه وآله مـن خـطبة خـطبها يـوم غدير خمّ(١):

«ألا أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم الثقَلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وثانيهما أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي».

وزاد الطـبرانـي: «فـلا تـقدّموهما فـتهلكوا، ولا تـقصروا عـنهما فـتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[2].

(١) فيما أخرجه مسلم في باب فضائل عليّ عليه السلام من صحيحه[3].

١. نهج البلاغة: ٢١٤ـ٢١٦، الخطبة ١١١.

٢. المعجم الكبير ٥: ١٦٦ـ١٦٧، ح ٤٩٧١.

٣. صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٦.

وكان آخر ما تكلّم به ـ فيما رواه الطبراني عن ابن عمر ـ: «اخلفوني في أهل بيتي»[١].

وفي رواية: «فلا تقتلوهم، ولا تقهروهم، ولا تقصروا عنهم»[٢].

بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، أين موضع القبول منهم بعهدك إلى أخيك، ووصاياك ببضعتك الزهراء وبنيك؟ وقد هدم القوم ما بنيت، وأضلّوا جانباً ممّن هديت، وفعلوا بعترتك ما لا يفعلون بالخوارج، وقابلوهم بما لا يقابلون به أهل الخنا والريب.

أمّا البتول فقد قضت وبقلبها	من فعلهم قبسات وجدٍ مكمنِ
والمرتضى أردوه في محرابه	بيمين أشقى العالمين وألعنِ
وبشربة السمّ النقيع عداوةً	من كفّ جعدة قد قضى الحسن السنيّ
وإليك عنّي لا تقل حدّث بما	لاقى الحسين فرزؤه قد شفّني
حيث المصائب جمّة لا أدرِ ما	منها أقصّ عليك لو كلّفتني

نعم أقصّ عليك مصيبته بأطفاله، فعن أبي الفرج الإصفهاني: أنّه كان في مخيّم الحسين عليه السلام ستّة أطفال وقفوا في باب الخيمة وقد أضرّ بهم العطش، فاتلعوا برقابهم إلى الفرات، يتموّج كأنّه بطون الحيّات، فجاءتهم السهام فذبحتهم عن آخرهم، وكان الحسين قد تناول ولده الرضيع ليودّعه، فلمّا أومأ إليه ليقبّله رماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه، فتلقّى الحسين عليه السلام دم الطفل بكلتا يديه، فلمّا امتلأتا من الدم رمى به نحو السماء ثمّ قال: «هوّن عليّ ما نزل بك أنّه بعين الله»[٣].

---

١. حكاه عنه الهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٥٧، ح ١٤٩٦١.

٢. حكاه عنه القندوزي في ينابيع المودّة ١: ١١٦، الباب ٤، ح ٤٠.

٣. انظر مقاتل الطالبيّين: ٥٩ ـ ٦٠. راجع أيضاً: الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٨؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٩.

وقيل: إنّ الطفل كان مغمى عليه من شدّة العطش، فلمّا أحسّ بحرارة السهم، رفع يديه من القماط واحتضن أباه...[١]

ولمّا سقط الحسين عليه السلام عن ظهر جواده خرج عبدالله بن الحسن عليه السلام وهو غلام لم يراهق، واشتدّ حتّى وقف إلى جنب عمّه، فلحقته عمّته زينب لتحبسه فأبى وامتنع امتناعاً شديداً وقال: والله لا أُفارق عمّي.

فأهوى بحر بن كعب ـ وقيل: حرملة بن كاهل ـ إلى الحسين بالسيف فاتّقاها الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة، فنادى الغلام: يا أُمّاه، فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إلى صدره وقال: «يابن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين» فرماه حرملة ـ لعنه الله ـ بسهم فذبحه وهو في حجر عمّه[٢].

هبوا أنّكم قاتلتموا فقتلتم　　　فما بال أطفال تقاسي نبالها

---

١. لم نعثر على قائله.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٠؛ مقاتل الطالبيّين: ٧٧؛ مثير الأحزان: ٧٣ ـ ٧٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٣؛ الدرّ النظيم: ٥٥٧ ـ ٥٥٨.

المجلس الثامن والأربعون

ومن خطبة له عليه السلام:

«أمّا بعد، فإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوَداعٍ، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطّلاعٍ، ألا وإنّ اليوم المضمار، وغداً السباق، والسبقة الجنّة، والغاية النار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيّته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم بُؤسِهِ؟

ألا وإنّكم في أيّام أمل من ورائه أجلٌ، فمن عمل في أيّام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله، ولم يضرّه أجله.

ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة.

ألا وإنّي لا أرى كالجنّة نام طالِبُها، ولا كالنار نامَ هاربها.

ألا وإنّكم قد أُمرتم بالظعنِ، ودُللتم على الزاد، وإنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتّباع الهوى، وطول الأمل، فتزوّدوا في الدنيا ما تجهّزوا به أنفسكم غداً، وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى»[1].

---

١. نهج البلاغة: ٦١ ـ ٦٢، الخطبة ٢٨. فيه: «فتزوّدوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً». ولم يرد فيها كلامه: «وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى».

وسمعه أبوالدرداء يقول في مناجاته في جوف الليل، وهو مستتر ببعيلات بني النجّار:

«إلهي أُفكّر في عفوك فتهون عليَّ خطيئتي، ثمّ أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليَّ بليّتي.

آهٍ آه، إن أنا قرأت في الصحف سيّئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته.

آه آه، من نار تنضج الأكباد والكلى. آه آه، من نار نزّاعة للشوى. آه آه، من غمرة من لهبات لظى».

قال أبوالدرداء: ثمّ انغمس في البكاء فلم أسمع له حسّاً ولا حركة، فأتيته فإذا هو كالخشبة اليابسة، فحرّكته فلم يتحرّك، وزويته فلم ينزوِ، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مات والله عليّ بن أبي طالب، فأتيت أهله أنعاه إليهم.

فقالت فاطمة ـ سلام الله عليها ـ: «هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله تعالى» ثمّ أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، فرآني أبكي فقال: «ممَّ بكاؤك يا أبا الدرداء؟».

فقلت: ممّا تنزله بنفسك.

قال: «كيف بك لو رأيتني وقد دعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ شداد، ووقفت بين يدي من لا تخفى عليه خافية»[1].

وكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أعبدَ الناس، وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة، وكانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده.

---

١. تنبيه الخواطر ٢: ١٥٦ـ ١٥٧.

وما ظنّك بمن يبلغ من محافظته على وِرده، أن يبسط له نِطعٌ بين الصفّين ليلة الهرير، فيصلّي عليه السلام ورده والسهام تقع بين يديه، وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع، ولا يقوم حتّى يفرغ من ورده وصلاته[١].

وقد نسج على منواله في ذلك شبله باب الرحمة، وأبوالأئمّة يوم عاشوراء وقد اجتمع عليه ثلاثون ألفاً، وافترقوا عليه أربع فرق: فرقة بالسيوف، وفرقة بالرماح، وفرقة بالسهام، وفرقة بالحجارة، فبينا هو في هذه الحالة إذ حضرت صلاة الظهر، فأمر ـ صلوات الله عليه ـ زهير بن القين، وسعيد بن عبدالله الحنفي أن يتقدّما أمامه مع نصف من تخلّف معه، ثمّ صلّى بهم صلاة الخوف، وتقدّم سعيد بن عبدالله فوقف يقيه السهام بنفسه، ما زال وما تخطّى حتّى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهمّ العنهم لعن عادٍ وثمود. اللهمّ أبلغ نبيّك عنّي السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإنّي أردت ثوابك في نصرة ابن بنت نبيّك:

ثمّ قضى نحبه رضوان الله عليه[٢].

وفي رواية: أنّه لمّا سقط قال: يا سيّدي يابن رسول الله هل وفيت؟

فاستعبر الحسين باكياً وقال: «نعم، رحمك الله، وأنت أمامي في الجنّة»[٣].

رجالٌ تواصوا حيث طابت أُصولهم ... وأنفسهم بالصبر حتّى قضوا صبرا
حماة حموا خدراً أبى الله هتكه ... فعظّمه شأناً وشرّفه قدرا
فأصبح نهباً للمغاوير بعدهم ... ومنه بنات المصطفى أُبرزت حسرى

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٧.

٢. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٥.

٣. نسب هذا ابن طاووس إلى عمرو بن قرظة الأنصاري. راجع الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٢.

المجلس التاسع والأربعون

ومن خطبة له عليه السلام:

«فلو أنّ أحداً يجدُ إلى البقاء سُلّماً، أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود ـ عليه وعلى نبيّنا وآله السلام ـ الذي سُخّر له ملك الجنّ والإنس، مع النبوّة وعظيم الزُلفة. فلمّا استوفى طُعمَتَه، واستكمل مُدّته، رمته قسيُّ الفَناء بنبالِ الموت، وأصبحت الديارُ منه خاليةً، والمساكن مُعطّلة، وورثها قوم آخرون. وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة.

أين العمالقة وأبناء العمالقة؟ أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟ أين أصحاب مدائن الرسِّ الذين قتلوا النبيّين، وأطفؤوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن الجبّارين؟

أين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا بالأُلوف، وعسكروا العساكر، ومدَّنوا المدائن؟»[1].

أين بنو أُميّة الذين فعلوا الأفاعيل، ونهضوا بالأباطيل، وشيّدوا قواعد الظلم والعدوان، وعلوا على أساس أهل الكفر والطغيان؟ فعاثوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، فساموا عباد الله سوء العذاب، يذبّحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، حتّى

---

١. نهج البلاغة: ٣٥٢، الخطبة ١٨٢.

هتكوا المدينة المنوّرة، وفضحوا نساءها، وقتلوا رجالها، ونصبوا على مكّة العرّادات والمجانيق، وفرضوا على عسكرهم عشرة آلاف صخرة يرمونها كلّ يوم، حتّى هدموا الكعبة المشرّفة تارةً، وأحرقوها أُخرى، ولمّا بناها المسلمون بعد ذلك، كان بنو أُميّة يشربون الخمور على سطحها، وقد مزّقوا ثقل رسول الله ﷺ كلّ ممزّق.

أمّا الكتاب فرموه بالنبل حتّى مزّقوه. وقال قائلهم يخاطبه:

تهدّدني بجبّارٍ عنيدٍ فها أنا ذاك جبّار عنيدُ
إذا ما جِئت ربّك يوم حشرٍ فقل: يا ربّ مزّقني الوليدُ[1]

وأمّا العترة الطاهرة فقد شتّتوهم في كلّ ناد، وطافوا برؤوسهم ونسائهم على رؤوس الأشهاد، حتّى أوقفوهم بين يدي عبيدالله بن زياد لعنه الله، فجلست حوراء النساء زينب عليها السلام متنكّرة، وحفّ بها إماؤها، فسأل عنها، فقيل: هذه زينب بنت عليّ عليه السلام.

فأقبل عليها وقال: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت زينب: إنّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

فقال: كيف رأيتِ صنع الله بأخيكِ وأهل بيتكِ؟

فقالت: ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ هبلتك أُمّك يابن مرجانة.

فغضب اللعين وهمّ أن يضربها، فقال له عمرو بن حريث: إنّها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها.

---

١. الطرائف: ١٦٧؛ بحار الأنوار ٣٨: ١٩٣، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، الباب ٦٣، ذيل الحديث ٢؛ مناقب أهل البيت للشيرواني: ٤٧٩.

فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك.

فرقّت عند ذكرها لأخيها وأهل بيتها، وقالت: لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاءك فقد اشتفيت.

فقال ـ لعنه الله ـ: هذه سجّاعة، ولعمري لقد كان أبوها شاعراً سجّاعاً.

فقالت: يابن زياد ما للمرأة وللسجع؟[1]

وأعظم ما يشجي الغيور دخولها ... إلى مجلسٍ ما بارح اللهو والخمرا
يعارضها فيه الدعيّ مسبّةً ... ويصرف عنها وجهه معرضاً كبرا[2]

---

١. الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٢٦ ـ ٢٢٧؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٧ ـ ٤٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠١ ـ ٢٠٢؛ مثير الأحزان: ٩٠.

٢. في الطبعة الأُولى: «تمّ بحمد الله وحسن توفيقه ما عثر عليه من كتاب المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة للإمام المجاهد السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي قدس سره في ١٥ شوّال ١٣٨٦هـ في مطابع النعمان النجف الأشرف».

المجلس الخمسون*

ومن وصيّة له عليه السلام أوصى بها عسكره قبل لقاء العدوّ بصفّين:

«لا تُقاتِلوهم حتّى يَبْدَؤوكم، فإنّكم بحمد الله على حُجّةٍ، وتَرْكُكُمْ إيّاهم حتّى يَبْدَؤُوكُم حجّةٌ أُخرى لكم عليهِمْ. فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تُصيبوا مُعْوِراً، ولا تُجْهزُوا على جريحٍ، ولا تَهِيجوا النساء بأذىً، وإن شَتَمنَ أعراضَكم وسَبَبْن أُمراءكم، فإنّهنّ ضَعيفات القُوى والأنفُسِ والعُقولِ؛ إن كنّا لنُؤمَرُ بالكفّ عنهنّ وإنّهنّ لمُشرِكاتٌ، وإن كان الرجل لَيَتناوَل المرأة في الجاهليّة بالفهر أو الهِرَاوَةِ فيُعَيَّرُ بها وَعَقِبُه مِن بعده»[1].

بأبي أنت وأُمّي يا أمير المؤمنين ليتك شاهدت عقائلك يوم العاشر من المحرّم حين تسابق القوم إلى نهب بيوتهنّ، وتزاحموا على سلبهنّ وضربهنّ، وانتزعوا الملاحف عن ظهورهنّ، فبرزن وهنّ كريمات رسول الله صلى الله عليه وآله، حاسرات حافيات مدهوشات حائرات في أسر الذلّة ووثاق السبي، تارة فيصرخن: يا جدّاه،

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن الخطب لأمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه وعلى أبنائه المعصومين ـ نقلتها من تأليفات مولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه من مجالسه المسمّاة بـ«المجالس الفاخرة».

١. نهج البلاغة: ٥٠٩، الكتاب ١٤.

يا رسول الله ، ومرّة ينادينك مستغيثات بك : يـا أبـتاه، يـا عـليّاه، وطـوراً يـلذن بأبي عبدالله وهو جثّة بلا رأس، ومرّة يلتجئن إلى عمر بن سعد ويستعطفن غيره من أعدائكم، فما نظر والله إليهنّ أحد بـعطفه، ولا راعـوا لهـنّ حـرمة بـلا، هـجموا يا أميرالمؤمنين عليهنّ وقائدهم عمر بن سعد لابساً درع الحسين، ومعه الأخنس بن مرثد لابساً عمامته، ويسلبونهنّ تارة،ويضربونهنّ أُخرى،وهنّ يلوذ بعضهنّ ببعض[١].

ثمّ أضرموا النار في خيامهنّ ففررن في البيداء، فما انتصروا لله يا مولاي لهنّ إلّا امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في عسكر ابن سعد، فإنّها أخـذت سـيفاً وأقبلت نحوهنّ وهي تنادي: يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله ؟ لا حكم إلّا لله، يا لثارات رسول الله، فأخذها زوجها وردّها إلى رحله[٢].

ثمّ ساقوهم سوق العبيد والإماء، ومرّوا بهم على مصارع الشهداء، فيا حرّ قلبي، ويا لهف نفسي،كيف رؤوا تلك الجثث الطاهرة عارية بالعرى، تجري عليها خيل العدى.

يا غيرة الله غار الصبر فـانهتكي	هتك النساء لما فـي كـربلا كـانا
هبي الرجال بما تأتي بـه قـتلت	وإن يكن قتلت ظـلماً وعـدوانـا
ما بال أطفالها صرعى ونسـوتها	أسرى يجاب بها سهلاً وأحزانـا
تهدى وهنّ كـريمات النـبيّ إلى	مـن كـان أعـظمها لله كـفرانـا
والمسلمون بمرأى لا ترى أحـداً	لله أو لرســول الله غــضبانا[٣]

١. للمزيد راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ١١٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٨ ـ ١٧٩.

٢. راجع: مثير الأحزان: ٧٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٨، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٣. هذا ما عثرنا عليه من كتاب المجالس الفاخرة، والحمد لله كما هو أهله ومستحقّه.

فهرس الموضوعات

(١٠) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام

(١١) المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة